

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله):

إِنِّي تَبَلُّرٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ، وَعِزَّتِي أَهْلُ  
بَيْتِي، مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا، وَأَنْتَهُمَا لَنْ  
يَفْتَرِقَا حَتَّى يَزِيَا عَلَيَّ الْحَرُّ .

(صحيح مسلم، ج ٧، ص ١٢٢، سنن الدارمي، ج ٢،  
ص ٤٣٢، مسند احمد، ج ٣، ص ١٤، ١٧، ٢٦، ٥٩،  
ج ٤، ص ٣٦٦، ٣٧١، ج ٥، ص ١٨٢، مستدرک الحاكم،  
ج ٣، ص ١٠٩، ١٤٨، ٥٣٣، وغيرها من المصادر).

## تاريخ الاسلام

من العصر الجاهلي إلى وفاة النبي ﷺ



# تاريخ الاسلام

من العصر الجاهلي إلى وفاة النبي ﷺ

مهدي بيشواني

تعريب

خليل زامل العصامي

المجمع العالمي لأهل البيت ^



## § تاريخ الاسلام من العصر الجاهلي إلى وفاة النبي ﷺ

- تأليف: مهدي بيشوائي  
ترجمة: خليل زامل العصامي  
إعداد: المعاونة الثقافية، دائرة الترجمة  
تصحيح: سعد المالكي  
الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت <sup>٨</sup>  
الطبعة: الأولى  
سنة النشر: ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م  
الكمية: ٣٠٠٠ نسخة  
ردمك: ٩٦٤-٥٢٩-٠٩٠-٠٢

[www.ahl-ul-bayt.org](http://www.ahl-ul-bayt.org)  
[info@ahl-ul-bayt.org](mailto:info@ahl-ul-bayt.org)

## كلمة المجمع

إن تراث أهل البيت <sup>٨</sup> الذي اختزنه مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم، يعبر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية. وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربي النفوس المستعدة للاعتراف من هذا المعين، وتقدم للأمة الإسلامية كبار العلماء المحتزين لخطى أهل البيت <sup>٨</sup> الرسالية، مستوعبين إثارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدّمين لها امتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية. وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت <sup>٨</sup> . منطلقاً من مسؤولياته التي أخذها على عاتقه . للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها التي حاول تشويشها بعض أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطى أهل البيت <sup>٨</sup> والعلماء من أتباع مدرستهم الرشيدة التي حرصت على الاجابة عن التساؤلات والرد على الشبهات ومواجهة التحديات المستمرة للمنهج الاسلامي الاصيل، على مَرّ العصور. إنَّ التجارب التي تحتزنها كتب علماء مدرسة أهل البيت <sup>٨</sup> في هذا المضمار فريدة في نوعها؛ لأنها ذات رصيد علمي يحتكم الى العقل والبرهان ويتجنّب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة.

وقد حاول المجمع العالمي لأهل البيت <sup>٨</sup> أن يقدم لطلاب الحقيقة مرحلة جديدة من هذه التجارب الغنية من خلال مجموعة من البحوث والمؤلفات التي يقوم بتصنيفها مؤلفون معاصرون من المنتمين لمدرسة أهل البيت <sup>٨</sup> ، أو من الذين أنعم الله عليهم بالالتحاق بهذه المدرسة الشريفة، فضلاً عن قيام المجمع بنشر وتحقيق ما يتوخى فيه الفائدة من مؤلفات علماء الشيعة الأعلام من القدامى، لتكون هذه المؤلفات منهلاً عذباً للنفوس الطالبة

## ٨ ..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى وفاة

النبي ﷺ

للحق، لتنتفتح على الحقائق التي تقدّمها مدرسة أهل البيت الرسالية للعالم أجمع، في عصر تتكامل فيه العقول وتتلاقح الافكار باطراد يساوق التقدم الحاصل في مجال الاتصالات والمعلوماتية. نأمل من القراء الكرام ان لا يخلوا علينا بأرائهم ومقترحاتهم القيمة وانتقاداتهم البناءة في هذا المجال.

وباب المجمع مفتوح لجميع العلماء والكوادر المتخصصة والمؤسسات المعنية بمجالات التأليف والترجمة، ليساهموا في نشر الثقافة الاسلامية.

نسأل الله تعالى أن يتقبل منّا هذا القليل ويوفقنا للمزيد في ظل عنايته الخاصة ورعاية خليفته في الأرض الإمام المهدي #.

ونقدم بالشكر الجزيل لسماحة الشيخ مهدي بيشوائي لتأليفه هذا الكتاب والأستاذ خليل زامل العصامي الذي قام بترجمته من اللغة الفارسية، وكذلك جميع زملائنا الذين ساهموا في انجاز هذا الأثر وبالأخص العاملين في قسم الترجمة.

### المعاونة الثقافية

المجمع العالمي لأهل البيت ^



## تمهيد

يجد التاريخ معناه في الترابط مع الزمان والانسان. ولو شَبَّهنا التاريخ بسجادة لكان يؤلّف ارضيّتها الزمان، ونقوشها ورسومها الحوادث، ولحمتها وسداها السنن وقوانين العلة والمعلول. ولا أحد ينكر ان الانسان بصفته الفنان البارِع الذي يجول في هذا المراع، مدعو انطلاقاً مما يحظى به من كفاءات ومما يتوفر لديه من مؤهلات وقدرات، الى استكناه طبيعة الزمان، والاطلاع على الأدوات والقدرات والمستلزمات، وسبر اغوار السنن، وإلقاء نظرة ثاقبة على القوانين والملابسات والتدخلات التي تُعزى اليها علل الظواهر، ولاسيما تلك الزاخرة بالعبر، بغية العثور على المغزى الأساسي للحياة البشرية (وهو ان يكون الانسان انساناً حقيقياً)؛ وذلك لأن تأثير التاريخ ومسار الزمن واضح بكل جلاء ليس على الفرد فحسب، بل وحتى على الأقاليم والشعوب، هذا من جهة؛ ومن جهة اخرى فان تاريخ أي شعب من الشعوب وما ينطوي عليه من عبر، ليس سلعة استهلاكية لها أمد معيّن تنتهي عنده. وعليه فالتاريخ يُكتب لأجل المستقبل، رغم انه يدور حول الماضي ومنه يستمد مادّته.

وقد ركّز الامام عليّ عليه السلام في كتابه الى مالك الاشتهر . من خلال الالتفات الى ظاهرة الزمان وعُنصر العبرة الكامن بين ثنايا التاريخ . على وجود نوع من التشابه التام بين الماضي والمستقبل، داعياً الى إمعان النظر والتأمل وبالنتيجة الحكم على عمل الولاة . وعلى الرغم مما يوحي به ظاهر كلام الامام . اذ يبدو في الظاهر وكأنه موجّه الى مالك الاشتهر على وجه الخصوص . ولكن أليس قوام عهد ازدهار أي شعب يتمثل في ما يتّصف به ابناءؤه من بصيرة قادرة على استلهاام العبر؟ أجل، ان التاريخ كتاب سميك

## ١٠..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى وفاة

النبي ﷺ

ينطوي بين ثناياه على كلام لا غنى عنه لادراك معنى الحياة الفردية والاجتماعية وجعل ذلك أساسا وقاعدة في سبيل اتخاذ القرارات المعقولة والاجراءات المدروسة.

الكتاب الذي بين أيديكم خطّه يراع العالم الكريم حجة الإسلام والمسلمين الشيخ مهدي بيشتوائي. وقد رتبته في خمسة أبواب أساسية يتفرّع عنها ستة عشر فصلاً، ويتناول فيه تاريخ صدر الإسلام. وقد حاول المؤلف في كتابه هذا ذكر مصادر متعددة ومتنوعة لكل جانب ومفصل من أحداث ووقائع العصر النبوي. والكتاب زاخر بشواهد واستدلالات من القرآن والحديث، وهذا ما أخرج الحوادث من صيغة السرد التاريخي المحض وأضفى عليها ما يناسب من تحليل وتمحيص من غير ان يتغاضى عن التطرّ إلى الشبهات التي أثّرت وتثار حول كل واحد من الموضوعات التي عرضها على بساط البحث.

يسر مركز التخطيط واعداد المناهج الدراسية، والجامعة الإسلامية الحرّة فرع آراك، ان يعربا عن جزيل الشكر والتقدير لجهود المؤلف الجليل، آملي ان يجود الطلاب والاساتذة والقراء الكرام بما لديهم من آراء لأجل تكامل هذا الأثر. وفي الختام نقدم شكرنا لكل من عاضدنا على انجاز هذا الكتاب.

ممثلية قائد الثورة في الجامعات

مركز التخطيط واعداد المناهج الدراسية

والجامعة الإسلامية الحرّة / فرع آراك

## المقدمة

أحمد الله حمدا لا يُحصى عدده ولا غاية لأمدته لما وفقني إليه من تدوين هذا الكتاب،  
والتحية والصلاة والسلام على نبي الأنام وعلى أوصيائه المنتجبين المعصومين وصحبه  
الصالحين.

الكتاب الذي بين أيديكم حصيلة ما يربو على عشر سنوات من التدريس في معاهد  
التعليم العالي وغيرها من المؤسسات العلمية الأخرى، وهو عمل يقتزن عادة بالبحث  
وتدوين النصوص الدراسية، والرد على الشبهات والأسئلة التي تُثار في قاعة الدرس، وهو  
من جانب آخر حصيلة لولعي بتاريخ الإسلام وانكبابي على البحث والتحقيق في هذا  
المضمار.

أُخذت بنظر الاعتبار في تدوين هذا الكتاب مجموعة من الملاحظات التي أود أن ألفت  
إليها انظار القراء الكرام، وهي كالاتي:

١. تناولت مباحث الباب الاول من هذا الكتاب أحوال شبه جزيرة العرب قبل ظهور  
الإسلام (المباحث التمهيدية) بشكل مفصل؛ وذلك لأن فهم وتحليل الكثير من حوادث  
تاريخ الإسلام يتعذر أو يبقى ناقصا على الأقل من غير المعرفة التامة بأوضاع جزيرة العرب في  
العهد الجاهلي. وبما ان الكثير من الحوادث لها جذور وامتدادات ضاربة في العهد، لذلك فان  
فهم اوضاع ما بعد ظهور الإسلام يستلزم فهم طبيعة الاوضاع التي كانت سائدة في جزيرة  
العرب في عهد ما قبل ظهور الإسلام. وهذا ما حدا بنا الى عرض موضوعات الباب الاول  
بمزيد من التفصيل لكي يتسنى استيعاب الترابط بين الاحداث، وكذلك ادراك مدى حجم  
التغيير الهائل الذي اجتاحت هذه المنطقة بظهور الإسلام. وفي مقابل ذلك حرصنا على انتهاز

## ١٢..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى وفاة

النبي ﷺ

اقصى ما يمكن من الايجاز في الابواب اللاحقة، تاركين مهمة الخوض في الجزئيات والتفاصيل الى القارئ.

٢. جاءت كثرة المصادر في الهوامش انطلاقاً من الحرص على فسح المجال أمام القارئ لتقصي المزيد من التفاصيل حول حادثة معينة في المصادر المذكورة، وإن لم يكن بعضها متوفراً في متناول يده فهناك أمل في توفر البعض الآخر منها. وفي مواضع اخرى جاءت كثرة الهوامش بدافع التأكيد على اثبات شهرة او تواتر قول أو حادثة معينة.

٣. الاسلوب المتعارف هو ان القضايا التاريخية التي تشتمل على تفاصيل وجزئيات متعددة، بعدما تُسرد، تُذكر مصادر لها؛ في حين ان تلك التفاصيل لم ترد كلها في جميع تلك المصادر. وفي مثل هذه الحالة يحصل تصوّر عند القارئ بأن جميع هذه التفاصيل موجودة في كل تلك المصادر. وهذا الاسلوب ليس دقيقاً طبعاً، خاصة عندما تكون لبعض التفاصيل المعروضة على بساط البحث أهمية فائقة، أو اذا كانت موضع اختلاف وجدل. وقد اتبعنا في كتابنا هذا منهجاً مغايراً لهذا الاسلوب، اذ اننا ذكرنا مصادر كل جانب من تفاصيل تلك القضايا على حدة. فمثلاً فيما يتعلق بالحروب: اوردنا مصادر مستقلة لسبب نشوب الحرب، وتاريخ وقوعها، وعدد افراد جيشي الفريقين، وتفاصيل احداثها ووقائعها، وعدد ضحايا الفريقين، وكيفية تقسيم الغنائم، والافرازات والنتائج التي نجمت عنها، وما شابه ذلك؛ حيث يتسنى للقارئ عند قراءتها معرفة المصدر الذي ورد فيه ذلك الجانب من الوقائع، ليُتاح له الرجوع الى ما شاء منها عند الحاجة.

ومن الطبيعي ان اتّباع مثل هذا المنهج يبدو لي مهماً ودقيقاً وذا فوائد متعددة، ويتطلب مزيداً من الوقت والدقة، ويُلقى على كاهل المؤلف متاعب اضافية وجهد جهيد.

٤. وردت في هذا الكتاب شواهد واستدلالات كثيرة قرآنية وحديثية، ولكننا ادرجنا قسماً منها في الهامش، وفق ما يقتضيه سياق البحث.

٥. في الحالات الضرورية . وحيثما استوجب البحث . عرضنا تحليلاً يتناسب مع طبيعة الموضوع، وقدمنا رداً على الشبهات، بشكل واضح وشفاف وخالٍ من التعقيد. وقد اجتنبنا طرح وبحث وتحليل مواضع اخرى، (كموضوع مشاركة النبي ﷺ في حرب الفجار، وشق

## المقدمة ..... ١٣

صدره، ونذر عبد المطلب)؛ وذلك لأن الكتاب جعل درساً عاماً ذا قسمين وهو ما لا يقتضي تفصيلاً أكثر، هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى فإن بعض المباحث ذات طابع تخصصي، وينبغي أن تُطرح في مظاهرها. وقد اشرنا إليها في الهامش ضمن تنبيه مقتضب إلى أصل الموضوع ليتسنى لمن يشاء الرجوع إليها.

٦. اوردنا في الهوامش الموضوعات ذات الدرجة الثانوية، وموارد اختلاف الاقوال، والتفاصيل غير الضرورية، والتوضيحات الاضافية والتكميلية، وما شابه ذلك.

وعلى أي حال، فبالرغم من أننا بذلنا كل ما استطعنا من جهد في سبيل إثراء واتقان هذا الكتاب سواء من حيث الدقة في نقل المطالب، أم من حيث صواب التحليلات والاستنتاجات؛ إلا أننا لا نخله يخلو من نقص، بل لابد وأنه يحتاج إلى الإصلاح والتكميل. كل ما يجود به القراء الكرام من ملاحظات سيُعتنم من أجل اصلاح وتكميل مواطن النقص والخلل.

وبحكم الوفاء والاخلاص فاني هنا ارى لزوماً عليّ ان اشير باجلال وإكبار الى اسم صديق قسم راحل وهو الخطيب والكاتب البارز سماعة حجة الإسلام والمسلمين الحاج الشيخ غلام رضا كلسرخي الكاشاني الذي وُضِعَت اللُّبُتات الأولى لهذا الكتاب بفضل همته ومؤازرته؛ وأسأل الله تعالى ان يمنَّ عليه بالرحمة وعلو الدرجات.

كما أودّ ان اعرب عن شكري لكل من السيّدین الفاضلين: الشيخ علي أكبر ناصح، وفرج الله فرج الله، اللذين عاضداني على تدوين المباحث التمهيدية وتنضيد الحروف وتحقيق الكتاب.

وفي الختام اقدم شكري لرئيس معهد اعداد المناهج الدراسية المحترم، ولزملائه الكرام، وكذلك لمديرية البحوث، وقسم تاريخ الإسلام، والجامعة الإسلامية الحرة.

مهدي بيشوائي

محرم الحرام عام ١٤٢٤ هـ.



## الباب الاول

### بحوث تمهيدية

الفصل الاول: جزيرة العرب.. الموقع الجغرافي، والوضع الاجتماعي

والحضاري

الفصل الثاني: صفات وخصائص العرب

الفصل الثالث: الاديان والمذاهب في شبه الجزيرة العربية واطرافها





## الفصل الاول

### جزيرة العرب.. موقعها الجغرافي، والوضع الاجتماعي والحضاري

شبه جزيرة العرب التي تسمى أيضا <جزيرة العرب> اكبر شبه جزيرة في العالم، وتقع في الجنوب الغربي من قارّة آسيا.

تمتد شبه جزيرة العرب من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي على شكل متوازي مستطيلات غير منتظم<sup>١</sup>. وتبلغ مساحتها ما يقارب ثلاثة ملايين ومائتي ألف كيلو متر مربع<sup>٢</sup>. وتشكّل المملكة العربية السعودية الحالية ما يناهز أربعة أخماس شبه جزيرة العرب<sup>٣</sup>. ويتألف القسم المتبقي من ستة كيانات سياسية. حسب التقسيم السياسي في الوقت الحاضر . وهي: اليمن، وعمّان، والامارات العربية المتحدة، وقطر، والبحرين، والكويت.

يحد جزيرة العرب من الجنوب خليج عدن ومضيق باب المندب والمحيط الهندي وبحر عمان، ويحدّها من الغرب البحر الأحمر، ومن الشرق خليج عمان والخليج الفارسي والعراق، وتتاخمها من الشمال صحراء واسعة تنتهي بسهل الفرات من جهة وبالاراضي السورية من جهة اخرى. وبما ان هذه المنطقة خالية الحدود والتضاريس الطبيعية كالانهار والجبال، فقد اختلف الجغرافيون منذ القدم حول الحدود الشمالية لشبه جزيرة العرب<sup>٤</sup>.

---

١ - حسين قره چانلو، حرمين شريفين (طهران: دار نشر امير الكبير، الطبعة ١، ١٣٦٢هـ. ش)، ص ٩.

٢ - أي ما يعادل ثلث مساحة اوربا، وستة اضعاف مساحة فرنسا، وتسعة اضعاف مساحة المانيا بشقيها الشرقي والغربي، وعشرة اضعاف مساحة ايطاليا، وثمانين ضعفاً بقدر مساحة سويسرا، وضعفي مساحة ايران.

٣ - مؤسسه گيتاشناسی، گيتاشناسی كشورها (طهران: دار نشر گيتاشناسی، الطبعة ٤، ١٣٦٥هـ. ش)، ص ٢٠٥.

٤ - فيليب خليل حيّ، تاريخ العرب، دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٤م، ص ٤٣.

## ١٨..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى وفاة

النبي ﷺ

ورغم وقوع شبه جزيرة العرب الى جوار الخليج الفارسي، وبحر عُمان، والبحر الاحمر، والبحر الابيض المتوسط، غير ان مناخها قاس، وهواءها جاف، وليس في طول البلاد وعرضها مياه . عدا الاقسام الجنوبية . ولا أثمار صالحة للملاحة. وكل ما هناك اودية مشتبكة تتدفق فيها السيول عندما تطغى.

يُعزى جفاف شبه جزيرة العرب الى وجود سلسلة جبال تمتد من شبه جزيرة سيناء في موازاة البحر الاحمر وكأنها جدار عازل، وتلتف عند الزاوية الجنوبية الغربية، وتدور في موازاة الساحل الجنوبي والشرقي لجزيرة العرب. وهكذا فان جزيرة العرب محاطة بهذا الجدار الجبلي الشاهق من ثلاث جهات. وهذا الجدار هو الذي يصد رطوبة البحار ويمنعها من الوصول الى هذه المنطقة<sup>٥</sup>.

الجزيرة العربية من اشد البلاد جفافا وحرًا وعلى الرغم من وقوعها بين بحرين من الشرق والغرب فان مساحة هذين البحرين أضيق من ان تكفي لكسر حدة الجفاف المستمر في هذه الاقاليم الافريقية . الآسيوية العديمة المطر. ولئن كان المحيط الهندي في الجنوب يساعد على وقوع بعض المطر في اطراف الجزيرة، فان الرياح الموسمية المعروفة بالسموم التي تنتاب الجزيرة في مواسم معروفة تسلب الرطوبة من الهواء قبل ان يبلغ داخلية البلاد<sup>٦</sup>.

### تقسيمات جزيرة العرب

قسّم الجغرافيون العرب وغيرهم، جزيرة العرب حسب الوضع الطبيعي (المناخ) تارة، وعلى أساس الاقوام والأنساب تارة اخرى<sup>٧</sup>.

---

٥ - علي أكبر فياض، تاريخ اسلام (طهران: انتشارات جامعة طهران، الطبعة ٣، ١٣٦٧هـ. ش.)، ص٢؛ آلبرماله وژول ايزاك، تاريخ قرون وسطى تا جنگ صد ساله، ترجمة ميرزا عبد الحسين هژير (طهران: دنيای كتاب، ١٣٦٢هـ. ش.)، ص٩٥.

٦ - فيليب حقي، مصدر سابق، ص٢٤.

٧ - قال المقدسي - وهو من العلماء المسلمين في القرن الرابع - انها تقسم الى اربعة أقسام كبرى، وهي: الحجاز، واليمن، وعمان، وهجر (احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٠٢). بينما قسمها غيره إلى خمسة أقاليم وهي: تهامة، والحجاز، ونجد، واليمن

وقسمها بعض العلماء المعاصرين الى ثلاثة اقسام رئيسية وهي عبارة عما يلي:

١. القسم الوسطي الذي يُسمّى بالصحراء العربية.

٢. القسم الشمالي وهو ما يُعرف باسم الحجاز.

٣. القسم الجنوبي الذي يُعرف باسم اليمن<sup>٨</sup>.

### تقسيمها على أساس الظروف الطبيعية (الجنوب والشمال)

فضلاً عن هذه التقسيمات، اعتُمدت في السنوات الاخيرة تقسيمات اخرى تبدو اكثر انسجاماً مع طبيعة هذا الكتاب والغرض من تأليفه. ويقوم هذا التقسيم على الظروف المناخية التي تركت تأثيرها في أوضاع الناس، والحيوانات، والنباتات وقد برزت تأثيرات هذه الظروف في الخصائص الفردية والاجتماعية لاهالي هذه البلاد، وباتت منشأً لتحوّلات ظلت باقية الى حين ظهور الإسلام. بمعنى ان جزيرة العرب تمثل وجود ظاهرتين جغرافيتين متخالفتين والمؤشر الذي يميّز كل واحدة منهما هو وجود أو انعدام الماء. وقد تركت هذه الميزة اثرها في الوضع الاجتماعي لهذه المنطقة، وفصلت المنطقة الجنوبية من هذه البلاد أي اليمن عن المنطقة الشمالية والوسطى.

### وضع جنوب جزيرة العرب (اليمن)

لو ألقينا نظرة على خارطة هذه البلاد، لوجدنا في اقصى الجنوب الغربي لشبه جزيرة العرب منطقة على شكل مثلث يؤلف ضلعه الشرقي ساحل بحر العرب، وضلعه الغربي ساحل البحر الاحمر. ولو رسمنا خطاً يمتد من الظهران (غرباً) الى وادي حضرموت (شرقاً) لظهر وكأنه الضلع الثالث لهذا المثلث. تقع ضمن هذه البقعة منطقة كانت تسمّى منذ القدم بـ <اليمن>، تكثر فيها المياه وتهطل فيها الامطار بانتظام؛ ولهذا السبب كانت منطقة زراعية مزدهرة

---

والعروض (ابو الفداء، تقويم البلدان، ص ١٠٩)؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق محمد امين الخانجي الكتي (القاهرة: مطبعة السعادة، الطبعة ١، ١٣٢٤هـ)، ص ١٠١ و ٢١٩؛ السيد محمود شكري الألوسي البغدادي، بلوغ الإرب في معرفة احوال العرب (بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة ١، ١٩٦٨م)، ج ١، ص ١٦٧.

٨ - يحيى نوري، اسلام وعقائد وآراء بشرى (جاهليت واسلام) (طهران: مطبوعاتي فراهاني، ١٣٤٦هـ. ش.)، ص ٢٣١ - ٢٣٤.

## ٢٠..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى وفاة

النبي ﷺ

وتقطنها اعداد غفيرة من السكّان. ولهذا السبب فهي لا تكاد تُقارن على هذا الصعيد بشمال ووسط جزيرة العرب.

ومن الطبيعي ان كثرة السكان تتطلب وجود موطن دائم للسكنى، وهذا ما يستدعي بطبيعة الحال نشوء القرى والمدن. واجتماع الناس في تلك القرى والمدن يؤيّد الى حدوث ما لا بد منه لمواصلة الحياة، ألا وهو الاحتكاك وتعارض المصالح. وهذا التعارض في المصالح يؤيّد الى وضع القوانين والانظمة (وان كانت بدائية وبسيطة). ونحن نعلم ان هناك تلازم بين وجود القانون وتأسيس الحكومة. وعلى هذا الأساس فقد ظهرت في هذه المنطقة قبل ولادة المسيح عليه السلام بمئات السنين دول وحضارات<sup>٩</sup>. والدول التي قامت في هذه المنطقة هي:

١. الدولة المعينية: حكمت هذه الدولة من عام ١٤٠٠ الى ٨٥٠ قبل الميلاد، وانقرضت بظهور الدولة السبئية.

٢. دولة حضرموت: استمرت هذه الدولة منذ عام ١٠٢٠ قبل الميلاد الى عام ٦٥ بعد الميلاد، وزالت مع تسلط سبأ.

٣. الدولة السبئية: استمر سلطانها منذ عام ٨٥٠ الى ١١٥ قبل الميلاد، وانقرضت عند قيام دولة حمير وسبأ وريدان.

٤. دولة قتبان: حكمت من عام ٨٦٥ الى ٥٤٠ قبل الميلاد وانقرضت على اثر استيلاء دولة سبأ عليها.

٥. دولة سبأ وريدان وحضرموت واطراف اليمن، وكان يسمى ملوكها <تُبَع> واستمر حكمها من عام ١١٥ قبل الميلاد إلى عام ٥٢٣ بعد الميلاد، وكانت عاصمتها ظفار<sup>١٠</sup>.

٩ - السيد جعفر شهيدى، تاريخ تحليلى اسلام (طهران: مركز النشر الجامعي، الطبعة ٦، ١٣٦٥ هـ.ش)، ص ٣.

١٠ - احمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، الطبعة ٢، ١٣٨٤ هـ)، ص ٥٣.

### حضارة زاهرة في جنوب جزيرة العرب

أثنى المؤرخون كثيراً على الحضارة الزاهرة التي نشأت في اليمن، كما فعل المؤرخ اليوناني هيرودوتس الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد حين تحدث عن حضارة اليمن ووصف قصور سبأ بأنها قصور نضرة ذات ابواب مسجدية مرصعة بأنواع الجواهر، وفيها اواني من الفضة والذهب وأسهم مصنوعة من معادن ثمينة<sup>١١</sup>. وتحدث المؤرخون عن مساكن عامرة وقصور فاخرة في اليمن ومنها قصر عُمدان في صنعاء الذي كان يتألف من عشرين طبقة بعشرين سقفاً بين كل سقفين عشرين ذراعاً وجعل فيه مائة مسكن، وفيه ما لا يوصف من الزخارف والصنائع الغريبة وكان أعلى غرفه مُمرداً بالقوارير<sup>١٢</sup>.

وزار الرحالة الروماني الشهير (سترابون) أرض اليمن قبل قرن من الميلاد، ووصف هذه البلاد وحضارتها مثلما وصفها هيرودوتس قائلاً:

ان مأرب في زمانه كانت مدينة عجيبة، سقوف ابنتها مصقحة بالذهب والعاج والحجارة الكريمة. وفيها الآينة الثمينة المزخرفة مما يبهر العقول<sup>١٣</sup>.

وتحدث مؤرخون وجغرافيون مسلمون من امثال المسعودي (المتوفى عام ٣٤٦هـ)، وابن رُسته (من علماء القرن الثالث للهجرة) عن حياة الرخاء والازدهار التي كان ينعم بها أهالي هذه البلاد وما انتشر فيها من العمران قبل ظهور الإسلام<sup>١٤</sup>.

لقد "الدراسات والبحوث التي اجراها علماء الآثار في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، وكذلك: التحقيقات التي قام بها المؤرخون، الى تسليط الضوء على تاريخ هذه المنطقة، وقدمت وثائق وشواهد جديدة حول الحضارة العريقة الزاهرة لهذه البلاد، وتدل الاطلال والآثار المتبقية في ربوع عدن، وصنعاء، ومأرب، وحضرموت، على ما كان لدى عرب الجنوب

١١ - غوستاف لوبون، حضارة العرب (تعريب عادل زعيتر، الطبعة الرابعة، مطبعة عيسى البابي الحلبي)، ص ٩٤.

١٢ - السيد محمود شكري الألوسي البغدادي، بلوغ الإرب في معرفة احوال العرب (القاهرة: دار الكتب الحديثة، الطبعة ٢)، ج ١، ص ٢٠٤.

١٣ - جرجي زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، ج ١، ص ١٩.

١٤ - المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (دار الرجا للطبع والنشر)، ج ٢، ص ٨٩؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص ١٣٢.

## ٢٢..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى وفاة

النبي ﷺ

من حضارة زاهرة انشأها أهالي اليمن والاقاليم المجاورة لها، وانما كانت على درجة من الرقي بحيث كانت تضاهي الحضارة الفينيقية والبابلية. ومن المظاهر البارزة لحضارة اليمن الكبرى سد مأرب التاريخي العظيم<sup>١٥</sup>، وهو سد مبني وفقاً لحسابات هندسية دقيقة ومعقدة، ويدل على مدى اطلاع صنّاعه على علم الهندسة، وكان هذا السد من عوامل ازدهار الزراعة هناك<sup>١٦</sup>.

كان أهل اليمن واسطة عقد التجارة بين الشرق والغرب لتوسط بلاد اليمن بين الممالك المتمدنة في ذلك الحين. فكانت تجارات الهند تُحمل في البحر الهندي إلى بلاد اليمن وحضرموت، فيحملها أهل اليمن إلى الحبشة ومصر وفينيقية وبلاد الأدوميين والعمالق وبلاد مدين وبلاد المغرب. وكذلك كان أهالي مكة ينقلون التجارة من اليمن وموانئ بحر العرب إلى بلاد الشام<sup>١٧</sup>.

كان أهالي اليمن يسيطرون على تجارة الشرق الأقصى لمدة طويلة<sup>١٨</sup>. وقد اضطرت سبأ بسبب ما يلزم الملاحة في الانحاء الشمالية من البحر الاحمر من آفات . إلى افتتاح خطوط بريّة بين اليمن والشام تحاذي ساحل الجزيرة الغربي ويؤدي إلى مكة والبتراء، ومنها تتشعب إلى مصر والشام وما بين النهرين<sup>١٩</sup>.

---

١٥ - يقع سد مأرب على مسافة ١٩٢ كيلو مترا إلى الشرق من صنعاء عاصمة اليمن الحالية.

١٦ - للاطلاع على مزيد من المعلومات حول الخصائص الفنية والتصميم العلمي لهذا السد، راجع: فرهنك قصص قرآن (معجم ملحق بكتاب قصص القرآن)، صدر البلاغي، (طهران: دار نشر أمير الكبير، الطبعة ٣)، ص ٨٢ و ٨٨؛ احمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ص ١٠٥؛ الألوسي، بلوغ الإرب، ج ١، ص ٢٠٣.

١٧ - جرجي زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، ج ١، ص ١٦.

١٨ - ول ديورانت، قصّة الحضارة، عصر الايمان، الباب الاول، ترجمة محمد بدران، (طبعة دار الفكر، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، ج ٧، ص ٢٢.

١٩ - فيليب حقي، تاريخ العرب (دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع)، ص ٨٢؛ غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص ٩٤، احمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ص ١٠٥؛ الألوسي، بلوغ الإرب، ج ١، ص ٢٠٣.

### انهيار سد مأرب

جاء انهيار هذا السد في حد ذاته نتيجة إهمال من جانب أمة آخذة في الانحطاط. وهذا الخراب الذي حلّ بأهل سبأ جاء تدريجياً قبل انهيار السد بزمان طويل بعدما تطاولت عليه الأزمان وأهمله الملوك. وكان من أثر هذا الخراب والانحلال في تلك الدولة أن هاجر عدد كبير من أهلها<sup>١</sup>.

وقد أشار القرآن الكريم إلى قوم سبأ في سورتين، أحدهما بمناسبة ذكر ملكة سبأ وكتاب النبي سليمان إليها:

{مَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ \* إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ}٢.

{لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جِئَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةً طَيِّبَةً وَرَبِّ غَفُورٌ \* فَاعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلِ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ \* ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ \* وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمُ الْوَادِيَّ الْفَرَى الَّذِي بَارَكْنَا فِيهَا فُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ \* فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ}٣.

ذكر حمزة الاصفهاني ان انهيار هذا السد كان قبل اربعمئة سنة من ظهور الإسلام<sup>٤</sup>، بينما قال ابو ريحان البيروني انه وقع قبل خمسمئة سنة من ظهور الإسلام<sup>٥</sup>. وذهب ياقوت

١ - حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي، ج ١، ص ٣٢.

٢ - سورة النمل (٢٧)، الآيات ٢٢ - ٢٣.

٣ - سورة سبأ (٣٤)، الآيات ١٥ - ١٩.

٤ - حمزة الاصفهاني، تاريخ ملوك الأرض والانباء، ترجمة جعفر الشعار (طهران: دار نشر أمير الكبير، الطبعة ٢، ١٣٦٧هـ. ش.)، ص ١٢٠ و ١٣٢.

٥ - الآثار الباقية، ص ١٨١.

## ٢٤..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى وفاة

النبي ﷺ

الحموي الى القول بأنه حصل في عهد استيلاء الأحباش على اليمن<sup>١</sup>. وبما ان استيلاء الاحباش على اليمن كان في اواسط القرن السادس، فيترتب ان يكون انهيار السد قد وقع بعد سنة ٥٤٢ وقبل سنة ٥٧٠<sup>٢</sup>.

وعلى اية حال يبدو ان اهدام السد حصل تدريجياً وفي اعقاب اعادة ترميمه مرّات عديدة. وقد اشار القرآن الكريم الى قوم تُبّع<sup>٣</sup> وعاقبة أمرهم في موضعين:

الاول: في قوله تعالى:

{أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ}٤.

والثاني في قوله تعالى:

{كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَنَمُودُ \* وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ \* وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ۖ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ}٥.

### تأثير افول حضارات الجنوب على اوضاع شبه جزيرة العرب

أدى انحطاط دول الجنوب وأفول الحضارات هناك وانهيار سد مأرب الى ايجاد تحولات في شبه جزيرة العرب؛ وذلك لأن تلك البلاد قد فقدت رونقها وازدهارها، وجفت الفياض الخضراء والمزارع بسبب انقطاع الماء عنها؛ وعلى اثر ذلك اضطرت جماعات من الاقوام التي

١ - معجم البلدان، تحقيق محمد امين الخانجي الكتبي (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٢٤هـ)، ج ٧، ص ٣٥٥.

٢ - فيليب خليل حنّي، تاريخ العرب، ص ١٠٠.

٣ - تُبّع (وجمعها تبابعة) لقب سلالة ملوك حمير في اليمن. وكانوا على طبقتين: الطبقة الاولى ملوك سبأ وريدان التي حكمت من عام ١١٥ قبل الميلاد إلى عام ٢٧٥ بعد الميلاد. والطبقة الثانية ملوك سبأ وريدان وحضرموت وشحر التي حكمت من عام ٢٧٥ إلى عام ٥٣٣ بعد الميلاد. (احمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ص ٩٠ - ٩٧).

٤ - سورة الدخان (٤٤)، الآية ٣٧.

٥ - القوم الذين كانوا يعيشون في البمامة.

٦ - قوم شعيب.

٧ - سورة ق (٥٠)، الآيات ١٢ - ١٤.



جزيرة العرب، وموقعها الجغرافي، والوضع الاجتماعي والحضاري ..... ٢٥

كانت تسكن الى جوار مأرب الى الهجرة.

وكان من نتائج هذه الهجرة ان توجه رهط تنوخ من قبيلة الأزد اليمانية الى الحيرة (في العراق) وأسس دولة اللخمين هناك. وتوجه آل جفنة الى الشام وأسسوا لهم دولة في المنطقة المسماة شرق الاردن، وعُرفوا بسلالة الغسانيين<sup>١</sup>.

وسارت قبيلتا الأوس والخزرج الى يثرب (المدينة المنورة)، بينما توجهت خزاعة الى مكة وما جاورها، وذهبت قبائل بجيلة وختعم وجماعات اخرى الى منطقة السراة وقطنوا هناك<sup>٢</sup>، وكان كل واحد من هذه الجماعات سببا لوقوع حوادث ووقائع.

### وضع شمال جزيرة العرب (الحجاز)

الحجاز منطقة جافة ينعلم سقوط الامطار المنتظمة فيها، ومناخها قاس عدا المناطق الجبلية والشريط الساحلي؛ وهذا ما ترك تأثيره على نمط حياة سكنتها؛ وذلك لأن العرب في هذه المنطقة وخلافا لما عليه أهالي المناطق الجنوبية، لم تتح تلك الظروف البيئية الصحراوية. حيث قلة المراعي وتشتتها في تلك المنطقة. سوى امكانية تربية المواشي القليلة والجمال القانعة بالقليل من العشب والماء، والذي يجد فيه العربي قوام طعامه ولباسه. واذ كانت العناية بهذا الحيوان لا تمكن الا بالترحال والضرب في المناطق النائية، فقد صار كتنظيم سياسي قائم على الاستقرار في السكنى امرا متعذرا على البدوي.

وهذا طبعاً لا يشابه وضع القسم الجنوبي الذي كان أهاليه من المزارعين وسكنة المدن. أي ان القسم الشمالي كان يفتقد لأية صبغة حضارية ومدنية وأما كان الناس فيه من البدو الرحّل، ولم تكن لمدنه أهمية تذكر عدا مدينة مكة التي كانت قد ازدهرت قبيل ظهور الإسلام لأسباب سنذكرها في ما بعد.

---

١ - حمزة الاصفهاني، تاريخ ملوك الأرض والانباء، ص ٩٩ و ١١٩؛ وكذلك راجع: حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي،

ص ٤٤؛ ابو ربحان البيروني، الآثار الباقية، ص ١٨١ و ١٨٣.

٢ - كارل بوكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ص ٥.

وللحجاز شأن خاص، فقد بقي أهلها على بداوتهم لجذب ارضها وجفاف تربتها مع بعدها عن الاحتكاك بالدول المتحضرة، لتوسّطها في الصحراء ووعورة المسالك اليها، حتى امتنعت على الفاتحين العظام مثل رمسيس الثاني في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، والاسكندر الاكبر في القرن الرابع، وايليوس غالوس على عهد يوليوس قيصر في القرن الاول للميلاد. كما امتنعت أيضا على ملوك الفرس في ابان دولتهم. فآل امتناعهم هذا إلى اطمئنائهم وسكونهم<sup>١</sup>.

وقد كتب احد المؤرخين في هذا المجال ما يلي:

وقال احد العلماء في وصف جزيرة العرب ما يلي:

وعندما وصل ديميتريوس . القائد اليوناني (بعد الاسكندر) . إلى البتراء قاصدا غزو جزيرة العرب، خاطبوه عند بلوغ ديارهم بما يأتي: لماذا تحاربنا ايها الملك ديميتريوس ونحن من سكان الصحارى التي لا تُسد فيها خلّة؛ ترانا نقطن في هذه البقاع القاحلة فراراً من العبودية، اقبل هديّتنا وارجع إلى حيث كنت، سنكون من اوفى الاصدقاء لك. ولكنك اذا رغبت في حصرنا حُرِّمت كل هناة ورأيت عجزك عن اكرهنا على تبديل طرق حياتنا التي تعودناها منذ نعومة اظفارنا. وإذا قدرت على أسر بعضنا ايقنت انك لن تجد واحدا ممن أسرت يستطيع ان يألف حياة غير التي فناها.

هناك رأى ديميتريوس ان يقبل هدية الانباط خاتما بالسلم حربا أبصرها مملوءة بالمتاعب<sup>٢</sup>.

وقال احد العلماء في وصف جزيرة العرب ما يلي:

تعتبر جزيرة العرب مثلاً للعلاقات التي لا تنقطع بين السكّان والتربة، وإذا كانت قد حصلت هجرات سابقة إلى هذه الجزيرة نتيجة لموجات المستعمرين المتعاقبة التي يدفع بعضها

١ - جرجي زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، ص٢٤.

٢ - غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص٩٤.

جزيرة العرب، وموقعها الجغرافي، والوضع الاجتماعي والحضاري ..... ٢٧

الآخر أو يغمره . كما حدث في الهند واليونان وإيطاليا والولايات المتحدة .، فان التاريخ لم يخلف لنا أثراً عن هذا في بلاد العرب، كما انا لسنا نعرف غازياً نجح في اختراق الحواجز الرملية لهذه الجزيرة وفي تثبيت قدميه في تلك البلاد<sup>١</sup>.

### البدو

بما ان القسم الرئيسي من شمال جزيرة العرب (الحجاز) يتألف من صحراء قاحلة، لذلك كانت اكثر القبائل العربية في عصر ما قبل ظهور الاسلام تعيش حياة البداوة والرعي والترحال. وكان البدوي . بحكم تلك الطبيعة الصحراوية الجافة . محروماً، ومسكنه خيام من شعر الماعز ووبر الإبل <بيوت الشعر>. وهو يرفع غنمه وإبله على الطريقة القديمة نفسها وفي المراعي القديمة نفسها. وعنده أن تربية الأغنام والإبل أولاً، وتربية الخيل وتوليدها والصيد وشن الغارات ثانياً، هي أهم ما يشغله، وهي العمل الوحيد الذي يجدر بالانسان أن يقوم به. وتراه يزدري الزراعة والصناعة وغيرهما من وجوه الحرف والاتجار ويحسبها مما يحط من قدره.

ولقد احتكر السلطة في البادية ثلوث استوت له السيطرة على كل ذي حياة في الصحراء، وهذا الثالوث هو البدوي والجمل والنخلة. وإذا أضفت إليها شيئاً رابعاً هو الرمال عرفت الممثلين الأربعة العظام الذين يمثلون رواية الحياة في الصحراء في كيانها الأساسي.

وما البادية في نظر بنينا موطناً فحسب بل هي بمثابة الحارس الأممي الأمين على تقاليدهم وشعائهم المقدسة. فهي تحمي نقاوة لغتهم ودمهم بل هي خط دفاعهم الأول ضد كل عدو مفاجئ. ولئن كانت قلة الماء وشدة الحر ومشقة السفر وآفة القحط كلها أعداء تآزرت على البدوي في أحواله العادية فإنها . في الوقت نفسه . إذا ما انتابه العدو أحلاف تقوم بمناصرته ونجدة. فلا عجب إذن إذا رأينا البدوي ينذر أن يطأطئ رأسه تحت نير أجنبي.

وفي البدوي أثر واضح من حياة وطنه الصحراء المتسقة المطردة. ويتجلى هذا الأثر في تكوينه الجسمي والعقلي وطريقة تفكيره<sup>٢</sup>.

ويستخف الاعراب بسطان الحضارة ويفضلون عليها عيش البادية. وهذه من المشاعر

١ - فيليب حقي، تاريخ العرب، ص ٣٥.

٢ - فيليب خليل حقي، تاريخ العرب، دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٤م، ص ٤٣.

## ٢٨..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى وفاة

النبي ﷺ

الموروثة عندهم<sup>١</sup>. هم نتيجة اقليم طليق؛ لا يصدُّ هواءه بناء، ولا يحجب شمسُه غيم، ويحبس أمطاره وسيوله سد، كل شيء فيه حر على الفطرة، فهم كذلك أحرار كإقليمهم، لم يحبسهم زرع يتعهدونه، ولا صناعة يعكفون عليها، كذلك تحررت نفوسهم من قيود حكومة ونظام، اللهم إلا شيئين قيِّداً عقولهم ونفوسهم: قيد دينهم الوثني وما يتطلبه من شعائر وتكاليف، وقيد تقاليد القبيلة وما يستلزمه من واجبات شاقة، وقد كانوا لتقاليد قبيلتهم أشدَّ إخلاصاً وأقوى إيماناً<sup>٢</sup>.

يقول المستشرق البلجيكي لامنس ما يلي: ان العرب نموذج الديمقراطية ولكنها ديمقراطية مبالغ فيها إلى حد بعيد، وإن ثورتهم على كل سلطة . تحاول أن تحدد من حريتهم ولو كانت في مصلحتهم . هي السر الذي يفسر لنا سلسلة الجرائم والخيانات التي شغلت أكبر جزء في تاريخ العرب<sup>٣</sup>.

### النظام القبلي

لم يكن عرب الحجاز قبل ظهور الإسلام يخضعون لسلطة حكومة، وما كان لهم نظم ولا تشكيل سياسي؛ ولهذا السبب كانت حياتهم تختلف اختلافاً كلياً عما كانت عليه حياة المجتمعات في ايران وبلاد الروم. فهاتان الدولتان اللتان كانتا الى جوار شبه جزيرة العرب كانت فيهما حكومة مركزية واحدة تتولى ادارة شؤون الناس في كل ارجاء البلاد، وكانت قوانينها سارية المفعول في طول البلاد وعرضها. في حين لم يكن في بلاد الحجاز (خاصة القسم الشمالي

١ - غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص٧٤؛ ول ديورانت، قصة الحضارة، عصر الايمان، الباب الاول، ترجمة محمد بدران، (طبعة دار الفكر، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) ج٧، ص٢٤.

٢ - احمد امين، فجر الاسلام، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة ٩، ١٩٦٤م)، ص٤٦.

٣ - احمد امين، فجر الاسلام، ص٣٣ - ٣٤. قال النعمان بن المنذر لكسرى حين سأله عن سبب عدم انقياد العرب لحكومة واحدة ونظام واحد: وأما تجارهم واكل بعضهم بعضاً وتركهم الانقياد لرجل يسوسهم ويجمعهم فانما يفعل ذلك من يفعله من الأمم إذا أنست من نفسها ضعفاً وتخوفت تحوض عدوها اليها بالزحف، وإنه انما يكون في الممكة العظيمة أهل بيت واحد يعرف فضلهم على سائر غيرهم فيلقون اليهم أمورهم، وينقادون لهم بأزمتههم؛ وأما العرب فان ذلك كثير فيهم حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكاً أجمعين مع انفسهم من أداء الخراج والوظف. (الآلوسي، بلوغ الإرب في معرفة احوال العرب، ج١، ص١٥٠).

جزيرة العرب، وموقعها الجغرافي، والوضع الاجتماعي والحضاري ..... ٢٩

والاقسام الوسطى من جزيرة العرب) حكومة وسلطة مركزية، وحتى المدن كانت تنعدم فيها مثل هذه السلطة. فأساس النظام الاجتماعي عند العرب هو القبيلة. ونظامهم السياسي والاجتماعي نظام قبلي، وكان هذا النظام ماثلاً في جميع شؤون وجوانب حياتهم. وهوية الافراد في ظل هذا النظام تتعين من خلال الانتماء الى احدى القبائل.

ولا يقتصر نظام الحياة القبلية هذا على البدو فحسب، وإنما كان يمتد بكل وضوح حتى في المدن أيضاً. وكانت كل قبيلة في تلك المنطقة وكأنها بلد مستقل، ويمكن تشبيه العلاقات بين القبائل يومذاك بالعلاقات الخارجية بين الدول في الوقت الحاضر.

### رابطۃ الدم

كان عرب الجاهلية في الحجاز بدواً أو شبه بدو، فلم تكن لهم حكومة منظّمة ولا ملوك يمنعون من تعدّي بعضهم على بعض بما لهم من قوّة تنفيذية، أمّا كانوا قبائل، اذا كثر عددها انقسموا الى بطون وافخاذ وعشائر، والرابطة بين افراد القبائل هي رابطۃ الدم؛ فكل من كانوا من دم واحد عُُدّ أكتلة واحدة<sup>١</sup>.

والصلة الدموية وحدها هي التي تعين الفلك الذي تضطرب فيه حياة البدو؛ فهي تربط الأسر بالعشائر. والعشائر بالقبائل. وحتى الشعوب لا تزال تعيّن انساجها بواسطة قرابة دموية مزعومة تجمع الشعب كله في نظام نسبي يشبه نظام الانساب عند اليهود القدماء. لكن هذا الشعور الاجتماعي لا ينظم الشعب كله؛ أمّا يمتد من العشيرة التي تشمل الأسر القريبة المتضاربة خيامها جنباً الى جنب، الى القبيلة التي تُعد بضعة آلاف نفس، وتجوب البراري معاً في طلب المرعى<sup>٢</sup>.

### رئاسة القبيلة

كان رئيس القبيلة يُسمّى <الشيخ><sup>٣</sup>. وكان الشيخ عادة أكبر أفراد القبيلة سناً، وتفوّض اليه

١ - احمد امين، فجر الاسلام، ص ٢٢٥؛ عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، (القاهرة: الطبعة ٧، ١٩٨٢م)، ص ٤٨.

٢ - كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ص ١٦.

٣ - وكان يسمى ايضاً الرئيس، والأمير، والسيد. (عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، ص ٤٩).

### ٣٠..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى وفاة

النبي ﷺ

رئاسة القبيلة نتيجة لما يتصف به من شخصية بارزة، او لنضجه وعظيم تجربته، او بسبب شجاعته في الدفاع عن القبيلة، او احياناً بسبب كثرة ثروته<sup>١</sup>. وكان اهل الجاهلية لا يسوون إلا اذا تكاملت فيه ست خصال: السخاء والنجدة والصبر والحلم والتواضع والبيان<sup>٢</sup>.

وليس الشيخ صاحب الأمر المطلق في الشؤون الشرعية والحربية وسواها، بل يُفرض عليه مشاورة مجلس القبيلة الذي يتألف من زعماء البطون والافخاذ. ويدوم تمتعه بهذا المركز السامي مادام ولاء القبيلة حليفه<sup>٣</sup>.

ولكن على اية حال فبحكم التقاليد القبلية يتعين على كل أفراد القبيلة طاعة رئيسها والنزول عند حكمه. ومن بعد وفاته كثيراً ما تنتقل هذه المرتبة من الأب الى الابن، أو ربما اوكلت الى مسن آخر يتمتع بتلك الخصال او تتوفر فيه كفاءة وشخصية مميزة.

لقد حارب الدين الإسلامي النظام القبلي وقضى عليه كلياً ولم ينظر بعين الاعتبار الى النسب والقرابة اللذين يشكلان أساس هذا النظام، وبنى المجتمع الإسلامي الجديد على اساس وحدة العقيدة والايمان الذي يعتبر أقوى الاواصر الاجتماعية، وجعل الايمان المشترك بديلاً عن الدم المشترك، وجعل المؤمنين كلهم اخوة، وهكذا فقد تبدل النظام الاجتماعي عند العرب<sup>٤</sup>.

### التعصب القبلي

العصبية القبيلة تتطلب ولاء مطلقاً لأفراد القبيلة كلّها. وهذا الولاء هو روح الفردية في البدوي مكبّرة بحيث تشمل سائر أفراد العشيرة، والتعصب القبلي في الصحراء يشبه الوطنية المفرطة<sup>٥</sup>. فكل ما يفعله الانسان المتمدن في سبيل بلده أو دينه أو قومه، يفعله العربي البدوي

١ - المصدر السابق.

٢ - الألوسي، بلوغ الإرب، تحقيق محمد بهجة الأثري (القاهرة: دار الكتب الحديثة، الطبعة ٣)، ج ٢، ص ١٨٧

٣ - فيليب خليل حنّي، تاريخ العرب، دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٤م، ص ٣٦.

٤ - ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ سورة الحجرات (٤٩)، الآية ١٠.

٥ - فيليب حنّي، مصدر سابق، ص ٢٤.

جزيرة العرب، وموقعها الجغرافي، والوضع الاجتماعي والحضاري ..... ٣١

في سبيل عشيرته، وهو يقوم بكل ما يستطيع من أجلها حتى التضحية بنفسه<sup>١</sup>.  
وافراد القبيلة متضامنون اشد ما يكون من تضامن، ينصرون أخاهم ظالماً أو مظلوماً يسعى  
بذمتهم ادناهم، وهم يد على من سواهم.

وأما معاملتهم للآخ وابن العم فكانوا ينصروهم أخطأوا أم أصابوا، بمعنى ان الرجل كان  
يصيبه العار اذا قعد عن نصره اخيه او ابن عمه. فكان لزاما عليه ان يقوم بنصره سواء كان  
ظالماً أو مظلوماً. وقد قال شاعرهم في هذا المعنى:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا<sup>٢</sup>

وعلى هذا الأساس فاذا ذلَّ أحد افراد القبيلة لحق العار القبيلة بأسرها ويجب على كل  
افراد القبيلة العمل على محو ذلك العار<sup>٣</sup>.

رفض الإسلام العصبية الجاهلية العمياء واعتبرها نوعاً من التوجه الجاهلي البعيد عن  
المنطق: {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى  
رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ  
عَلِيماً}٤.

وقال رسول الله ﷺ: «من تعصب أو تعصب له فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»<sup>٥</sup>  
وقال ﷺ أيضاً: «ليس منا من دعا الى عصبية، وليس منا من قال [على عصبية] وليس منا  
من مات على عصبية»<sup>٦</sup>.

وفي موضع آخر، عن انس قال، قال رسول الله ﷺ: «نصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قالوا

١ - ول ديورانت، قصة الحضارة، عصر الايمان، الباب الاول، ترجمة محمد بدران، (طبعة دار الفكر، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م)، ج٧، ص١٩.

٢ - احمد امين، مصدر سابق، ص ١٠.

٣ - حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي، ج ١، ص ٣٨.

٤ - سورة الفتح (٤٨)، الآية ٢٦.

٥ - الصدوق، ثواب الاعمال وعقاب الاعمال. (طهران: مكتبة الصدوق)، ص ٢٦٣؛ الكليني، الأصول من الكافي (طهران: مكتبة  
الصدوق، الطبعة ٢، ١٣٨١ هـ). ج ٢، ص ٣٠٨.

٦ - سنن ابي داود (بيروت: دار الفكر)، ج ٤، كتاب الأدب، باب في العصبية، ص ٣٣٢، حديث ٥١٢١.

يارسول الله هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً؟ قال: تأخذ فوق يديه<sup>١</sup>.

### الثارات القبلية

لم يكن للعرب نوع من الحكومات المعروفة الآن، ولم يكن لهم قضاء يحتكمون إليه. أما كان الشخص المعتدى عليه يثار لنفسه بنفسه، وعلى قبيلته ان تشد أزره. وإذا كان المعتدي من قبيلة اخرى كان يحق للمعتدى عليه أخذ الثأر من أي فرد من افراد تلك القبيلة. وكان هذا أمراً طبيعياً عند العرب<sup>٢</sup>. وذلك لأن خطأ أي فرد يُحتسب على القبيلة كلها. وبما ان الجميع متساوون. ضمن اطار القبيلة. في الحقوق والواجبات التي تنبثق عن عصبية الدم، فالبدوئي ملزم بأن ينصر أخاه في الملمات. وليس له ان يتساءل أظالم هو أو مظلوم. وليس من شك في ان هذا الواجب يقع. بادئ الأمر. على عاتق العشيرة التي يعينها الأمر، فلا تنبري القبيلة كلها لمناصرته الا اذا كانت العشيرة ضعيفة قليلة الحول. فاذا قُتل شخص وقعت مهمة الاخذ بثأره على عاتق اقرب الناس إليه<sup>٣</sup>. وإذا كان المقتول من قبيلة اخرى تطبق عند ذاك عادة الانتقام وهي ان يغدو كل واحد من افراد تلك القبيلة معرضاً للقتل انتقاماً للمقتول؛ وذلك لان تقاليد الصحراء كانت تقول بأن <الدم لا يغسله الا الدم> ولا ثمن للقتل الا الانتقام. وقد قيل لأعرابي: <يسرك ان تدخل الجنة ولا تسيء الى من أساء اليك؟ قال: بل يسرتي ان ادرك النار وادخل النار><sup>٤</sup>.

### التنافس والمآثر القبلية

كان العرب في الجاهلية في زمان فترة من الرسل والانبياء، فلم يكن لهم وقوف على غايات الامور والعواقب المحموده وما يترتب عليها الثواب والعقاب من الفعل الحسن والقبيح،

١ - صحيح البخاري بحاشية السندي (بيروت: دار المعرفة)، ج٢، كتاب المظالم، ص٦٦؛ مسند احمد، ج٣، ص٢٠١.

٢ - حسن ابراهيم حسن، مصدر سابق، ص٣٨.

٣ - كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ص١٨.

٤ - النويري، نهایة الإرب في فنون الأدب (وزارة الثقافة والأرشاد القومي المصرية)، ج٦، ص٦٧.



جزيرة العرب، وموقعها الجغرافي، والوضع الاجتماعي والحضاري ..... ٣٣

وكان غالب مفاخراتهم بالشجاعة والكرم والوفاء ونحو ذلك<sup>١</sup>. وقد كان المال والثروة والاولاد والقبيلة مما يتفاخر به عرب الجاهلية ويولونه الكثير من الأهمية ويعتبرونه مدعاة للأفضلية والشرف.

وقد بين القرآن الكريم حقيقة حالهم، واستنكر ذلك منهم بقوله:  
{وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ \* قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ \* وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا}٢.

قال كسرى . ملك ايران . للنعمان بن المنذر يوماً: هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة؟ قال: نعم. قال: فبأي شيء؟ قال: من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء، ثم اتصل بكمال رابع فالبیت من قبيلته فيه وتُنسب إليه<sup>٣</sup>.

كانت الاعراب في الجاهلية اذا تنازع الرجال منهم في الشرف تنافرا الى حكمائهم، فيفضلون الأشرف<sup>٤</sup>. أي يحصون عدد افراد قبيلتهم ويدعون انهم أكثر عدداً من القبيلة الاخرى.  
وفي احد الأيام وقعت منافرة بين قبيلتين، فتنافرتا وتكاثرتا، وقالت احدهما: أفيكم مثل فلان وفلان؟ وعِدّا أشرفهم من الاحياء، ثم قالوا نعد موتانا؛ فانطلقوا الى القبور، ثم جعلت احدى القبيلتين تقول: أفيكم مثل فلان وفلان؟ ويشيرون الى القبور، وفعل الآخرون مثل ذلك<sup>٥</sup>. وقد استقبح القرآن مثل هذه المنافسة والمفاخرة الجاهلية البعيدة عن العقل والمنطق، في قوله:

{الْهَآكُمُ النَّكَآثُرُ \* حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ \* كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ}٦.

١ - الألوسي البغدادي، بلوغ الإرب في معرفة احوال العرب، ج ١، ص ٢٨٠.

٢ - سورة سبأ (٣٤)، الآيات ٣٥ - ٣٧.

٣ - محمود شكري الألوسي، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٨١.

٤ - نافر معناه حاكم في النسب؛ وسميت منافرة لانهم كانوا يقولون عند المفاخرة أنا اعز نفراً.

٥ - السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢٠، ص ٣٥٣؛ محمود شكري الألوسي، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٧٩.

٦ - سورة النكاثر (١٠٢)، الآيات ١ - ٣.

### أهمية الانساب

كان من اهم ما يتنافر به عرب الجاهلية الانساب، اذ كانت لها عندهم أهمية قصوى واليها تعود سائر المفاخر والمناقب<sup>١</sup>.

كانت المفاخرات القبلية محتدمة بين العرب، وبرز مثال على ذلك المفاخرة في الانساب بين العدنانيين (عرب الشمال)، والقحطانيين (عرب الجنوب)<sup>٢</sup>.

ولهذا السبب كان العرب يولون أهمية لحفظ ومعرفة الأنساب. وقد رد النعمان بن المنذر على كسرى حين سأله عن سبب تفاخر العرب بأنسابها بقوله:

فليس أمة من الامم الا وقد جهلت آباءها وأصولها وكثيرا من أولها حتى إن أحدهم ليسأل عمن وراء أبيه دنيا فلا ينسبه ولا يعرفه. وليس أحد من العرب الا يسمي آباءه أب فأب أحاطوا بذلك أحسابهم وحفظوا به أنسابهم. فلا يدخل رجل في غير قومه، ولا ينتسب إلى غير نسبه، ولا يدعى إلى غير أبيه<sup>٣</sup>.

ولهذا السبب لا عجب لو كان علم الانساب عند العرب من العلوم القليلة التي كانت لها عندهم منزلة وتحظى لديهم بالتقدير، وكان للنسّابين مكانة رفيعة بينهم.

١ - نذكر على سبيل المثال اهم في تقاليد ذلك العصر كانوا يسمّون من أبوه عربي وامه اعجمية هجينا، (وهذا من باب النيل منه والطنع عليه لعدم نقاء نسبه). واما اذا كانت امه عربية وابوه اعجميا فكانوا يسمّونه مُزَجَّج. وكانت العرب في الجاهلية لا تورث المحجن (ابن عبد ربه الاندلسي، العقد الفريد، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ.ق، ج٦، ص١٢٩). كما ينبغي ان يتزوج الرجل امرأة مثله (محمد بن حبيب، المحبر، بيروت: دار الافاق الجديدة، ص٣١٠؛ الشهرستاني، الملل والنحل، قم: منشورات الرضى، الطبعة ٢، ص٢٥٤). وفي عهد الاسلام سُئل رسول الله (ص) عن دية المحجن فقال: المسلمون تنكأ دماؤهم... (ابن شهر آشوب، المناقب، قم: المطبعة العلمية، ج١، ص١١٣).

٢ - جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٨م)، ج١، ص٤٩٣ فما بعدها؛ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص٥٥.

٣ - الألويسي، مصدر سابق، ج١، ص١٤٩. وقد وقع عمر بن الخطاب تحت تأثير هذه النزعة وعبر عن انزعاجه من انباط العراق الذين كانوا اذا سُئلوا عن نسبهم ينتسبون الى موضع سكنائهم، قائلاً: تعلّموا النسب ولا تكونوا كنبط السواد اذا سُئل احدهم عن اصله قال من قرية كذا! (ابن خلدون، المقدمة، تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار، الفصل التاسع، ص١٦٢؛ ابن عبد ربه الاندلسي، مصدر سابق، ج٣، ص٣١٢).

جزيرة العرب، وموقعها الجغرافي، والوضع الاجتماعي والحضاري ..... ٣٥

قال الألوسي . من ذوي النظر في موضوع انساب العرب :-  
والعرب في الجاهلية كان لهم مزيد اعتناء بضبطه ومعرفته [أي النسب] فانه احد اسباب  
الالفة والتناصر، وهم كانوا احوج شيء إلى ذلك حيث كانوا قبائل متفرقين واحزابا مختلفين؛  
لم تزل نيران الحروب متسعة بينهم، والغارات نائرة فيهم، فانهم امتنعوا عن سلطان يقهرهم،  
ويكف الأذى عنهم فحفظوا انسابهم ليكونوا متظافرين على خصومهم ومتناصرين على من  
شاققهم<sup>١</sup>.

وقد رفض الإسلام أي نوع من انواع التفاضل العنصري. وعلى الرغم من نزول القرآن بين  
قريش والعرب، غير انه لم يوجه خطابه الى قريش والعرب وما شابه ذلك، بل وجه خطابه الى  
<الناس>، ووجه خطابه في حالة بيان الواجبات والتكاليف الى المسلمين وإلى المؤمنين. واعتبر  
القرآن الفوارق والاختلافات بين الامم والشعوب امرا طبيعياً، ويبيّن ان الحكمة منها ان  
يتعارفوا، واستنكر التفاخر بالانساب والاحساب، مؤكداً ان المعيار في التفاضل بين الجميع  
هو معيار التقوى:

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ  
عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} <sup>٢</sup>.

ونهى رسول الله ﷺ عن التفاخر بالأنساب والاقوام. ونحن نستعرض بعض الامثلة على  
ذلك كالآتي:

قال في فتح مكة حين سقطت القلعة الأساسية لقريش (التي كانت تعتبر نفسها الاشرف  
من بين قبائل العرب):

ايها الناس ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتفاخرها بأبائها، ألا انكم من آدم عليه السلام  
وآدم من طين، ألا ان خير عباد الله عبد اتقاه، ان العربية ليست بأب والد ولكنها لسان

١ - محمود شكري الألوسي، بلوغ الإرب، ج٣، ص١٨٢؛ راجع أيضاً: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، ص٤٦٦ - ٤٦٧.

٢ - سورة الحجرات (٤٩)، الآية ١٣. ورد في رواية منقولة عن الامام الصادق (ع) - واستنادا الى بعض التفسيرات - بأن المراد  
بالقبائل في الآية المذكورة هم العرب، والشعوب هم العجم (الطبرسي، مجمع البيان، تفسير سورة الحجرات، ذيل آية ١٣).

## ٣٦..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى وفاة

النبي ﷺ

ناطق؛ فمن قصر به عمله لم يبلغه حسبه<sup>١</sup>.

وقال في حجة الوداع في سياق خطبة مطوّلة له عرض فيها مواضيع أساسية ومهمّة: >«  
فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى»<sup>٢</sup>.

وقال في تأييد قول سلمان الذي دخل يوما في جدال مع قريش واستند الى القيم المعنوية في رفض افكاره الجاهلية السقيمة:  
يا معشر قريش! ان حسب الرجل دينه، ومروءته خلقه، وأصله عقله<sup>٣</sup>.

### الحروب القبلية

كان عرب الجاهلية اذا وقع بينهم حادث قتل، كانت تُلقى مسؤوليته على اقارب القاتل وأهله وعشيرته الأقربين. وبما ان عشيرة القاتل كانت تحبّ عادة لحمايته فقد كان الانتقام يُنجز الى حروب طاحنة. تلك الحروب . التي كانت تندلع عادة لأسباب تافهة . كانت تمتد لسنوات طويلة. وبرز مثال على ذلك حرب البسوس بين قبيلتي بني بكر وبني تغلب اللتين كانتا تشكّلان فرعين من قبيلة ربيعة. فهذه الحرب دامت اربعين سنة وكان سبب اندلاعها دخول جمل يعود لامرأة اسمها بسوس من بني بكر الى ارض زراعية لرئيس قبيلة بني تغلب، وقتل ذلك الجمل<sup>٤</sup>.

وكذلك وقعت حرب داحس والغبراء بين قيس بن زهير . رئيس قبيلة بن عبس . وحذيفة بن بدر . رئيس قبيلة بني فزارة . بسبب مسابقة خيل، ودامت مدّة طويلة. وداحس والغبراء اسم فرسين، الأول منهما لقيس، والثاني لحذيفة، حيث ادعى قيس ان فرسه غلبت في

١ - الكليني، الروضة من الكافي (طهران: دار الكتب الإسلامية، الطبعة ٢) ص٢٤٦؛ المجلسي، بحار الانوار (طهران: دار الكتب الإسلامية)، ج٢١، ص١٣٧ و١٣٨؛ مع اختلاف ضئيل في الفاظ سيرة ابن هشام، ج٤، ص٥٤.

٢ - حسن بن علي بن شعبة الحرّبي، تحف العقول (مؤسسة النشر الاسلامي، الطبعة ٢، ١٣٦٣هـ)، ص٣٤.

٣ - الكليني، مصدر سابق، ص١٨١.

٤ - محمد احمد جاد المولي بك، علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم، ايام العرب في الجاهلية، (بيروت: دار احياء التراث العربي)، ص١٤٢ - ١٦٨؛ راجع: ابن الاثير، الكامل في التاريخ (بيروت: دار صادر، ١٣٩٩هـ)، ج١، ص٥٢٣ - ٥٣٩.

جزيرة العرب، وموقعها الجغرافي، والوضع الاجتماعي والحضاري ..... ٣٧

السباق، وادّعى حذيفة ان فرسه هي التي غلبت. وقد اشتعل اوار تلك الحرب بسبب هذا الاختلاف البسيط، وأدت الى مقتل الكثير من افراد القبيلتين<sup>١</sup>. وقد اشتهرت امثال هذه الوقائع باسم <أيام العرب> وقد كتبت فيها كتب متعددة.

صحيح ان جرمة الدم قد يكتّر عنها بالديات التي يقدمها أهل القاتل جمالا ونيافا الى أهل القتيل، وصحيح ان من واجب الزعماء في القبيلة ان يعملوا على إيجاد تسوية بين المتخاصمين، من غير ان يملكوا حق فرضها عليهم، ولكن العشائر كثيراً ما لا تنتهي الى الأخذ بهذه التسويات الا بعد ان تكون قد تفانت ودقت بينها عطر منشم... أما اذا أُسْلِمَ القاتل، طوعاً لا كرهاً، الى الفريق الآخر لينزل فيه انتقامه، فعندئذ لا يبقى مجال للثأر. ولكن مثل هذا العمل يُعتبر وصمة عار على العشيرة؛ فهي تفضل ان تقتل الجاني على ان تسلمه طوعاً ويلحق بها العار. ان حاسّة الشرف السامية هذه التي تَسِمُ جميع اعمال البدوي هي الأساس الذي ينهض عليه صرح الاخلاق عنده.

وكان هذا القانون الصحراوي نفسه موضع التنفيذ أيضا . إلى حد . في مدن الحجاز: الطائف، ومكة، والمدينة. ففي هذه المدن كانت العشائر المختلفة، كما كان البدو في خيامهم، تعيش عيش الحرية والاستقلال، فلا تقرر بالطاعة لأحد. وليس من شك في ان شعور الشرف الذي كان بالغ الحساسية في الصحراء، قد وجد في مكة ما يخفف من غلوائه بعض الشيء، بسبب من المصلحة العامة التي كانت للمكيين في الكعبة المقدسة، ومن التجارة التي كانت تعتمد على ازدهارها<sup>٢</sup>.

وقد نهي القرآن الكريم عن مثل هذه العصبية والانتقام، وجعل اساس التناصر الحق والعدالة، واكد بان المسلم ينبغي ان تكون غايته اقامة العدل حتى وان كان فيها ضرر عليه أو على ابيه وامه وذويه:

---

١ - عبد الملك بن هشام، سيرة النبي، تحقيق: مصطفى السقاء (وآخرون) (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٥هـ)، ج ١، ص ٣٠٧، ياقوت الحموي، معجم البلدان، (القاهرة: مطبعة السعادة، الطبعة ١، ١٣٢٣هـ)، ج ١، ص ٢٦٨، كلمة <صاد>. وذكر كل من ابن الاثير وحاجد المولى بك ان كلا الفرسين كانا لقيس (الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥٦٦ - ٥٨٢؛ أيام العرب، ص ٢٤٦ - ٢٧٧).

٢ - كارل بوكلمان، مصدر سابق، ص ١٩ - ٢٠.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}¹.

### النهب والقتل

لم يكن العربي في العصر الجاهلي يحمل مشاعر ودية للناس الآخرين خارج اطار قبيلته، ولم تكن هذه العلاقة تتعدى افراد الاسرة والعشيرة المترابطة بوشائج قرى. وكان مدى فهم الاعرابي محدودا ضمن الاطار الضيق لقبيلته. والبدوي اشبه ما يكون بانصار النزعة القومية المتطرفة ودعاة التمييز العنصري في عالم اليوم؛ اذ يريد الاستحواذ على كل شيء، وكل مشاعره وتوجهاته تنصب في المرحلة الاولى على مصلحته الذاتية ومصلحة ذويه. وهذا ما انعكس في قول احدهم حتى بعد دخوله في الإسلام: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا احداً².

ويعتذر الاعراب عن النهب بأنهم محرومون لفقر بلادهم، طيب العيش ووفرة الغلال والكأ مما لم تعرفه امة اخرى، وبأنهم يزيلون هذا الحيف المقدّر بأسنة رماحهم معتقدين ان من الحلال دهم القوافل وسلب ما بأيديهم تعويضا لهم مما لم تقدر ان تجود عليهم به اراضيهم القاحلة، وبأنهم يعدّون قطع السابلة وسلب ما بأيدي الناس ضرباً من حقوق الفتح والفخر كتدويخ مدينة أو ولاية³.

ومن الطبيعي ان التنافس بين القبائل كان من اسباب الصراع والتناحر، ومن أهم ما كان يدفعهم الى الحروب هو التنافس على المراعي وموارد المياه، او ربّما كان الصراع يحدث أحيانا

١ - سورة النساء (٤)، الآية ١٣٥.

٢ - صحيح البخاري، شرح وتحقيق: الشيخ قاسم الرفاعي، (بيروت: دار القلم)، ج ٨، كتاب الأدب، الباب ٥٤٩، ح ٨٩٣، ص ٣٢٧ - ٣٢٨ بقليل من الاختلاف: سنن أبي داود، (بيروت: دار الفكر)، ج ٤، كتاب الأدب، باب «من ليست له غيبة»، ص ٢٧١.

٣ - غوستاف لوبون، مصدر سابق، ص ٧٣.

جزيرة العرب، وموقعها الجغرافي، والوضع الاجتماعي والحضاري ..... ٣٩

انطلاقاً من الرغبة في حياة الشرف والرئاسة؛ فإذا مات أكبر الأخوة نازع ابنه اعمامه. ولذلك نشبت الحروب بين القبائل المتقاربة في الانساب أو المتقاربة في الامكنة. ومما كان يزيد نار العداة تصليح الشعراء لتعداد مفاخر قبائلهم وتأليب القبائل الاخرى. إذ كانوا يعيدون احياء الوقائع السابقة في الأذهان ويجعلون النفوس مستعدة للاضغان والاحقاد. وقد يكفي النزاع بين شخصين من قبيلتين مختلفتين ليؤدي الى قيام الحروب بين هاتين القبيلتين حتى ولو كان سبب هذا النزاع تافهاً<sup>١</sup>.

ومن الاسباب الاخرى التي كانت تدفعهم الى النهب والتدمير هو انهم امة وحشية باستحكام عوائد التوحش وأسبابه فيهم، فصار لهم خلقاً وجبلة وكان عندهم ملذوا لما فيه من الخروج عن ريقه الحكم وعدم الانقياد للسياسة. وهذه الطبيعة منافية لل عمران ومناقضة له. فغاية الأحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتغلب وذلك مناقض للسكون الذي به العمران ومناف له. فالحجر مثلاً إنما حاجتهم إليه لنصبه أثافي القدر فينقلونه من المباني ويخربونها عليه ويعدونه لذلك، والخشب أيضاً إنما حاجتهم إليه ليعمروا به خيامهم ويتخذوا الاوتاد منه لبيوتهم فيخربون السقف عليه لذلك. فصارت طبيعة وجودهم منافية للبناء الذي هو اصل العمران. هذا في حالهم على العموم، وأيضاً فطبيعتهم انتهاب ما في ايدي الناس وأن رزقهم في ظلال رماحهم وليس عندهم في أخذ أموال الناس حد ينتهون إليه، بل كلما امتدت اعينهم الى مال أو متاع أو ماعون انتهبوه<sup>٢</sup>.

ونوع آخر اتخذه وسيلة من وسائل العيش وهو الغارة والسلب، يغيرون على قبيلة معادية. وكثيراً ما تكون المعادة. فيأخذون جمالهم ويسبون نساءهم وأولادهم، وتترى بهم القبيلة الاخرى ذلك فتفعل ما فعلوا. بل هم اذا لم يجدوا عدوا من غيرهم قاتلوا انفسهم. وللقطامي. وهو شاعر في العصر الاموي. اشعار تعبر عن هذا المعنى، يقول أحد ابياتها:

وأحياناً على بكر أخينا اذا ما لم نجد الا أخانا<sup>٣</sup>

١ - حسن ابراهيم حسن، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٨.

٢ - مقدمة ابن خلدون، ج ١، ص ١٤٩.

٣ - احمد امين، فجر الاسلام، ص ٩.

#### ٤٠..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى وفاة

النبي ﷺ

وفي تلك الأيام نشبت حروب دافعها الثأر والانتقام بين قبيلتي الأوس والخزرج في يثرب، واتسع مداها الى درجة ان احداً لا يستطيع الخروج من حدود مضارب قومه، ونكّدت تلك الحروب عليهم حياتهم وجعلتهم في حالة من الشقاء. فذكّرهم الباري تعالى في القرآن الكريم بذلك الوضع المأساوي مبيناً لهم فضل الله عليهم اذ منّ عليهم بوشائج الاخوة في الإسلام، قائلاً:

{وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}¹.

#### الأشهر الحرم

كانت العرب تحرّم هذه الأشهر الحرم (ذي القعدة، وذو الحجة، ومحرم، ورجب) وكان ذلك مما تمسكت به من ملة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام.

فكانت العرب تمتنع تلقائياً عن القتال في هذه الأشهر تكريماً لها. وهذا ما كان يوفر لهم فرصة للسلم والاستقرار يستطيعون خلالها القيام بأعمال التجارة والبيع والشراء وزيارة الكعبة².

وكانوا اذا وقعت حرب في تلك الاشهر يسمونها حرب الفجار³.

#### المرأة في المجتمع العربي

من ابرز مظاهر الاساطير والخرافات والجهل عند عرب الجاهلية هي نظرهم الى المرأة؛

١ - سورة آل عمران (٣)، الآية ١٠٣.

٢ - كانوا يبدلون اسماء هذه الأشهر ليتحرروا من حرمة القتال فيها، وهو ما كان يُسمى بالنسيء. فكانوا يتقاتلون حتى في شهر محرم. ولذلك قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِينَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُجْلَوْهُ غَافِلِينَ عَمَّا لِيَمْلِكُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ سورة التوبة (٩)، الآية ٣٧.

٣ - ابن واضح، تاريخ يعقوبي، (النفح: المكتبة الحيدرية، ١٣٨٤هـ)، ج ٢، ص ١٢؛ الشهرستاني، الملل والنحل، (قم: منشورات الشريف الرضي، الطبعة ٢)، ج ٢، ص ٢٥٥.



جزيرة العرب، وموقعها الجغرافي، والوضع الاجتماعي والحضاري ..... ٤١

فالمرأة كانت في مجتمع ذلك العصر محرومة من قيمتها الانسانية ومسئولية الحقوق الاجتماعية ولا استقلال لها في الحياة. ونتيجة لبدأوتهم وبعدهم عن الحضارة كانوا يرون في المرأة والبنات مدعاة للعار<sup>١</sup>.

كانوا يرون ان الفتيات غير جديرات بالارث، والجديرون بالارث هم من يذبون عن حياض القبيلة بالسيف<sup>٢</sup>.

وجاء في رواية ان الناس كانوا قبل ان يُبعث النبي ﷺ اذا كان للرجل زوجة ومات عنها، تزوّجها ابنه من بعده اذا لم تكن امه<sup>٣</sup>.

هناك شواهد تشير الى انهم كانوا في الجاهلية اذا مات زوج المرأة يحق لابنه من امرأة غيرها ان يتزوج امرأة ابيه، فيلقي عليها ثوبه فيرث نكاحها، ويتزوجها ارثاً من غير مهر. واذا لم يكن راغباً في الزواج منها يحق له تزويجها لشخص آخر ويحصل هو على مهرها. واما اذا شاء يحق له حرمانها من الزواج بأي رجل آخر، لكي يتسنى له الاستحواذ على مالها من بعد موتها<sup>٤</sup>. وهذا يعني انه لم يكن هناك ما يمنع من الزواج بامرأة الأب. ولذلك نهي القرآن عن مثل هذا العمل<sup>٥</sup>. ونقل المفسرون انه توفي في صدر الإسلام رجل اسمه ابو قيس بن الأسلت وعزم ابنه على الزواج بزوجة ابيه، فنزلت الآية: {لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ

١ - السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن (قم: دار نشر اسماعيليان، الطبعة ٣، ١٣٩٣هـ)، ج ٢، ص ٢٦٧.

٢ - ابو العباس المبرد، الكامل في اللغة والأدب، مع تعليقات نعيم زرزور وتغريد بيضون (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة ١، ١٤٠٧هـ)، ج ١، ص ٣٩٣؛ محمد بن حبيب، المخبر (بيروت: دار الآفاق الجديدة)، ص ٣٢٤.

٣ - الكليني، الفروع من الكافي (طهران: دار الكتب الاسلامية، الطبعة ٢، ١٣٦٢هـ)، ج ٦، ص ٤٠٦.

٤ - الطباطبائي، مصدر سابق، ج ٤، ص ٢٥٤ - ٢٥٨؛ السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (قم: مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤٠٤هـ)، ج ٢، تفسير الآية ٢٢ من سورة النساء، ص ١٣١ - ١٣٢؛ الشهرستاني، الملل والنحل (قم: منشورات الشريف الرضي، الطبعة ٢)، ج ٢، ص ٢٥٤؛ حسن، حقوق زن در اسلام و اوريا (الطبعة ٧، ١٣٥٧هـ. ش)، ص ٣٤. كانت العرب تقول للذي يخلف على امرأة ابيه <الضيزن>. (محمد بن حبيب، المخبر، ص ٣٢٥) وقد ذكر ابن قتيبة الدينوري اسماء عدد من امثال هؤلاء النساء اللواتي تزوجهن - بعد وفاة ازواجهن - ابناء ازواجهن. (المعارف، تحقيق: ثروة عكاشة، قم: منشورات الشريف الرضي، ص ١١٢).

٥ - ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ (سورة النساء (٤)، الآية ٢٢).

## ٤٢..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى وفاة

النبي ﷺ

لَتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا اتَّيَمُّوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ  
فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا<sup>١</sup>.

وكان تعدد الزوجات مباحا في مجتمع ذلك العصر أيضا من غير تحديد بعدد معين<sup>٢</sup>.

### مأساة المرأة

المشهور ان من اسوء عادات العرب في الجاهلية وأد البنات. وبما ان البنت لا تستطيع . في ذلك المجتمع الحالي من المدنية والثقافة وتسوده القسوة والعنف . ان تقاقل كما يقاقل الرجل وتدافع عن القبيلة، وانها قد تُسبي في المعارك القبلية فتلد من قوم آخرين فيكون ذلك عاراً على قبيلتها، لذلك كانوا يعدون بناتهم<sup>٣</sup>. كما ان قسما منهم كانوا يعدون البنات بسبب الاوضاع الاقتصادية المتذبذبة وخوفا من العيلة والفقرة<sup>٤</sup>.

وعلى العموم فقد كانت البنت في نظرهم كيان نحس. وقد عبر القرآن الكريم عما كان شائعاً بينهم من تفكير مغلوط في هذا المجال على النحو التالي:  
{وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ \* يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ<sup>٥</sup>.

كانت هذه النظرة الدونية الى المرأة بارزة الملامح في الأدب العربي يومذاك، وكان من الشائع بينهم ان كل من تولد له بنت يُقال له:

١ - الطباطبائي، مصدر سابق، ج٤، ص٢٥٨؛ الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن (بيروت: دار المعرفة، الطبعة ٢، ١٣٩٢هـ)،

ج٤، ص٢٠٧، ذيل تفسير الآية ١٩ من سورة النساء.

٢ - الطباطبائي، مصدر سابق، ج٢، ص٢٦٧.

٣ - الشيخ عباس القمي، سفينة البحار (طهران: كتابخانه سنائي، ج١) ص١٩٧ (كلمة جهل)؛ ابن أبي الحديد، شرح نخب البلاغة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم (القاهرة: دار احياء الكتب العربية، ١٩٦١م)، ج١٣، ص١٧٤؛ الكليني، الأصول في الكافي (طهران: دار الكتب الإسلامية)، ج٢، باب >البر بالوالدين<، ح ١٨، ص١٦٣؛ القرطبي، تفسير الجامع لأحكام القرآن (بيروت: دار الفكر)، ج١٩، ص٢٣٢.

٤ - سورة الانعام (٦)، الآية ١٥١؛ سورة الاسراء (١٧)، الآية ٣١؛ القرطبي، مصدر سابق، ص٢٣٢.

٥ - سورة النحل (١٦)، الآيات ٥٨ - ٥٩.

جزيرة العرب، وموقعها الجغرافي، والوضع الاجتماعي والحضاري ..... ٤٣

<آمنكم الله عارها، وكفاكم مؤنتها، وصاهرتم القبر!>

وقال أحد شعرائهم في هذا المعنى:

لكل اب بنت يرجى بقاؤها      ثلاثة اصهار اذا ذكر الصهر

فبيت يغطيها وبعل يصونها      وقبر يوارىها وخيرهم القبر<sup>١</sup>

ويقال ان رجلا اسمه ابو حمزة انجبت له زوجته بنتا فأغاضه ذلك وبقي يبيت عند الجيران. فكانت امرأته تلاعب البنت وتنشد هذه الايات:

ما لأبي حمزة لا يأتينا      يظل في البيت الذي يلينا

غضبنا الانلد البنينا      تالله ما ذلك في ايدينا

وانما نأخذ ما أعطينا      ونحن كالأرض لزارعيننا

نبت ما قد زرعوه فينا<sup>٢</sup>

والحقيقة هي ان كلام هذه الأم بمثابة دعوى قضائية ضد النظام الاجتماعي الذي كان سائداً يومذاك، وبيان للمأساة التي كانت تعيشها المرأة في ذلك الوسط الاجتماعي.

ويقال ان اول من فعل ذلك؛ أي وأد البنات، هي قبيلة تميم.

وجاء ذلك في سياق قصة نقلها عدد من المؤرخين وأئمة المفسرين وخلاصتها ان النعمان بن المنذر غار على تميم حين منعه الاتاة، فحاربهم وسبى نساءهم.

ولما ذهب قيس بن عاصم، شيخ تميم، ليسترد سباياه، تخلفت بنت له مؤثرة ان تبقى مع النعمان.

فعاد قيس وقد جن غضبه فوآد كل بناته. ثم مضى على ذلك، لا تولد له بنت الا وأدها. واقتدى به رجال تميم وغيرهم<sup>٣</sup>. وفعلت ذلك قبائل قيس، وأسد، وهذيل، وبكر بن وائل<sup>١</sup>.

١ - عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، موسوعة آل النبي (بيروت: دار الكتب العربية، ١٣٨٧هـ، ص ٤٣٥)

٢ - الجاحظ، البيان والتبيين، بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٩٦٨م، ج ١، ص ١٢٧ - ١٢٨؛ عائشة بنت الشاطئ، مصدر سابق، ص ٤٣٣ - ٤٣٤؛ الألوسي، بلوغ الإرب في معرفة احوال العرب، ج ٣، ص ٥١.

٣ - ابوالعباس المبرد، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٩٢؛ ابن أبي الحديد، مصدر سابق، ج ١٣، ص ١٧٩.

#### ٤٤..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى وفاة

النبي ﷺ

ولم يكن هذا التقليد شائعاً بين عموم العرب، بل كانت هناك قبائل وشخصيات كبيرة لا ترضي هذا العمل ومنهم عبد المطلب . جد رسول الله ﷺ<sup>٢</sup> . وكان هناك اشخاص مثل زيد بن عمرو بن نفيل، وصعصعة بن ناجية يشترون البنات ممن يريد وأدهن مخافة الفقر، ويتكفلون هم بمؤنتهن<sup>٣</sup>.

وكانوا احياناً يدفعون جمالاً فدية لآباء من يريدون وأد بناتهم<sup>٤</sup>.

ولكن هناك شواهد ودلالات تشير الى ان هذه العادة كانت شائعة بين العرب على نطاق واسع؛ وذلك للأسباب التالية:

١. ان صعصعة بن ناجية لما أتى الى رسول الله ﷺ قال له انه افتدى في الجاهلية مائتين وثمانين بنتاً كانت على وشك ان تؤاد، وقد انقذها من الموت<sup>٥</sup>.

٢. قيس بن عاصم بعدما قرر قتل بناته، وأد اثني عشرة أو ثلاث عشرة بنتاً<sup>٦</sup>.

٣. جعل رسول الله ﷺ أحد بنود بيعة العقبة الاولى (في عام ١٢ للبعثة) التي ابرمها مع طائفة من أهالي يثرب، عدم وأد البنات<sup>٧</sup>.

---

١ - ابن ابي الحديد، مصدر سابق، ج١٣، ص١٧٤.

٢ - الآلوسي، مصدر سابق، ج١، ص٣٢٤؛ تاريخ يعقوبي (بيروت: دار صادر)، ج٢، ص١٠.

٣ - الآلوسي، مصدر سابق، ج٣، ص٤٥؛ ابن هشام، سيرة النبي، تحقيق: مصطفى السقاء وآخرون (طهران: افست مكتبة الصدر)، ج١، ص٢٤٠.

٤ - محمد ابوالفضل ابراهيم وآخرون، قصص العرب (بيروت: دار احياء التراث العربي، الطبعة ٤)، ج٢، ص٣١؛ ابو العباس المبرد، مصدر سابق، ص٣٩٤.

٥ - ابو العباس المبرد، مصدر سابق، ج١، ص٣٩٤.

٦ - ابن الاثير، أسد الغابة (طهران: المكتبة الاسلامية، ١٣٣٦ هـ. ش)، ج٤، ص٢٢٠؛ جاء في ذكر سيرة قيس بن عاصم انه أسلم وجاء إلى النبي (ص) فقال: يا رسول الله! إني وأدت ثمان بنات كن لي في الجاهلية. قال: >فاعتق عن كل واحدة منهن رقبة<. قال: يا رسول الله اني صاحب ابل. قال: >فاهد عن كل واحدة منهن بَدَنَةً إن شئت<. (القرطبي، التفسير الجامع لأحكام القرآن، ج١٩، ص٢٢٣).

٧ - ابن هشام، مصدر سابق، ج٢، ص٧٥.

جزيرة العرب، وموقعها الجغرافي، والوضع الاجتماعي والحضاري ..... ٤٥

٤. بعد فتح مكة اشترط رسول الله ﷺ في البيعة التي عقدها بأمر الله تعالى للنساء المسلمات في هذه المدينة، ان لا يقتلن أولادهن<sup>١</sup>.

٥. ذم القرآن الكريم في مواضع متعددة هذه العادة.

وتدل هذه الشواهد على ان هذه الظاهرة كانت من المعضلات الاجتماعية الحاجية يومذاك. وقد حذر القرآن الكريم من الاقدام على هذا العمل كما يلي:

{وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا} <sup>٢</sup>.  
{وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءُهُمْ لِيُردُّوهُمْ وَلِيَلْبَسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ} <sup>٣</sup>.

{قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ - قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ} <sup>٤</sup>.

{وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ} <sup>٥</sup>.

{وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ \* بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} <sup>٦</sup>.

---

١ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَاعِعَنَّكَ عَلَىٰ ذَا لَا تُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ وَأَكْلَاهُنَّ وَلَا تَبْغِي عَنْهُنَّ قَهْرًا تَحْمِلْنَ ۚ أَيْدِيَهُنَّ وَأَرْجُلُهُنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ مَوَدَّةً وَنَصْرًا مِّنَ اللَّهِ ۚ اللَّهُ عَزِيزٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة المتحنة (٦٠)، الآية ١٢).

٢ - سورة الاسراء (١٧)، الآية ٣١.

٣ - سورة الانعام (٦)، الآية ١٣٧.

٤ - سورة الانعام (٦)، الآية ١٤٠.

٥ - سورة الانعام (٦)، الآية ١٥١.

٦ - سورة التكوثر (٨١)، الآيات ٨ - ٩.



## الفصل الثاني

### صفات العرب وخصائصهم

#### الصفات المتناقضة

وعند العرب مساوئ لا يُغتفر مثلها لو لم يكن عندهم من الفضائل ما يُشَفِّع لهم به. ومن هذه الفضائل ان الاعرابي المحارب المتعطش للنهب والانتقام والذي يفعل عند مَس كرامته ما لم تسمع به اذن من ضروب القسوة، مضياف كريم أنيس، والذي يصبح في جواره يعد من افراد اسرته، فلا يستطيع احد بعدئذ ان يعتدي على حياته المقدسة التي يدافع عنها ذلك الاعرابي أكثر من ان يدافع عن نفسه، وان ظهر هذا الغريب من اعدائه الذين تَمَّتْ زوالهم مائة مرّة<sup>١</sup>.

ان الشجاعة الشخصية، والشهامة التي لا حد لها، والكرم الى حد الاسراف، والاخلاص التام للقبيلة، والقسوة في الانتقام، والأخذ بالثأر ممن اعتدى عليه أو على قريب له أو على قبيلته بقول أو فعل، هذه هي اصول الفضائل عند العرب الوثنيين في الجاهلية<sup>٢</sup>.

#### منطلقات الفضائل عند العرب

وكما ذكرنا سابقا فلئن كان التزاحم على الماء والمرعى الذي نشأت عنه معظم اسباب القتال قد قضى ان ينشق سكان البادية قبائل يناوئ بعضها بعضاً، فان الشعور المشترك

---

١ - الدكتور غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص٧٣؛ وكتب ول ديورانت في هذا المجال ما يلي: >كان البدوي رحيمًا وسفاحًا للدماء، كريمًا وبخيلاً، غادراً وأميناً، حذراً وشجاعاً، ومهما يكن فقره فانه يواجه العالم بمهابة وأتفة.< (قصة الحضارة، عصر الايمان، الباب الاول، ترجمة محمد بدران، طبعة دار الفكر، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ج٧، ص١٣).

٢ - احمد امين، فجر الاسلام (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة ٩، ١٩٦٤م)، ص٧٦.

بضعفهم وعجزهم تجاه مشاق الطبيعة القاسية العنيدة انشأ فيهم الاحساس بحاجة ماسة مقدسة إلى الضيافة. وكيف يخل المرء على الضعيف بهذا الحق في بلاد لا تُعرف فيها الفنادق ولا الثُّزُّ. ولقد تغنى شعراء الجاهلية وهم صحافيو يومهم بفضل الضيافة التي تُعتبر هي والحماسة والمروءة من اسمى السمائل التي تميّز بها الشعب العربي<sup>٣</sup>.

ولكن ينبغي الالتفات الى ان الكثير من الصفات التي كانت فيهم مما لا يوجب مدحا وليس في تلك الامور المنسوبة الى العرب ما يبرر تمدّحهم من اجلها، لا من حيث المنطلقات والدوافع ولا من حيث الأهداف والغايات. فقد امتاز العرب بالكرم وحسن الضيافة وحماية الجار (وهو ما دعت إليه الشريعة الإسلامية لاحقاً) ولكن ذلك لم يكن بدافع القيم المعنوية والانسانية، بل كان الدافع اليها عوامل غير انسانية، فالشجاعة عند العرب . مثلاً . هو انهم بحكم بيئتهم وحياتهم في الصحراء يشعر كل واحد منهم انه مسؤول عن حماية نفسه والدفاع عن ذاته، ويضاف الى تلك الدوافع الأمل بحسن الذكر او الطمع بزعامة قبيلة، او لابعاد العار والتحرُّر من هجاء الشعراء حتى لا يسير ذكركم في البلاد في اللؤم والخسّة. فهذه الامور هي التي كانت تدفع العرب الى البذل والجود، والوفاء بالعهد، وحماية المستجير وامثال ذلك. وكذا الحال في ما يخص المروءة والكرم وحسن الضيافة فهذه امور طبيعية في مجتمع يتفاخر بكثرة الاموال والاولاد والمقاتلين. فهذه تعتبر من المفاخر لهم. وهذا لا يخفى على المطلع على تاريخ الإسلام<sup>٤</sup>.

### الجهل والاساطير

غالباً ما يقضي البدوي من اهل الحجاز حياته في الصحراء، فكان بعيداً عن الثقافة ولا حظ له في المدينة، ويغلب عليه الجمود العقلي والفكري، ولا يدرك العلاقة بين اكثر الاشياء. فلم يكن قادراً على تحليل الظواهر برؤية منطقية، واستيعاب طبيعة العلاقة بين العلة والمعلول.

٣ - فيليب حقي، تاريخ العرب، ص ٥٤.

٤ - راجع: السيد جعفر مرتضى العاملي، الصحيح من سيرة النبي الاعظم (قم، ١٤٠٢ هـ)، ج ١، ص ٥٤ - ٥٥.



نذكر على سبيل المثال ان الشخص هناك كان يمرض ويتألم فيصنفون له الدواء، ويدرك هو وجود علاقة بين الألم والدواء، ولكن هذا الادراك يخلو من الدقة والتحليل. فهو يعرف ان افراد قبيلته يستخدمون هذا الدواء ومعرفته لا تتعدى ذلك. نذكر على سبيل المثال انه يصقل<sup>٥</sup> بكل سهولة ان دم شيخ القبيلة يشفي من داء الكلب (وهو داء يأتي عادة من عض الكلاب المسعورة) وكان يتصور ايضا بأن المرض يحصل نتيجة لحلول روح خبيثة في جسم المريض. ولهذا السبب كان العلاج يتركز على طرد تلك الروح من جسم المريض. وكان من عاداتهم انهم اذا خافوا على الرجل الجنون وتعرض الارواح الخبيثة له نجسوه بتعليق الاقدار عليه كخرقة الحيز وعظام الموتى. وكانوا يعتقدون بوجود الغول وانها تظهر في الليل في الخلوات وفي البراري وتعرض طريق الناس وتوقع بهم الأذى.

وكان من معتقداتهم أيضاً انهم اذا أوردوا البقر الماء فلم ترد ضربوا الثور ليتقحم البقر بعده، ويقولون ان الجن تصد البقر عن الماء وان الشيطان يركب قرني الثور<sup>٦</sup>. وكانت مثل هذه الاعمال المضحكة كثيرة الرواج بينهم.

وطالما كانت تلك الأفعال مقبولة وسارية المفعول عند القبيلة لم يكن العربي يشك في صحتها وصوابها، وذلك لأن الشك في الامور انما يأتي نتيجة لدقة النظر والقدرة على فهم وادراك المرض واسبابه واعراضه وسبل علاجه. في حين كان العرب يومذاك يعيشون حالة البداوة ولم يبلغوا تلك المرحلة من الفهم.

ومن الطبيعي انك قد تجد احيانا في اشعار الجاهلية أو امثالها أو قصصها ما يدل على فكر نير ومقدرة على استيعاب العلاقة بين العلة والمعلول، ولكن حتى هذه تكون عادة سطحية وتفتقر الى العمق والتحليل. وهذا العجز عن تحليل الظواهر هو السبب في ظهور انواع شتى من الاوهام والاساطير التي اعتقد بها العرب يومذاك. وكتب تاريخ العرب والإسلام حافلة بانواع من هذه المعتقدات<sup>٦</sup>.

٥ - محمود شكري الألوسي، بلوغ الإرب في معرفة احوال العرب، تحقيق: محمد بهجة الأثري (القاهرة: دار الكتب الحديثة، الطبعة ٣)، ج٢، ص٣٠٣.

٦ - للاطلاع على مزيد من المعلومات حول الخرافات والاساطير التي كانت سائدة بين العرب في العصر الجاهلي، راجع: بلوغ

### حظ العرب من العلم والفن

حاول بعض العلماء ان يثبتوا بأن العرب كانت لهم علوم كالطب والنجوم والقيافة<sup>٧</sup>. الا ان هذا الادعاء لا يخلو من مبالغة. فللبادية من اهل العمران طب يثونه في غالب الامر على تجربة قاصرة على بعض الاشخاص متوارثاً عن مشايخ الحي وعجائزه وربما يصح منه البعض، الا انه ليس على قانون طبيعى ولا على موافقة المزاج. وكان عند العرب من هذا الطب كثير، وكان فيهم اطباء معروفون كالحارث بن كلدة وغيره<sup>٨</sup>.

### مجتمع أمي

كان مجتمع الحجاز حسب تعبير القرآن مجتمعاً أمياً. أي انهم كانوا على الحالة التي ولدتهم عليها أمهاتهم، أميون لم يدرسوا ولم يتعلموا القراءة والكتابة. كتب البلاذري في هذا المجال ما يلي:

دخل الإسلام وفي قريش سبعة عشر رجلاً كلهم يكتب، وفي الأوس والخزرج (من أهالي يثرب) احد عشر رجلاً يكتبون<sup>٩</sup>.

هذا في حين كانت لقريش مكانة ممتازة في مكة وكان عملها في التجارة يتطلب اتقان القراءة والكتابة. وعلى هذا الأساس كيف لقوم في مثل هذه الدرجة من الجهل، ان تكون لهم مثل هذه العلوم التي زعمها البعض؟!

### الشعر

الميزة الكبرى التي كانت للعرب في العصر الجاهلي براعتهم في الشعر والخطابة. وخاصة

الإرب في معرفة احوال العرب، ج ٢، ص ٣٠٣ - ٣٦٧؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، (القاهرة: دار احياء الكتب العربية)، ج ١٩، ص ٣٨٢ - ٤٢٩.

٧ - الألوسي، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٨٢، ٢٢٣، ٢٦١ و ٣٢٧.

٨ - مقدمة ابن خلدون، (دار احياء التراث العربي، الطبعة ٤)، ج ١، ص ٤٩٣.

٩ - فتوح البلدان، (قم: منشورات مكتبة أرومية، ١٤٠٤ هـ)، ص ٤٥٧ - ٤٥٩.

## صفات العرب وخصائصهم ..... ٥١

الشعر الذي بلغ حينذاك ذروة ازدهاره.

فقد كان الشاعر العربي مؤرخ العرب، وجامع أنسابهم، وهجاءهم، والمتغني بفضائلهم، وناقل أخبارهم، وملهمهم، وداعيتهم إلى القتال.<sup>١٠</sup>

في ذلك العصر كان كبار شعراء العرب يجتمعون في اسواق موسمية مثل سوق عكاظ، وذي الحجاز، ومجنته<sup>١١</sup>. كانت تلك الاسواق والمشاهد العامة تُقام فصليا وينشد فيها الشعراء أروع قصائدهم. وكان اختيار قصيدة أي شاعر بمثابة مفخرة عظيمة لقبيلته. وكانت تلك القصائد تعلق على جدار الكعبة. والمعلقات السبعة هي أروع سبع قصائد نظمها اعظم سبع شعراء عرب مما لم يكن له نظير من قبل حتى ذلك الوقت. ولهذا السبب كانت تعلق على جدار الكعبة. وهذا هو وجه تسميتها بالمعلقات.

وعلى الرغم مما يتصف به الشعر العربي من جمال لفظي الا انه يفتقر للمعاني الرفيعة وغزارة المحتوى بسبب افتقار اولئك القوم الى الحضارة والمدنية والثراء الفكري. ولم تكن مضامين تلك الاشعار تتعدى موضوعات الغزل، والشراب، والمرأة، والحماسة، ومفاخر القوم، ويقتصر جماله على جاذبية الالفاظ والصور الفنية الدقيقة التي يرسمها.

### العرب والمدنيت المجاورة

عند دراسة الحالة التي كان عليها العرب عل صعيد العلم والفن، يتبادر الى الازدهان سؤال وهو هل أخذ العرب شيئاً من حضارة وثقافة الدول المجاورة أي ايران والروم من خلال ما كانت لهم من علاقات تجارية معها؟ وهل أخذ تلك الوشائج والعلاقات الى ايجاد تحوّل في حياتهم؟

للإجابة عن هذا السؤال ينبغي التنبيه الى ان أهالي الحجاز كانوا بحكم الموقع الطبيعي والجغرافي الخاص بهذه المنطقة، بعيدين عن سلطة ونفوذ تلك الدول والحكومات، ليس على الصعيد السياسي فحسب بل على الصعيد الثقافي أيضاً. وكان تأثير العرب بالمدنيت

١٠ - ول ديورانت، قصة الحضارة، عصر الايمان، الباب الاول، ترجمة محمد بدران، (طبعة دار الفكر، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م)، ج٧، ص٢٠.

١١ - للاطلاع على مزيد من المعلومات حول هذه الاسواق، راجع: بلوغ الإرب في معرفة احوال العرب، ج٢، ص٢٦٤ - ٢٧٠.

## ٥٢ ..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى وفاة

النبي ﷺ

والثقافات المجاورة متاحاً من خلال ثلاثة طرق، وهي: التجارة، والإمارات التي أنشأها الفرس والروم (المناذرة والغساسنة) وأهل الكتاب (اليهود والنصارى).

ولكن ينبغي ملاحظة مدى ذلك التأثير. ويبدو ان الآراء التي سجلها قسم من المؤرخين في هذا المجال، لا تخلو من مبالغة. نذكر على سبيل المثال ان بعضهم كتب في هذا المجال ما يلي: وكان من اثر اتصال العرب بالفرس والبيزنطيين أمران: الأول نزول العرب في المدن الفارسية والرومانية للتجارة؛ وكان لذلك اثره في تثقيف عقول العرب الذين شاهدوا الفرق الشاسع بين مدنها ومدن بلاد فارس والرومان، الأمر الذي نقف عليه في الشعر الجاهلي. وأما الثاني: انهم نقلوا الى العرب كثيراً من الالفاظ والقصص الفارسية والرومية. كما تسبّب عن طريقهم الكثير من اخبار الفرس والروم ومعتقداتهم<sup>١٢</sup>.

ولكن لا بد من الالتفات الى ان أسفار تجار الحجاز الى هاتين الدولتين لم يكن لها تأثير بالغ في ارتقاء الثقافة والتطوّر الفكري عند العرب؛ وذلك لأن هذه المدينتان كانتا تسبّب من مجرى ضيق، وقد ينال التحريف ما ينقلونه عن غيرهم كالذي نراه في بعض امثال العرب المنقولة عن امثال سليمان، وفي بعض القصص المنقولة عن الفرس والروم. فلم يكن العرب يأخذون ممن حولهم علماً منظماً لأن هناك عوائق كانت تحول دون ذلك منها:

١. الحوائط الطبيعية بين العرب وغيرهم من بحار وجبال وصحراوات.
٢. ومنها البعد الكبير بين العرب والفرس والروم من حيث الحالة الاجتماعية والدرجة العقلية. وأكثر ما يكون الاقتباس اذا تقاربت العقليتان.
٣. ومنها انتشار الامية بين العرب اذ ذاك، حتى ندر ان تجد فيهم القارئ الكاتب، انما كان المخالطون للفرس والروم ينقلون حكماً أو قصصاً أو امثالاً أو حوادث تاريخية مما يخف حمله على الناقل، ومما يستطيع البدوي ومن في حكمه ان يهضمه. وعلى هذا فقد كان سطحياً ولا يتصف بعمق وغزارة المغزى.

## صفات العرب وخصائصهم ..... ٥٣

وبناء على ذلك يمكن ان نستخلص بأنه كانت هناك علاقات بين العرب وغيرهم من الامم اثرت في حياتهم المادية والأدبية<sup>١٣</sup>.

وأما بالنسبة الى تأثير اليهود فينبغي القول بأن اليهود لجأوا إلى الحجاز منذ زمن النبي موسى عليه السلام وما بعده وخصوصا في القرون الاخيرة قبل الميلاد والاولى بعده فرارا من اضطهاد الحكام الرومانيين ولاسيما بعد خراب بيت المقدس. وكان لهم تأثير مشهود على الوضع الاجتماعي هناك؛ وتعلموا منهم بعض اقاصيص التوراة والتلمود<sup>١٤</sup>.

هناك ثمة وثائق تشير الى ان اليهود كانوا في مستوى فكري وديني أرقى من العرب. وحتى بعد ظهور الإسلام كان بعض المسلمين يسألونهم أحيانا عن بعض القضايا الدينية<sup>١٥</sup>. ولكن بما ان اليهودية قد تعرضت لكثير من التحريف كما هو الحال بالنسبة الى الديانة المسيحية، لذلك فان الافكار التي كان العربي يتلقاها من اليهود كانت ممسوخة ومشوشة الى حد بعيد. فتعاليم اليهود لم تكن نافعة وليس فيها حلول مثالية لهم، لا بل كانت تزيدهم ضلالا.

### ضعف العرب في مقابل الفرس والروم

كما ذكرنا سابقاً، بما ان أهالي الحجاز كانوا يعيشون متفرقين على شكل قبائل وكانوا اكثر بداوة؛ فلم تكن هناك حكومة تجمعهم وتنظم امورهم، وكانوا على الدوام في حروب وخصومات قبلية فابتلوا بالضعف والهوان، ولم يكن لهم شأن يُذكر بين امم ذلك الزمان. كان العرب يومذاك يعيشون اشقياء ضمن دائرة ضيقة وهي القبيلة والعشيرة، وحياتهم تقتصر على الرعي والخيام، وتستولي عليهم القبيلة ويتقاذفهم الحرمان والتشتت. ولم يكن يدور في خلداهم قط شيء خارج جزيرة العرب، ولم تكن تراود ذهنهم فكرة الانتصار على الدول المجاورة، بل بالعكس كانوا يشعرون بالضعف في مقابل الفرس والروم. وقد وصف قتادة . وهو رجل من العرب . قومه آنذاك بقوله:

---

١٣ - راجع: فجر الاسلام، ص ٢٩.

١٤ - جرجي زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، ج ١، ص ٣٢ - ٣٣، طبعة دار الهلال.

١٥ - جرجي زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، مع التلخيص.

<كان هذا الحي من العرب معكومين على رأس حجر بين الأسدين فارس والروم><sup>١٦</sup>.  
ومما يؤيد هذا المعنى هو ان رسول الله ﷺ كان في سنوات دعوته في مكة يتحاور ذات يوم مع جماعة من وجوه العرب ويدعوهم الى الإسلام ويتلو عليهم آيات من القرآن الكريم مما يشتمل على تعاليم اخلاقية وفطرية، فوقع موقعا في انفسهم واثرت فيهم حتى ان كل واحد منهم انطلق بالثناء عليها، الا ان كبيرهم، وهو المثنى بن حارثة، قال:  
وانا انما نزلنا بين صريين، أما احدهما فطفوف البر وارض العرب، واما الآخر فارض فارس وانهار كسرى. وانما نحن نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى ان لا نحدث حدثاً، ولا نؤوي محدثاً. ولعل هذا الأمر الذي تدعوننا إليه مما تكرهه الملوك: فاما ما كان مما يلي بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور، وعذره مقبول، واما ما كان يلي بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول<sup>١٧</sup>.

### مفاخر وهمية

كتب المؤرخون عن شعور العرب بالضعف ما يلي: وفد حاجب بن زرارة على كسرى لما منع تميم من ريف العراق، فاستأذن عليه، فاوصل اليه فقال له كسرى: انكم معشر العرب عُذُر، فان اذنت لكم افسدتم البلاد واغرتم على العباد، وأذيتموني. قال حاجب: فإني ضامن للملك ان لا يفعلوا. قال: فمن لي بأن تفني انت؟ قال: ارهناك قوسي (وكانت تعتبر مظهرا للشجاعة والبسالة والفروسية). فقبضها منه كسرى، واذن لهم ان يدخلوا الريف. وبعدما مات حاجب بن زرارة، ارتحل ابنه عطارد بن حاجب الى كسرى يطلب قوس ابيه، فردّها عليه<sup>١٨</sup>.

١٦ - الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن (بيروت: دار المعرفة، الطبعة ٢، ١٣٩٢هـ)، ج ٤، ص ٢٥ (تفسير الآية: وكنتم على شفا حفرة من النار...)؛ زاهية قُدّورة، الشعبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول (بيروت: دار الكتاب اللبناني، الطبعة ١، ١٩٧٢م)، ص ٣٤؛ احمد امين، ضحى الاسلام (القاهرة: مكتبة النهضة، الطبعة ٧)، ج ١، ص ١٨.

١٧ - محمد ابو الفضل ابراهيم (وآخرون)، قصص العرب (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٣٨٢ هـ)، ج ٢، ص ٣٥٨؛ ابن الكثير، البداية والنهاية (بيروت: مكتبة المعارف، الطبعة ٢، ١٩٧٧م)، ج ٣، ص ١٤٤.

١٨ - الآلوسي، بلوغ الإرب، ج ١، ص ٣١٣ - ٣١١؛ محمد بن عبد ربه، العقد الفريد (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٣ هـ)،

## صفات العرب وخصائصهم ..... ٥٥

وبقيت قبيلة تميم تفتخر بهذا العمل سنوات طويلة<sup>١</sup>. وعلى صعيد آخر لما انتصرت قبيلة بني شيبان بمساعدة العجليين واليشكريين يوم ذي قار على كسرى<sup>٢</sup> أحسَّ العرب بالفخر العظيم، ومع انه ليس بشيء ذي خطر، فكل أمة قد تتعرض للهزيمة ولكن احسوا بالفخر العظيم كأثمهم ما كانوا يتوقعون ان يهزموا الفرس. وان العرب لما انتصروا يوم ذي قار، لم يتغوّا بنصرة العرب على الفرس، أمّا تغوا بنصرة القبائل التي اشتركت في الحرب. وبلغ تفاخرهم بذلك الانتصار درجة جعلت الشاعر ابو تمام<sup>٣</sup> يقول في مدح ابي دلف العجلي<sup>٤</sup>، في مقابل تفاخر تميم برهن حاجب بن زرارة قوسه عند كسرى ووفاء ابنه بالعهد، ما يلي:

إذا افتخرت يوما تميم بقوسها      وزادت على ما وطدت من مناقب  
فانتم بذئ قار أمالت سيوفكم      عروش الذين استرهنوا قوس حاجب<sup>٥</sup>

### العصر الجاهلي

عند بحثنا حول جزيرة العرب اطلقنا على مرحلة ما قبل ظهور الإسلام تسمية العصر

---

ج٢، ص٢٠؛ ابن قتيبة، المعارف، تحقيق: ثروة عكاشة (قم: منشورات الشريف الرضي)، ص٦٠٨.

١ - احمد امين، ضحى الاسلام، ج١، ص١٩.

٢ - وكان سبب هذه المعركة هي ان كسرى اراد الزواج من بنت النعمان بن المنذر حاكم الحيرة المعين من قبل كسرى. ولكن النعمان أبى ان يزوجه ابنته، فاستقدمه كسرى إلى عاصمة ملكه وسجنه ومات في السجن. وكان النعمان قد اودع امواله وعياله وبناته قبل المسير إلى كسرى، عند هاني بن مسعود الشيباني. فأرسل كسرى إلى هاني ان يسلم إليه اموال وعيال النعمان. ولكن هاني امتنع من تسليم تلك الأمانة. فجرد كسرى جيشاً لمحاربة بني شيبان (بطن من بطون بكر بن وائل). وانتهت المعركة بهزيمة جيش كسرى. (ابن الاثير، الكامل في التاريخ، بيروت: دار صادر، ١٣٩٩هـ. ج١، ص٤٨٥ - ٤٨٩؛ راجع: المقدسي، البدء والتاريخ (پاریس: ١٩٠٣م)، ج٣، ص٢٦).

٣ - ابوتمام حبيب بن اوس الطائي.

٤ - ابو دلف قاسم بن عيسى العجلي.

٥ - احمد امين، ضحى الاسلام، ج١، ص١٩؛ المسعودي، التنبيه والأشراف، تحقيق: عبد الله اسماعيل الصاوي (قم: مؤسسة نشر المنابع الثقافية الإسلامية)، ص٢٠٩؛ جلال الدين الهماشي، الشعوبية (اصفهان: مكتبة صائب، ١٣٦٣هـ. ش)، ص١١ - ١٢.

## ٥٦ ..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى وفاة

النبي ﷺ

الجاهلي، واطلقنا على سكّان تلك البلاد تسمية عرب الجاهلية. ونود ان نشير هنا الى وجود شواهد دالة على ان هذا الاصطلاح . أي اصطلاح الجاهلية . قد ظهر بين المسلمين بعد ظهور الإسلام، حيث استلهموه من القرآن الكريم، واطلقوه على عصر ما قبل الإسلام وتبلور له مفهوم خاص حوله<sup>١</sup> وذهب بعض المؤرخين المعاصرين الى القول بأنّ هذه التسمية تُطلق على حقبة تناهز مائة وخمسين الى مائتي سنة قبل بعثة النبي محمد ﷺ<sup>٢</sup>.

ومع ان كلمة الجاهلية مشتقة من الجهل، الا ان الجهل هنا لا يقع في النقطة المقابلة للعلم، وانما يقع في النقطة المقابلة للعقل والمنطق<sup>٣</sup>.

وصحيح ان مجتمع جزيرة العرب كان مجتمعاً امياً يفتقر الى العلم . كما ذكرنا . بيد ان الثقافة الإسلامية اذا كانت قد اطلقت كلمة جاهل على ذلك المجتمع، وعبرة العصر الجاهلي على ذلك العصر، فذلك لا يُعزى الى افتقارهم للعلم فحسب، وانما يُعزى الى رؤيتهم المغلوطة والبعيدة عن العقل والمنطق، وممارستهم لعادات وتقاليد خرافية والاتصاف بسجايا مقيتة كالحقد، والغرور، والتفاخر، والتعصّب الأعمى، وهي سجايا حاربها الإسلام بشدّة<sup>٤</sup>.

وربّما يمكن القول بأن المراد من كلمة الجهل هنا شيء قريب من معنى الحمق وهو ما لا

١ - جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة ١)، ج ١، ص ٤٢ - ٤١.

٢ - عمر فروخ، تاريخ صدر الاسلام والدولة الأموية (بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة ٣، ١٩٧٦م)، ص ٣٩.

٣ - يقول عمر فروخ: فالجاهلية تدل على الجهل الذي هو ضد الحلم لا على الجهل الذي هو ضد العلم. (تاريخ صدر الاسلام، ص ٤٠).

٤ - راجع: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ١٥٥ - ١٥١؛ احمد امين، فجر الاسلام، ص ٧٤ - ٧٨؛ الآلوسي، بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب، ج ١، ص ١٨ - ١٥؛ شوقي ضيف، تاريخ الادب العربي، ج ١، >العصر الجاهلي< (القاهرة: دار المعارف، الطبعة ٧)، ص ٣٩. والدليل على ذلك هو ان لدينا مجموعة من الاحاديث الشريفة التي تؤيد هذا المعنى وتجعل الجهل في مقابل العقل. وقد افردت كتب مثل كتاب اصول الكافي فصلاً لهذا الموضوع تحت عنوان: فصل العقل والجهل، ج ١، ص ١١، وجمعت فيه مثل هذه الاحاديث.



## صفات العرب وخصائصهم ..... ٥٧

يقترن بالضرورة بمعنى الامية، وأما أكثر ما يراد به السفه والحمق والانفة<sup>١</sup>.

استخدمت كلمة الجاهلية في عددٍ مواضع في القرآن الكريم بهذه المعاني والمفاهيم.

نشير في ما يلي الى أمثلة منها:

١. سُميت الآمال والأمانى المغلوطة لجماعة من أهل الكتاب ممن كانت قلوبهم تھوى ان

يحكم الرسول بما تشتهي انفسهم <حكم الجاهلية><sup>٢</sup>.

٢. وصف الباري تعالى في كتابه الكريم التعصب القبلي الاعمى للعرب من عبدة الاوثان

بصفة <الحمية الجاهلية><sup>٣</sup>.

٣. امر القرآن الكريم زوجات الرسول بعدم اتباع اساليب <تبع الجاهلية الاولى><sup>٤</sup>.

٤. ذم القرآن الكريم جماعة من المنافقين المتزعزي الايمان الذين انھارت معنوياتهم وغلب

عليهم الارتباك والتشاؤم في اعقاب هزيمة جيش المسلمين في معركة أحد؛ وذلك لأنهم ظنوا

بالله <ظن الجاهلية><sup>٥</sup>.

---

١ - يقول جواد علي: والرأي عندي ان الجاهلية من السفه والحمق والانفة والخفة والغضب وعدم الانقياد لحكم وشريعة واردة الهبة وما الى ذلك من حالات انتقصها الاسلام. فهي في معنى <اذهب يا جاهل> نقولها لمن يتسفه ويتحقق وينطق بكلام لا يليق صدوره من رجل، فلا يبالي ادباً ولا يُراعي عرفاً. ولا يشترط بالطبع ان يكون ذلك الرجل امياً. (المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج ١، ص ٤٠).

٢ - ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لَقَدْ يُؤَفُّونَ﴾ (سورة المائدة (٥)، الآية ٥٠).

٣ - ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحُمِيَّةَ حُمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ لَزَمَهُمْ كَلِمَةُ التَّقْوَى كَانُوا أَخَقَّ بِمَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (سورة الفتح (٤٨)، الآية ٢٦).

٤ - وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُ إِلَّا مَنْ جَاءَكَ بِالْحَقِّ لَأَوْلى وَفِي الصَّلَاةِ وَتِينَ الزَّكَاةِ وَطَعَنَ اللَّهُ وَسَوَّلَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (سورة الاحزاب (٣٣)، الآية ٣٣).

٥ - ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَّ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (سورة

## ٥٨ ..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى وفاة

النبي ﷺ

٥. قصَّ الله تعالى من نبأ قوم موسى انه عندما أمرهم بذبح بقرة، فقالوا له اتخذنا هنزواً فقال لهم موسى: {أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}¹.

ووصف امير المؤمنين علي عليه السلام الحياة البائسة التي كان عليها العرب في عصر عبادة الاوثان بأنهم قد استخفَّتْهم الجاهلية².

---

آل عمران (٣)، الآية (١٥٤).

١ - ﴿قَالُوا اتَّخَذْنَا هُنَا قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (سورة البقرة (٢)، الآية (٦٧)).

٢ - واستخفَّتْهم الجاهلية الجهلاء. (ص) يحيى الصالح، نهج البلاغة، الخطبة (٩٥).

## الفصل الثالث

### الاديان والمذاهب في شبه جزيرة العرب وما حولها

لم يكن سكان الجزيرة العربية جميعهم على دين واحد ابان ظهور الاسلام، ومع أن الديانة الغالبة حينذاك هي عبادة الاصنام فقد كان هناك أتباع ديانات اخرى كالمسيحية واليهودية والحنيفية والمانوية والصابئة يقطنون في بقاع شتى من الجزيرة. ولم يسلم أي من تلك الأديان من التشويش والتحريف الذي طرأ عليها عبر الزمن فانطوت على الكثير من المغالطات والتضليل مما جعل النفوس تنفر منها. وسنعرض في ما يلي شرحا حول كل واحد من الأديان والمذاهب المعروفة المتبعة آنذاك:

#### الموحدون

الموحدون أو الحنفاء<sup>١</sup> هم الذين كانوا يرفضون عبادة الأصنام . خلافا لما كان عليه أكثر الناس الذين كانوا مشركين . ويؤمنون بوحداية الله، ويؤمنون احيانا بالبعث والحساب يوم القيامة. كان قسم من هذه الجماعة من اتباع الديانة المسيحية، ولكن بعض المؤرخين عدّوهم في عداد الحنفاء، ويمكن ان نذكر منهم:

ورقة بن نوفل، وعبيد الله بن جحش، وعثمان بن حُويرث، وزيد بن عمر بن نفيل<sup>٢</sup>، والنابغة الجعدي (قيس بن عبد الله)، وامية بن أبي الصلت، وقُيس بن ساعدة الأيادي، وابو

---

١ - محمد بن حبيب، المحيّر (بيروت: دار الآفاق الجديدة)، ص ١٧١.

٢ - حنيف وجمعها أحناف تطلق هذه الكلمة عن من يتبع دين النبي ابراهيم. (الطبرسي، مجمع البيان، شركة المعارف، ج ١، ص ٢١٦).

قيس صرمة بن أبي أنس، وزهير بن أبي سلمى، وأبو عامر الأوسي (عبد عمرو بن صيفي)، وعدّاس (غلام عتبة بن ربيعة)، ورتاب الشني، وبحيرى الراهب<sup>١</sup>. وكان قسم من هؤلاء من مشاهير الحكماء أو الشعراء.

ومن الطبيعي أن نزوع هؤلاء الأشخاص إلى التوحيد يمكن أن يُعزى إلى سلامة فطرتهم واستنارة فكرهم وخواء الأديان الشائعة في ذلك العصر، ووجود فراغ ديني في ذلك المجتمع. حيث أدرك هؤلاء بفطرتهم السليمة وجود خالق مدبر لشؤون هذا الكون، ولم يكن باستطاعتهم الاعتقاد بديانة سخيفة ومجافية للعقل مثل عبادة الأصنام. أما بالنسبة إلى الديانتين المسيحية واليهودية فقد فقدتا أصالتهما مع تقادم القرون، وما كانتا قادرتين على بث السكينة في النفوس الثائرة لذوي العقول النيرة. ولذلك فقد ورد في وصف بعض الموحّدين الذين كانوا يبحثون عن الديانة الحقّة أنهم كانوا يتحمّلون مشاق الأسفار للقاء علماء من النصارى واليهود واستبانة الحقّ منهم ومناقشتهم في الأمر<sup>٢</sup>، والتحقّق منهم حول العلامات الواردة في الكتب السماوية حول بعثة رسول الإسلام ﷺ. ولكنهم غالباً ما كانوا لا يصلون إلى نتيجة مفيدة، ولهذا السبب كانوا يعتقدون بأصل التوحيد. وعلى كل الأحوال فليس من الواضح لدينا كيف كانوا يؤدّون عباداتهم وشعائرتهم الدينية.

ولابد من الإشارة إلى أن الأحناف - خلافاً لما يتصور البعض - لم يكن لهم أي تأثير في توجيه العرب وتحولهم نحو التوحيد، بل صرّح المؤرخون بأنهم كانوا يعيشون في عزلة وفي حالة

١ - المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ٦٠ - ٦٨؛ ابن هشام، سيرة النبي، تحقيق: مصطفى السقاء وآخرون، (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٥هـ)، ج ١، ص ٢٣٧؛ ابن كثير، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٤هـ)، ج ١، ص ١٢٢ - ١٦٥؛ محمد بن إسحاق، السير والمغازي، تحقيق: الدكتور سهيل الزكار (بيروت: دار الفكر، الطبعة ٢، ١٤١٠هـ)، ص ١١٥ - ١١٦؛ محمد بن حبيب البغدادي، المنطق في أخبار قريش، تحقيق: خورشيد أحمد فارق (بيروت: عالم الكتب، الطبعة ١، ١٤٠٥هـ)، ص ١٥٢ - ١٥٣؛ محمد إبراهيم آيتي، تاريخ پیامبر اسلام (ص) (طهران: انتشارات جامعة طهران، الطبعة ٢، ١٣٦١ هـ. ش)، ص ١٠ - ١٣.

٢ - ابن كثير، مصدر سابق، ص ١٥٦؛ محمد أبو الفضل إبراهيم (وآخرون)، قصص العرب (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، الطبعة ٥)، (قم: افست منشورات الشريف الرضي، ١٣٦٤ هـ. ش)، ج ١، ص ٧٢.

## الأديان والمذاهب في شبه جزيرة العرب وما حولها ..... ٦١

من التأمل والتفكير، ولم يتبلوروا على شكل جماعات أو فرقة منظمة، ولم يكن لهم دين أو مذهب له أحكام ثابتة ومعينة، بل اكتفوا بالابتعاد عن المجتمع واجتناب عبادة الأصنام. وكان حسب هؤلاء الأفراد أنهم ايقنوا بفساد معتقدات قومهم، من غير أن يكلفوا أنفسهم عناء دعوة غيرهم إلى ما يعتقدون به، أو التصريح بآرائهم. ولهذا السبب كانت علاقاتهم مع قومهم تسير بشكل طبيعي ولم يقع فيها أي تصادم أو تضارب<sup>١</sup>.

### المسيحية

انتشرت المسيحية في بعض اجزاء جزيرة العرب، فانتشرت في الجنوب عن طريق الحبشة، وفي الشمال عن طريق سورية (التي كانت تحت سيطرة الدولة الرومانية الشرقية) وشبه جزيرة سيناء، إلا أنها لم تجذب إليها انصاراً كثيرين منهم<sup>٢</sup>. وفي شمال جزيرة العرب انتشرت المسيحية في قبائل تغلب (بطن من بطون ربيعة)، وغسان وقُضاعة<sup>٣</sup>. وكان من هؤلاء النصارى قس بن ساعدة، وحنظلة الطائي، وأمّية بن أبي الصلت، وبعض هؤلاء فارق قومه ولبس المسوح ونسك ولزم العبادة في الجبال<sup>٤</sup>.

### المسيحية في اليمن

تغلغت المسيحية في اليمن منذ القرن الرابع للميلاد، وقد ذكر فيليب حَيّ . وهو رجل مسيحي . ما يلي:

اول وفد مسيحي ذهب إلى جنوب شبه جزيرة العرب وخبره صحيح، هو الوفد الذي بعثه الامبراطور قسطنطينوس برئاسة ثيوفيليوس اندوس اريوس. وجاء ارسال ذلك الوفد في سياق

---

١ - جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة ١، ١٩٦٨م)، ج٦، ص٤٤٩؛ الحسيني الطباطبائي،

حيات در كزارش تاريخ (طهران: انتشارات جانبخش، ١٣٦٦هـ.ش)، ج١، ص١٢٠؛ ابن هشام، سيرة النبي، ج١، ص٢٣٧.

٢ - حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي، ج١، ص٦٤.

٣ - المصدر السابق، ص٦٤؛ شهاب الدين الإبيهي، المستطرف في كل فن مستظرف (بيروت: دار احياء التراث العربي)، ج٢،

ص٨٨؛ ابن قتيبة، المعارف، تحقيق: ثروة عكاشة (دار الكتب: ١٩٦٠م)، ص٦٢١؛ الأمير ابو سعيد الحميري، الحور العين، تحقيق:

كمال مصطفى (طهران: ١٩٧٢م)، ص١٣٦.

٤ - احمد امين، فجر الاسلام (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة ٩، ١٩٦٤م)، ص٢٧.

## ٦٢ ..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى وفاة

النبي ﷺ

التنافس الذي كانت تفرضه السياسة العالمية يومذاك بين امبراطورية فارس وامبراطورية الروم، على مناطق النفوذ في جنوب شبه جزيرة العرب. وقد بنى ثيوفيليوس كنيسة في عدن، وكنيستين أُخرين في بلاد الحميريين. وقد اعتنق أهالي نجران الديانة الجديدة في عام ٥٠٠ للميلاد<sup>١</sup>.

وعند ظهور الإسلام كان على دين النصرانية من أحياء العرب في اليمن طيء، ومذحج، وبهراء، وسُلَيْح، وتنوخ، وغسان، ولخم<sup>٢</sup>.

وأهم مواطن النصرانية في جزيرة العرب كان نجران، وكانت مدينة خصبة عامرة بالسكان، تزرع وتصنع الأنسجة الحريرية، وتتاجر في الجلود وفي صنع الأسلحة، وكانت قرية من الطريق التجاري الذي يمتد الى الحيرة<sup>٣</sup>.

وبقيت الديانة النصرانية رائجة في اليمن الى ان حكم ذو نواس ارض اليمن فوق بالنصارى وقتلهم لكي يرغمهم على ترك دينهم، وعندما رأى ثباتهم احرقهم في اخدود نار حفره لهم<sup>٤</sup>. وقد استنجد النصارى بالحبيشة فانجدوهم وغزوا بلاد العرب سنة ٥٢٥م وهزموا ذا نواس، وعاد المسيحيون الى الحكم من جديد<sup>٥</sup>.

---

١ - تاريخ العرب، ذكروا ان نشوء النصرانية في اليمن كان في اعقاب مجيء قديس مسيحي من اهل الشام اسمه فيميون إلى هذه المنطقة ودعوته الناس إلى النصرانية. (ابن هشام، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٢ - ٣٥)؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، (بيروت: دار احياء التراث العربي)، ج ٥، ص ٢٦٦، ولكن هذه القصة لا تخلو من الطابع الاسطوري والخيالي. ولا يتماشى في ما نقلناه عن كتاب فيليب حتي.

٢ - تاريخ يعقوبي (النحف: المكتبة الحيدرية، ١٣٨٤ هـ)، ج ١، ص ٢٢٤.

٣ - احمد امين، مصدر سابق، ص ٢٦.

٤ - يروي بعض المفسرين ان الآيات ٤ - ٩ من سورة البروج نزلت في قتل النصارى، او ان هذه الواقعة مما تنطبق عليه هذه الآيات (الميزان في تفسير القرآن، ج ٢٠، ص ٢٥١ - ٢٥٧) حيث قال تعالى ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ\*ذَاتِ الْوُفُودِ\*هُمْ عَلَيْهَا فُجُودٌ\*وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ\*وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنَّهُمُ الْغُرُوحُ\*خَسِرْتُمْ يَوْمَ الْقِيَامِ\*لَهُ الْوَيْلُ الْمَلِمَةُ\*لَا تَصْلَىٰ لَوْلَاهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهَادَةٌ\*﴾.

٥ - احمد امين، مصدر سابق، ص ٢٧.

الأديان والمذاهب في شبه جزيرة العرب وما حولها ..... ٦٣

### المسيحية في الحيرة

ومن المناطق الأخرى التي تسربت إليها الديانة النصرانية هي الحيرة الواقعة قرب الكوفة؛ ذلك ان الحكومة الفارسية في عهد هرمز الاول انشأت مستعمرات كوّنتها من أسرى الحرب الرومانيين، ومن هؤلاء الأسرى من نزلوا الحيرة. ويظن بعضهم انهم هم منبع النصرانية فيها. وعلى كل حال فقد كان في الحيرة مبشرون بالنصرانية داعون إليها. حيث نشروا تعاليمهم في بلاد العرب وكانوا يتحدثون عن البعث والحساب والميزان. ولجى الدعوة منهم هند زوج النعمان الخامس، وقد أنشأت ديراً سُمّي بدير هند كان باقياً الى عهد الطبري. وكان حنظلة الطائي، وقس بن ساعدة، وامية بن أبي الصلت (وهي شخصيات ذكرناها سابقاً) من أهالي الحيرة<sup>١</sup>. ويذكرون ان النعمان بن المنذر ملك الحيرة استجاب لنصح عدي بن زيد واعتنق النصرانية<sup>٢</sup>.

وقد وردت في القرآن الكريم عدّة آيات في ذكر النصارى وشرح افكارهم ومعتقداتهم وبيان مواطن الضعف والخطأ في معتقداتهم وأعمالهم (وخاصة قولهم في الوهية المسيح)<sup>٣</sup>. وأهم دليل يشهد على وجود هذا الدين في زمن نزول القرآن في جزيرة العرب، هو مباهلة رسول الله ﷺ. وهي واقعة معروفة في تاريخ الإسلام. مع قساوسة وفد نجران<sup>٤</sup>.

وكما سبقت الإشارة فان الديانة النصرانية كانت قد فقدت اصالتها وبريقها على مر الزمن، وطالتها يد التحريف. ولذلك فهي لم تكن قادرة على سد الفراغ الفكري والاعتقادي للناس في ذلك العصر، وبقيت عاجزة عن تلبية ما تتوق إليه أنفسهم من السكينة والطمأنينة.

### الديانة اليهودية

١ - احمد امين، مصدر سابق، ص ١٨، ٢٥، ٢٦، ٢٨.

٢ - محمد ابو الفضل ابراهيم (وآخرون)، قصص العرب، ج ١، ص ٧٣؛ احمد امين، مصدر سابق، ص ٢٧.

٣ - سورة المائدة (٥): ١٨، ٧٢، ٧٣؛ سورة النساء (٤): ١٧١؛ سورة التوبة (٩): ٣٠، لكن القرآن الكريم وصف النصارى بأنهم الأقرب مودة للمسلمين، سورة المائدة (٥): ٨٢.

٤ - السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن (قم: مطبوعاتي اسماعيليان، الطبعة ٣، ١٣٩٣هـ)، ج ٣، ص ٢٢٨ و ٢٢٣، خلافاً لليهود الذين وصفهم بأنهم اشد الناس عداوة للذين آمنوا.

انتشرت اليهودية في جزيرة العرب قبل ظهور الإسلام لاسيما في يثرب التي عرفت لاحقاً باسم <المدينة> وكانت هناك مناطق يسكنها اليهود في تيماء<sup>١</sup> وفدك<sup>٢</sup> وخيبر<sup>٣</sup> حيث كانت تقطن هناك قبائل بني قريظة، وبني النضير، وبني قينقاع<sup>٤</sup>. وكانت تسكن المدينة غير هذه القبائل اليهودية الثلاثة، قبيلتا الأوس والخزرج اللتان نزحتا الى يثرب من اليمن في حوالي القرن الثالث للميلاد وقطنتا فيها بعد ان سبقهم اليهود الى استعمارها.

كانت هاتان القبيلتان تعبدان الأصنام، وبسبب مجاورتهم اليهود تمّود عدد منهم. وقالوا انه كان في الطائف قوم من اليهود طردوا من اليمن ويثرب، فأقاموا بها للتجارة<sup>٥</sup>. وقد اشتهر اليهود في جزيرة العرب حيث حلّوا بمهارتهم في الزراعة كما اشتروا في يثرب أيضاً بصناعاتهم المعدنية كالحدادة والصياغة وصنع الأسلحة<sup>٦</sup>. وكان هناك اتباع للديانة اليهودية بين قبائل حمير، وبني كنانة، وبني الحارث بن كعب، وكندة<sup>٧</sup>، وغسان، وجذام<sup>٨</sup>.

١ - ذكر ياقوت الحموي ان تيماء كانت بليداً بين الشام ووادي القرى (معجم البلدان، ج ٢، ص ٦٧)، ووادي القرى بين المدينة والشام من أعمال المدينة (المصدر السابق، ج ٥، ص ٣٤٥). وهذا يعني ان تيماء كانت بين المدينة والشام. وقد ذكر المقدسي - من العلماء المسلمين في القرن الرابع - <تيماء ووصفها بانها مدينة قديمة واسعة البقعة كثيرة النخيل هائلة البساتين، غزيرة الماء مع حفّة عجيبة وعين مليحة تخرج في شتاك حديد إلى بركة ثم يتفرّع في البساتين. وفيها آبار حلوة. وهي في سهلة الا ان اكثرها خرابات>. احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (دار احياء التراث العربي)، ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

٢ - فدك قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة (معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٣٨).

٣ - خيبر ناحية على بعد ٩٦ ميلاً (١٩٢ كيلو متراً) من المدينة لمن يريد الشام. وتشمل هذه الولاية على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير (معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٠٩، وذكر آخرون انها تبعد عن المدينة بأقل أو أكثر من هذه المسافة (ابو الفداء، تقويم البلدان، ص ١٢٣).

٤ - حسن ابراهيم حسن، مصادر سابق، ص ٦٤.

٥ - البلاذري، فتوح البلدان (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ)، ص ٦٧.

٦ - احمد امين، فجر الاسلام، ص ٢٤.

٧ - ابن قتيبة، المعارف، تحقيق: ثروة عكاشة (قم: منشورات الشريف الرضي، الطبعة ١، ١٤١٥هـ.ق)، ص ٦٢١؛ الأمير ابو سعيد



### اليهود في اليمن

نشر اليهود في البلاد التي نزلوها في جزيرة العرب تعاليم التوراة وما جاء فيها حتى تهود كثير من قبائل اليمن. ومن أشهر هؤلاء المتهويين ذو نواس . ملك اليمن . وقد اشتهر بتحمسه لليهودية واضطهاده لنصارى نجران، وإعلانه اليهودية ديناً رسمياً.

ويظن بعض المؤرخين أن حركة ذي نواس هذه كانت حركة وطنية، ذلك أن نصارى نجران كانوا على ولاء مع الحبشة، وكانت الحبشة تعد حامية النصرانية في نجران، وقد اتخذت النصرانية وسيلة للتدخل في شؤون اليمن، فأراد ذو نواس وقومه محو هذا النفوذ الحبشي؛ ولذلك لما قتل ذو نواس نصارى نجران استنجد بقيتهم بالحبشة فأبجدوهم، وكانت بينهم حروب، وكان عام الفيل مما لا محل لذكره هنا.

وهزم ذو نواس في عام ٥٢٥ م. وبقيت نجران إلى بعثة رسول الله ﷺ مركزاً مهماً للنصرانية<sup>٢</sup>.

### الصابئة

يرى البعض أن تاريخ ظهور هذه الجماعة يعود إلى عهد حكم طهمورث، ومؤسس هذه الديانة هو يوزاسف. وقد كتب أبو ريجان البيروني (٣٦٠ . ٤٤٠ هـ) بعد بيانه لتاريخ ظهور هذه الديانة، ما يلي:

ونحن لا نعلم منهم إلا أناس يوحّدون الله وينزهونه عن القبائح ويصفونه بالسلب لا الإيجاب، كقولهم لا يُحد ولا يُرى ولا يظلم ولا يجور، ويسمّونه بالأسماء الحسنى مجازاً إذ ليس عندهم صفة بالحقيقة. وينسبون التدبير إلى الفلك وأجرامه، ويقولون بحياتها ونطقها وسمعها وبصرها ويعظمون الأنوار. كانت لهم هياكل وأصنام باسماء الشمس معلومة الأشكال مثل هيكل بعلبك لصنم الشمس، وهياكل في حرّان منسوبة إلى القمر، وصنم الزهرة في قرية

---

بن نشوار الحميري، الخور العين، تحقيق: كمال مصطفى (طهران: ١٩٧٢ م)، ص ١٣٦. في كتاب المستطرف ج ٢، ص ٨٨، ورد اسم قبيلة حمير <غير> ويبدو أنه خطأ مطبعي.

١ - تاريخ يعقوبي، ج ١، ص ٢٥٧.

٢ - أحمد أمين، مصدر سابق، ص ٢٣، ٢٤، ٢٧؛ راجع: ابن هشام، سيرة النبي، ج ١، ص ٣٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٦٦.

اخرى<sup>١</sup>.

كان مركز الصابئة مدينة حرّ<sup>٢</sup>. وقد شاع هذا المذهب يوما ما في اقطار الارض كالروم واليونان وبابل وغيرها<sup>٣</sup>. وقد ذكرهم القرآن الكريم في ثلاثة مواضع<sup>٤</sup>. وقد آل هذا المذهب في عصرنا هذا الى الانقراض، ولم يبق من اتباعه الا عدد قليل يقطنون<sup>٥</sup> في خوزستان<sup>٦</sup> والعراق<sup>٧</sup>.

### ديانة ماني

كان منشأ الديانة الزرادشتية والمزدكية والمناوية هو ايران. وهنالك اختلاف في الآراء حول انتشار أو عدم انتشار هذه الديانات في جزيرة العرب قبل ظهور الإسلام. فقال مؤرخون بوجود هذه الأديان في جزيرة العرب يومذاك. بيد ان الوثائق التاريخية تؤيد ان الديانة المانوية فقط هي التي كان لها وجود من بين هذه الديانات هناك.

وقد كتب اليعقوبي حول هذا الموضوع ما يلي:

دخل قوم من العرب في دين اليهود، ودخل آخرون في النصرانية، وتزندق قوم منهم فقالوا

١ - الآثار الباقية، ابو الريحان محمد بن احمد البيروني الخوارزمي، (مطبعة المثنى ببغداد)، ص ٢٠٥.

٢ - حران مدينة عظيمة مشهورة كانت بين دجلة والفرات على طريق الموصل والشام والروم (في الحدود التقريبية للعراق الحالي). كانت في بداية ظهور الاسلام مدينة عامرة وقد ظهر منها علماء كبار (معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٣٥ - ٢٣٦؛ تقويم البلدان، ص ٣٠٣، ٣٠٧، ٣٠٩؛ محمد معين، فرهنك فارسي، (طهران: دار نشر امير الكبير) ج ٥، ص ٤٥٧).

٣ - الطبائفي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٠، ص ٢٧٩.

٤ - سورة البقرة (٢)، ٦٢؛ سورة المائدة (٥)، ٦٩؛ سورة الحج (٢٢)، ١٧.

٥ - للاطلاع على مزيد من المعلومات حول الجذر الذي اشتقت منه كلمة الصابئي، وهل هي كلمة عربية أم عبرية، وما معناها؟ وحقيقة معتقدات الصابئة، وهل هم اتباع أحد من الانبياء، راجع: الآلوسي، بلوغ الإرب، ج ٢، ص ٢٢٣ - ٢٢٨؛ يحيى نوري، اسلام وعقايد وآراء بشرى (طهران: مؤسسة مطبوعاتي فراهاني، الطبعة ٢، ١٣٤٦ هـ. ش)، ص ٤٣١ - ٤٣٢؛ الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلائي (بيروت: دار المعرفة)، ج ١، ص ٢٣٠، ج ٢، ص ٥.

٦ - الى جانب نحر الكارون، الاهواز، خرمشهر، آبادان، شادكان ودشت ميشان.

٧ - في اطراف دجلة والفرات في بغداد، والحلة، والناصرية، والعمارة، والكوت، وديالى، وكركوك، والموصل، والرمادي، والسليمانية وكربلاء.

## الأديان والمذاهب في شبه جزيرة العرب وما حولها ..... ٦٧

بالثنوية<sup>١</sup>.

ورغم ان كلمة الزنديق تعني الملحد والمنكر لوجود الله، ولكن اصحاب النظر يرون ان الزندقة دين خاص من اديان الفرس، وتطلق على اتباع مذهب خاص من الثنوية ثم استعملت في الاتحاد على العموم وصارت تشمل الكافر والدهري. وعلى هذا الأساس فان المصادر القديمة كانت إذا أطلقت كلمة الزندقة ارادت منها الديانة الثنوية<sup>٢</sup>. ونعلم ان الثنوية مزيج من المسيحية والمجوسية<sup>٣</sup>.

كتب جماعة من المؤرخين ان الزندقة في قريش اخذوها من الحيرة<sup>٤</sup>. وأخذ هذه الديانة من

---

١ - تاريخ يعقوبي، ج ١، ص ٢٢٦.

٢ - احمد امين، فجر الاسلام، ص ١٠٨؛ داود الهامي، ايران واسلام (قم: كانون نشر حديث)، ص ٣٩٢. وبين البيروني بعدما اشار إلى ان المزدكيين سُمُّوا زنادقة بسبب اتباعهم الزند؛ (وهو تفسير الاوستا)، ما يلي: يُطلقون على المانوية تسمية الزنادقة مجازاً، ويطلقون هذه التسمية على فرقة باطنية في الاسلام أيضاً؛ لأنَّ هاتين الطائفتين تشبهان المزدكية في ما تذهب اليه من وصف الله ببعض الصفات، وكذلك في تأويل الظواهر. (الآثار الباقية، ص ٢٢٤). وكتب عبد الحسين زرّين كوب في هذا المجال ما يلي: كلمة زنديق مشتقة من زنديك البهلوية. وأضحى هذا المعنى أمراً مسلماً به اليوم. واما في العهد الاسلامي فقد كانت هذه الكلمة تطلق على المانوية، وفضلاً عن ذلك كانت تُطلق على كل من يُتهم بنوع الإلحاد والشك واللا دينية. (نه شرقى، نه غربي، إنساني، ص ١١٠).

٣ - الشهرستاني، مصدر سابق، يقول أحد المستشرقين: ان كانت تعاليم ماني مزيج من الديانة النصرانية والزرادشتية، وتعد زرادشتية منصرة اقرب من ان تعد نصرانية مُزردشتية. أحمد امين، فجر الاسلام، ص ١٠٤، ولغرض الاطلاع على مزيد من المعلومات حول ماني وديانته، راجع: عبد الحسين زرّين كوب؛ نه شرقى نه غربي، انساني، ص ٧٢ - ٧٦.

٤ - ابن قتيبة، المعارف (قم: منشورات الشريف الرضي، الطبعة ١، ١٤١٥هـ) ص ٦٢١؛ الإبيشي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج ٢، ص ٨٨؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص ٢٦٤؛ احمد امين، فجر الاسلام، ص ١٠٨. وذكر محمد بن حبيب البغدادي بأنه كان في عداد هذه الجماعة من قريش صخر بن حرب (= ابو سفيان)، وعقبة بن أبي معيط، وأبي بن خلف، وابو عزة (عمر بن عبد الله الجمحي)، والنضر بن الحارث، ونيه ومنبه (ابنا الحاج بن عامر السهمي)، والعاص بن وائل السهمي، والوليد بن المغيرة المخزومي. (المنق في اخبار قريش، ص ٢٨٨ - ٢٨٩؛ المحيّر، ص ١٦١). ولكن ليس هناك ما يثبت صحة هذا الرأي لا في اقوالهم ولا في مواقفهم في مقابل الاسلام، بل ان الشواهد والقرائن تؤيد عبادتهم للأصنام. وقد كتب عبد الحسين زرّين كوب في بحث الزنديق والزنادقة ما يلي: >كان لفظ الزندقة يطلق - كما نُقل عن ثعلب - على الدهرية أيضاً. والدهرية هم من ينكرون ارجاع الحوادث واحوال العالم إلى صانع مطلق. وأما زنادقة قريش الذين ذكر فيهم اسم أبي سفيان، وعقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث، والعاص بن وائل، والوليد بن المغيرة، فقد كانوا يحملون مثل هذه المعتقدات. ويُستفاد من الاخبار والاشعار التي قيلت في كبار ومشايخ قريش القدماء بأن ما نسب اليهم من الزندقة هو عبارة عن عدم الاعتقاد بالخالق وعدم الايمان بالخشع والحياة الآخرة...>

الحيرة يدل على ان المراد منها هي الثنوية؛ وذلك لأن الحيرة كانت الى جوار بلاد فارس وتحت سلطتها، وكانت الديانات في فارس ثنوية وقد انتشرت هناك؛ أي في الحيرة وما جاورها.

### عبادة الكواكب

في العصر الجاهلي كان جماعة من أهالي جزيرة العرب . كما هو الحال بالنسبة الى المناطق الاخرى . يعبدون الاجرام السماوية كالشمس والقمر وبعض الكواكب الاخرى، وكانوا يتوهمون ان لها قوة خارقة، فكانت خزاعة وحير تعبدان الشعري وهو كوكب ثابت ومضيء. وممن كان يعبد الشعري أيضا ابو كبشة أحد أجداد النبي ﷺ من جهة أمه<sup>١</sup>. وبعض طيء عبدوا الثريا<sup>٢</sup>. وكانت عبادة الأفلاك والكواكب شائعة الى حد كبير بحيث ظهر انعكاسها في آداب العرب واساطيرهم وخرافاتهم<sup>٣</sup>. وعامة الوثنيين كانوا يعظمون الشمس والقمر وان لم يعبدهما غير الصابئين<sup>٤</sup>.

وقد ذمَّ القرآن الكريم عبادة الاجرام السماوية ونهى عنها، مؤكداً ان هذه الاجرام والكواكب من صنع الله خالق الكون، وهي مسخرة لأمره وارادته وخاضعة بين يديه. وانطلاقاً من ذلك ينبغي ان تكون دليلاً للانسان الى ربه (وليس إلهاً له)؛ وذلك لأنها تمثل دلالات على علم الله وقدرته، فقال تعالى في وصفها:

{وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}°.

{وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي

(نه شرقي، نه غربي، انساني، ص ١٠٧).

١ - الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٩، ص ٤٩.

٢ - الألوسي، بلوغ الإرب، ج ٢، ص ٢٤٠.

٣ - راجع: المصدر السابق، ص ٢١٥، ٢٢٠، ٢٣٠، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٠؛ اسلام وعقائد وآراء بشري، ص ٢٩٥ - ٢٩٧.

٤ - الطباطبائي، مصدر سابق، ج ١٧، ص ٣٩٣.

٥ - سورة النحل (١٦)، الآية ١٢.

الأديان والمذاهب في شبه جزيرة العرب وما حولها ..... ٦٩

خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ<sup>١</sup>.

{ألم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى... وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَى<sup>٢</sup>.

وتدل هذه الآيات على ان عبادة هذه الاجرام والكواكب كانت شائعة في عصر بعثة الرسول محمد ﷺ.

### عبادة الجن والملائكة

وفضلاً عن أتباع الديانات التي ذكرناها، كان قسم من أهالي جزيرة العرب يعبدون الجن والملائكة، فكان عبد الله بن الزبير أحد زعماء مكة يقول: سَلُوا محمداً: أَكُلُّ ما يُعْبَد من دون الله في جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عزيزاً، والنصارى تعبد عيسى ابن مريم؟!<sup>٣</sup>.

وكانت بنو ملبح . من خزاعة . يعبدون الجن<sup>٤</sup>. وقيل ان اول من عبد الجن جماعة من أهالي اليمن، ومن بعدهم قبيلة بني حنيفة، ثم انتشر ذلك تدريجياً بين العرب<sup>٥</sup>. وقال بعض المفسرين بأن هناك من كانوا يقولون بأن الله قد صاهر الجن فحدث بينهما الملائكة<sup>٦</sup>. وقد ذمَّ الباري تعالى في كتابه الكريم عبادة الجن والملائكة وكل التصوّات والمعتقدات المغلوطة بشأنها، وذلك في قوله تعالى:

{وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ وَخَلَقَهُمْ<sup>٧</sup>.

{وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ \* قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ

١ - سورة فصلت (٤١)، الآية ٣٧.

٢ - سورة النجم (٥٣)، الآية ٤٩.

٣ - ابن هشام، سيرة النبي (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٥هـ)، ج ١، ص ٣٨٥.

٤ - الأضنام، هشام بن محمد الكلبي، ص ٤٢.

٥ - الطباطبائي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٢.

٦ - الطبرسي، مجمع البيان، (شركة المعارف الإسلامية، ١٣٧٩هـ)، ج ٨، ص ٤٦.

٧ - سورة الانعام (٦)، الآية ١٠٠.

وَلَيْتُنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ<sup>١</sup>.

ومن الواضح ان هذا السؤال لا يحمل طابعا استفهاميا ولا يرمي الى كشف مجهول، فالله تعالى عالم بكل شيء.

وانما الغاية من هذا السؤال هي بيان الحقائق على لسان الملائكة لكي يكون في ذلك خزي وعار على من يعبدونها.

ويتضح من جواب الملائكة انها لا ترضى ان تُعبد من قبل جماعة من الناس، لكن الجن كانوا يرضون ذلك.

وعلى اية حال فان عبادة هذين النوعين من الكائنات التي لا تُرى بالعين غير بعيد الشبه عن المذاهب الثنوية؛ وذلك لأن المذاهب الثنوية تعتبر الجن مصدر الشر والظلام، والملائكة مصدر النور والرحمة والبركة. كان بعض العرب اذا أمسى الرجل منهم بقفر قال: «اعوذ بسيّد هذا الوادي من شر سفهاء قومه»<sup>٢</sup>، اعتقاداً منهم بأنهم اذا قالوا هذا الكلام فسيحميهم كبير الجن من شر سفهاء الجن. ويؤيد هذا المعنى ما ورد في القرآن الكريم:

{أَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا<sup>٣</sup>}.}

### نشوء مدينة مكّة

يعود تاريخ مدينة مكّة الى عهد النبي ابراهيم الذي جاء بزوجه هاجر وطفله الرضيع اسماعيل من ارض الشام وأسكنهما في واد غير ذي زرع<sup>٤</sup>، وبعد ظهور ماء زمزم بارادة الله لأجلهما<sup>٥</sup> نزلت هناك قبيلة جرهم<sup>١</sup>، وهي من قبائل الجنوب، وقد نزحت بسبب الجفاف

١ - سورة سبأ (٣٤)، الآيات ٤٠ - ٤١.

٢ - الألوسي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٣٢.

٣ - سورة الجن (٧٢)، الآية ٦.

٤ - سورة ابراهيم (١٤)، الآية ٣٧.

٥ - ابن هشام، سيرة النبي، (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٥هـ)، ج ١، ص ٥٥ و ١١٦؛ الازرق، تاريخ مكّة، تحقيق: رشدي الصالح ملحق (قم: منشورات الشريف الرضي، ١٣٦٠ هـ. ش)، ج ١، ص ٥٥؛ تاريخ اليعقوبي، (النحف: المكتبة

الأديان والمذاهب في شبه جزيرة العرب وما حولها ..... ٧١

وتوجهت الى الشمال. وبعدما بلغ اسماعيل وصار رجلاً تزوج امرأة من جرهم<sup>٢</sup>. وقد أمر ابراهيم من قبل الله تعالى أن يبني الكعبة بمساعدة ابنه اسماعيل<sup>٣</sup>. وبعد بناء الكعبة تكوّن اساس مدينة مكّة وتكاثرت ذرية اسماعيل في مكّة بمرور الزمان.

### بقايا ديانة ابراهيم (الحنيفية)

كان عدنان الجد الأعلى للعرب العدنانيين (عرب مكّة) والجد العشرين للنبي محمد ﷺ من ذرية اسماعيل<sup>٤</sup>. وكان العدنانيون الذين سكنوا الحجاز ونجد وقحمة، وهم من ذرية اسماعيل، يتبعون شريعة ابراهيم، وقد قال يعقوبي عنهم ما يلي:

كانت قريش وعامة ولد (معد) بن عدنان على بعض دين ابراهيم يحجّون البيت وقيمون المناسك ويقرون الضيف ويعظمون الاشهر الحرم وينكرون الفواحش والتقاطع والنظالم ويعاقبون على الجرائم<sup>٥</sup>.

وكان بقايا تعاليم وسنن ابراهيم رائجة بينهم الى حين ظهور الإسلام، كالاعتقاد بالله وتحريم الاثمات والبنات. وكان في ايديهم الحج والتلبية والغسل من الجنابة والختان وتكفين ودفن الموتى<sup>٦</sup>. وكانوا يداومون على الكلمات العشر المتعلقة بنظافة البدن وازالة الشعر الزائد وما شابه ذلك<sup>٧</sup>. وكانوا يحرمون الأشهر الحرم. وكان ذلك مما تمسكوا به من ملة ابراهيم

---

الحيدرية، ١٣٨٤ هـ)، ج ١، ص ١٨؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص ٥١.

١ - الأزرق، مصدر سابق، ص ٥٧؛ المسعودي، مروج الذهب (بيروت: دار الاندلس، الطبعة ١، ١٩٦٥ م)، ج ٢، ص ٢٠.

٢ - تاريخ يعقوبي، ج ١، ص ١٩ و ٩٣؛ الأزرق، مصدر سابق، ص ٥٧.

٣ - سورة البقرة (٢)، الآية ١٢٧.

٤ - بناء على تفسير، فإن عبارة <ملّٰه ابيكم ابراهيم> في الآية ٧٨ من سورة الحج تشير إلى هذا المعنى. (الطبرسي، مجمع البيان، ج ٧، ص ٩٧).

٥ - تاريخ يعقوبي، ج ١، ص ٢٢٤.

٦ - المجلسي، بحار الأنوار (طهران: دار الكتب الإسلامية)، ج ١٥، ص ١٧٠؛ ابن هشام الكلبي، الأصنام، ص ٦.

٧ - الشيخ الحر العاملي، وسائل الشيعة (بيروت: دار احياء التراث العربي، الطبعة ٤) ج ١، كتاب الطهارة، ابواب الجنابة، الحديث

١٤، ص ٤٦٥؛ الطبرسي، الاحتجاج (النحف: المطبعة المرتضوية، ١٣٥٠ هـ)، ص ١٨٩.

٨ - الشهرستاني، الملل والنحل (قم: منشورات الشريف الرضي)، ج ٢، ص ٢٥٧.

واسماعيل عليهما السلام<sup>١</sup>.

وأنما سموا الحرب التي كانت تقع في الأشهر الحرم بحرب الفجّار ويقولون قد فجرنا<sup>٢</sup>. ويُفهم من كل هذا ان شرعة التوحيد كانت ذات قدم عريق بين العرب هناك. وأما عبادة الأصنام فقد تغلّغت في تلك الربوع لاحقا وصارت سببا لانحرافهم عن شريعة التوحيد.

### ظهور عبادة الأصنام بين العرب

يُستدل من الوثائق والشواهد ان هناك سببين لظهور عبادة الأصنام بين العرب، وهما:  
أ. ان شخصا يدعى عمرو بن لُحي . وهو ابو خزاعة . وكان له في عصره نفوذ في مكة وكانت له حجابة البيت<sup>٣</sup>، كان قد سافر الى الشام وشاهد هناك جماعة من العمالقة<sup>٤</sup> يعبدون الأصنام، فسألهم: ما هذه؟ فقالوا: نستسقي بها المطر، ونستنصر بها على العدو، فسألهم ان يعطوه منها، فأعطوه <هبل> فقدم بها مكة، ونصبها حول الكعبة ودعا الناس الى عبادتها<sup>٥</sup>.

١ - الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات)، ج ٩، ص ٢٧٢.

٢ - الشهرستاني، مصدر سابق، ص ٢٥٥؛ تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٢.

٣ - الأزرق، مصدر سابق، ج ١، ص ٨٨، ١٠٠، ١٠١؛ محمود الألوسي، بلوغ الإرب في معرفة احوال العرب (القاهرة: دار الكتب الحديثة، الطبعة ٣)، ج ٢، ص ٢٠٠؛ علي بن برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية (بيروت: دار المعرفة)، ج ١، ص ١٦.

٤ - جماعة من ولد نوح سمّوا بهذا الاسم نسبة إلى جدّهم عملاق او عمليق (ابن هشام، سيرة النبي، ج ١، ص ٨ و ٧٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢، ص ١٨٨؛ علي بن برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية، ج ١، ص ١٧).

٥ - الألوسي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٠١؛ الشهرستاني، مصدر سابق، ص ٢٤٣؛ علي بن برهان الدين الحلبي، مصدر سابق، ص ١٧؛ تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٢٤؛ شهاب الدين الإبيشي، المستطرف (بيروت: دار احياء التراث العربي)، ج ٢، ص ٨٨؛ المسعودي، مروج الذهب (بيروت دار الاندلس، الطبعة ١)، ج ٢، ص ٢٩؛ هشام الكلبي، الاصنام، ص ٦؛ محمد بن حبيب، المنمق في اخبار قریش، تحقيق: خورشيد احمد فارق (بيروت: عالم الكتب، الطبعة ١، ١٤٠٥ هـ)، ص ٣٢٨ ورد في بعض المصادر انه جلب هبل من العراق (الأزرق، اخبار مكة، ج ١، ص ١١٧؛ ابن هشام، سيرة النبي، ج ١، ص ٧٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢، ص ١٨٨) ولكن جاء في رواية ان حجر صنم هبل أخذ من احجار المأزمين وهو مسلك ضيق بين عرفة والمشعر (محمد بن حسن الحر العاملي، وسائل الشيعة، بيروت: دار احياء التراث الاسلامي، ج ١٠، كتاب الحج، باب استحباب التكبير بين المأزمين، ص ٣٦، الحديث ١).



الأديان والمذاهب في شبه جزيرة العرب وما حولها ..... ٧٣

وبالإضافة الى ذلك فقد نصب صنمي <اساف><sup>١</sup> و<نائلة> الى جانب الكعبة ودعا الناس الى عبادتهما<sup>٢</sup>. وهكذا فقد وضع اللبنة الاولى لعبادة الأصنام. ومما نقل عن رسول الله ﷺ انه قال:

«رأيت عمرو بن لحي في النار وهو اول من غير دين اسماعيل ونصب الاوثان»<sup>٣</sup>.  
ب. ان اسماعيل بن ابراهيم صلى الله تعالى عليهما وسلم لما سكن مكة وولد له بها اولاد كثير حتى ملأوا مكة ونفوا من كان فيها من العماليق فضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات واخرج بعضهم بعضا فتفستحو في البلاد والتماس المعاش. وكان الذي سلخ بهم الى عبادة الاوثان والحجارة انه كان لا يظعن من مكة ظاعن الا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيماً للحرم، فحيثما حلّوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة صباية بها وحباً، ثم سلخ ذلك بهم الى ان عبدوا ما استحَبّوا ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره؛ فعبدوا الاوثان<sup>٤</sup>.

وكان هاذان العاملان منطلقاً لانتشار عبادة الأصنام في هذه المنطقة، وكان هناك الى جانبهما عوامل اخرى طبعاً مثل الجهل، والنزعة الحسية البشرية (وهي ميل الانسان الى ان يكون الهه محسوسا ولموساً)<sup>٥</sup>.

---

١ - بفتح الهمزة أو بكسرها. (ابن هشام، سيرة النبي، ج ١، ص ٨٤).

٢ - الازرقى، مصدر سابق، ج ١، ص ٨٨؛ الشهرستاني، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٤٣ و ٣٤٧.

٣ - ابن هشام، مصدر سابق، ص ٧٩؛ علي بن برهان الدين، مصدر سابق، ص ١٧؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، (في حاشية الإصابة) ج ١، ص ١٢٠، سيرة أكتف بن جون الخزاعي؛ ابن الاثير، اسد الغابة (طهران: المكتبة الإسلامية)، ج ٤، ص ٣٩٠؛ الشيخ محمد تقي التستري، الأوائل، الطبعة ١، ص ٢١٧؛ ابو الفدا اسماعيل بن كثير، السيرة النبوية (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٤هـ). ج ١، ص ٦٥؛ الازرقى، مصدر سابق، ص ١١٦.

٤ - الألوسي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٠٠؛ المستطرف، ج ٢، ص ٨٨؛ ابو الفداء اسماعيل بن كثير، السيرة النبوية، ج ١، ص ٦٢؛ البداية والنهاية (بيروت: مكتبة المعارف)، ج ٢، ص ١٨٨؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج ١، ص ٧٩؛ الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٠، ص ٢٨٦.

٥ - الطباطبائي، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٧٢.

وقد كانت الاختلافات القبلية والتنافس في ما بين القبائل (حيث كانت كل قبيلة تطمح الى ان يكون لها صنم مستقل)، وما كان يتصف به رؤساء القبائل من ميل الى الرئاسة (حيث يرغبون في ان يبقى الناس في حالة من الجهل لكي ينقادوا لهم بسهولة)، يُضاف الى ذلك التقليد الأعمى للسلاف وهو ما ساعد على انتشار هذه الظاهرة (أي ظاهرة عبادة الأصنام). وهكذا ظهرت على مر الزمن انماط شتى من عبادة الأصنام وما يتفرع عنها من تقاليد الدعاء، والنذر، والازلام، وطلب العون منها<sup>١</sup>. وكثرت الأصنام حتى كان لأهل دار من مكّة صنم يعبدونه؛ فاذا اراد احدهم السفر كان آخر ما يصنع في منزله انه يتمسّح به<sup>٢</sup>. ولما فتح رسول الله ﷺ مكّة وجد حول البيت ثلاثمائة وستين صنما<sup>٣</sup>.

### هل كان عبدة الاصنام يؤمنون بالله؟

لم يكن عبدة الاصنام ينكرون وجود الله، اذ نقل القرآن عنهم انهم كانوا يعتقدون بان الله هو خالق السماوات والارض والعالم<sup>٤</sup>. ولكنهم وقعوا في خطئين عظيمين كانا هما سبب ضلالهم:

١. خطأهم في معرفة الله وصفاته؛ اذ كانوا يحملون صورة مغلوطة وغامضة عنه؛ والدليل على ذلك هو انهم كانوا يعتقدون بأن لله زوجة وابناء؛ وكانوا يظنون ان الملائكة بنات الله؛ أي انهم كانوا يتصورون ان لله . كما للانسان ولبقية المخلوقات . جسما ومادة وله اولاد وبنين. وقد ذم الباري تعالى هذه المعتقدات المغلوطة في آيات عديدة، منها قوله تعالى:

١ - سورة الانعام (٦)، الآيات ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩؛ سورة المائدة (٥)، الآيات ٣، ٩٠، ١٠٣؛ هشام الكلبي، الأصنام، ص ٢٨.

٢ - الكلبي، مصدر سابق، ص ٣٢.

٣ - الشيخ الطوسي، الأمالي (قم: دار الثقافة، الطبعة ١، ١٤١٤هـ)، ص ٣٣٦؛ الألوسي، بلوغ الإرب، ج ٢، ص ٢١١؛ الأزرق، مصدر سابق، ج ١، ص ١٢١؛ السيرة الحلبية، ج ٣، ص ٣٠؛ راجع: الميزان في تفسير القرآن، ج ٢٦، ص ٢٧١ على أساس رواية منقولة عن الامام الرضا (عليه السلام).

٤ - سورة لقمان (٣١)، الآية ٢٥؛ سورة الزمر (٣٩)، الآية ٣٨؛ سورة الزخرف (٤٣)، الآية ٩؛ سورة الزخرف (٤٣)، الآية ٨٧؛ سورة يونس (١٠)، الآية ٣١.

الأديان والمذاهب في شبه جزيرة العرب وما حولها ..... ٧٥

{وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ}¹.

{إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُؤْنَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى}².

{قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ}³.

{وَحَرِّقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ} \* بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}⁴.  
{وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا}⁵.

وقد ذم الله تعالى المشركين في عددٍ من آيات لما نسبوه الى الله تعالى من الاناث التي كانوا يتصورون بأنها أمراً سلبياً ودونياً، فيما يعتبرون الذكور من نصيبهم هم:  
{أُمُّ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبُنُونَ}⁶.

{فَاسْتَفْتِهِمُ الرُّبُّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبُنُونَ} \* أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ}⁷.  
{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى \* وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى \* أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى \* تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ  
ضِيزَى \* إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ}⁸.  
{أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ}⁹.

١ - سورة الزخرف (٤٣)، الآية ١٩.

٢ - سورة النجم (٥٣)، الآية ٢٧.

٣ - سورة الانبياء (٢١)، الآية ٢٦.

٤ - سورة الانعام (٦)، الآيات ١٠٠ - ١٠١.

٥ - سورة الجن (٧٧)، الآية ٣.

٦ - سورة الطور (٥٢)، الآية ٣٩.

٧ - سورة الطور (٥٢)، الآية ٣٩.

٨ - سورة الصافات (٣٧)، الآيات ١٤٩ - ١٥٠.

٩ - سورة النجم (٥٣)، الآيات ١٩ و ٢٣. اللات والعزى ومناة كانت اسماء لثلاثة أصنام، ويبدو انهم كانوا يعتبرونها رمزا لثلاث ملائكة اناث؛ لان هذه الاسماء الثلاثة كلها مؤنثة.

{وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ} \* سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ<sup>١</sup>.

ويُستفاد من أحد التفاسير بأن المراد من نسبة الجن الى الله هو قول الكفار بأن الله قد تزوج الجن، والملائكة بنات الله من الجن<sup>٢</sup>.

٢. وصفهم الاصنام بالآلهة الصغيرة وانها عبارة عن واسطة بينهم وبين الله، وان عبادتها تقرهم الى الله وتكون مدعاة لنيل رضاه، بينما العبادة لله وحده وليس لأحد سواه. وعلى صعيد آخر لم يكونوا يعتبرون الأصنام هي الخالقة لهذا الكون ولكنهم كانوا في الوقت ذاته يرون لها نوعاً من مقام الربوبية والهيمنة، ويعتقدون بأن لها تأثيرها في تدبير شؤون الكون وتقرير مصير البشر، ولذلك فقد كانوا يلتجئون اليها طلباً لِعونها في حل مشاكلهم ورفع العناء عنهم. بينما يقول الإسلام بأنَّ خالق عالم الوجود هو الله، ومثلما هو خالق الكون فان تدبير شؤون الكون بيده أيضاً<sup>٣</sup>. (وهذا ما يُسمى بتوحيده في الافعال) بينما الأصنام اشياء جامدة لا روح فيها ولا ارادة لها ولا ادراك. وقد صور القرآن أوهامهم في هذا المجال وذمها ودحضها على النحو التالي: {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْتَبُونَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ<sup>٤</sup>.

{إِلَّا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى

١ - سورة الزخرف (٤٣)، الآية ١٦.

٢ - سورة الصافات (٣٧)، الآيتان ١٥٨ - ١٥٩.

٣ - السيوطي، الدر المنثور، ج٧، ص١٣٣؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٢٣؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج٨، ص٢٦٠.

٤ - قُلْ أَتَدْعُونَ إِلَهًا عَلَيْهِ لَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ دِينَ الْكُفْرُ إِنَّكُمْ تَكْفُرُونَ " لِكُلِّ مَلِكٍ مَّا يَكُنُ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدَّلِّ وَكَذَّبُوا تَكْذِيبًا. (الاسراء (١٧)، الآية ١١١)، قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنَعِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. سورة آل عمران، الآية ٢٦.

الأديان والمذاهب في شبه جزيرة العرب وما حولها ..... ٧٧

إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ<sup>١</sup>.

{وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا<sup>٢</sup>.

{وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ<sup>٣</sup>.

ولهذا السبب فقد اطلق القرآن الكريم تسمية المشركين على عبدة الاوثان الذين جعلوا الأصنام شركاء لله في العبادة، وفي تدبير امور الكون.

### الوضع الديني المضطرب

وعلى أية حال فعند ظهور الإسلام كانت عبادة الاصنام بما فيها من تقاليد وشعائر واسعة، قد مسخت الحنيفية، وكان المشركون يعيشون وضعاً دينياً مضطرباً، فقد كانوا من جهة متمسكين بالأصنام وعبادة الأصنام وشعائرها وتقاليدها، وكانوا يؤدّون بقايا دين ابراهيم كالحج والعمرة والذبح على نحو ناقص ومُحَرَّج<sup>٤</sup> وتشوبه الخرافات ومظاهر الشرك. فهم مثلاً كانوا يعظمون الكعبة ولكنهم في الوقت ذاته بنوا معابد اخرى واخذوا يطوفون حولها مثل طوافهم حول الكعبة، وكانوا يقدمون لها النذور والهدايا ويذبحون الى جانبها القربان<sup>٥</sup>. وما كانت صلواتهم بجوار الكعبة سوى الصفير والتصفيق<sup>٦</sup>. وكانت قریش تذكر اسماء آلهتها من الأصنام عند احرام الحج والتلبية<sup>٧</sup>. وهكذا فقد مزجوا بالشرك الحج الإبراهيمي الذي يتضمن أسمى مظاهر التوحيد.

ولم يكن أحد اشد اعظماً لصنم مناة من الأوس والخزرج، فانهم كانوا يحجّون فيقفون مع

١ - سورة الزمر (٣٩)، الآية ٣.

٢ - سورة مريم (١٩)، الآية ٨١.

٣ - سورة يس (٣٦)، الآية ٧٤.

٤ - ابو الفداء اسماعيل بن كثير، السيرة النبوية (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٤ هـ)، ج ١، ص ٧؛ ابن هشام، سيرة النبي، (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٥ هـ)، ج ١، ص ٨٥.

٥ - ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءٌ وَتَضَلُّعٌ﴾ سورة الانفال (٨)، الآية ٣٥.

٦ - لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك لبيك الا شريك هو لك تملكه و ما ملك. (ابن هشام، مصدر سابق، ص ٨٠)؛ ابن كثير، مصدر سابق، ص ٦٣؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ج ٢، ص ٢٤٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢، ص ٨٨.

الناس الموافق كلها ولا يخلقون رؤوسهم؛ فاذا نفروا أتوه فحلّقوا رؤوسهم عنده<sup>١</sup>، واقاموا عنده<sup>٢</sup>.

وكان المشركون يطوفون (رجالاً ونساءً) حول الكعبة عراة أحياناً<sup>٣</sup>. ومن الطبيعي ان مثل هذا المشهد يثير الاشتمزاز في النفوس.

كانت قريش تلطّخ الأصنام التي حول الكعبة بالمسك والعنبر، وكانوا اذا دخلوا حرّوا سجّداً ولا ينحنون ثم يستديرون بحياهم ثم يُلبّون<sup>٤</sup>. وقد كانوا يعظّمون الأشهر الحرم ولكنهم رغم ذلك كانوا يُنسّفون؛ أي يبدلون الاشهر الحرم ظاهرياً لكي يبيحوا لأنفسهم الحرب والقتال فيها<sup>٥</sup>.

### التحول الأساسي في ظل ظهور الإسلام

ومع ظهور الإسلام وانتشاره حصل تغيير جذري وعميق في جميع شؤون حياة أهالي الحجاز، وشهدت حياتهم ثورة شاملة امتد تأثيرها تدريجياً الى جميع ارجاء جزيرة العرب. وأدت الحرب التي شنها رسول الله ﷺ بلا هوادة ضد عبادة الأصنام، الى اجتثاث هذه الظاهرة التي كانت سبباً في كل المآسي والمصائب التي عاشها الناس آنذاك. ففضى بذلك على عبادة الأصنام واستبدالها بنظام التوحيد. وقضى أيضاً على النظام القبلي والقومي وعلى

١ - هشام بن محمد الكلبي، الأصنام، ص ١٣؛ ابن هشام، سيرة النبي، ج ١، ص ٨٨؛ الآلوسي، بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب، ج ٢، ص ٢٠٢.

٢ - هشام الكلبي، مصدر سابق، ص ١٤.

٣ - الازرق، أخبار مكة، ج ١، ص ١٧٨ و ١٨٢؛ الآلوسي، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٤٤؛ صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٨، كتاب التفسير، ص ١٦٢.

٤ - الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٤، ص ٤١٤.

٥ - ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِينَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُجْلُونَ عَامًا وَيُجْرِمُونَ عَامًا لَّيْمَ طُؤُا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُجْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَلِلَّهِ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ سورة التوبة (٩)، الآية ٣٧؛ الازرق، أخبار مكة، ج ١، ص ١٨٣؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج ١، ص ٤٥.

الأديان والمذاهب في شبه جزيرة العرب وما حولها ..... ٧٩

العادات والتقاليد المغلوطة. فكافح التعصب القومي وأحلَّ محلَّه اتباع الحق والعدل. وحوَّظ ظاهرة الانتقام والنهب والحروب القبلية التي كانت تُشن بين الإخوة الى سلام ومحبة، وجعل المسلمين إخوة في ما بينهم. وأنقذ المرأة من الاغلال والمآسي وجعل لها شخصية اجتماعية وانسانية رفيعة. وحول المجتمع الجاهلي الى أمة واعية.

لقد حوَّظ رسول الله ﷺ النظام القبلي الى نظام الأمة والامامة، ووحد القبائل العربية المشتتة تحت لواء الامة الواحدة. وانتشلهم من قيود الحياة القبلية الضيقة الى فكرة الحكومة العالمية. وفي ظل الإسلام اكتسب العرب . الذين كانوا حتى الأمس القريب يشعرون بالضعف امام امبراطوريتي الفرس والروم . قوَّة وعظمة زعزعت اركان الحكم في هاتين الامبراطوريتين. وهذه الحقيقة على درجة عالية من الوضوح بحيث اعترف بها حتى غير المسلمين من العلماء المنصفين. نسوق في ما يلي على سبيل المثال آراء ثلاثة منهم (من لا يحتمل منهم التأييد المتعصب للإسلام):

قال الفرنسي غوستاف لوبون:

وجمع محمد قبل وفاته كلمة العرب، وخلق منهم امة واحدة خاضعة لدين واحد مطيعة لزعيم واحد. فكان ذلك آيته الكبرى. ومما لا ريب فيه ان محمدا أصاب في بلاد العرب نتائج لم تُصَب مثلها جميع الديانات التي ظهرت قبل الاسلام ومنها اليهودية والنصرانية. ولذلك كان فضل محمد على العرب عظيماً... وإذا ما قيسست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد من أعظم من عرفهم التاريخ. ونحن نعد دينه الذي دعا الناس إلى الاعتقاد به من جزيل النعم على الشعوب التي اعتنقته<sup>١</sup>.

وقال الانجليزي توماس كارليل:

لقد هدى الله العرب بالاسلام واخرجهم من الظلمات إلى النور، واحيى به اولئك القوم الذين كانوا يعيشون حالة من الخمود في تلك الارض الميتة. بينما كان العرب منذ بدء الخليقة ليس اكثر من جماعة تحب الصحارى ولا يُكاد يُعرف لهم اسم، بل كانوا قوماً فقراء يعيشون

١ - غوستاف لوبون، حضارة العرب (تعريب عادل زعيتر، الطبعة ٤، مطبعة عيسى البابي الحلبي)، ص ١١٥ - ١١٦.

في مجاهيل البادية، لا يُسمع لهم صوت ولا تُحس لهم حركة. وعندما بعث الله فيهم نبياً بنور الوحي والرسالة لهدايتهم، تحولت الجاهلية والخمول إلى شهرة، والخيرة والضياع إلى وعي، والانحطاط إلى رفعة، والعجز إلى قدرة، والشرارة إلى بارقة، وشع نوره في كل مكان، وغمر ضياؤه كل موطن. واتصل شعاع هدايته من شمال العالم إلى جنوبه وامتد من شرق الارض إلى غربها بحيث لم يمض قرن على ظهور الاسلام حتى كان قدم الحكومة الاسلامية في الهند وقدمها الآخر في الاندلس<sup>١</sup>.

وكتب ويل ديورانت ما يلي:

لم يكن أحد في ذلك الوقت يحلم انه لن يمضي قرن من الزمان حتى يكون اولئك البدو قد فتحوا نصف أملاك الدولة البيزنطية في آسيا، وجميع بلاد الفرس، ومصر، ومعظم شمال افريقية، وساروا في طريقهم إلى اسبانيا. والحق ان ذلك الحادث الجلل الذي تمخضت عنه جزيرة العرب، والذي أعقبه استيلاؤها على نصف عالم البحر المتوسط ونشر دينها الجديد في ربوعه، هو اعجب الظواهر الاجتماعية في العصور الوسطى<sup>٢</sup>.

### تطور ومكانة مدينة مكة

ذكرنا سابقا بأن معظم أهالي شبه جزيرة العرب كانوا في العصر الجاهلي بدوا يجوبون الصحاري. ولم تكن ظاهرة الحضر او السكن في المدن شائعة بينهم يومذاك. وأما المناطق التي كانت تُسمى مدنا فكانت في الواقع مدنا صغيرة لم يكن يقطنها كثير من السكّان. وقال مؤرخون معاصرون بأن مجموع سكان الحضر يومذاك كان يبلغ سدس مجموع السكان<sup>٣</sup>. وقال آخرون بأنهم كانوا يشكلون ما مجموعه سبعة عشر بالمائة من مجموع السكان<sup>٤</sup>. وليس هناك اسس واضحة لهذه الحسابات والأرقام، ولكن من المسلم به ان نسبتهم كانت ضئيلة بالمقارنة

١ - توماس كارليل، الأبطال، تعريب محمد السباعي (القاهرة: ط ٣، ١٣٤٩ هـ)، ص ٩.

٢ - ول ديورانت، قصّة الحضارة، ج ٤، عصر الايمان، الباب الاول، (طبعة دار الفكر، ١٤٠٨ - ١٩٨٨ م)، ج ٧، ص ٩.

٣ - ول ديورانت، مصدر سابق، ص ١٢.

٤ - فيليب حتي، تاريخ العرب، ج ١، ص ١٢٥.



الأديان والمذاهب في شبه جزيرة العرب وما حولها ..... ٨١

مع سكان المدن. وكانت مدينة مكة التي تقع في جنوب الحجاز (تبعد ما يقارب ٨٣ كيلو مترا من البحر الاحمر) أهم مدينة في تلك المنطقة. وكانت هذه المدينة قد اتسعت قبل عتق عقود من ظهور الإسلام واجتذبت اليها اعدادا من السكان. وكان هناك سببان لاتساع مكة، هما:

#### أ - الموقع التجاري

تقع مدينة مكة في ارض جرداء قاحلة وقليلة الماء، ولم تكن تتوفر فيها متطلبات الزراعة أو غيرها من النشاطات الانتاجية الاخرى، وكان أهاليها منذ القدم مضطرين الى تأمين مستلزمات حياتهم عن طريق التجارة، ولكن تجارتهم كانت محدودة لا تعدو مدينة مكة<sup>١</sup>. وكان التجار الاعاجم يتقدمون بسلعهم الى مكة فيشتريها منهم تجار مكة، ثم يتبايعون بينهم ويبيعون من حولهم من العرب<sup>٢</sup>.

أو ربما كانوا يشاركون في الاسواق الموسمية التي كانت تُقام في شبه جزيرة العرب، الى ان خرج هاشم . الجد الثاني للنبي محمد . الى الشام فأخذ من قيصر ملك الروم عهدا لقريش ليتجروا في بلاده<sup>٣</sup>.

وبالاضافة الى ذلك فقد اتفق مع القبائل التي تقع على مسير الشام على عدم التعرض للقوافل التجارية لأهالي مكة<sup>٤</sup>، وألفهم على ان تحمل قريش بضائعهم ولا كراء على أهل الطريق<sup>٥</sup>.

وعقد عبد شمس، ونوفل، وعبد المطلب، عهداً مشاهمة مع النجاشي ملك الحبشة، وكسرى ملك فارس<sup>٦</sup>، وملك اليمن على التوالي<sup>٧</sup>.

١ - ابن واضح، تاريخ اليعقوبي (النجف: المكتبة الحيدرية، ١٣٨٤ هـ)، ج ١، ص ٢١٥.

٢ - محمد بن حبيب البغدادي، المنق في اخبار قريش، تحقيق: خورشيد أحمد فارق (بيروت: عالم الكتب، الطبعة ١، ١٤٠٥ هـ)، ص ٤٢.

٣ - ابن واضح، مصدر سابق، ج ١، ص ٢١٤.

٤ - المصدر السابق، ص ٢١٣.

٥ - ابن سعد، الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر)، ج ١، ص ٧٨.

٦ - ابن واضح، مصدر سابق، ج ١، ص ٢١٥.

٧ - محمد بن جرير الطبري، تاريخ الامم والملوك (بيروت: دار القاموس الحديث)، ج ٢، ص ١٨٠؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ

وبعد توفير الأمان لتلك الطرق أوجد هاشم خطا للقوافل التجارية بين اليمن والشام<sup>١</sup> وكانت حلقة الوصل بينها مكة التي تقع في وسط الطريق الموصل بين هذين المركزين التجاريين<sup>٢</sup>. وهكذا بدأت قريش تجارها مع الخارج<sup>٣</sup>. وابتداء من ذلك التاريخ أخذ تجار مكة يشاركون في الاسواق الموسمية التي كانت تقام يومذاك، مثل سوق عكاظ، وذي المجاز، والمجنة. وكانوا يتاجرون في الشتاء الى اليمن والحبشة، وفي الصيف الى الشام وغزة. وأهم ما كانوا يتاجرون به في هذه الاسفار الطيب والبخور الذي يكثر في الجنوب، اضافة الى المنسوجات الحريرية والجلود وغيرها مما كان يصل من الهند والصين والمناطق الاخرى الى اليمن، ويُحمل من هناك عن طريق البر الى مكة في طول جزيرة العرب من حضرموت محاذيا للبحر الأحمر<sup>٤</sup>. وتنقل من هناك الى غزة وبيت المقدس ودمشق والموانئ الواقعة على سواحل البحر الابيض المتوسط. وتحمل من اسواق الشام القمح والمصنوعات وزيت الزيتون والخشب. وعبروا البحر الاحمر الى الحبشة عن طريق ميناء جح<sup>٥</sup> (الذي يبعد ما يقارب ثمانين كيلو مترا عن مكة) لنقل البضائع المحلية الى مواطن اخرى<sup>٥</sup>.

أدى فتح هذا الطريق التجاري الى تحويل مكة الى مركز تجاري يدر على أهله أرباحا طائلة، وحدث تغييرا هائلا في نمط حياة هذه المدينة. وقد وصف الباري تعالى في كتابه الكريم هذه الاسفار والرحلات التجارية بأنها من موجبات ثراء ابناء قريش:

{لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ \* إِلَّا فِيهِمْ رِحْلَةُ الشَّاءِ وَالصَّيْفِ \* فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ \* الَّذِي

(بيروت: دار صادر)، ج ٢، ص ١٦.

١ - الطبري، مصدر سابق، ص ١٨٠؛ ابن هشام، (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٥ هـ)، ج ١، ص ١٤٣.

٢ - احمد امين، فجر الاسلام (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة ٩، ١٩٦٤م)، ص ١٤ - ١٢؛ الدكتور شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، (العصر الجاهلي)، ج ١، ص ٤٩.

٣ - الطبري، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٨٠؛ ابن الاثير، مصدر سابق، ص ١٦.

٤ - احمد امين، مصدر سابق، ص ١٢؛ عبد المنعم ماجة، التاريخ السياسي للدولة العربية (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية)، ص ٧٩.

٥ - حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي، ص ٥٦.

الأديان والمذاهب في شبه جزيرة العرب وما حولها ..... ٨٣

أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَأَمَّنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ<sup>١</sup>.

### ب - وجود الكعبة

كان وجود الكعبة في مكة سببا آخر من أسباب اتساع هذه المدينة وازدهار اقتصادها؛ وذلك لأن العرب كانوا يفدون على هذه المدينة مرتين في كل عام لاداء مناسك الحج. وكانت قبيلة قريش هي التي تتولى ادارة جميع الشؤون المتعلقة بالكعبة وتوفير متطلبات الحجاج كتوفير الماء والطعام. وعلى صعيد آخر كانت تجري على هامش مناسك الحج معاملات تجارية بين الحجاج وتجار مكة<sup>٢</sup>. وقد ساعد هذان العاملان على نمو هذه المدينة وازدهار اقتصادها.

وكانت حرمة وقدسية بيت الله سبباً في استتباب الأمن في تلك الربوع، وكان لهذا العامل تأثيره الواضح في ازدهار التجارة في مكة. وهذا ما بينه الله عز وجل بقوله:  
{أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبَّى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}<sup>٣</sup>.

فبعد ان اسكن ابراهيم عليه السلام زوجته وابنه الى جانب الكعبة دعا ربه بما يلي:  
{رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ}<sup>٤</sup>.  
{رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ}<sup>٥</sup>.

### تجارة وسدانة قريش

١ - سورة قريش (١٠٦)، الآيات ١ - ٤.

٢ - عباس زرياب، سيرة رسول الله (ص) (طهران: سروش، الطبعة ١، ١٣٧٠ هـ. ش)، ص ٦٦ - ٦٧.

٣ - سورة القصص (٢٧)، الآية ٥٧.

٤ - سورة ابراهيم (١٤)، الآية ٣٧.

٥ - سورة البقرة (٢)، الآية ١٢٦.

أدى ازدهار التجارة ووجود الكعبة إلى اتساع مدينة مكة وازدياد أهميتها، وقد أدى هذان العاملان أيضا إلى زيادة نفوذ وقوة قريش وذلك لأنها كانت تتحكم بعصب الاقتصاد من جهة، وتسيطر على الشؤون الدينية فيها من جهة أخرى:

١. حصلت قريش تدريجيا . عن طريق التجارة . على ثروات هائلة، وظهر أثرياء كبار في مكة كانت ارقام ثرواتهم تفوق الخيال. فقد بلغ سهم احدهم في أحد القوافل التجارية ما يربو على ثلاثين ألف دينار<sup>١</sup>. وكان لأشراف قريش بساتين ومصايف<sup>٢</sup> في منطقة معروفة بجمال طبيعتها واعتدال جوها وهي منطقة الطائف التي توصف بأنها جزء من بلاد الشام بسبب لطافة هوائها<sup>٣</sup>. وكانت للعباس بن عبد المطلب ارض بالطائف وكان الزبيب يُحمل منها فينبذ في السقاية للحاج<sup>٤</sup>، وكان من كبار أصحاب الربا في مكة<sup>٥</sup>. ولما مات عبد المطلب لقوه في حلتين من حلال اليمن قيمتهما ألف مثقال ذهب<sup>٦</sup>. (وهذا ما يكشف عن مدى ثروة ورثته) وقيل ان ابنته . هند . اعتقت اربعين عبدا في يوم واحد<sup>٧</sup>. وكان للوليد بن المغيرة . شيخ قبيلة بني مخزوم . من الثروة والابناء ما كانت تتداوله الألسن<sup>٨</sup>.

١ - جواد علي، المفصل في تاريخ العرب (بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة ١٩٦٨م)، ج ١، ص ١١٤.

يبدو ان المراد من ذلك هو سعيد بن العاص (ابي أخبحة) الذي كان له السهم الأوفر في قافلة قريش التي انتهت عند عودتها من الشام إلى وقوع معركة بدر - حسيما ذكر الواقدي - ولكن عبارة الواقدي ليست على هذه الدرجة من الصراحة.

٢ - فيليب حتي، مصدر سابق، ص ١٣٠.

٣ - الطبري، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٢١؛ البلاذري، فتوح البلدان (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٨ هـ)، ص ٦٨.

٤ - البلاذري، مصدر سابق، ص ٦٨.

٥ - ابن هشام، سيرة النبي، ج ٤، ص ٢٥١.

٦ - ابن واضح، مصدر سابق، ج ١، ص ١٠.

٧ - شوقي ضيف، مصدر سابق، ص ٥١؛ الجاحظ، المحاسن والأضداد (بيروت: دار مكتبة العرفان)، ص ٦٢. فصل محاسن السخاء.

٨ - يُستفاد من أحد التفاسير بأن المراد من الرجلين العظيمين اللذين ذكرتهما: ﴿يَا أَيُّهَا الْقُرْآنُ عَلَى جَلٍّ نَقْرُهُنَّ عَظِيمٌ﴾ سورة الزخرف (٤٣)، الآية ٣١، الوليد بن مغيرة في مكة، وعروة بن مسعود الثقفي في الطائف. وقد رشحهما المشركون

## الأديان والمذاهب في شبه جزيرة العرب وما حولها ..... ٨٥

ولكن ذمّه القرآن لاحقاً بسبب ما كان يتصف به من الغرور والتكبر<sup>١</sup>. وكان عبد الله بن جدعان التيمي على درجة خيالية من الثراء والجود والكرم<sup>٢</sup>. وكان الشعراء يمدحونه لنيل صلته<sup>٣</sup>، حتى ان أحد الشعراء شبهه بقيصر ملك الروم<sup>٤</sup>. ومما يذكر عنه انه حمل ألف رجل من بني كنانة على ألف بعير<sup>٥</sup>. وبذل من ماله مائة درع، ومائة رمح، ومائة سيف<sup>٦</sup>. وكان بائعاً للعبيد والحواري<sup>٧</sup> ويشرب الماء في آينة ذهب<sup>٨</sup>. وعندما توجه الرسول ﷺ الى حنين بعد فتح مكة، اخذ من صفوان بن امية - وهو كافر - مائة درع عارية مؤمّدة<sup>٩</sup>.

٢. وعلى صعيد آخر كانت قريش قد انتزعت منذ عهد قُصي . الجد الرابع لرسول الله ﷺ . حجابة الكعبة من قبيلة خزاعة<sup>١٠</sup>. وقُسمت مختلف الشؤون المتعلقة بالحج والزيارة

---

لمنصب النبوة بسبب عظيم ثروتهما.

- ١ - الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٩٣؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٤٤٢؛ تفسير سورة المدثر.
- ٢ - ابن كثير، البداية والنهاية (بيروت: مكتبة المعارف، الطبعة ٢، ١٩٧٧م)، ج ٢، ص ٢٢٩؛ الألوسي، مصدر سابق، ج ١، ص ٨٩؛ محمد احمد جاد المولى بك (وأخرون)، ايام العرب في الجاهلية (بيروت: دار احياء التراث العربي)، ص ٢٤٨.
- ٣ - الألوسي، مصدر سابق، ص ٨٧؛ ابن كثير، مصدر سابق، ص ٢٢٩.
- ٤ - يوم بن جدعان بجنب الخزورة كأنه قيصر او ذو الدسكرة (البكري، معجم ما استعجم، (عالم الكتب، الطبعة ٣، ١٤٠٣هـ)، ج ٢، ص ٤٤٤، كلمة خزورة؛ شوقي ضيف، مصدر سابق، ص ٥١).
- ٥ - محمد احمد جاد المولى بك، مصدر سابق، ص ٣٣٤.
- ٦ - المصدر السابق، ص ٣٢٩.
- ٧ - ابن قتيبة، المعارف، تحقيق: ثروة عكاشة (قم: منشورات الشريف الرضي، الطبعة ١٤١٥هـ)، ص ٥٧٦؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر (بيروت: دار الاندلس، الطبعة ١)، ج ٢، ص ٢٨٧؛ جواد علي، مصدر سابق، ص ٩٦.
- ٨ - الألوسي، مصدر سابق، ص ٨٧.
- ٩ - ابن هشام، مصدر سابق، ج ٤، ص ٨٣؛ الواقدي، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، ج ٣، ص ٨٩٠؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر)، ج ٢، ص ١٥٠؛ الخليلي، السيرة الخليلية (بيروت: دار المعرفة)، ج ٣، ص ٦٣، كما أخذ رسول الله من ابن عمه نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ثلاثة آلاف رمح. وهذه كلها مؤشرات على مدى ثرائهم.
- ١٠ - الأزرق، اخبار مكة، تحقيق: رشدي الصالح ملحق (قم: منشورات الشريف الرضي، الطبعة ١، ١٤١١هـ)، ج ١،

والطواف كسقاية ورفادة الحاج وسدانة الكعبة وعمارتها وخدمتها بين رؤساء بطون قريش، وهكذا فقد جعلت لنفسها منزلة دينية بين عامة العرب.

والى جانب ذلك كانت لهم الشؤون الاجتماعية الاخرى التي كانت تتطلبها الحياة يومذاك، مثل اللواء والمشورة والاشناق والقبة والاعنة والمغرم، وكانت لهم السفارة؛ وذلك انهم كانت اذا وقعت بينهم وبين غيرهم حرب بعثوا منهم سفيرا<sup>١</sup>.

### سلطة ونفوذ قريش

كانت قريش ذات يوم قبيلة صغيرة وفقيرة ولا تحظى بنفوذ أو اعتبار في موطن سكانها وهو جنوب الحجاز، ولكنها تحولت تدريجياً بفضل ثروتها الاقتصادية وسلطتها الدينية إلى قبيلة قوية ومشهورة وذات سمعة طيبة بين العرب. وصارت تعد ذاتها افضل من القبائل الاخرى من حيث الشرف والأهمية والاعتبار. وعلى حد تعبير احد المؤرخين المعاصرين ان قريشا كان لها من المزايا والخصائص بين قبائل الحجاز مثلما كانت مكانة اللاويين بين اليهود والقساوسة بين المسيحيين<sup>٢</sup>.

ولما أهلك الله ابرهة الحبشي صاحب الفيل وسلط عليه الطير الأبايل عظمت جميع العرب قريشا التي كانت تتولى حجابة الكعبة<sup>٣</sup>. واستغلت قريش تلك الحادثة وجيرتها لصالحها وقالت: نحن اهل الله، وجيران الله، وولاة البيت الحرام وسكان حرمه<sup>٤</sup>. وبذلك رسخوا مكانتهم الدينية وابتدعوا عند ذاك احداثاً في دينهم اداروها بينهم، واتجهوا نتيجة لغرور

ص ١٠٧؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج ١، ص ١٣٠.

١ - ابن عبد ربه، العقد الفريد (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ)، ج ٣، ص ٣١٤؛ احمد امين، مصدر سابق، ص ٢٢٧؛ الألوسي، مصدر سابق، ج ١، ص ١٤٥ - ١٥٠. وهذه الاعمال كانت ذات طابع بدائي وقبلي، ولم تأخذ صيغة الهيكلية الحكومية والادارية المتعارفة في الوقت الحاضر، كما صوّر ذلك مؤرخون مسيحيون من امثال جرجي زيدان ولامنس.

٢ - فيليب حتي، مصدر سابق، ص ١٣٠.

٣ - ابن هشام، مصدر سابق، ج ١، ص ٥٩؛ الأزرق، مصدر سابق، ج ١، ص ١٧٦.

٤ - ابن عبد ربه، مصدر سابق، ج ٣، ص ٣١٣؛ الأزرق، مصدر سابق، ص ١٧٦.

## الأديان والمذاهب في شبه جزيرة العرب وما حولها ..... ٨٧

السلطة نحو الفساد والاستحواذ على مقاليد الأمور استثنائاً<sup>١</sup>. حتى أنهم ابتدعوا في ذلك أموراً لم تكن وفرضوها على القبائل الأخرى؛ فكانت قريش - مثلاً - تتزوج من نساء القبائل الأخرى بلا قيد أو شرط، ولكنها كانت إذا انكحت عريباً امرأة منهم اشترطوا عليه أن كل من ولدت له فهو على بدعتهم في أداء مناسك الحج والطواف<sup>٢</sup>. وكان يُعشر (تفرض ضريبة) من دخل مكة سوى أهلها<sup>٣</sup>، ويُسمون ذلك حق قريش<sup>٤</sup>. وجعلوا مناسك الحج في يدهم، والزموا الحجاج باتباع ما وضعوه لهم، وبقيت أفاضة الحجاج من منى ورمي الجمرات، بيد قريش<sup>٥</sup>. وشرعوا للحجاج أن يطوفوا طواف الأفاضة بالبيت غرة أو في ثوبي أحسني، وإذا طاف في ثوبيه لم يحل له أن يلبسهما<sup>٦</sup>. (لكي يضطروا إلى شراء الثياب من قريش)، ولا ينبغي لهؤلاء الحجاج أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم في الحل، ولا يأكلون في الحرم إلا من طعام أهل الحرم<sup>٧</sup>. (فيضطرون إلى شراء الطعام من أسواق قريش!).

وفي السنة التاسعة للهجرة حينما أرسل النبي ﷺ علياً عليه السلام إلى مكة لإعلان البراءة من المشركين، كان أحد البنود التي نص عليها الإعلان الذي قرأه علي عليه السلام ضمن مراسيم عامة، منع طواف الحجاج عراً<sup>٨</sup>.

---

١ - الأزرق، مصدر سابق، ص ١٧٦.

٢ - المصدر السابق، ص ١٧٩؛ الألويسي، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٤٣.

٣ - ابن سعد، مصدر سابق، ج ١، ص ٧٠.

٤ - جواد علي، مصدر سابق، ج ٤، ص ٢١.

٥ - ابن سعد، مصدر سابق، ص ٦٩؛ ابن هشام، مصدر سابق، ص ١٢٥ - ١٣٠؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ (بيروت: دار صادر)، ج ٢، ص ٢٠؛ الأزرق، مصدر سابق، ص ١٨٩.

٦ - ابن سعد، مصدر سابق، ص ٧٢؛ الأزرق، مصدر سابق، ص ١٧٤، ١٧٨، ١٨٢ وهو طواف العرة الذي اشرنا إليه من قبل، وكذلك قصة المرأة التي كانت تطوف عارية وتقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

وهذا كله جاء بسبب تغري قريش بالاستحواذ على سداة الكعبة.

٧ - الأزرق، مصدر سابق، ص ١٧٧.

٨ - ابن هشام، مصدر سابق، ج ٤، ص ١٩٠.

تكمّن أهمية الاطلاع على سلطة ونفوذ قريش في مكّة في اننا نستطيع من خلال ذلك ادراك مدى حجم المشاكل التي واجهها رسول الله ﷺ ومدى قوّة العدو الذي كان يقف في مواجهته خاصة في عهد الدعوة في مكّة، حيث كان يخوض صراعاً مريعاً مع قريش في مهد قوّتها وسلطانها من غير ان يتوفّر لديه العدّة والعدد الكافي من الانصار لخوض تلك المواجهة.



## الباب الثاني

### محمد ﷺ من ولادته الى مبعثه

الفصل الاول: نسبه ﷺ

الفصل الثاني: طفولته وصابه ﷺ

الفصل الثالث: محمد ﷺ في شبابه



## الفصل الاول

### نسبه ﷺ

#### اجداده ﷺ

نورد في ما يلي سردا بأسماء اجداد النبي ﷺ الى الجد العشرين، فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مُرّة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مُدركة، بن الياس، بن مُضَر، بن نزار، بن مَعَد، بن عدنان<sup>١</sup>.

وأما عدد وأسماء باقي اجداده إلى اسماعيل بن النبي ابراهيم فموضع اختلاف<sup>٢</sup>. وقد روي ان النبي ﷺ كان اذا انتسب لم يجاوز نسبه معد بن عدنان ثم يمسك<sup>٣</sup>. وأوصى الآخرين بذلك بقوله: **كذا بلغ نسبي الى عدنان فأمسكوا**<sup>٤</sup>. وقد كنه رسول الله ﷺ ما ذكره

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك (بيروت: دار القاموس الحديث)، ج ٢، ص ١٩١؛ ابن الاثير، أسد الغابة (طهران: المكتبة الإسلامية)، ج ١، ص ١٣؛ الطبرسي، اعلام الوري (طهران: دار الكتب الإسلامية، الطبعة ٣)، ص ٥ - ٦.

٢ - ابن الاثير، مصدر سابق، ص ١٣؛ ابوبكر احمد بن حسين البيهقي، دلائل النبوة، ص ١١٨؛ المسعودي، التنبيه والاشراف (القاهرة: دار الصاوي للطبع والنشر)، ص ١٩٥ - ١٩٦؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ (بيروت: دار صادر)، ج ٢، ص ٣٣؛ جمال الدين احمد بن عنة، عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب (قم: منشورات الشريف الرضي، الطبعة ٢)، ص ٢٨.

٣ - ابن سعد، الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر)، ج ١، ص ٥٦؛ هشام بن محمد الكلبي، جمهرة النسب، تحقيق: ناجي حسن (بيروت: عالم الكتب، الطبعة ١)، ص ١٧.

٤ - ابن شهر آشوب، مناقب آل ابي طالب (قم: المطبعة العلمية)، ج ١، ص ١٥٥؛ الطبرسي، مصدر سابق، ص ٦؛ المجلسي، بحار الانوار (طهران: دار الكتب الإسلامية)، ج ١٥، ص ١٠٥.

## ٩٢..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى وفاة النبي ﷺ

النسابون من اسماء اجداده بين عدنان واسماعيل وقال: <كذب النسابون><sup>٥</sup>.

واستناداً الى التقسيم القبلي عند العرب، تُقسم العرب بشكل عام الى الشق <القحطاني> و<العدناني><sup>٦</sup>. وتُعتبر قريش من العرب العدنانيين بسبب انتسابها الى عدنان (الجد العشرون لرسول الله ﷺ وكل البطون من العدنانيين، التي ينتهي نسبها الى النضر بن كنانة تُعتبر قرشية؛ وذلك لأن قريش كان اسماً أو لقباً له<sup>٧</sup>.

كانت لقبيلة قريش<sup>٨</sup> عدّة بطون وأرهاط مثل: بني مخزوم، وبني زهرة، وبني امية، وبني

---

٥ - الكلبي، مصدر سابق، ص ١٧؛ ابن سعد، مصدر سابق، ص ٥٦؛ ابن شهر آشوب، مصدر سابق، ص ١٥٥؛ ابن عنبه، مصدر سابق، ص ٢٨.

٦ - يُسمى الشق الأول اليماني (اليماني)، ويُسمى القسم الثاني المضري أو النزاری أو القيسي.

٧ - ابن شهر آشوب، مصدر سابق، ص ١٥٤؛ ابن عنبه، مصدر سابق، ص ٢٦؛ الطبرسي، مصدر سابق، ص ٦؛ ابن فُتَيْبَة، المعارف، تحقيق: ثروة عكاشة (قم: منشورات الشريف الرضي، ١٤١٥هـ)، ص ٦٧؛ الطبرسي، مجمع البيان (طهران: شركة المعارف الإسلامية)، ج ١٠، ص ٥٤٥؛ ابن هشام، سيرة النبي (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٥هـ)، ج ١، ص ٩٦؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد (دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ)، ج ٣، ص ٣١٢؛ ابن كثير، السيرة النبوية (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي)، ج ١، ص ٨٤؛ محمد امين البغدادي السويدي، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب (بيروت: دار صعب)، ص ٦٢؛ ابن واضح، تاريخ اليعقوبي (النجف: المكتبة الحيدرية، ١٣٨٣هـ)، ج ١، ص ٢٠٤.

ذهب بعض النسابة إلى اعتبار اولاد فهر بن مالك بن النضر من قريش. راجع: الكلبي، مصدر سابق، ص ٢١؛ ابن سعد، مصدر سابق، ص ٥٥؛ ابن عنبه، مصدر سابق، ص ٢٦؛ ابن هشام، مصدر سابق، ص ٩٦؛ محمد امين البغدادي، مصدر سابق، ص ٦٢؛ ابن واضح، مصدر سابق، ص ٢٠٤؛ ابن حزم، جمهرة انساب العرب (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة ١، ١٤٠٣هـ)، ص ١٢؛ الحلبي، السيرة الحلبية، (انسان العيون) (بيروت: دار المعرفة)، ج ١، ص ٢٥ - ٢٦. وهناك اقوال اخرى في هذا الباب لا نرى فائدة من ذكرها. راجع: السيرة الحلبية، ج ١، ص ٢٧.

٨ - تقسم الجماعات والقبائل العربية حسب صغرها وكبرها وتفرعها - إلى فروع داخلية - إلى ما يلي على التوالي: الشعب، القبيلة، العمارة، البطن، الفخذ، الفصيلة. يقال مثلاً خزيمة شعب، وكنانة قبيلة، وقريش عمارة، وقصي بطن، وهاشم فخذ، وعباس فصيلة. (ابن حزم، العقد الفريد، ج ٣، ص ٣٣٠؛ الدكتور حسين مؤنسي، تاريخ قريش، (دار السعودية، الطبعة ١، ١٤٠٨هـ)، ص ٢١٥). وعلى هذا الأساس فقد عدّ بعض العلماء قريشاً قبيلة، بينما اعتبرها آخرون عمارة. ولكن لا بد من التنبيه إلى ان هذا التقسيم موضع جدل ولا يقره بعض الباحثين (تاريخ قريش، ص ٢١٥ - ٢١٦) وبغض النظر عن هذا التقسيم، فقد سمّينا قريشاً هنا قبيلة لسهولة الأمر.

سهم، وبني اسد، وبني هاشم<sup>٩</sup>. والنبي محمد ﷺ من الرهط الأخير؛ أي من رهط بني هاشم.

### شخصية عبد المطلب

من أكثر اجداد النبي ﷺ الذين تتوفر لدينا معلومات عنهم هو جده الأول عبد المطلب لأنه كان اقربهم الى عصر الإسلام.

كان عبد المطلب محبوباً، جواداً، وسيد قريش كمالاً وفعلاً، وشريفاً في قومه، وكان إليه المفزع في النوائب<sup>١٠</sup>. وكان (كما هو حال الشخصيات الالهية الكبرى) أسمى من المجتمع الذي عاش بين اكنافه. وعلى الرغم من عمره المديد غير انه لم يتدنس بما كان سائداً بين اوساط مجتمع مكة من أرجاس.

في ذلك العصر لم يكن هناك اعتقاد بالمعاد في اجواء مكة أو ان مثل هذا الاعتقاد كان ضعيفاً جداً، الا ان عبد المطلب كان يؤمن بالمعاد وحتى انه كان يؤكد على وجود يوم للحساب والجزاء، ويقول: والله ان وراء هذه الدار دار يُجزى فيها المحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء بإساءته<sup>١١</sup>.

ورغم ان ظاهرة العصبية القبلية كانت شائعة في شبه جزيرة العرب . وكما ذكرنا سابقا فان افراد كل قبيلة كانوا ينصرون ابناء قبيلتهم سواء كانوا ظالمين او مظلومين . بيد ان عبد المطلب لم يكن من هذا الطراز من الناس، بل ترى انه اعتزل منادمة حرب ابن امية وقاطعه رغم انه كان من اصدقائه واقاربه، الى ان ارغمه على دفع دية رجل يهودي كان قد قُتل بتحريض منه<sup>١٢</sup>.

٩ - ذكر المسعودي ان قريشا كانت تتألف من ٢٥ بطنا وقد سرد اسماءها. <مروج الذهب ومعادن الجوهر (بيروت: دار الاندلس، الطبعة ١، ١٩٦٥)، ج ٢، ص ٢٦٩>.

١٠ - الحلبي، مصدر سابق، ص ٦.

١١ - المصدر السابق، ص ٦؛ محمود شكري الألوسي، بلوغ الإرب في معرفة احوال العرب، تحقيق محمد بحجة الأثري، (القاهرة: دار الكتب الحديثة، الطبعة ٢)، ج ١، ص ٣٢٤.

١٢ - الحلبي، مصدر سابق، ص ٦؛ الألوسي، مصدر سابق، ص ٣٢٣؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ١٥؛ البلاذري،

وكان ينهى أبنائه عن الظلم والبغي وذنبيات الامور ويحثهم على التحلي بمكارم الاخلاق<sup>١</sup>. وتؤثر عن عبد المطلب سنن جاء القرآن بأكثرها وجاءت السنة بها، منها تحريم الخمر والزنا، وان لا تنكح ذات محرم، وقطع يد السارق، ونفي ذوات الرايات من مكة، والنهي عن وأد البنات، وان لا يطوف أحد بالبيت عرياناً، والوفاء بالنذور، وتعظيم الاشهر الحرم، والمباهلة<sup>٢</sup>.

وروي ان عبد المطلب كان حجة الله وكان ابو طالب وصيّه<sup>٣</sup>.

### سلالة التوحيد

كان آباء واجداد الرسول محمد ﷺ موحدين، ابتداء من أبيه عبد الله الى آدم، ولم يكن فيهم مشرك، وهو ما يعتقد به علماء الامامية، وقد استدلوا على هذا الرأي بمجموعة من الآيات والروايات. فقد روي عنه ﷺ انه قال: «لم يزل ينقلني الله من اصلاّب الطاهرين الى ارحام المطهرات حتى اخرجني في عالمكم هذا، لم يدنسني بدنس الجاهلية»<sup>٤</sup>. ونحن نعلم انه

انساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، (القاهرة: دار المعارف)، ج ١، ص ٧٣.

١ - الحلبي، مصدر سابق، ص ٧؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٢، ص ١٠٩.

٢ - الألوسي، مصدر سابق، ص ٣٢٤؛ ابن واضح، تاريخ البعقوبي، ج ٢، ص ٧؛ راجع: السيرة الحلبية، ج ١، ص ٧؛ راجع: الصدوق، الخصال، باب الخمسة، ج ٢، ص ٣١٢ - ٣١٣.

٣ - الصدوق، الاعتقادات، ص ١٣٥؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ١٥، ص ١١٧؛ راجع: اصول الكافي، ج ١، ص ٤٤٥. من الموضوعات التي لها علاقة بعبد المطلب، نذر بذبح احد ابناءه في سبيل الله. وعلى الرغم من شهرة هذه القضية وهذا النذر ولكن هنالك مؤاخذات على نوع المصادر التاريخية التي نقلتها سواء من حيث السند أو من حيث المحتوى، وهذه القضية تتطلب مزيداً من البحث والتمحيص. (راجع: علي الدواني، تاريخ اسلام از آغاز تا هجرت، ص ٥٤ - ٥٩)؛ من لا يحضره الفقيه، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ج ٣، ص ٨٩؛ باب الحكم بالقرعة، وقد أعرضنا عن طرح هذه القضية على بساط البحث تحبباً للاطالة.

٤ - الصدوق، مصدر سابق، ص ١٣٥؛ المجلسي، مصدر سابق، ص ١١٧؛ المفيد، اوائل المقالات، (قم: مكتبة الداوري)، ص ١٢؛ ص ١٢؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج ٤، ص ٣٢٢، تفسير الآية ٧٤ من سورة الانعام. فسر بعض العلماء المعاصرين هذا الحديث بطهارة المولد؛ أي الولادة عن طريق الزواج وليس عن طريق علاقة غير شرعية. وإذا اقرنا بصحة هذا التفسير فلن يكون هذا الحديث دليلاً على ما نريد اثباته. (السيد هاشم رسولي المحلاتي، درس هائي از تاريخ تحليلي اسلام، ماهنامه پاسدار اسلام، ١٣٦٧ هـ. ش،

لا دنس اقدر من دنس الشرك. ولو كان في آبائه كافر، لم يصف جميعهم بالطهارة.  
ويعتقد علماء الامامية ان أبا طالب وآمنة بنت وهب كانا مُوَحَّدَيْن<sup>١</sup>.  
وقد روي عن علي عليه السلام انه قال: «والله ما عبد أبي ولا جدي عبد المطلب ولا هاشم ولا  
عبد مناف صنماً قط. قيل له: فما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يصلون الى البيت على دين ابراهيم  
متمسكين به»<sup>٢</sup>.

ج ١، ص ٦٤).

١ - المفيد، مصدر سابق، ص ١٢؛ الصدوق، مصدر سابق. يتفق بعض علماء السنة البارزين مع الشيعة الامامية في هذا المجال،  
ونذكر منهم الفخر الرازي والسيوطي. راجع: بحار الانوار، ج ١٥، ص ١١٨ - ١٢٢، الهامش.  
٢ - الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق علي أكبر الغفاري، (قم: مؤسسة النشر الاسلامي، ١٣٦٣ هـ. ش)، ج ١،  
ص ١٧٥؛ الغدير، ج ٧، ص ٣٨٧.





## الفصل الثاني

### طفولته وصباه ﷺ

#### ولادته ﷺ

لم يكن لدى عرب الجاهلية تاريخ ثابت ومنظم، وإنما كانوا يتخذون بعض الوقائع والاحداث المهمة مبدأ للتاريخ ملتبساً من الزمن كموت شخصية كبيرة ومشهورة او وقوع حرب دامية بين قبيلتين<sup>١</sup>.

وكانت العرب قبل ظهور الإسلام تفتخر بتواريخ كثيرة. وكانت كل قبيلة من قبائل العرب تؤرخ بيوم من ايامها المشهورة في حروبها<sup>٢</sup>.

لما قصد جيش الفيل بزعماء ابرهة ملك الحبشة مكة لهدم الكعبة<sup>٣</sup> وانهم ذلك الجيش بصورة خارقة للعادة وبقدرة غيبية إلهية، طغت هذه الحادثة على الحوادث الاخرى في ذلك الزمان واتخذ ذلك العام مبدأ للتاريخ وظل هكذا ملتبساً مديدة تحت عنوان عام الفيل\*. وكان

---

١ - للاطلاع على مزيد من المعلومات حول هذه الوقائع، راجع: المسعودي، التنبيه والأشراف، ص ١٨١ - ١٧٢؛ الدكتور محمد ابراهيم آيتي، تاريخ پیامبر اسلام، (الطبعة ٢، انتشارات جامعة طهران، ١٣٦١)، ص ٢٦ - ٢.

٢ - المسعودي، مصدر سابق، ص ٢٧.

٣ - الشيخ الطوسي، الأمالي (قم: دار الثقافة، الطبعة ١، ١٤١٤هـ.)، ص ٨٢ - ٨٠؛ البيهقي، مصدر سابق، ص ٩٤ - ٩٧؛ ابن هشام، مصدر سابق، ص ٥٥ - ٤٤؛ البلاذري، مصدر سابق، ص ٦٧ - ٦٩؛ محمد بن حبيب البغدادي، المنطق في اخبار قريش، تحقيق: خورشيد احمد فارق (بيروت: عالم الكتب، الطبعة، ١٤٠٥هـ.)، ص ٧٠ - ٧٧.

\* - وكانت قريش تؤرخ السنين بموت قصي بن كلاب لجلالة قصي، فلمّا كان عام الفيل أرخت به لاشتهار هذا العام (ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٤).

## ٩٨..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى وفاة النبي ﷺ

مولد رسول الله ﷺ في ذلك العام في مكة٤.

وقعت هذه الحادثة في حدود عام ٥٦٩ . ٥٧٠ للميلاد حسب ما تفيد به الوقائع والشواهد ومنها هجرة النبي محمد ﷺ في عام ٦٢٢هـ، وكذا وفاته في عام ٦٣٢ للميلاد عن سن ٦٠ . ٦٣ سنة٥.

### عهد الطفولة والرضاعة

٤ - الكليني، اصول الكافي (طهران: دار الكتب الاسلامية، ١٣٨١ هـ)، ج ١، ص ٤٣٩؛ ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٤؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٢، ص ٢٧٤؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ١٥، ص ٢٥٠ - ٢٥٢؛ الحلبي، مصدر سابق، ص ٩٥؛ البيهقي، مصدر سابق، ص ٧٢ - ٧٣؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٠١؛ محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٠١؛ ابن اثير، اسد الغابة، ج ١، ص ١٤؛ ابن هشام، سيرة النبي، ج ١، ص ١٦٧؛ الشيخ عبد القادر بدران، تهذيب تاريخ دمشق (بيروت: دار احياء التراث العربي، الطبعة ٣، ١٤٠٧ هـ)، ص ٢٨٢؛ ابن اسحاق السير والمغازي (طهران: انتشارات جامعة طهران، الطبعة ٣، ١٣٦٧ هـ.ش)، ص ٦٢؛ عباس زرياب، سيرة رسول الله (الباب الاول: من البداية إلى الهجرة) (طهران: سروش، الطبعة ١، ١٣٧٠ هـ.ش)، ص ٨٦ - ٨٧؛ السيد جعفر شهيدي، تاريخ تحليلي اسلام تا پايان امويان (طهران: مركز النشر الجامعي، الطبعة ١٠، ١٣٦٩ هـ.ش)، ص ٣٧.

٥ - علي أكبر فياض، تاريخ اسلام (طهران: دار نشر جامعة طهران، الطبعة ٣، ١٣٦٧ هـ.ش)، ص ٦٢؛ عباس زرياب، سيره رسول الله (الباب الاول: من البداية إلى الهجرة) (طهران: دار سروش، الطبعة ١، ١٣٧٠ هـ.ش)، ص ٨٦ - ٨٧؛ السيد جعفر شهيدي، تاريخ تحليلي اسلام تا پايان امويان (طهران: مركز النشر الجامعي، الطبعة ١٠، ١٣٦٩ هـ.ش)، ص ٣٧.

ظهرت آراء واحتمالات اخرى حول ولادة النبي وهل كانت في عام الفيل على وجه الدقة، أم قبله أم بعده؟ وحول مدى تطابق عام الفيل مع السنوات الميلادية، ولكن لا ضرورة لنقلها في هذا الكتاب. ويمكن لمن يريد الاطلاع عليها وعلى معلومات اخرى في هذا المجال ان يراجع: محمد خاتم پیامبران، ج ١، ص ١٧٦، ١٧٧، مقالة السيد جعفر شهيدي؛ رسولي محلاتي، درس هاي از تاريخ تحليلي اسلام (قم: ماهنامه پاسدار اسلام، ١٤٠٥ هـ)، ج ١، ص ١٠٧؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٠٣؛ تهذيب تاريخ دمشق، ج ١، ص ٢٨١ - ٢٨٢؛ السيد حسن تقي زاده، از پرويز تا چنگيز (طهران: كتابفروشي فروغي، ١٣٤٩ هـ.ش)، ص ١٥٣؛ حسين مؤنس، تاريخ قریش، (الدار السعودية، الطبعة ١، ١٤٠٨ هـ)، ص ١٥٣ - ١٥٩. تجدر الاشارة إلى ان بعض المؤرخين الاوربيين اعتبروا غزو ابرهة - الذي ذكرت المصادر الاسلامية بأن الدافع وراءه كان دينياً وأنه جاء في سياق التنافس بين كنيسة القليس في اليمن، والكعبة في الحجاز - انه كان بدافع الغزو، وأما غزوه لبلاد فارس عن طريق شمال الجزيرة العربية، فقالوا انه جاء بتحريض من دولة الروم. (فياض، مصدر سابق، ص ٦٢؛ ابو القاسم بايندة، مقدمة الترجمة الفارسية للقرآن الكريم، ص ١٢٠). وهذا يتطلب بحثاً على حدة، ولا يدخل ضمن موضوع هذا الكتاب.

وبعد شهرين من مولد الرسول<sup>٦</sup> توفي أبوه عبد الله عند عودته من سفر تجارة من الشام، حيث توفي في يثرب ودفن فيها<sup>٧</sup>. وقد بين القرآن الكريم يتمه كما يلي:

{أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى \* وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى \* وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى}<sup>٨</sup>.

وكان أول لبن شربه بعد لبن امه<sup>٩</sup> هو لبن ثوية وهي جارية لأبي لب اعتقها، وبقيت ثوية ترضعه ملقاً من الزمن<sup>١٠</sup>.

ثم رُسل إلى البادية طبقاً للعادة التي كانت متبعة عند العرب<sup>١١</sup>، حيث دفعه عبد المطلب إلى مرضعة في البادية اسمها حليلة السعدية من قبيلة بني سعد بن بكر<sup>١٢</sup>. فارضته حليلة

٦ - الكليني، مصدر سابق، ص ٤٣٩؛ ابن واضح، مصدر سابق، ص ٦؛ أبو الفتح محمد بن علي الكراچكي، كنز الفوائد، (قم: دار الذخائر، الطبعة ١، ١٤١٠هـ)، ج ٢، ص ١٦٧. ذكروا أن عمر النبي محمد (ص) عندما توفي أبوه كان سبعة أشهر وثمانية وعشرين يوماً. (محمد بن سعد، الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر، ج ١، ص ١٠٠)، بينما ذكر مؤرخون آخرون أن عبد الله توفي قبل ولادته (ص) (ابن سعد، مصدر سابق، ص ٩٩ - ١٠٠؛ ابن الأثير، اسد الغابة، ج ١، ص ١٣؛ ابن هشام، سيرة النبي، ج ١، ص ١٦٧؛ الشيخ عبد القادر بدران، تهذيب تاريخ دمشق، تأليف ابن عساكر (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة ٣، ١٤٠٧هـ، ج ١، ص ٢٧٤) ولكن هناك وثائق وشواهد تؤيد الرأي الأول، ومنها:

أوصيك يا عبد مناف بعدي بمفرد بعد أبيه فرد  
فارقته وهو ضجيع المهدي فكنت كالأم له في المجد

تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ١٠؛ راجع: ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب (قم: المطبعة العلمية)، ج ١، ص ٣٦.

٧ - تهذيب تاريخ دمشق، ج ١٧، ص ٢٨٢؛ ابن سعد، مصدر سابق، ج ١، ص ٩٩؛ المسعودي، التنبيه والاشراف، ص ١٩٦؛ محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك (بيروت: دار القاموس الحديث)، ج ٢، ص ١٧٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ (بيروت: دار صادر)، ج ٢، ص ١٠.

٨ - سورة الضحى (٩٣)، الآيات ٦ - ٨.

٩ - تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ٦؛ الحلبي، مصدر سابق، ج ١، ص ١٤٣.

١٠ - تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ٦؛ الطبرسي، اعلام الوری، ص ٦؛ البيهقي، مصدر سابق، ص ١١٠؛ ابن الأثير، اسد الغابة، ج ١، ص ١٥؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ١٥، ص ٣٨٤.

١١ - الحلبي، مصدر سابق، ج ١، ص ١٤٦.

١٢ - تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ٧؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج ١، ص ١٧١؛ محمد بن سعد، مصدر سابق، ص ١١٠؛ المسعودي، التنبيه والاشراف، ص ١٩٦؛ مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٢، ص ٢٧٤؛ الطبرسي، اعلام الوری، ص ٦؛ البيهقي، مصدر سابق،

## ١٠٠..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى وفاة

النبي ﷺ

سنتين<sup>١٣</sup>. وردّه الى جدّه عبد المطلب وله خمس سنين<sup>١٤</sup>.

ويبدو ان الغاية من دفعه الى مرضعة في البادية هي ان ينشأ في بيئة صحراوية نقية بعيدا عن وباء مكة<sup>١٥</sup>. وهناك سبب آخر يسوقه قسم من المؤرخين المعاصرين وهو تعلّم اللغة العربية الفصحى بين القبائل البدوية<sup>١٦</sup>.

ولعل قول رسول الله ﷺ: «أنا اعربكم؛ انا قرشي واسترضعت في بني سعد بن بكر»<sup>١٧</sup>. يشير الى هذا المعنى ويمثّل شاهدا عليه.

وقد تحدثت بعض المصادر التاريخية عن كيفية اختيار حليلة لرضاعته؛ حيث رفضت سائر المرضعات قبوله لأنه كان يتيماً بينما كانت المرضعات يرتجحن المعروف من أب الصبي، وأمّا

---

ص ١٠١ - ١٠٢؛ ابن كثير، السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٢٥؛ ابن اسحاق، السير والمغازي، تحقيق: سهيل زكار، الطبعة ١، ١٣٩٨هـ، ص ٤٩.

١٣ - البلاذري، انساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، (القاهرة: دار المعارف)، ج ١، ص ٩٤؛ المقدسي، البدء والتاريخ، الطبعة ١٩٠٣ م، ج ٤، ص ١٣١؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ١٥، ص ٤٠١؛ ابن سعد، مصدر سابق، ج ١، ص ١١٢.

١٤ - تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ٧؛ ابن شهر آشوب، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٣؛ البلاذري، مصدر سابق، ص ٩٤؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٢، ص ٢٧٥.

١٥ - ابن ابي الحديد، شرح نصح البلاغة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (القاهرة: دار احياء الكتب العربية، ١٩٦١)، ج ١٣، ص ٢٠٣؛ المجلسي، مصدر سابق، ص ٤٠١.

١٦ - جعفر سبحاني، فروغ ابدیت، (قم: دار النشر في مكتب الاعلام الاسلامي في الحوزة العلمية بقم، الطبعة ١٣٦٨)، ج ١، ص ١٥٩؛ السيد جعفر مرتضى العاملي، الصحيح من سيرة النبي الأعظم (قم: ١٤٠٠هـ)، ج ١، ص ٨١.

١٧ - ابن هشام، سيرة النبي، ج ١، ص ١٧٦؛ وراجع: ابن سعد، مصدر سابق، ص ١١٣؛ الحلبي، مصدر سابق، ص ١٤٦؛ ابو سعيد واعظ الخرگوشي، شرف النبي، ص ١٩٦.

قيل ان محمد (ص) عندما كان عند حليلة السعدية في البادية حصلت له حادثة شق الصدر. غير ان المخللين والباحثين في تاريخ الاسلام يرفضون هذه الحادثة - استنادا إلى أدلة عديدة - ويعتبرونها من المجهولات. (راجع: السيد جعفر مرتضى العاملي، الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ج ١، ص ٨٢؛ السيد هاشم رسولي الخلاقي، درسهائي از تاريخ اسلام، ج ١، ص ١٨٩ و ٢٠٤؛ الشيخ محمود ابو ريه، اضواء على السنة المحمدية، (مطبعة صور الحديثة، الطبعة ١٤٠٢هـ)، ج ١، ص ١٧٥ - ١٧٧.

حليمة فانها لم تحصل على رضيع تأخذه وكرهت ان ترجع من غير رضيع، فاضطرت الى أخذ محمد رغم انه كان يتيماً<sup>١</sup>. غير ان عدم أخذ المرضعات محمد ﷺ بسبب يتمه لا يبدو أمراً مقبولاً وذلك للأسباب التالية:

١. سبق ان بينّا بأن عدداً من المصادر التاريخية ذكرت بأن عبد الله توفي بعد ولادة محمد ﷺ بعقّ أشهر. وهذا يدل على انه لم يكن يتيماً حينذاك.
٢. نظراً الى ما كان يتمتع به عبد المطلب من مكانة ممتازة في مكة وما كانت له من ثروة طائلة، فذلك يعني ان المرضعات يتنافسن بشقّ على أخذ مثل هذا الصبي للرضاعة.
٣. تخلو الكثير من المصادر التاريخية التي نقلت هذه القضية، من الاشارة الى هذا المعنى<sup>٢</sup>.

### وفاة والدته وتكفل عبد المطلب له

بعدما أخذت آمنة بنت وهب طفلها من حليمة السعدية، سافرت برفقة طفلها وام ايمن - جارية عبد الله - في قافلة الى يثرب للوقوف على قبر زوجها عبد الله ولزيارة أخواله<sup>٣</sup>. وبعد شهر من مكثهم في يثرب، توفيت آمنة في طريق عودتها الى مكة في منزل يُسمى الابواء، ودُفنت هناك. كان عمر محمد آنذاك ست سنوات<sup>٤</sup>. فحضنته أم ايمن وجاءت به الى الى جده عبد المطلب<sup>٥</sup>. وقد كفله جدّة عبد المطلب واهتم بتربيته مادام على قيد الحياة، وكان

١ - ابن هشام، مصدر سابق، ج ١، ص ١٧٢ - ١٧١؛ البلاذري، مصدر سابق، ص ٩٣؛ ابن سعد، مصدر سابق، ص ١١٠ - ١١١.

٢ - نذكر منهم ابن شهر آشوب وهو من كبار المحدثين، وقد نقل هذه القضية ولكنه لم يُشر فيها الى يتم محمد (ص) على النحو الذي ذكرته مصادر اخرى. (مناقب آل ابي طالب، ج ١، ص ٣٣).

٣ - سلمى، ام عبدالمطلب كانت من أهل يثرب ومن قبيلة بني النجار (البیهقي، مصدر سابق، ج ١، ص ١٢).

٤ - ابن اسحاق، مصدر سابق، ص ٦٥؛ البلاذري، مصدر سابق، ص ٩٤؛ ابن سعد، مصدر سابق، ص ١١٦؛ ابن هشام، مصدر سابق، ص ١٧٧؛ البیهقي، مصدر سابق، ص ١٢١؛ الطبرسي، مصدر سابق، ص ٩؛ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق علي أكبر الغفاري (قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٣٦٣هـ. ش)، ج ١، ص ١٧٢؛ تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٧؛ الشيخ عبد القادر بدران، تهذيب تاريخ دمشق، ج ١، ص ٢٨٣.

٥ - الحلبي، مصدر سابق، ج ١، ص ١٧٢.

## ١٠٢..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى وفاة

النبي ﷺ

وكان يلاطفه ويقول: والله ان له شأنًا<sup>١</sup>.

### وفاة عبد المطلب ورعاية ابو طالب له

توفي عبد المطلب ورسول الله ﷺ ابن ثمان سنين، فوصى به عمه أبا طالب، وذلك لأن عبد الله أبا رسول الله ﷺ وأبا طالب اخوان لأم<sup>٢</sup>. فكفل رسول الله ﷺ بعد وفاة عبد المطلب ابو طالب عمه؛ فكان خير كافل مع إملاقه<sup>٣</sup>. وكان ابو طالب سيدا شريفا مطاعا مهيبا<sup>٤</sup>. وكان سيد قومه في زمانه<sup>٥</sup>. وكان يحبه حبا شديدا لا يجب ولده كذلك<sup>٦</sup>.

وربته فاطمة بنت أسد بن هاشم امرأة ابي طالب وكانت تحبه كثيرا وتحنو عليه وتفضله على أبنائها؛ فلم ينسها وكان يصفها بأنها امه<sup>٧</sup>.

### سفره الى الشام ونبوءة الراهب

وفي احدى السنوات خرج ابو طالب إلى الشام في ركب قافلة قريش تاجرا،

---

١ - ابن هشام، مصدر سابق، ج ١، ص ١٧٨؛ الصدوق، مصدر سابق، ج ١، ص ١٧١؛ المجلسي، مصدر سابق، ص ٤٠٦؛ تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٩.

٢ - ابن هشام، مصدر سابق، ص ١٨٩؛ المجلسي، مصدر سابق، ص ٤٠٦؛ الطبري، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٩٤.

٣ - تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١١؛ ابن سعد، مصدر سابق، ج ١، ص ١١٩؛ المجلسي، مصدر سابق، ص ٤٠٧؛ عبد الرحمن السهيلي، الروض الأنف، (القاهرة: مؤسسة المختار)، ج ١، ص ١٩٣.

٤ - تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١١؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، (بيروت: دار العلم للملايين، ط ١، ١٩٦٨م)، ج ٤، ص ٨٢.

٥ - ابن ابي الحديد، شرح نصح البلاغة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (القاهرة: دار احياء الكتب العربية، ١٩٦٢م)، ج ١٥، ص ٢١٩.

٦ - ابن سعد، مصدر سابق، ج ١، ص ١١٩؛ ابن شهر آشوب، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٦؛ المجلسي، مصدر سابق، ص ٤٠٧؛ الشيخ عبد القادر بدران، تهذيب تاريخ دمشق، ج ١، ص ٢٨٥.

٧ - تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١١؛ ابن ابي الحديد، مصدر سابق، ج ١، ص ١٤؛ مقدمة اصول الكافي، ج ١، ص ٤٥٣.

### طفولته وصباه ﷺ ..... ١٠٣

ولما تهيأ للرحيل تعلّق به رسول الله ﷺ . في ما يزعمون . وكان عمره حسب اختلاف المؤرخين ٨ أو ٩ أو ١٢ أو ١٣ سنة، فأخذه معه. فلما نزل الركب بصرى<sup>١</sup> اقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريباً من صومعة كان فيها راهب يدعى بحيرى كان إليه علم أهل النصرانية، فرأى في الركب . حين اقبلوا . رسول الله ﷺ ورأى فيه بعض علامات النبوة . وبعدما تحدث مع محمد ﷺ وعرض عليه بعض الأسئلة، اقبل على عمه ابي طالب وأوصاه ان يحذر عليه من اليهود . ولا بد من عرض علّ ملاحظات بشأن هذه الحادثة:

١. ذكرت بعض المصادر التاريخية والحديثية هذه الحادثة بايجاز، بينما ذكرتها مصادر اخرى بكثير من الاطناب والتفصيل، ولكن ليس ثمة شك في أصل وقوعها؛ وذلك لأن القرآن الكريم نقل في عدة آيات ما تنبأ به الانبياء السابقون من بعثة النبي محمد ﷺ. وفي هذا تأكيد على معرفة علماء اهل الكتاب بعلاماته ومعرفتهم في هذا المجال<sup>٢</sup>. وقد نُقلت في كتب التاريخ والحديث نبوءات متعددة لأهل الكتاب حول بعثة رسول الله ﷺ<sup>٣</sup>.

٢. العلامات التي كانت عند علماء أهل الكتاب حول النبي محمد ﷺ، كان البعض منها يختص بحياته الخاصة ووصافه الجسمية (مثل يتمه في طفولته، وملامحه، واسمه)، ويتعلّق بعضها الآخر بخصائصه العائلية والقبلية (مثل كونه عربياً، وزواجه من امرأة ذات شخصية مرموقة، وما شابه ذلك). ومن ابرز علاماته الجسمية خال ظاهر بين كتفيه يُسمى خال النبوة

١ - قصبة كورة حوران من اعمال دمشق. «ياقوت الحموي، معجم البلدان، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٣٩٩هـ.)، ج ١، ص ٤٤١>.

٢ - سورة البقرة (٢)، الآيات ٤١، ٤٢، ٨٩، ١٤٦؛ سورة الاعراف (٧)، الآية ١٥٧؛ سورة الانعام (٦)، الآية ٢٠؛ سورة الصف (٦١)، الآية ٦.

٣ - راجع: جعفر سبحاني، راز بزرگ رسالت (طهران: مكتبة مسجد جامع طهران، ١٣٥٨)، ص ٢٧٨- ٢٦٢. هناك كتب مستقلة دوّنت في موضوع نبوءة الانبياء السابقين حول بعثة رسول الاسلام، نذكر هاهنا ثلاثة منها على سبيل المثال لا الحصر: محمد في التوراة والانجيل، تأليف البروفسور عبد الاحد داود؛ المدرسة السيّارة، تأليف محمد جواد البلاغي؛ انيس الاعلام، تأليف فخر الاسلام.

## ١٠٤..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى وفاة

النبي ﷺ

او خاتم النبوة<sup>١</sup>.

٣. ان نبوءة بحيرى كانت جديدة على أسماع أهل الركب فحسب، وانما كان ابو طالب وكل قرابة محمد ﷺ على معرفة بأنه سيكون له شأن عظيم<sup>٢</sup>.

### تحريف التاريخ من قبل المسيحيين

عمد بعض المستشرقين الى تحريف التاريخ في ما يخص واقعة لقاء بحيرى بمحمد ﷺ؛ فزعموا ان محمدا أخذ عنه تعاليم التوراة والانجيل<sup>٣</sup>.

وأشار ويل ديورانت الى هذا الزعم بطريقة أكثر اعتدالا حيث قال:

اخذه عمه ابو طالب معه وهو في الثانية عشرة من عمره في قافلة إلى بصرى ببلاد الشام وليس يبعد ان يكون قد عرف في هذه الرحلة قليلا من القصص الشعبية اليهودية والمسيحية<sup>٤</sup>.

ولابد من الرد على هذا الاتهام وهذا التزييف للتاريخ بالقول:

١. باتفاق المؤرخين كان محمد ﷺ أميا لا يجيد القراءة والكتابة.

٢. لم يكن سنّه يتجاوز حينذاك . كما ذكرنا . ثلاث عشرة سنة.

٣. كان هناك فاصل زمني طويل بين ذلك اللقاء ومبعثه.

٤. كان لقاءه ببخيرى قصيرا ولم يحصل فيه الا طرح اسئلة من قبل بحيرى والاجابة عنها

---

١ - ابن هشام، مصدر سابق، ج ١، ص ١٩٣؛ البيهقي، مصدر سابق، ص ١٩٥؛ سنن الترمذي، تحقيق: ابراهيم عطوة عوض، (بيروت: دار احياء التراث العربي)، ج ٥، المناقب، الباب ٣، ص ٥٩٠؛ الحديث ٢٦٢٠؛ الشيخ عبد القادر بدران، تهذيب تاريخ دمشق، ج ١، ص ٢٧٨؛ ابن كثير، سيرة النبي، ج ١، ص ٢٤٥؛ صحيح البخاري، تحقيق: الشيخ قاسم الشماخي الرفاعي، ج ٥، ص ٢٨، الباب ٢٣، الحديث ٧١.

٢ - تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ١١؛ البلاذري، انساب الأشراف، ج ١، ص ٨١؛ اصول الكافي، ج ١، ص ٤٤٧.

٣ - غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص ١٠١؛ اجناس جلدزهر، العقيدة والشرعية في الاسلام، (القاهرة: دار الكتب الحديثة، الطبعة ٢)، ص ٢٥؛ محمد الغزالي، دفاع عن العقيدة والشرعية ضد مطاعن المستشرقين، ص ٤٧؛ كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تعريب نبيه امين فارس، ومنير البعلبكي (بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة ١، ١٩٨٨م)، ص ٣٤.

٤ - قصّة الحضارة، عصر الايمان، الباب الاول، ترجمة محمد بدران، (طبعة دار الفكر، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، ج ٧، ص ٢٢.



من قبل محمد ﷺ .

فكيف نصدق بأن صبيا أميا قد تعلّم في لقاء قصير كل تعاليم التوراة والانجيل بحيث صاغها، في ما بعد، عندما بلغ سن الأربعين، على شكل شريعة كاملة؟!  
 ٥. لو كان محمد ﷺ قد أخذ شيئاً عن ذلك الراهب، لكانت قريش . بما كانت تشبّث به من ذرائع وحجج . قد اتخذته ذريعة للتشهير به، بينما لا يوجد في تاريخ الإسلام شيء من هذا القبيل . ولم يتطرق القرآن في معرض ردّه على تهم وافتراءات قريش الى مثل هذا الموضوع .  
 ٦. لو كان قد حصل مثل هذا الشيء لنقله من كان في ذلك الركب .  
 ٧. لو صحّ مثل هذا الادعاء، فلماذا لم يزعم مسيحيّو الشام بأنهم معلمو محمد ﷺ ؟

٨ . لو كان هذا الادعاء صحيحاً لكان ينبغي ان تكون تعاليم الإسلام مشابحة لتعاليم التوراة والانجيل . بينما لا يوجد مثل هذا التشابه، بل حتى ان القرآن الكريم فنّد الكثير من معتقدات اليهود والنصارى، ووصف في مواضع متعددة تعاليم التوراة والانجيل بالبطلان<sup>١</sup> .  
 أتى عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ فقال: انا نسمع احاديث من يهود تعجبنا، فترى ان نكتب بعضها؟ فقال: كمتهوكون انتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية . ولو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي > وقوله: متهوكون: متحورّون . أي هل انتم متحورّون في الإسلام لا تعرفون دينكم حتى تأخذوه من اليهود والنصارى<sup>٢</sup> .  
 كان الرسول في المدينة (حيث كانت تعيش أعداد غفيرة من اليهود) يخالف الكثير من احكام وتعاليم اليهود<sup>٣</sup>، حتى انهم قالوا:

١ - سورة النساء (٤)، الآيات ٤٧، ٥١، ١٧١؛ سورة المائدة (٥)، الآيات ٧٢ - ٧٣؛ سورة التوبة (٩)، الآية ٣٠ .

٢ - الشيخ عباس القمي، سفينة البحار، ج ٢، ص ٧٢٧، كلمة <هوك>؛ مجد الدين بن الاثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٥، ص ٢٨٢، الكلمة نفسها مع اختلاف ضئيل .

٣ - السيد جعفر مرتضى العاملي، الصحيح من سيرة النبي الأعظم، (قم: ١٤٠٣ هـ)، ج ٢، ص ١٠٦ .

## ١٠٦..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى وفاة

النبي ﷺ

كما يريد هذا الرجل ان يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه<sup>١</sup>.

ومن المسيحيين الذين اتخذوا هذه القضية ذريعة لبث سمومهم واختلاق الأكاذيب ضد الإسلام غونستان فيرجيل غيورغيو الذي نقل هذه القضية بشكل مجرّس لا يتطابق مع أي معيار بل ولا ينسجم حتى مع مزاعم المسيحيين انفسهم، حيث كتب ما يلي:

كتب المؤرخ العربي ابن هشام ما يلي: خلافاً لما كان يتصوره الناس لم يكن بحيرة(?) نصرانياً، بل كان من اتباع شخص اسمه ماني كان قد ادّعى النبوة في عهد سلطنة الساسانيين، وقد صلبه الملك الساساني بهرام الاول في عام ٢٧٦م في مقابل بوابة جنديسابور في خوزستان. كان ماني - الذي ادّعى النبوة - وأتباعه ومنهم بحيرة، يعتقدون بأن الله تعالى لا يخص امة دون سواها وانما هو لكل الامم في العالم، وذلك لأن كل الامم منه. ومتى ما شاء الله بعث في امة نبياً يكلم ابناءها بلسانهم<sup>٢</sup>.

ويبدو ان مراده من <ابن هشام> عبد الملك بن هشام (م ١٣هـ). مؤلف الكتاب المعروف

<السيرة النبوية> الذي يُعتبر من المصادر المهمة في تاريخ الإسلام.

ولكن كلمة ماني لا وجود لها في سيرة ابن هشام ولا في أي مصدر آخر من المصادر الإسلامية القديمة، ووردت سيرة هذا الشخص في التواريخ المسيحية (وفي اليهودية بندرة). ويفهم من خلال الموضوع انه كان على الديانة المسيحية.

ولا يسعنا هنا الا ان نتساءل: من اين جاء غيورغيو بهذه المعلومات؟!

وفضلاً عن ذلك لم يكن هناك اتباع لديانة ماني في الشام. وكما ذكرنا في <بحث الاديان

والمذاهب في جزيرة العرب> فأن ديانة ماني كانت تتركز في ايران.

١ - الحلي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٣٢.

٢ - محمد پیامبری که از نو باید شناخت [محمد، النبي الذي يجب ان يعرف من جديد]، ترجمه الى اللغة الفارسية ذبيح الله منصورى، ص ٥. هذا الكتاب تكتنفه الكثير من الاخطاء ونقاط الضعف، وفيه تحريفات كثيرة قللت من القيمة العلمية للكتاب إلى حدٍّ بعيد.

وهنا ينبغي التساؤل . كما قال أحد الباحثين . هل ان الزعم بأنَّ بحيرى كان على ديانة ماني يراد منه القول بأن توحيد الله وعالمية الدين الإسلامي جاء تقليدا لما جاء به ماني؟! لقد رأينا امثال هذا كثيرا من المسيحيين في القرون الأخيرة؛ اذ ليس من المهم بالنسبة إليهم نسبة أسمى وانبل فكر الى أديان منسوخة؛ وذلك لانهم يعلمون بأن هذه الاديان ليس لها اتباع كثيرون ليكون مفخرة لها.

والإسلام هو الدين الوحيد الذي لازالت المسيحية تخشاه بعد مر عتِّ قرون على الحروب الصليبية، وترى انه لا بد لها من اللجوء حتى الى الكذب للنيل من هذا الدين والخط من عظمة تعاليمه<sup>١</sup>.

---

١ - محمد خاتم پیامبران [محمد خاتم الانبياء] (باللغة الفارسية)، ج ١، ص ١٨٨، مقالة السيد جعفر شهیدی. شكك بعض الباحثين المعاصرين بقصة لقاء محمد (ص) ببخيرى، واثاروا جدلاً حول صحتها، وهو أمر جدير بالنقاش من الناحية التاريخية. راجع في هذا المجال: نقد وبررسی منابع سيرة نبوي (مجموعة مقالات)، معهد دراسات الحوزة والجامعة ١٣٧٨ هـ.ش. رمضان محمدی؛ نقد وبررسی سفر پیامبر اکرم (ص) به شام، ص ٣٢١ - ٣٣٠.

ولابد من الالتفات الى اننا لو نفينا هذه القضية - على سبيل الفرض - فان ذلك لا يقلل من عظمة رسول الاسلام؛ وذلك لأن التنبؤات والبشارات التي تحدثت عن بعثة النبي الموعود لا تنحصر بهذا المورد فقط، ولكن كما ذكرنا بما ان المستشرقين اتخذوا هذه الحادثة التي وردت في التواريخ الإسلامية ذريعة للفساد وتحريف تاريخ الاسلام، فاننا عرضناها على بساط البحث وقدنا اقوالهم.



## الفصل الثالث

### محمد ﷺ في شبابه

#### حلف الفضول<sup>١</sup>

وهو اشرف حلف عقد بين زعماء عدد من بطون قريش<sup>٢</sup>. وسبب هذا الحلف ان رجلا من زبيد قدم مكّة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل من بني سهم، فحبس عنه حقّه. فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف، فأبوا معونة الزبيدي على العاص بن وائل وانتهروه. وكما ذكرنا سابقا فان جزيرة العرب كان يسودها النظام القبلي الذي كان يستدعي ان تدافع كل قبيلة عن مصالح افرادها، وكان اذا ظلم فيها غريب لا يجد ناصر بينهم ولا معين. وعندما رأى الزبيدي اجتماع زعماء قريش الى جانب الكعبة، صعد على أبي قبيس واستغاث منادياً بأعلى صوته:

يا أهل فھر المظلوم بضاعته	ببطن مكّة نائي الأهل والنفر
ومجرّم اشعث لم يقض عمرته	يا آل فھر وبين الحجر والحجر
هل مخفر من بني سهم بخفرته	ام ذاهب من ضلال مال معتمر
ان الحرام لمن تمت حرامته	ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

---

١ - من الوقاع التي قيل ان محمدا ﷺ حضرها في شبابه وشارك فيها حرب الفجار التي وقعت قبل حلف الفضول وكان حينها يبلغ من العمر ١٤ الى ٢٠ سنة. ولكننا لا نستطيع ان نؤكد صحّة ذلك، بل نشك فيه، وهناك ادلة وشواهد كثيرة تدحضه. (الصحيح من سيرة النبي الأعظم)، ج ١، ص ٩٥ - ٩٧؛ درس هاني تحليلى از تاريخ اسلام، ج ١، ص ٣٠٣ - ٥٠٣.

٢ - ابن سعد، الطبقات الكبرى، (بيروت: دار صادر)، ج ١، ص ١٢٨؛ محمد بن حبيب، المنعم في اخبار قريش، تحقيق خورشيد احمد فاروق، (بيروت: عالم الكتب، الطبعة ١، ١٤٠٥هـ)، ص ٥٢.

وعند سماع استغاثته دعا الزبير بن عبد المطلب، وكبار بني هاشم، وبنو عبد المطلب، وبنو زهرة، وبنو تميم، وبنو الحارث (وكانوا رهطاً طيب السمعة في قريش) الى اجتماع في دار عبد الله بن جدعان التيمي وتحالفوا على ان لا يُظلم غريب في مكة وان يؤخذ حق المظلوم من الظالم، سواء كان منهم او من غيرهم وسواء كان فقيراً ووضيعاً أو غنياً وشريفاً. ثم مشوا الى العاص وانتزعوا منه حق الرجل الذي استغاثهم<sup>٣</sup> وكان عمر محمد ﷺ يومذاك قد جاوز العشرين<sup>٤</sup> وقد حضر ذلك الحلف.

كانت مشاركة محمد ﷺ في هذا الحلف عملاً نبيلاً ونوعاً من الدفاع عن حقوق الانسان في ذلك المجتمع الجاهلي. وتكمن أهمية هذه المشاركة في ان اترابه من ابناء مكة كانوا في ذلك الوقت منكبين على الشراب واللذائذ ومنغمسين في اللهو واللعب ولا يدركون معاني القيم الانسانية مثل نصره المظلوم وتطهير المجتمع وتطبيق العدالة، بينما كان هو يحضر مثل هذا الحلف الى جانب اكابر رجال قريش. وقد اثني ﷺ على هذا الحلف بعد بعثته وذكره بفخر قائلاً: ما أحبُّ أن لي بحلف حضرته في دار عبد الله بن جدعان حُمر النعم، ولو دُعيت به لأجبت<sup>٥</sup>.

وقد سُمِّيَ هذا الحلف باسم حلف الفضول لأنه فضل على الاحلاف الاخرى<sup>٦</sup>. وبقي هذا الحلف حصناً يلوذ به المظلومون، ووقعت في الازمنة اللاحقة عدّة احداث

٣ - محمد بن حبيب، مصدر سابق، ص ٥٣ - ٥٢؛ ابن سعد، مصدر سابق، ص ١٢٨؛ تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٣؛ ابن هشام، سيرة النبي، ج ١، ص ١٤٢؛ البلاذري، انساب الأشراف، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة ١، ١٣٩٤هـ)، ج ٢، ص ١٢.

٤ - محمد بن سعد، مصدر سابق. وذكروا أيضاً ان سن النبي آنذاك كان اكبر مما ذكر، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٣؛ المنقي في اخبار قريش، ص ٥٣؛ ابن أبي الحديد، شرح نصح البلاغة، (القاهرة: دار احياء الكتب العربية، ١٩٦٢م)، ج ١٥، ص ٢٢٥.

٥ - ابن هشام، مصدر سابق، ص ١٤٢؛ اليعقوبي، مصدر سابق، ص ١٣؛ البلاذري، مصدر سابق، ص ١٦؛ محمد بن حبيب، مصدر سابق، ص ١٨٨.

٦ - محمد بن حبيب، مصدر سابق، ص ٥٥ - ٥٤.

استعان فيها المظلومون بهذا الحلف، واستردوا بواسطته حقوقهم من قبضة اصحاب القوة والطول في مكة<sup>٧</sup>.

### سفره الثاني الى الشام

كانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء يجعله لهم<sup>٨</sup>. ولما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وعشرين سنة<sup>٩</sup>، قال له عمه ابو طالب: يا ابن اخي انا رجل لا مال لي، وقد اشتد الزمان وألحت علينا سنون منكرة وليس لنا ما<sup>١٠</sup> ولا تجارة. وهذه غير قومك قد حضر خروجها الى الشام، وخديجة بنت خويلد تبعث رجالاً من قومك في عيراتها فيتجرون لها في مالها ويصيبون منافع، فلو جئتها لأسرعت اليك وفضلتك على غيرك.

ومن جانب آخر كان قد بلغ خديجة صدق محمد وامنته وكرم اخلاقه فأرسلت إليه وقالت له: اذا تكفلت بتجارتي فانا اعطيك ضعف ما اعطي رجالاً من قومك، وارسل معك غلامي ميسرة لمساعدتك. فوافق على ما عرضته عليه<sup>١١</sup>. وانطلق في ركب قريش وخرج معه غلامها ميسرة<sup>١٢</sup>. ويرجع في تجارته هذه أضعاف ما كان يرجعه غيره<sup>١٣</sup>.

شاهد ميسرة في هذا السفر من رسول الله ﷺ كرامات بعثت في نفسه الحيرة. حيث بشّره في هذا السفر نسطور الراهب بالنبوة. ورأى ميسرة انه حصل بينه وبين رجل اختلاف

٧ - المصدر السابق؛ البلاذري، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٣.

٨ - ابن هشام، مصدر سابق، ج ١، ص ١٩٩؛ ابن اسحاق، السير والمغازي، تحقيق سهيل زكار، (بيروت: دار الفكر، الطبعة ١، ١٣٩٨هـ)، ص ٨١؛ قال سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص، ص ٣٠١ كانت خديجة تستخدمهم بالمضاربة بأموالها. وقال ابن الاثير، في اسد الغابة، ج ١، ص ١٦. يقول: كانت اما تستأجره او تدفع له اموالها يضارب بها.

٩ - ابن سعد، مصدر سابق، ج ١، ص ١٢٩.

١٠ - تدل الشواهد على انه كان يضارب باموال خديجة ولم يكن أجيرا لها (الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ج ١، ص ١١٢).

١١ - ابن هشام، مصدر سابق، ص ١٩٩؛ ابن اسحاق، مصدر سابق، ص ٨١.

١٢ - ابن سعد، مصدر سابق، ص ١٣٠.

## ١١٢..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى وفاة

النبي ﷺ

في سلعة، فقال الرجل لرسول الله: إحلف باللات والعزى. فقال النبي ﷺ: ما حلفت بهما قط<sup>١</sup>. وعند قدومهم الى مكة حدثها ميسرة بما رآه في هذا السفر من كرامات محمد ﷺ<sup>٢</sup>.

محمد ﷺ<sup>٢</sup>.

### زواجه بخديجة

كانت خديجة من خيرة نساء قريش شرفاً<sup>٣</sup>، وأكثرهم مالاً، واحسنهن جمالاً، وكانت تُدعى تُدعى في الجاهلية بالطاهرة؛ ويُقال لها سيّدة قريش<sup>٤</sup> والمشهور انها كانت قد تزوجت قبل رسول الله ﷺ برجلين وقد توقّيا عنها<sup>٥</sup>.

---

١ - ابن سعد، مصدر سابق، ص ١٣٠.

٢ - ابن اسحاق، مصدر سابق، ص ٨٢؛ ابن سعد، مصدر سابق، ص ١٣١؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، (بيروت: دار صادر)، ج ٢، ص ٣٩؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك (بيروت: دار القاموس الحديث)، ج ٢، ص ١٩٦؛ البيهقي، دلائل النبوة، ج ١، ص ٢١٥؛ ابن الاثير، اسد الغابة (طهران: المكتبة الإسلامية)، ج ٥، ص ٤٣٥؛ ابو بشر، محمد بن احمد الرازي الدولابي، الذرّة الطاهرة، تحقيق السيد محمد جواد الحسيني الجلاي (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة ٢، ١٤٠٨هـ)، ص ٤٥ - ٤٦.

٣ - ابن هشام، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٠١ - ٢٠٠؛ ابن سعد، مصدر سابق، ج ١، ص ١٣١؛ البيهقي، مصدر سابق، ج ١، ص ٢١٥؛ الرازي الدولابي، مصدر سابق، ص ٤٦؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٣٩.

٤ - ابن الاثير، اسد الغابة، ج ٥، ص ٤٣٤؛ الحلبي، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٢٤؛ العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، بيروت، بيروت، دار احياء التراث العربي، ج ٤، ص ٢٨١؛ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (في حاشية الإصابة)، ج ٤، ص ٢٧٩.

٥ - الحلبي، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٢٤.

٦ - وكانت قبل ذلك قد تزوّجت عُثَيْق بن عائد وأبا هالة هند بن النباش (ابن الاثير، اسد الغابة، ج ٥، ص ٤٣٤؛ ابن حجر، مصدر سابق، ص ٢٨١؛ ابن عبد البر، مصدر سابق، ص ٢٨٠؛ الحلبي، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٢٩؛ ابو سعيد الخركوشي، شرف النبي؛ الشيخ عبد القادر بدران، تهذيب تاريخ دمشق (بيروت: دار احياء التراث العربي، الطبعة ٣، ١٤٠٧هـ)، ج ١، ص ٣٠٢، تشير بعض الوثائق والأدلة التاريخية الى ان خديجة لم تتزوَّج من قبل وان محمداً كان أول زوج لها. وهناك من الباحثين المعاصرين من يؤكد على هذا. (مرتضى العاملي، جعفر، الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ج ١، ص ١٢١).



وكل قومها كان حريصا على نكاحها لو قدر على ذلك<sup>١</sup>.  
 وكان قد خطبها رجال معروفون مثل عقبة بن ابي معيط، وابو جهل، وابو سفيان،  
 وخديجة لا ترغب في واحد منهم<sup>٢</sup>.  
 وعلى صعيد آخر كانت بين رسول الله ﷺ وبين خديجة قرابة؛ اذ ينتهي نسب كل  
 منهما الى قصي بن كلاب، وفضلاً عن ذلك كانت لديها معلومات عما سيكون عليه من  
 عظيم الشأن<sup>٣</sup>. وكانت ترغب في تزويج نفسها له<sup>٤</sup>. وعرضت خديجة عليه ان يتزوجها، ووافق  
 محمد ﷺ على ذلك العرض بموافقة أعمامها. وحصل الزواج في جمع عائلي<sup>٥</sup>.  
 وبناءً على القول المشهور كان عمر خديجة يومذاك أربعين سنة، وكان عمر الرسول خمساً  
 وعشرين سنة<sup>٦</sup>. وكانت خديجة اول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ<sup>٧</sup>.

- 
- ١ - ابن سعد، مصدر سابق؛ البيهقي، مصدر سابق، ص ٢١٥؛ الطبري، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٩٧؛ الحلبي، مصدر سابق؛ ابن  
 الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٤٠.
  - ٢ - المجلسي، بحار الانوار (طهران: دار الكتب الاسلامية)، ج ١٦، ص ٢٢.
  - ٣ - المجلسي، مصدر سابق، ص ٢١ - ٢٠؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٠٣؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل ابي طالب،  
 (قم: المطبعة العلمية)، ج ١، ص ٤١.
  - ٤ - المجلسي، مصدر سابق، ص ٢٣ - ٢١.
  - ٥ - ابن اسحاق، مصدر سابق، ص ٨٢؛ البلاذري، انساب الاشراف، تحقيق محمد حميد الله، (القاهرة: دار المعارف) ج ١،  
 ص ٩٨؛ تاريخ البعوني، ج ٢، ص ١٦؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٤٠؛ الرازي الدولابي، مصدر سابق، ص ٤٦؛ الحلبي،  
 مصدر سابق، ص ٢٢٧؛ ابن شهر آشوب، مصدر سابق، ج ١، ص ٤٢؛ المجلسي، مصدر سابق، ج ١٦، ص ١٩.
  - ٦ - البلاذري، مصدر سابق، ص ٩٨؛ ابن سعد، مصدر سابق، ج ١، ص ١٣٢؛ الطبري، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٩٦؛ الحلبي،  
 مصدر سابق، ص ٢٢٨؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ٢٨٠؛ ابن الاثير، اسد الغابة، ج ٥، ص ٤٣٥؛ الكامل في التاريخ،  
 ج ٢، ص ٣٩؛ وهناك اقوال اخرى حول سن خديجة اثناء زواجها بالنبي. راجع: امير مهنا الخيامي، زوجات النبي واولاده (بيروت:  
 مؤسسة عز الدين، الطبعة ١، ١٤١١هـ)، ص ٥٣ - ٥٤.
  - ٧ - ابن هشام، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٠١؛ الرازي الدولابي، مصدر سابق، ص ٤٩؛ البيهقي، مصدر سابق، ج ١، ص ٢١٦؛  
 ابو سعيد الخركوشي، مصدر سابق، ص ٢٠١؛ الشيخ عبد القادر بدران، تهذيب تاريخ دمشق، ج ١، ص ٣٠٢؛ ابن الاثير، اسد  
 الغابة، ج ٥، ص ٤٣٤.

### نصب الحجر الاسود

كان لمحمد من حسن الاخلاق والسلوك القويم والصدق والامانة ما جعل أهل مكة يحبونه ويسمونهم الامين<sup>١</sup>. وكانت له في قلوب الناس محبة بحيث ارتضوه حكما في نصب الحجر الأسود<sup>٢</sup>. وتدبر الامر بحكمة وحل ما كان بينهم من الاختلاف. وملخص القصة هو كالآتي:

لما بلغ رسول الله ﷺ خمسا وثلاثين سنة جاء سيل من جبال مكة وصلى جدران الكعبة. وكانت جدرانها قصيرة ولم يكن لها سقف. ولم تكن هناك ضرورة لبناء ما يحفظ الامتعة والهدايا التي تُهدى اليها. وعزمت قريش على ان تبني للكعبة سقفاً ولكن لم يتحقق ذلك. وبعد ذلك قرر وجهاء مكة هدم الكعبة وبناءها من جديد وبناء سقف لها.

ولما بلغ البنيان موضع الحجر الاسود اختصموا وصارت كل قبيلة تريد ان ترفعه الى موضعه دون الاخرى، وانبعثت عند ذاك المفاخر والمآثر القبلية وأطلقت برأسها. فكانت كل قبيلة تريد ان يكون لها شرف رفع الحجر الاسود. حتى ان بعض القبائل تحالفت على الموت وادخلوا ايديهم في جفنة مليئة دما لكي لا يتركوا هذه المنقبة تذهب الى قبيلة اخرى.

وفي الحتام عرض عليهم اكبر قريش سنا ان يجعلوا بينهم في ما يختلفون فيه اول من يدخل من باب بني شيبه [او باب الصفا] ليقضي بينهم. فكان اول داخل منه رسول الله ﷺ. فلما رأوه قالوا: هذا الامين رضيناه؛ هذا محمد. فأمر بثوب وبسطه على الارض وأخذ الحجر

١ - ابن سعد، مصدر سابق، ج ١، ص ١٢١؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج ١، ص ٢١٠؛ البيهقي، مصدر سابق، ج ١، ص ٢١١؛ المجلسي، مصدر سابق، ج ١٥، ص ٣٦٩.

٢ - هذا الحجر من اقدس اجزاء الكعبة. وجاء في الروايات انه من الجنة او من السماء، وقد جعله النبي ابراهيم بأمر الله تعالى ضمن بناء الكعبة >المجلسي، مصدر سابق، ج ١٢، ص ٨٤ و ٩٩؛ الازقي، تاريخ مكة، تحقيق: رشدي الصالح ملحق (بيروت: دار الأندلس، الطبعة ٣، ١٤٠٣هـ)، ج ١، ص ٦٢ - ٦٣ والحجر الاسود موجود حتى الآن، وهو عبارة عن حجر بيضوي الشكل اسود اللون ضارب إلى الحمرة. وموقعه في الركن الشرقي من الكعبة على ارتفاع متر ونصف من الارض، ومنه يبدأ الطواف.

الأسود ووضعه فيه بيده الشريفة. ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب. ثم رفعوه جميعاً حتى بلغوا موضعه؛ فوضعه هو ﷺ في موضعه<sup>١</sup>. وهكذا زال بهذا التدبير الحسن ما كان من اختلاف بين القبائل وحال بذلك دون وقوع حرب دامية بينها.

### علي عليه السلام في مدرسة الرسول ﷺ

بعد سنوات من إعادة بناء الكعبة، وقبل بضعة سنوات من بعثة النبي محمد ﷺ جاء علي مكة قحط. وكان أبو طالب عم الرسول فقيراً وكثير العيال. فعرض محمد ﷺ على عمه العباس. الذي كان من أغنياء بني هاشم. أن يأخذ كل واحد منهما واحداً من ابني أبي طالب تخفيفاً عما كان يعانيه من ضغوط مادية. فوافق العباس على ذلك العرض. فانطلقا إليه وأعلماه ما أرادا. فقبل ما جاء لأجله. فأخذ العباس جعفرًا، وأخذ محمد ﷺ علياً فلم يزل علي عند النبي ﷺ حتى أرسله الله فاتبعه<sup>٢</sup>. وكان علي حينها ابن ست سنين<sup>٣</sup>. أي أنه كان في مرحلة حساسة تتبلور فيها الشخصية وتكون مستعداً لقبول التربية. ولعل محمد ﷺ أراد من تكفل وتربية أحد أبناء أبي طالب أن يدعو<sup>٤</sup> عما تحمله هو وزوجته فاطمة بنت أسد من تعب ومشقة. وقد وجد أنه أكثر ابنائهما استعداداً وأهلية للتربية وبعد أن تكفل بتربيته قال:

١ - ابن سعد، مصدر سابق، ج ١، ص ١٤٦ - ١٤٥؛ تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ١٥ - ١٤؛ المجلسي، مصدر سابق، ج ١٥، ص ٣٣٨ - ٣٣٧؛ البلاذري، مصدر سابق، ج ١، ص ١٠٠ - ٩٩ - ١٠٠؛ المسعودي، مروج الذهب (بيروت: دار الأندلس، الطبعة ١، ١٩٦٥م)، ج ٢، ص ٢٧١ - ٢٧٢. ذكر بعض المؤرخين سبباً آخر لخراب الكعبة، ويبتوا دافعاً آخر لإعادة بنائها. ولكنهم كلهم نقلوا أن النبي هو الذي قضى بين القوم. (راجع: السير والمغازي، ص ١٠٣؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٠٥؛ البيهقي، دلائل النبوة، ج ١، ص ٢١٠).

٢ - ابن هشام، سيرة النبي، (القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥١هـ). ج ١، ص ٢٦٢؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، بيروت: دار القاموس الحديث، ج ٢، ص ٢١٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ (بيروت: دار صادر، ١٣٩٩هـ)، ج ٢، ص ٥٨؛ البلاذري، انساب الأشراف، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة ١، ١٣٩٤هـ)، ج ٢، ص ٩٠؛ ابن أبي الحديد، شرح نخب البلاغة (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٢م)، ج ١٣، ص ١١٩؛ ج ١، ص ١٥.

٣ - ابن أبي الحديد، مصدر سابق، ج ١، ص ١٥؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، (قم: المطبعة العلمية)، ج ٢، ص ١٨٠.

«اخترت من اختار الله لي عليكم، علياً»<sup>١</sup>.

كان محمد ﷺ يحب علياً حباً جماً، ولم يتوان في تربيته.

«قال الفضل بن العباس (احد ابناء عم علي): سألت أبي عن ولد رسول الله ﷺ المذكور، أيهم كان رسول الله ﷺ له أشد حباً؟

فقال: علي بن ابي طالب ﷺ».

فقلت له: سألتك عن بنيه. فقال: انه كان احب إليه من بنيه جميعاً وأرأف، ما رأيناه زايه يوماً من الدهر منذ كان طفلاً الا ان يكون في سفر لخديجة، وما رأينا أباً ابر بابن منه لعلي، ولا ابناً اطوع لأب من علي له»<sup>٢</sup>.

اخذ محمد ﷺ بعد بعثته يهتم كثيراً بتعليم علي وبيان تعاليم الإسلام له. فكان اذا انزل عليه الوحي ليلاً فلا يصبح حتى يعلمه علياً، واذا نزل نهاراً فلا يمسي حتى يعلمه علياً.

«وقيل لعلي: ما لك أكثر اصحاب رسول الله ﷺ حديثاً؟ فقال: اني كنت اذا سأله أنبأني، واذا سكت ابتدأني»<sup>٣</sup>. وقد وصف اثناء خلافته تلك الدورة التربوية التي قضاها مع رسول الله ﷺ كما يلي: وَ قَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْقُرْبَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الْخُصِيصَةِ وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَنَا وَلَدَ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ وَيَكْنُفُنِي فِي فَرْشِهِ وَيُمَسِّنِي جَسَدَهُ وَيُسَمِّنِي عَرْفَهُ وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ وَلَقَدْ قَرَأَ اللَّهُ بِهِ ﷺ مِنْ لَدُنِّي نَا كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكْرِارِ مِنْ بَيْنِ خَمْدٍ لَعَلَّ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمِّهِ يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْماً وَيَأْمُرُنِي بِالْإِفْتِدَاءِ بِهِ وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحَرْفٍ قُرْآنَهُ وَلَا

١ - ابو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبين، (النحف: منشورات المكتبة الحيدرية)، ص ١٥.

٢ - ابن ابي الحديد، مصدر سابق، ج ١٣، ص ٢٠٠.

٣ - الشيخ الطوسي، الأمالي، (قم: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة ١، ١٤١٤هـ)، ص ٦٢٤.

٤ - السيوطي، تاريخ الخلفاء، (القاهرة: الطبعة ٣، ١٣٨٣هـ)، ص ١٧٠.

محمد ﷺ في شبابه ..... ١١٧

لَمَّا جَمَعَ بَيْتَ مَحَدٍ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخَدِيجَةَ مَنَا  
ثَالُثُهُمَا إِلَى نُورِ الْوَحْيِ وَلِرِسَالَةِ شَمِّ رِيحِ النُّبُوَّةِ وَلَقَدْ سَمِعَتْ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ  
عَلَيْهِ ﷺ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ فَقَالَ هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أُبْسَ مِنْ عِبَادَتِهِ إِنَّكَ  
تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَنْ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَرَوْضُكَ عَلَى يَدَايِ  
رَبِّمَا يَنْطَبِقُ هَذَا الْكَلَامُ عَلَى عِبَادَةِ الرَّسُولِ ﷺ فِي غَارِ حِرَاءٍ بَعْدَ الْبَعْثَةِ، وَلَكِنْ بِمَا أَنَّ  
عِبَادَةَ الرَّسُولِ فِي غَارِ حِرَاءٍ غَالِبًا مَا كَانَتْ قَبْلَ الْبَعْثَةِ، يُمْكِنُ الْقَوْلُ بِأَنَّ هَذَا الْمَوْضِعَ يَتَعَلَّقُ  
بِمَرَحَلَةٍ مَا قَبْلَ بَعْثَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ. وَكَانَ سَمَاعُ رَنَّةِ الشَّيْطَانِ عِنْدَ بَعْثَةِ الرَّسُولِ يَعْنِي نَزُولَ أَوَّلِ  
آيَاتِ الْقُرْآنِ. وَعَلَى آيَةِ حَالٍ فَإِنَّ طَهَارَةَ رُوحِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمُثَابَرَةَ الرَّسُولِ عَلَى تَرْبِيَّتِهِ جَعَلَتْهُ  
يَتَمَيَّزُ مِنْذُ صَبَاهُ بِحَسِّ مَرْهَفٍ، وَبَصِيرَةٍ نَافِذَةٍ؛ وَاذْنُ سَامِعَةٍ، جَعَلَتْهُ قَادِرًا عَلَى رُؤْيَا مَا لَا يَرَاهُ  
غَيْرُهُ، وَسَمَاعٍ مَا لَا يَسْمَعُهُ سِوَاهُ.



## الباب الثالث

### من البعثة الى الهجرة

الفصل الاول: البعثة والدعوة

الفصل الثاني: الدعوة العلنية وبدء المعارضة

الفصل الثالث: نتائج معارضة قريش





## الفصل الاول

### البعثة والدعوة

#### ارهاصات الرسالة

ذكرنا من قبل بأن آباء محمد ﷺ كانوا كلهم موحدين، وانه ينتمي الى رهط طاهر، وازضافة الى شرف النسب كان على درجة عالية من التربية وحسن الخلق، ولم يتدنس منذ نعومة اظفاره بعبادة الأصنام وفساد اخلاق اهل مكة<sup>١</sup>. وكان منذ صغره موضع رعاية الله. وقد تجدّد عليّ ﷺ واصفا هذه المرحلة من الإعداد التربوي على النحو التالي:

«ولقد قرن الله به من لدن ان كان فطيماً اعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم ومحاسن اخلاق العالم ليله ونهاره...»<sup>٢</sup>.

وقال الامام محمد الباقر ﷺ:

«وكل الله بمحمد ﷺ ملكاً عظيماً منذ ان فصل عن الرضاع يرشده الى الخيرات ومكارم الاخلاق ويصده عن الشر ومساوئ الاخلاق وهو الذي كان يناديه: «السلام عليك يا محمد يا رسول الله»، وهو شاب لم يبلغ درجة الرسالة بعد، فيظن ان ذلك من الحجر والارض فيتأمل فلا يرى شيئاً»<sup>٣</sup>.

---

١ - علي بن برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية، (انسان العيون) (بيروت: دار المعرفة)، ج ١، ص ٢٠٤ - ١٩٩؛ ابو الفداء، اسماعيل

بن كثير، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي)، ج ١، ص ٢٥٠.

٢ - نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢، المسماة بالقاصعة.

٣ - ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (القاهرة: دار احياء الكتب العربية، ١٩٦١م)، ج ١٣،

كان رسول الله ﷺ يحب الخلاء والانفراد عن قومه لما يراهم عليه من الضلال المبين من عبادة الاوثان والسجود للأصنام، وقويت محبته للخلو عند مقاربة ايجاء الله إليه. وعندما بلغ السابعة والثلاثين بدأت تظهر له حالات روحانية وأخذ يشعر بأن هناك نافذة تنفتح عليه من عالم الغيب.

وغدا يتحقق كل ما كان قد سمعه عدة مرات من ابناء عشيرته وكذا من علماء اهل الكتاب مثل بحيرى ونسطور وغيرهم؛ اذ انه كان يرى نوراً خاصاً وأخذت تتكشف له اسرار، وطرق سمعه هاتف الغيب عتق مرات ولكنه ما كان يرى أحداً! وكان يرى في نومه كأن آتيا أنه فيقول له: يا رسول الله. وكان يوماً بين الجبال يرعى غنماً لأبي طالب، فنظر الى شخص يقول: يا رسول الله. فقال له: من انت؟ قال: انا جبرائيل، أرسلني الله إليك ليتخذك رسولاً. فأخبر النبي ﷺ خديجة بذلك، فقالت: يا محمد أرجو ان يكون كذلك<sup>٤</sup>.

كان محمد في هذه المرحلة يخلو بضعة أيام من السنة في جبل حراء<sup>٥</sup>، يقضيها بالعبادة

٤ - ابن كثير، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٨٩.

٥ - الحلبي، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٨١ - ٣٨٠؛ ابن هشام، سيرة النبي، تحقيق: مصطفى السقاء وآخرون، (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٥هـ). ج ١، ص ٢٥٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك (بيروت: دار القاموس الحديث)، ج ٢، ص ٢٠٣ - ٢٠٤؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب (قم: المطبعة العلمية)، ج ١، ص ٤٣؛ المجلسي، بحار الانوار (طهران: دار الكتب الإسلامية)، ج ١٨، ص ١٨٤ و ١٩٣؛ راجع: تاريخ البعقوبي (النفح: المكتبة الحيدرية، ١٣٨٤هـ)، ج ١، ص ١٧.

٦ - ابن شهر آشوب، مصدر سابق، ج ١، ص ٤٤؛ المجلسي، مصدر سابق، ج ١٨، ص ١٩٤؛ الطبرسي، إعلام الوري بأعلام الهدى، (طهران: دار الكتب الإسلامية، الطبعة ٣)، ص ٣٦. وفي ضوء هذه الأدلة والشواهد - كما روى المرحوم الكليني - فان محمداً (ص) قد كان في هذه المدة نبيا الا انه لم يكن قد بلغ مرحلة الرسالة. (الأصول من الكافي، طهران: مكتبة الصدوق، ١٣٨١هـ، ج ١، ص ١٧٦).

٧ - يقع جبل حراء في شمال شرق مكة، وأطلقت عليه تسمية جبل النور على اعتبار انه كان موضع بزوغ شمس الوحي. وقد كان هذا الجبل الى ما قبل عدة سنوات خلعت بعيداً عن مدينة مكة، اما في الوقت الحالي فقد أدى اتساع مدينة مكة الى ان يصل بناء البيوت الى مقربة منه. يقع جبل حراء وسط سلسلة جبال متصلة ولكنه اعلى من الجبال المجاورة وقمته بارزة بين القمم المجاورة لها. وغار حراء الذي يقع في قمة هذا الجبل ليس غاراً في الحقيقة وانما عبارة عن صخرة عظيمة مستقرة على صخرتين كبيرتين، ويوجد بين هذه الصخور الثلاثة

## البعثة والدعوة ..... ١٢٣

والدعاء<sup>٨</sup> ومثل هذه العزلة والعبادة في حراء كان لها سابقة بين الموحدين من قريش<sup>٩</sup>. واول من سَنَّ هذه السنَّة عبد المطلب جد محمد ﷺ، كان اذا حلَّ شهر رمضان ذهب الى حراء واطعم الفقراء<sup>١٠</sup>.

### بداية الرسالة

حينما بلغ الرسول ﷺ الاربعين<sup>١١</sup>، نزل عليه جبرائيل وهو قائم على حراء مثلما كان دأبه في ما خلا من السنين، وأنزل عليه اول آيات القرآن الكريم من الله تعالى<sup>١٢</sup>، وهي: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}<sup>١٣</sup>.

وقد صوّر الباري تعالى نزول الوحي (جبرائيل) على محمد ﷺ وابلاغه الرسالة في موضع آخر من القرآن الكريم، على النحو التالي:

{وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ \* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ \* وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ \* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ \* ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ \* وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ \* ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ \* فَكَانَ

---

فراغ شبيه بالغار تقارب مساحته متراً ونصف المتر. مقدّمة هذا الغار واسعة ويمكن للانسان العادي الدخول فيه والخروج منه بكل سهولة، الا ان نصفه الآخر ضيق وارتفاعه قليل، ولا يصل ضوء الشمس الى أكثر من نصف الغار.

٨ - نصح البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، الخطبة ١٩٢، المسماة بالقاصة؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٥١.

٩ - ابن هشام، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٥١؛ الطبري، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٠٦؛ ابن كثير، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٩٠؛ البلاذري، انساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله (القاهرة: دار المعارف، الطبعة ٣)، ج ١، ص ١٠٥.

١٠ - الحلبي، مصدر سابق، ص ٣٨٢.

١١ - ابن هشام، مصدر سابق، ص ٢٤٩؛ الطبري، مصدر سابق، ص ٢٠٩؛ البلاذري، مصدر سابق، ص ١١٥ - ١١٤؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، (بيروت: دار صادر)، ج ١، ص ١٩٠؛ المسعودي، التنبيه والأشراف (القاهرة: دار الصاوي للطباعة والنشر)، ص ١٩٨؛ الحلبي، مصدر سابق، ص ٣٦٣؛ المجلسي، مصدر سابق، ص ٢٠٤.

١٢ - الطبرسي، مجمع البيان (طهران: شركة المعارف الإسلامية، ١٣٧٩ هـ)، ج ١٠، ص ٥١٤؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، (بيروت: دار الاندلس، الطبعة ١، ١٩٦٥ م)، ج ٢، ص ٢٧٦.

١٣ - سورة العلق (٩٦)، الآيات ١ - ٥.

١٢٤..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى وفاة

النبي ﷺ

قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى \* فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى \* مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى \* أَفَتَمَارُونَهُ عَلَى  
مَا يَرَى {١٤}.

وجاء وصف هذه الواقعة في موضع آخر من القرآن الكريم أيضاً. حيث قال تعالى:  
{فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ \* الْجَوَارِ الْكُنُوسِ \* وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ \* وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ \* إِنَّهُ لَقَوْلُ  
رَسُولٍ كَرِيمٍ \* ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ \* مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ \* وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ \*  
وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْئِ الْفُبِينِ \* وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ \* وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ \* فَأَيْنَ  
تَذْهَبُونَ} ١٥.

### خبر غير صحيح عن ظهور الوحي

وردت في بعض كتب التاريخ والحديث رواية غير صحيحة وخرافية عن كيفية بعثة  
الرسول ﷺ، ولا تتطابق مع معايير التاريخ والحديث. ونظراً الى شهرة هذه الرواية وتسربها  
الى المناهج الدراسية في المدارس الايرانية، فقد ارتقينا ان ننقلها بالنص ونعرضها على بساط  
النقد والتمحيص:

«روي عن عائشة انها قالت: كان أول ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا  
الصادقة، كانت تجيء مثل فلق الصبح؛ ثم حُبب إليه الخلاء، فكان بغار بحراء يتحنث فيه  
الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله، ثم يرجع إلى أهله، فيتزود لمثلها، حتى فجأه  
الحق، فأتاه، فقال: يا محمد، أنت رسول الله. قال رسول الله ﷺ: فجثوت لركبتي وأنا قائم، ثم  
زحفت ترجف بوادري، ثم دخلت على خديجة، فقلت: زملوني، زملوني! حتى ذهب عني  
الروع، ثم أتاني فقال: يا محمد، أنت رسول الله. قال: فلقد هممت أن أطرح نفسي من حالق من

١٤ - سورة النجم (٥٣)، الآيات ١ - ١٢. قال العلماء المسلمون ان هذه الآيات تصور أو تتحدث عن بعثة رسول الله (ص)  
وهناك أدلة وشواهد تؤيد ما ذهبوا إليه. (راجع: المجلسي، بحار الانوار، ج ١٨، ص ٢٤٧؛ محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن،  
ج ١، ص ٣٥؛ احمد بن محمد القسطلاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تحقيق: صالح احمد الشامي (بيروت: المكتب الاسلامي،  
طبعة ١٤١٢هـ)، ج ٣، ص ٨٨ - ٨٩؛ ولكن هناك تفسير آخر لها يشير إلى أنها تتحدث عن المعراج.

١٥ - سورة التكويد (٨١)، الآيات ١٥ - ٢٦.

جبل، فتبدى لي حين هممت بذلك، فقال: يا محمد، أنا جبريل، وأنت رسول الله. ثم قال: اقرأ. قلت: ما اقرأ. قال: فأخذني فغطني ثلاث مرات، حتى بلغ مني الجهد، ثم قال: {اقرأ باسم ربك الذي خلق} <sup>١٦</sup>، فقرأت، فأتيت خديجة. فقلت: لقد أشفقت على نفسي، فأخبرتها خبري، فقالت: أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، والله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتؤدي الأمانة، وتحمل الكل وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. ثم انطلقت بي إلى ورقة بن نوفل بن أسد، قالت: اسمع من ابن أخيك، فسألني؛ فأخبرته خبري. فقال: هذا الناموس الذي أنزل على موسى بن عمران، ليتني فيها جذع! ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك! قلت: أخرجني هم؟ قال: نعم <sup>١٧</sup>.

### نقد ودراسة

1. ان الذي نقل هذه الرواية عائشة، وقد ولدت في السنة الرابعة او الخامسة للبعثة <sup>١٨</sup>. اذا فهي لم تكن في زمن وقوع الحادثة حتى تكون شاهد عيان. وبما انها لم تذكر اسم الراوي الأصلي الذي يُتمثل انها نقلت عنه، فروايتها فاقدة للسند، وهذا ما يُصلح عليه تسمية <الرواية المرسلّة>، والرواية المرسلّة غير معتبرة.

2. تفيد هذه الرواية ان ملك الوحي أمر محمد ﷺ عدّة مرات بالقراءة، بينما يعلن له محمد ﷺ عدم قدرته على ذلك. في حين اذا كان المقصود من ذلك ان يقرأ كلام الله المكتوب على لوح، فان ذلك يبدو أمراً غير معقول؛ لأن الله عز وجل والملك يعلمان بأنه اُمي وغير قادر على القراءة. واذا كان المقصود اعادة قراءة الآيات بعد ان يقرأها ملك الوحي، فلم يكن هذا العمل امراً صعباً ليعجز عنه محمد ﷺ (الذي كان معروفاً بالذكاء

١٦ - سورة العلق (٩٦)، الآية ١.

١٧ - صحيح البخاري، شرح وتحقيق: الشيخ قاسم الشماخي الرفاعي (بيروت: دار القلم، الطبعة ١، ١٤٠٧هـ)، ج ١، ص ٥٩ - ٦٠، كتاب بدء الوحي؛ صحيح مسلم بشرح الامام النووي (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٣هـ)، ج ٢، ص ١٩٧ - ٢٠٤، باب بدء الوحي الى رسول الله (ص) الطبري، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٠٥ - ٢٠٦.

١٨ - العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، (بيروت: دار احياء التراث العربي، الطبعة ١، ١٣٢٨هـ)، ج ٤، ص ٣٥٩.

والعقل) في سنوات كماله العقلي والفكري!

3. ما معنى الضغط المتكرر الذي مارسه ملك الوحي على رسول الله ﷺ؟! في حين اننا ندري بأن التعلم أمر ذهني وليس للضغط البدني تأثير فيه. واذا تصورنا ان هذا العمل لأجل ان تتكون لدى محمد ﷺ . بشكل مفاجئ . القدرة على القراءة بمشيئة الله تعالى، فكانت تكفي ارادة الله فقط في ايجاده، ولم يكن ثمة داع لهذه المقدمات. واذا كان الضغط المذكور يعود الى ارتباط النبي محمد ﷺ بمبدأ عالم الوجود وعالم الغيب (لأن النبي بكل عظمتة كان له بُعد مادي وثراي، وارتباط الانسان الترابي بمبدأ الوجود يتطلب مثل هذا الضغط!) فهذا العمل لا مبرر له أيضاً؛ وذلك لأن الله تعالى بيّن بصراحة في القرآن، ان ارتباط الانبياء بعالم الغيب كان بواحد من الطرق الثلاثة التالية:

1. الارتباط المباشر وتلقي الوحي الالهي من غير واسطة؛

2. عن طريق سماع الصوت بدون رؤية المتكلم؛

3. عن طريق ملك الوحي<sup>١٩</sup>.

كان الرسول يتحمل الضغط والعناء في حالة تلقي الوحي بشكل مباشر ومن غير واسطة فقط. وتفيد بعض الروايات ان وجهه كان يريد ويتفصد جبينه عرقا يسيل على وجهه كاللؤلؤ . ولكن كان اذا جاء الوحي بواسطة جبرائيل لا يصيبه شيء من تلك الحالات، وهو ما ذكره الامام الصادق عليه السلام بقوله: >اذا أتاه الوحي من الله وكان بينهما جبرائيل عليه السلام كان يقول وهو بحالة طبيعية :- قال لي جبرائيل، وهذا جبرائيل. اما اذا كان الوحي من الله إليه ليس بينهما جبرائيل، تصيبه تلك السببة ويغشاه ما يغشاه لثقل الوحي عليه من الله عز وجل><sup>٢٠</sup>.

١٩ - >﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَأَنْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ إِفْرَهُ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَيَّ حَكِيمٌ﴾. (سورة

الشورى (٥١)، الآية (٤٢)، للاطلاع على مزيد من المعلومات في هذا المجال، راجع: بحار الانوار، ج٨، ص٢٤٦ و٢٥٤ و٢٥٧.

٢٠ - المجلسي، مصدر سابق، ص٢٦٨ و٢٧١؛ الصدوق، التوحيد (طهران: مكتبة الصدوق. ص١١٥؛ >راجع: كتاب مهر تابان،

لقاءات آية الله السيد محمد حسين الحسيني الطهراني مع المرحوم العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي>، ص٢٠٧ - ٢١١.

## البعثة والدعوة ..... ١٢٧

بينما لم يكن يحصل للنبي . عند حضور جبرائيل حامل الوحي . أي شعور خاص من رؤيته، بل كان جبرائيل إذا أتى النبي ﷺ قعد بين يديه قعدة العبد، وكان لا يدخل حتى يستأذنه<sup>٢١</sup>.

وفي ضوء ما سبق ذكره، وبما ان المؤرخين متفقون على ان اولى آيات القرآن نزل بها جبرائيل على الرسول ﷺ في غار حراء، فانه لم يكن هناك أي مبرر لاستشعار الضغط والنقل، وهذا لا يعني طبعاً نفي شعوره بثقل المسؤولية والقلق من معارضة عبدة الأصنام.

4 نظرا الى الاستعدادات التي كانت لدى الرسول ﷺ، وما كان يتلقاه من رسائل ومؤشرات غيبية، فلا معنى للقول بأنه قد فوجئ أو بوغت بنزول الوحي وأصابه الخوف والاضطراب. وفضلاً عن كل ذلك، فقد ورد في بعض المصادر بأن جبرائيل قد أتى الرسول ابتداء ليلة السبت وليلة الأحد، ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين<sup>٢٢</sup>. إذا لم يكن لقاءه بجبرائيل في حراء هو اللقاء الاول بحيث يصاب من جرائه بالخوف والاضطراب! ومن الطبيعي ان الشخص إن لم يكن مؤهلاً من جميع الجوانب لنيل السر الالهي (الرسالة)، فان الباري تعالى لا يمنحه مثل هذا المنصب العظيم.

٥. كيف يمكن القول بأن معلومات خديجة . وهي انسانية عادية . تفوق معلومات الرسول، وأنها بمجرد ان شاهدت عليه مثل ذلك الاضطراب أخذت تهدئ من روعه بتلك الكلمات؟! ٦. الاسوأ من كل ذلك هو ان نتصور بأن النبي الذي بُعث بالرسالة وألقيت عليه مسؤولية هداية الأمة، كان لا يدري، حتى تحظى رسالته بتأييد شيخ مسيحي أعشى، ويتأكد محمد ﷺ من حقيقة رسالته ويسكن ويطمئن قلبه استنادا الى اقواله. ان وهن هذا الكلام على درجة من الوضوح بحيث لا يحتاج الى أي دليل أو برهان.

٧. مما يسترعي الانتباه ان مثل هذا المشهد المقرف والخرافي لم يرد ذكره في أي من المصادر

---

٢١ - الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، (قم: مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤٠٥ هـ)، ج١، ص٨٥؛ علل الشرايع، (النجف:

المكتبة الحيدرية، ١٣٨٥ هـ) الباب ٧، ص٧.

٢٢ - الطبري، مصدر سابق، ج٢، ص٢٠٧؛ البلاذري، مصدر سابق، ج١، ص١٠٥؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر،

ج٢، ص٢٧٦؛ ابن واضح، تاريخ يعقوبي، ج٢، ص١٧.

الإسلامية حول بعثة أي من الانبياء، رغم ان الظروف الزمانية والمكانية لبعثة بعضهم (كما هو الحال بالنسبة الى النبي موسى) كانت تقتضي حصول مثل هذه الحالة.

٨ . ان الشك والترديد الذي نسبته هذه الرواية الى الرسول لا ينسجم مع مفاد الآية الشريفة: {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى} ٢٣.

قال العالم والمفسر الشيعي المعروف، الطبرسي ما يلي:

ان الله تعالى لا يوحى الى رسوله الا بالبراهين النيرة، والآيات البينة الدالة على ان ما يُوحى إليه انما هو من الله تعالى، فلا يحتاج الى شيء سواها، ولا يفزع، ولا يفرق ٢٤.

قال الامام الصادق عليه السلام في جواب أحد أصحابه عندما سأله: كيف لم يخف رسول الله ﷺ في ما يأتيه من قبل الله ان يكون ذلك مما ينزغ به الشيطان؟ فقال: ان الله اذا اتخذ عبداً رسولاً انزل عليه السكينة والوقار، فكان يأتيه من قبل الله عز وجل مثل الذي يراه بعينه ٢٥.

رغم ان شرح كتاب صحيح مسلم وصحيح البخاري (اللذين نقلوا رواية عائشة) كانوا من العلماء البارزين، ولكن بما انهم سلموا بأصل الرواية، فقد وقعوا في الخط عند توضيحهم لمعناها، وعرضوا لها تبريرات وتوجيهات واهية لا تستند الى أساس متين. وهذا مما يدعو الى الدهشة طبعاً ٢٦.

٢٣ - سورة النجم (٥٣)، الآية ١١.

٢٤ - مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٨٤، تفسير الآية >يا ايها المدثر >...

٢٥ - المجلسي، بحار الانوار، ج ١٨، ص ٢٦٢؛ محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، مركز إدارة الحوزة العلمية في قم، ج ١، ص ٤٩.

٢٦ - حسب علمنا ان اول من التفقت الى ضعف هذه الرواية وعدم اعتبارها هو المرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي (١٢٩٠ - ١٣٧٧ هـ) وهو من علماء الشيعة البارزين في جبل عامل، وقد وضع هذه الرواية موضع النقد والتمحيص في رسالة بعثتها الى >المجمع العلمي العربي بدمشق<، وفي كتاب النص والاجتهاد، ص ٣١٩ - ٣٢٢. ومن بعده وضعها الباحثون والعلماء موضع بحث ونقاش موسع (ونخص بالذكر منهم العالم الجليل الشيخ علي الدواني) في الكتب المدرجة ادناه، واستكملوا الجوانب الاخرى منها، وقد اخذنا من شروحنا شيئاً مما سطرناه في بحثنا هذا: شعاع وحي برفراز حراء، ص ٧٠ - ١٠٨؛ تاريخ اسلام از آغاز تا هجرت، ص ٩٨ - ١١٠؛ نقش ائمه در احياء دين، ج ٤، ص ٦ - ٤٤؛ الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ج ١، ص ٢١٦ -



## البعثة والدعوة ..... ١٢٩

وقد نقلت حول بعثة الرسول روايات أخرى مشابهة عن طريق رواة مثل عبد الله بن شداد، وعبيد بن عمير، وعروة بن الزبير، وهي روايات يتضح زيفها وعدم صحتها من خلال التوضيحات التي عرضناها، ولا داعي لذكرها هنا<sup>٢٧</sup>. وقد تسربت هذه الرواية الموضوعة الى كتب المسيحيين أيضاً، واتخذها البعض ذريعة لنفت ما لديه من سموم ووساوس ضد رسولنا الكريم ﷺ<sup>٢٨</sup>. ويتكشف من خلال نقدنا لهذه الرواية، وهن وخواء ما ذهبوا إليه.

### الدعوة السرية

أقام رسول الله بمكة ثلاث سنين يكتم امره<sup>٢٩</sup> وهو يدعو الى توحيد الله عز وجل؛ وذلك لأن اجواء مكة لم تكن في تلك الظروف مناسبة للمجاهرة بالدعوة علناً. فكان خلال هذه

---

٢٣٢؛ خيانت در گزارش تاريخ، ج٢، ص١٣ - ٢٣؛ التمهيد في علوم القرآن، ج١، ص٥٢ - ٥٦؛ درس هاي تحليلي از تاريخ اسلام، ج٢، ص١٩٦ - ٢٣٦.

٢٧ - السيد مرتضى العسكري، نقش ائمه در احياء دين، دار نشر المجمع العلمي الاسلامي، ج٤، ص١٢.

٢٨ - راجع: دائرة المعارف الاسلامية، نقلها إلى العربية محمد ثابت الفندي وآخرون، ج٣، ص٣٩٨) كلمة بحيري. مونتغمري واط، رئيس القسم العربي في جامعة ادنبرة ممن نفتوا سمومهم وتكلموا بكلام لا أساس له من الصحة، حيث قال: «من المثير للدهشة ان يحصل لشخص يعيش في القرن السابع في مدينة نائية مثل مكة هذا الإيمان وهو انه مبعوث من الله بالنبوّة». اذا لا نستغرب لو سمعنا بانه استولى عليه الخوف والشبهة. وهناك في هذا المجال شواهد في القرآن [!] والحديث حول حياته. وليس من الواضح متى حصل لديه اطمئنان بأن الله لم ينسه [...]!. وكان الخوف الآخر الذي استحوذ عليه هو خوفه من الجنون؛ وذلك لأن العرب في ذلك الوقت كانوا يعتقدون بأن مثل هؤلاء الاشخاص يخضعون لسيطرة الأرواح أو الجن. وقد فسّر عدد من أهالي مكة إلهامات على هذا النحو من التفسير. وكان هو يشك أحيانا هل ان الحق مع الناس أم لا؟ [...]! >محمد پیامبر و سیاستمدار، ترجمة اسماعيل والي زاده (طهران: كتابفروشي اسلاميه، ١٣٤٤)، ص٢٦ - ٢٧>.

٢٩ - ابن هشام، مصدر سابق، ج١، ص٢٨٠؛ الطبري، مصدر سابق، ج٢، ص٢١٦؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، ص٢٧٦ - ٢٧٥؛ البلاذري، مصدر سابق، ج١، ص١١٦؛ ابن واضح، تاريخ يعقوبي، ج٢، ص١٩؛ الحلبي، مصدر سابق، ج١، ص٤٥٦؛ الطوسي، الغيبة (طهران: مكتبة نينوى الحديثة)، ص٢٠٢؛ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة (قم: مؤسسة النشر الاسلامي، ١٣٦٣هـ)، ج٢، ص٣٤٤، الحديث ٢٩.

## ١٣٠..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى وفاة

النبي ﷺ

الثلاث سنوات يدعو سرّاً كل من يرى فيه استعداداً لقبول دعوته، ويدعوهم الى توحيد الله والاقرار بنبوته. وفي هذه المدة تناهى خبره الى اسماع قريش، فكان اذا مر بملاً من قريش قالوا: ان فتى ابن عبد المطلب ليكلّم من السماء<sup>٣٠</sup> ولكن بما انه لم يكن يجاهر بدعوته في الوسط العام، لذلك لم يكونوا على علم بفحوى دعوته، وبالنتيجة لم يصدر منهم أي رد فعل تجاهه. وفي هذه الملتقى آمن بدعوته عدد من الاشخاص. ثم ان احد هؤلاء المسلمين الاوائل وهو الأرقم وضع داره . التي كانت تقع عند قاعدة جبل الصفا . تحت تصحّر الرسول ﷺ . فجعل منها الرسول بمثابة مقر لهم كانوا يجتمعون فيها وقيمون اثناء ملتقى الاستخفاء الى ان جاء أمر الله بان يصدع بالدعوة<sup>٣١</sup>.

### أول من أسلم من النساء ومن الرجال

يتفق المؤرخون على ان خديجة اول امرأة آمنت<sup>٣٢</sup> برسالة النبي<sup>٣٣</sup>، لأنه من الطبيعي ان الرسول ﷺ حينما كان يعود من غار حراء، كان يطلع اول الأمر خديجة التي كانت زوجته، وعلياً الذي كان عضواً في تلك الأسرة وترى فيها، على ما ينزل عليه من الوحي. فصدّقه

٣٠ - تاريخ يعقوبي، ج٢، ص١٩؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص١٩٩؛ البلاذري، مصدر سابق، ج١، ص١١٥.

٣١ - الحلبي، مصدر سابق، ج١، ص٤٥٦ - ٤٥٧.

٣٢ - نقل ابن هشام اسماء المسلمين الاوائل إلى الشخص الثامن كما يلي: <علي، زيد بن حارثة، ابو بكر، عثمان بن عفان، الزبير بن العوّام، عبد الرحمن بن عوف، سعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله> (سيرة النبي، ج١، ص٢٦٢ - ٣٦٩).

٣٣ - كما ذكرنا سابقاً بما ان علياً كان منذ طفولته موحداً ولم يسجد لصنم قط، فان اسلامه ليس بمعنى الكف عن عبادة الأصنام (بينما يصدق هذا المعنى على سائر صحابة النبي)، بل انه آمن بالاسلام كرسالة سماوية قائمة على مبدأ التوحيد. وقد كتب زيني دحلان ما يلي: <لم يتقلّم من علي (رض) شرك ابدلاً لأنه كان مع رسول الله (ص) في كفالته كأحد اولاده، تبعه في جميع اموره. وجاء في الحديث: ثلاثة ما كفروا بالله قط، مؤمن من آل ياسين، وعلي بن ابي طالب، وآسية امرأة فرعون>. (سيرة النبي، ج١، ص٩٢). وروى ابن سعد حول علي (ع) بأنه لم يعبد الأصنام قط لصغره. (الطبقات الكبرى، ج٣، ص٢١). وقال ابن حجر الهيثمي المكي (٩٧٤) بعد نقل هذه الجملة عن ابن سعد: ومن ثم يُقال فيه كرم الله وجهه. (الصواعق المحرقة، الباب التاسع، ص١٢٠). في ما يخص سن علي عند اسلامه، راجع: شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، (طبعة مصر)، ج١٣، ص٢٣٤، ٢٣٥.

وآمناً به لما يعرفانه عنه أكثر من أي شخص آخر من النزاهة والصدق والصلاح وما ظهر عليه من علائم النبوة.

### الادلة على اسبقية علي

لو لم يكن هناك أي سند حديثي أو تاريخي يثبت ما ذكرناه آنفاً من سبق علي إلى الإسلام وأنه كان أول رجل آمن بدعوة الرسول، فليس من الصعب اثبات ذلك، إذ توجد وثائق وشواهد أخرى تثبته.

نعرض في ما يلي عدداً من هذه الوثائق والشواهد على سبيل المثال:

١. صرح رسول الله ﷺ بسبق علي إلى الإسلام، وقال في جماعة من المسلمين: **«ولكم وروداً عليّ الحوض، أولكم اسلاماً؛ عليّ بن ابي طالب»**<sup>٣٤</sup>.
٢. نقل كبار العلماء والمحدثين ما يلي:
- «استنبت النبي يوم الاثنين وصلى عليّ يوم الثلاثاء»**<sup>٣٥</sup>.
٣. وقال عليّ عليه السلام: **«لم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله وخديجة وأنا»**

٣٤ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (في حاشية الإصابة) (بيروت: دارحياء التراث العربي، الطبعة ١، ١٣٢٨هـ)، ج ٣، ص ٢٨؛ ابن أبي الحديد، مصدر سابق، ج ١٣، ص ٢٢٩؛ راجع: الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، تحقيق: عبد الرحمن المرعشي (بيروت: دار المعرفة، الطبعة ١، ١٤٠٦هـ)، ج ٣، ص ١٧؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد (بيروت: دار الكتاب العربي)، ج ٢، ص ٨١؛ الحلبي، مصدر سابق، ج ١، ص ٤٣٢، وجاء في بعض الروايات بالشكل التالي: أول هذه الأمة وروداً عليّ الحوض أولها اسلاماً علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه. (الحلبي، مصدر سابق، ص ٤٣٢).

٣٥ - ابن عبد البر، مصدر سابق، ص ٣٢؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، (بيروت: دار صادر، ١٣٩٩)، ج ٢، ص ٥٧، نقل الحاكم النيسابوري هذا الحديث من طريقين: الاول **«كُتِبَ رسول الله... وأُوحِيَ [إلى] رسول الله يوم الاثنين...»** (مصدر سابق، ج ٣، ص ١١٢). وجاء في بعض الروايات كالاتي: استنبت النبي (ص) يوم الاثنين وأسلم علي يوم الثلاثاء. (ابن أبي الحديد، مصدر سابق، ص ٢٢٩؛ الجويني الخراساني، فرائد السمطين (بيروت: مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر، الطبعة ١، ج ١، ص ٢٤٤). وقد أكد علي (ع) هذا المعنى بقوله: **«بُعث رسول الله (ص) يوم الاثنين وأسلمت يوم الثلاثاء»**. (السيوطي، تاريخ الخلفاء، (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة ٣، ١٣٨٣هـ)، ص ١٦٦؛ الشيخ محمد الصبان، اسعاف الراغبين، في حاشية نور الأبصار، ص ١٤٨؛ احمد بن حجر الهيتمي المكي، الصواعق المحرقة (القاهرة: الطبعة ٢، ١٣٨٥هـ. ١٢٠).

ثالثهما، ارى نور الوحي والرسالة واشمّ ريح النبوة>٣٦.

٤. وتحدث امير المؤمنين عليه السلام في موضع آخر عن سبقه الى الإسلام، قائلاً: اللهم اني اول

من أناب، وسمع وأجاب، لم يسبقني الا رسول الله بالصلاة>٣٧.

٥. وقال أيضاً: كنا عبد الله واخو رسوله وانا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدى الا كاذب

مفتر. صليت مع رسول الله قبل الناس سبع سنين>٣٨.

٦. قال عفيف بن قيس: كنت في زمن الجاهلية تاجر عطر، فجئت الى مكة فنزلت على العباس بن عبد المطلب [احد تجار مكة وعم الرسول] قال: فلما طلعت الشمس وحلقت في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة، أقبل شاب، فرمى ببصره إلى السماء، ثم استقبل الكعبة، فقام مستقبليها، فلم يلبث حتى جاء غلام، فقام عن يمينه. قال: فلم يلبث حتى جاءت امرأة، فقامت خلفهما، فركع الشاب، فركع الغلام والمرأة، فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة، فخر الشاب ساجداً فسجداً معه، فعجبت حين رأيت هذا المشهد، ونظرت هؤلاء الثلاثة في مركز عبادة الاصنام يمارسون شعائر دين آخر غير عبادة الأصنام، فقلت: يا عباس، أمر عظيم! فقال: أمر عظيم! أتدري من هذا؟ فقلت: لا، قال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، ابن أخي. أتدري من هذا معه؟ قلت: لا. قال: هذا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، ابن أخي. أتدري من هذه المرأة التي خلفهما؟ قلت: لا، قال: هذه خديجة بنت خويلد، زوجة ابن أخي، وهذا حدثني أن ربك رب السماء، أمرهم بهذا الذي تراهم عليه، وإيم الله ما أعلم

٣٦ - نهج البلاغة، تحقيق: صبحي الصالح، الخطبة ١٩٢، المسماة بالقاصعة.

٣٧ - المصدر السابق، الخطبة ١٣١.

٣٨ - الطبري، مصدر سابق، ج٢، ص٢١٢؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٥٧. وجاء له قول بهذا المضمون في المستدرک علی الصحیحین، ج٣، ص١١٢؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٣، ص٢٠٠ و٢٢٨؛ راجع: مناقب علي بن أبي طالب، ابو بكر احمد بن موسى مردويه الاصفهاني، جمع وترتيب ومقدمة عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين (قم: دار الحديث، الطبعة ١، ١٤٢٢هـ)، ص٤٧ - ٤٨.

على ظهر الأرض كلها أحدا على الدين غير هؤلاء الثلاثة<sup>٣٩</sup>.  
وهذه القضية تظهر بكل جلاء انه في بداية دعوة الرسول ﷺ لم يؤمن بدعوته سوى زوجته خديجة، إلا علي.

ان السبق الى الإسلام أفضلية أكد عليها القرآن الكريم معلناً:  
{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ \* أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ} <sup>٤٠</sup>.

بلغ اهتمام القرآن بالاسبقية الى اعتناق الإسلام والايمان بالرسالة الى حد ان جعل من آمنوا قبل فتح مكة وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، أعلى درجة ممن آمنوا بعد الفتح وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم:  
{لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مَنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى} <sup>٤١</sup>.

يكمن سر أهمية ايمان من آمنوا قبل فتح مكة (الذي وقع في السنة الثامنة للهجرة) في انهم آمنوا في وقت لم يكن فيه للإسلام قوة في شبه جزيرة العرب، وكانت قاعدة عبدة الأصنام - أي مدينة مكة - لازالت باقية كقلعة لا تُهرَم، وكانت هناك أخطار تهدد ارواح المسلمين واموالهم من كل صوب. وبطبيعة الحال احرز المسلمون درجة من التقدم وحصلوا على شيء من الأمان وانتصروا في كثير من الوقائع العسكرية في اعقاب هجرتهم الى المدينة وانضمام قبيلتي الاوس والخزرج والقبائل المجاورة للمدينة الى الإسلام، غير ان الاخطار كانت لاتزال

٣٩ - الطبري، مصدر سابق، ج٢، ص٢١٢؛ ابن أبي الحديد، مصدر سابق، ج١٣، ص٢٢٦. نقل ابن أبي الحديد هذه القضية عن عبد الله بن مسعود، بأنه شاهد في سفره إلى مكة مثل هذا المشهد. (الخلي، السيرة الحلبية، ج١، ص٤٣٦. وأيضاً راجع: ابن عبد البر، الاستيعاب، (في حاشية الإصابة) ج٣، ص١٦٥، سيرة عفيف بن قيس الكندي، ص٣٣، سيرة علي (ع)، مع اختلاف ضئيل في اللفظ. >محمد بن اسحاق، السير والمغازي، تحقيق: الدكتور سهيل زكار، (بيروت: دار المعرفة، الطبعة ١، ١٣٩٨هـ. ص١٣٧ - ١٣٨، ابو الفتح الكراچكي، كنز الفوائد، (قم: دار الذخائر، الطبعة ١، ١٤١٠هـ)، ج١، ص٢٦٢. للاطلاع على مزيد من المعلومات في هذا المجال، حول سبق علي إلى الاسلام، راجع: الغدير، ج٢، ص٣١٤؛ ج٣، ص٢٢٠ - ٢٢٤.

٤٠ - سورة الواقعة (٥٦)، الآيات ١٠ - ١١.

٤١ - سورة الحديد (٥٧)، الآية ١٠.

١٣٤..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى وفاة

النبي ﷺ

تحقق بهم. فاذا كان للايمان بالإسلام وبذل الاموال والأنفس في مثل تلك الظروف مثل هذه الأهمية، فمن المؤكد ان لهذا العمل أهمية أكبر وأفضلية أعظم في بداية دعوة الرسول حيث لم تكن هناك قوة سوى قوّ قريش ولا سلطة الا سلطتها. ولهذا السبب كان السبق الى الإسلام من المناقب المهمة بين الصحابة. وفي ضوء ما سبق ذكره تتضح لنا مدى أهمية سبق علي ؑ في الإسلام.

### الجماعات السبّاقة في دخول الإسلام

كانت هناك جماعتان سبّاقتان الى دخول الإسلام من بين الشرائح والمكوّنات الاجتماعية آنذاك، وهما:

#### أ - الشباب

يظهر لنا من خلال استطلاع قائمة المسلمين الاوائل وملاحظة الشواهد الاخرى أن معظم المسلمين الاوائل كانوا من الشباب. اما الشيوخ وكبار السن فقد كانوا من المحافظين وكانت ثقافة عبادة الأصنام متجذرة في افكارهم. في حين ان الشباب . بحكم شباهم . كانت عقولهم واذهانهم مستعدة لقبول الافكار والمعتقدات الجديدة. وهذا المعنى يصدق الى حد ما على الثورات الفكرية والدينية.

ويتبين من إحدى الروايات التاريخية ان مجموعة من الشباب والضعفاء اعتنقت الإسلام في مرحلة الدعوة السرية للرسول ﷺ<sup>٤٢</sup>.

عندما بدأ الرسول يصدع بالدعوة ويجاهر بالرسالة وكثر عدد اتباعه، جزعت قريش من ذلك ومشوا الى ابي طالب وقالوا: كف عنا ابن اخيك، فانه قد سقّه أحلامنا، وسبّ آلهتنا، وأفسد شبابنا وعبيدنا...<sup>٤٣</sup>.

٤٢ - ابن سعد، الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر)، ج ١، ص ١٩٩.

٤٣ - البلاذري، انساب الاشراف، تحقيق: محمد حميد الله، (القاهرة: دار المعارف، الطبعة ٣)، ج ١، ص ٢٢٩؛ راجع: بحار الانوار، ج ١٨، ص ١٨٥.

وعندما ذهب الى الطائف لدعوة اهلها الى الإسلام أقام هناك عشرة أيام لا يدع احدا من اشرافهم الا جاءه وكلمه، فلم يجيبوه، وخافوا على احداثهم، وقالوا يا محمد اخرج من بلدنا<sup>١</sup>. وبعد هجرة المسلمين الى الحبشة، عندما دخل مبعوثا قريش على النجاشي ليكلّماه في رد المهاجرين الى قومهم، شكوا إليه - ضمن حوارهم معه - ميل شبّان مكّة الى الإسلام<sup>٢</sup>. وروي ان رجلاً من هذيل دخل مكّة، فراه النبي ﷺ فدعاه الى الإسلام واخبره بالحق. فقام إليه ابو جهل فقال: انظر إلى ما يقول لك، فايك ان تركز الى قوله. فقال له الهذلي: ولماذا لا تخرجوه من دياركم؟ قال ابو جهل: لو اخرجناه وسمع الفتيان حلاوة كلامه لاتبعوه، وربما يغزونا بهم<sup>٣</sup>.

وشكا عتبة - احد اشراف قريش - في لقائه اسعد بن زرارة - احد كبار بني الخزرج في يثرب - شكاً إليه ميل الشباب الى رسول الله ﷺ<sup>٤</sup>.

يتضح عند تصفّح قائمة المسلمين الاوائل ان اكثرهم كانوا عند دخولهم في الإسلام لا تربو اعمارهم عن ثلاثين سنة. نذكر منهم على سبيل المثال سعد بن ابي وقاص الذي كان عمره ١٧<sup>٥</sup>، أو ١٩ سنة<sup>٦</sup>، والزيبر بن العوام ١٥<sup>٧</sup> أو ١٦ سنة<sup>٨</sup>، وكان عمر عبد الرحمن بن بن عوف ٣٠ سنة؛ لأنه ولد بعد عام الفيل بعشر سنين<sup>٩</sup>. وكان سن مصعب بن عمير يناهز

١ - ابن سعد، مصدر سابق، ج ١، ص ٢١٢.

٢ - ابن هشام، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٥٨؛ الطبرسي، إعلام الوری (طهران: دار الكتب الاسلامية، الطبعة ٣)، ص ٤٤؛ سبط سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص (النجف: المكتبة الحيدرية، ١٣٨٣هـ)، ص ١٨٦.

٣ - البلاذري، مصدر سابق، ص ١٢٨.

٤ - الطبرسي، مصدر سابق، ص ٥٦.

٥ - ابن سعد، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٣٩.

٦ - الحلبي، السيرة الحلبية (بيروت: دار المعرفة)، ج ١، ص ٤٤٦.

٧ - الحلبي، مصدر سابق، ج ١، ص ٤٣٤.

٨ - ابن سعد، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٠٢.

٩ - المصدر السابق، ص ١٢٤.

## ١٣٦..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى وفاة

النبي ﷺ

يناهز ٢٥ سنة؛ لأنه كان يبلغ ٤٠ سنة<sup>١</sup> عند استشهاده في معركة احد (في السنة الثالثة للهجرة). وأما الرقم الذي وضع داره تحت تصرف الرسول ﷺ فقد كان بين ٢٠ و ٣٠ سنة من العمر؛ وذلك لأنه عندما توفي . في عام ٥٥ هـ . كان يبلغ من العمر ثمانين سنة وتيّف<sup>٢</sup>.

### ب - المحرومون والمظلومون

المراد من هذه الجماعة التي ذكرت في المصادر الإسلامية باسم <الضعفاء> و<المستضعفون> هم العبيد او المعتوقون الذين ييقون . حسب التقاليد العربية . على علاقة مع اسيادهم السابقين ويُطلق عليهم اصطلاحاً <الموالي> . والقسم الآخر من المستضعفين هم الغرياء الذين وفدوا من مناطق اخرى وسكنوا مكّة . وبما انهم كانوا يفتقرون الى العلاقات القبلية، فقد كان عليهم الانضمام الى قبيلة اخرى قوية والانضواء تحت لوائها للحفاظ على انفسهم واموالهم. بيد ان هؤلاء الافراد لم يكونوا على قدم المساواة مع افراد قبيلة قريش، وانما كانوا يصنّفون ضمن طبقة اجتماعية ادنى.

وهذه الجماعة قوم مستضعفون لا عشائر لهم بمكّة وليست لهم منعة ولا قو<sup>٣</sup>. وكانوا سبّاقين الى دخول الإسلام. وقد شق على المشركين اسلامهم واتخذوا ذلك ذريعة مناسبة لتحقير المسلمين. وقد جاء في رواية ان الملاء من قريش مرّوا على رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد وعنده جماعة من ضعفاء المسلمين مثل: عمار بن ياسر، والخباب بن الأثر، وصهيب بن سنان، وبلال بن رباح، وابو فكيهة، وعامر بن فهيرة. فقالوا: يا محمد! أرضيت

١ - ابن سعد، مصدر سابق، ج٣، ص٢٢٢.

٢ - ابن سعد، مصدر سابق، ج٣، ص٢٤٤؛ ألف الكاتب المصري عبد المتعال الصعيدي كتاباً تحت عنوان شباب قريش في بدء الاسلام سرد فيه أسماء شباب قريش الاوائل الذين بادروا إلى اعتناق الاسلام قبل غيرهم. وقد رتبهم تبعاً لأعمارهم. وجاء على رأس القائمة اسم علي (ع). (ص ٣٣ - ٣٤).

٣ - البلاذري، مصدر سابق، ج١، ص١٥٦ و ١٨١؛ راجع: الطبقات الكبرى، ج٣، ص٢٤٨.



بهؤلاء من قومك. أهولاء الذين من الله عليهم [بأن آمنوا واهتدوا]<sup>١</sup>.  
وذات يوم مر جماعة من اشراف قريش على مجلس للنبي ﷺ فوجدوه قاعداً مع صهيب،  
والخباب، وبلال، وعمار وامثالهم. فقالوا له: يا محمد! ارضيت بهؤلاء من قومك؟ افنحن نكون  
تبعاً لهم؟ هؤلاء الذين من الله عليهم [وهدهم]؟ اطردهم عنك، فلعلك ان طردتهم تبعناك!  
فأنزل الله تعالى الآيتان ٥٢ و ٥٣ من سورة الانعام<sup>٢</sup>:

{وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ \* وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ} <sup>٣</sup>.

في السنوات الاولى من رسالة الرسول اوفدت قريش مبعوثين الى يهود يثرب وقالوا لهم:  
سلوهم عن محمد. فقدموا المدينة فقالوا: اتيناكم لأمر حدث فينا غلام يتيم حقير يقول قولاً  
عظيماً يزعم انه رسول الرحمن ولا نعرف الرحمن الا رحمان اليمامة. قالوا: صفوا لنا صفته.  
فوصفوه لهم. قالوا: فمن تبعه منكم؟ قالوا: سفلتنا. فضحك حبر منهم وقال: هذا هو النبي  
الذي نجد نعته، ونجد قومه اشد الناس له عداوة<sup>٤</sup>.

ان الانحياز السريع للمستضعفين الى صف الإسلام لا يعني ابدا ان الإسلام نظام  
مصلحي، او معني بالدفاع عن المصالح الطبقية، وانما كان يتسم برفضه للتسلط وسلطة  
الانسان على اخيه الانسان، والدعوة الى الايمان بسيادة الله. وهذا ما كان يهدد القو  
الاجتماعية للمستكبرين والسلطويين اكثر من أي شيء آخر ويستثير معارضتهم، مثلما  
حصل في زمن الانبياء السابقين:

{فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ

١ - المصدر السابق.

٢ - الطبرسي، مجمع البيان، ج ٢، ص ٣٠٥.

٣ - سورة الانعام (٦)، الآيات ٥٢ - ٥٣.

٤ - ابن سعد، مصدر سابق، ج ١، ص ١٦٥؛ الحلبي، مصدر سابق، ج ١، ص ٤٩٩.

أَرَادْنَا بِإِدْيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ<sup>١</sup>.  
 {قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا  
 مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ \* قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَتُم بِهِ  
 كَاْفِرُونَ<sup>٢</sup>}.  
 كَاْفِرُونَ<sup>٢</sup>.

### دعوة عشيرته

بعد ثلاث سنوات من بدء الدعوة، نزل ملك الوحي يحمل أمر الله عز وجل الى النبي  
 لينذر عشيرته الأقربين: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ \* وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ  
 الْمُؤْمِنِينَ \* فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ<sup>٣</sup>}.

لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله ﷺ علياً عليه السلام فأمره ان يصنع طعاما ويدعو له بني  
 عبد المطلب ليكلّمهم ويبلغهم. فصنع علي الطعام ثم دعاهم وهم يومئذ اربعون رجلا يزيدون  
 رجلا او ينقصونه، وفيهم اعمامه ابو طالب، وحمزة، وابو لهب. وكان الطعام قليلا ولا يكفي  
 لهذا العدد في الظروف العادية، ولكن القوم أكلوا حتى شبعوا جميعا. فقام ابو لهب وقال:  
 لقد سحركم صاحبكم.

وعندما اطلق ابو لهب هذه الجملة ذهبت الأجواء التي كانت معه<sup>٤</sup> لطرح تلك الدعوة  
 وانفض القوم ولم يكلّمهم الرسول ﷺ.

وفي اليوم التالي أمر الرسول ﷺ عليا ان يفعل كما فعل آنفاً. وبعد ان اكلوا وشربوا. ثم  
 تكلم رسول الله ﷺ فقال: اني والله ما أعلم شابا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم

١ - سورة هود (١١)، الآية ٢٧.

٢ - سورة الاعراف (٧)، الآيات ٧٥ - ٧٦.

٣ - سورة الشعراء (٢٦)، الآيات ٢١٤ - ٢١٦.

## البعثة والدعوة ..... ١٣٩

به؛ اني جئتكم بخير الدنيا والآخرة. وقد امرني الله عز وجل ان ادعوكم إليه؛ فأياكم يؤمن بي ويؤازرني على أمري فيكون اخي ووصيي وخليفتي؟  
فأمسك القوم واحجموا عنها جميعاً. فقام علي عليه السلام وكان أصغرهم سناً فقال: «انا يانبي الله اكون وزيرك على ما بعثك الله به». فأخذ رسول الله عليه السلام بيده ثم قال: «ان هذا اخي ووصيي ووزيري وخليفتي فيكم. فاسمعوا له وأطيعوا»<sup>١</sup>.

هذه القضية تنتهي بنا الى مطلب أساسي وهو ان «النبي» و«الامامة» يمثلان مبدأ متماسكاً لا يقبل التجزئة؛ وذلك لأن النبي عليه السلام قد طرح قضية الامامة والقيادة المستقبلية للمسلمين منذ السنوات الاولى لرسالته، ومنذ اليوم الذي صرح به بنبوته.  
وعلى صعيد آخر، ينبغي ان لا يُظن بأن النبي عليه السلام قد طرح قضية امامة علي عليه السلام من واحدة فقط. في غدير خم (في الأشهر الاخيرة من عمره). بل انه قد طرح هذه القضية. فضلاً عن مجلس عشيرته الاقربين. في مواقف اخرى أيضاً (كحديث المنزلة).

---

١ - هذه القضية معروفة بين علماء المسلمين باسم «بدء الدعوة»، «يوم الدار»، «يوم الانذار». وقد نقلها عدد كبير من المفسرين والمؤرخين مع اختلاف ضئيل في اللفاظ، نذكر منهم: محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٢، ص ٢١٧؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٦٣؛ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٣، ص ٢١١؛ البيهقي، دلائل النبوة، ج ١، ص ٢٧٨؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج ٧، ص ٢٠٦؛ الشيخ المفيد، الارشاد، ص ٢٩؛ علي بن موسى بن طاووس، الطوائف في معرفة مذاهب الطوائف، ج ١، ص ٢٠؛ الحلبي، السيرة الحلبية (انسان العيون)، ج ١، ص ٤٦١؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ١٨، ص ١٧٨؛ ١٨١، ١٩١، ٢١٤؛ العلامة الاميني، الغدير، ج ٢، ص ٢٧٨ - ٢٨٩؛ السيد مرتضى العسكري، نقش ائمه در احياء دين، ج ٢، ص ٨٦؛ ج ٦، ص ١٧ - ١٨؛ احمد بن حنبل، المسند، ج ١، ص ١٥٩.

تجدر الإشارة - كما تبيّن الى ذلك المرحوم العلامة الأميني - الى ان الطبري ذكر هذه القضية في تاريخه بالنحو الذي ذكرناه آنفاً، ولكنه في تفسيره (جامع البيان، ج ١٩، ص ٧٥) بتر كلام رسول الله الذي يقول فيه في موضعين (وصي وخليفتي)، واستخدم بدلاً منه عبارة «كذا وكذا» وذكره هكذا: «فايكم يؤازرني على هذا الأمر على ان يكون اخي وكذا وكذا، ثم قال: ان هذا اخي وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوه». وتبعه على هذا النهج اسماعيل بن كثير الشامي في كتبه الثلاثة: التفسير، ج ٣، ص ٣٥١؛ البداية والنهاية، ج ٣، ص ٤٠، سيرة النبي، ج ١، ص ٤٣٩. ونظراً الى طبيعة الفكر الذي يحمله هذان الشخصان، فليس من الصعب ادراك دافعهما من وراء هذا العمل.

١٤٠..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى وفاة

النبي ﷺ

ولاشك طبعاً في ان الحديث كان اكثر هذه المواقف تفضيلاً، واكثرها شهود عيان.  
وفي ضوء ترتيب نزول السور يمكن الاستنباط بأن دعوة عشيرته جاءت قبل الدعوة العلنية  
بمئة<sup>١</sup>.

---

١ - نزلت سورة الشعراء التي فيها آيات الانذار، بعد سورة الواقعة، ثم نزلت بعدها سور: النمل، والقصص، والاسراء، وهود، ويوسف على التوالي، وبعد ذلك نزلت سورة الحجر التي جاء فيها الأمر باعلان الدعوة ﴿فَاصْبِرْ بِمَا تُفْقَرُ﴾. (محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، ج ١، ص ١٠٥).

## الفصل الثاني

### الدعوة العلنية وبدء المعارضة

#### بداية الدعوة العلنية

بعدة مدة من بدء الرسول ﷺ للدعوة السرية الى الإسلام، تلقى امرأ من الله تعالى بالمجاهرة بالدعوة وعدم الخوف من المشركين:

{فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ \* إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ}¹.

فأظهر أمره وأقام بالأبطح² فقال:

«اني رسول الله ادعوكم الى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر ولا تخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت»³.

ومنذ ذلك الوقت دخلت دعوة الرسول ﷺ مرحلة جديدة اذ أخذ يدعو الى التوحيد في التجمعات وفي موسم الحج، في منى وبين القبائل المجاورة لمكة.

---

١ - سورة الحجرات (٩٤)، الآيتان ٩٤ - ٩٥.

٢ - الابطح: مسيل كان قرب منى (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٧٤). ويبدو ان هذا الموقف حصل اثناء الحج وعند اجتماع الحجاج.

٣ - تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ١٩. نقلت الدعوة العلنية للرسول بصور اخرى أيضاً. ويبدو انه كان يدعو عبدة الاوثان بكلمات مشابهة خلال فواصل زمنية قصيرة. راجع: تاريخ يعقوبي، مصدر سابق، ص ١٩؛ الطبري، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢١٦؛ البلاذري، انساب الاشراف، ج ١، ص ١٢١؛ البيهقي، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٧٩؛ الطبرسي، اعلام الوري، (طهران: دار الكتب الإسلامية، الطبعة ٣)، ص ٣٩؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ١٨، ص ١٨٥؛ الحلبي، مصدر سابق، ج ١، ص ٤٦١.

## محاولات قريش

في بداية الدعوة العلنية للرسول ﷺ، لم يبعد منه قومه ولم يردّوا عليه بعض الرد، ولكن بعد ما ذكر آهتهم وعابها ناكروهم وأجمعوا على خلافه وعداوته<sup>١</sup>. وبما ان النظام القبلي الذي كان سائداً في مكة كان يعني انهم لو تعرضوا لمحمد ﷺ لواجهوا خطر الانتقام من بني هاشم. وبعدما قلب اشراف قريش وجوه الامر توصلوا الى نتيجة مفادها ان افضل طريقة لكف محمد ﷺ عن مواصلة دعوته هي ان يستغلوا نفوذ عمّه ابي طالب وما كان يكتنه من احترام لعمّه، لكي يمنع ابن اخيه عن الاستمرار على هذا النهج. وبناءً على ذلك عقدوا عدّة لقاءات مع ابي طالب وطلبوا منه في ضوء ماله من كرم النسب، والشرف والسن، والمكانة المرموقة ان ينهي ابن اخيه عن سب آهتهم وتقبيح ديانتهم ووصفهم بالجهل ووصف آبائهم بالضلال. وكانوا خلال تلك اللقاءات يتعاملون مع ابي طالب بالتهديد تارة، وبعرض المال والثروة والرئاسة تارة اخرى. وبعدما يئسوا من الحصول على النتيجة المطلوبة عرضوا على ابي طالب ان يعطوه عمارة بن الوليد. وكان اجمل واقوى واشعر فتى في قريش. وان يسلمهم في مقابل ذلك محمد ﷺ ليقتلوه. وجاءوه مرّة وهددوه بالقتل هو وابن اخيه، فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن قال:

والله ياعم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان أترك هذا الامر حتى يظهره الله او اهلك فيه، ما تركته<sup>٢</sup>.

١ - الطبري، مصدر سابق، ج٢، ص٢١٨؛ ابن هشام، سيرة النبي، (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٥ هـ)، ج١، ص٢٨٢؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص١٩٩؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٦٣.

٢ - الطبري، مصدر سابق، ج٢، ص٢٢٠ - ٢١٨؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج١، ص٢٨٢ - ٢٨٧ و٣١٣، ٣١٦؛ البيهقي، مصدر سابق، ج١، ص٢٨٢؛ ابن سعد، مصدر سابق، ج١، ص٢٠٢ - ٢٠٣؛ البلاذري، مصدر سابق، ج١، ص٢٣١ - ٢٣٢؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٦٣ - ٦٥؛ الحلبي، مصدر سابق، ج١، ص٤٦٢ - ٤٦٣؛ ابن كثير، السيرة النبوية (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٣ هـ)، ج١، ص٤٧٩؛ المجلسي، مصدر سابق، ج١٨، ص١٨٥.

وفقاً لهذا الخبر لا يبدو هناك تناسب في الظاهر بين تهديد قريش وجواب الرسول بالشمس والقمر، وهناك جدل حول سند هذا

### اعلان حماية ابي طالب

في اعقاب التهديدات التي اطلقتها قريش، اعلن ابو طالب (تحت ذريعة القرابة) مساندته لرسول الله، واستنفر بني هاشم المسلم منهم والكافر للدفع عن الرسول والقيام بدوره. ووجه انذارا لقريش إثمهم إن تعرضوا لابن اخيه بسوء فسيواجهون ردا قاسيا من بني هاشم<sup>١</sup>. وبما ان الحروب القبلية كانت عملاً خطيراً وتنجم عنه عواقب وخيمة، ولم يكن قادة قريش على استعداد لمجابهة مثل هذا الخطر، لذلك لم يتمكنوا من تنفيذ تهديداتهم، وتحملوا الخيبة والفشل. وكان الشخص الوحيد من بني هاشم الذي وقف الى صف الاعداء هو ابو لهب.

### اسباب ودوافع معارضة قريش

والسؤال الذي يُثار هنا هو: لماذا رفعت قريش عقيرة المعارضة والمخالفة منذ السنوات الاولى للدعوة العلنية للرسول ﷺ في وقت لم يكن قد نزل من تعاليم الإسلام واحكام القرآن إلا الشيء اليسير؟ وما الخطر الذي استشعره هؤلاء القوم من الآيات التي نزلت في السنوات الاولى لرسالة النبي؟ وهل جاء اصطفاؤهم في ذلك الخندق الواحد نتيجة لتمسكهم بالاصنام وعبادتها، أم كانت هناك عوامل اخرى؟ (الكلام يدور هنا هو دوافع اشراف وزعماء قريش، وأما عموم الناس فكانوا تبعاً لزعماء قبائلهم، ولم يكن من الصعب اثارة مشاعرهم واستنفارهم ضد الدين الجديد؛ وذلك لأنهم كانوا شديدي التمسك بمعتقداتهم وعاداتهم وتقاليدهم بحيث انهم كانوا يجابهون أي دين جديد...)<sup>٢</sup>.

الخبر. ولكن هناك مصادر اخرى ذكرت رداً يتناسب مع تهديد قريش، وهو ان رسول الله (ص) بعد ان سمع تهديد قريش على لسان عمه حلق ببصره الى السماء فقال: حواله ما أنا بأقدر ان ادع ما بُعثت به من ان يشعل احدكم من هذه الشمس شعله من نار. وهنا قال ابو طالب لمبعوثي قريش: والله ما كذب ابن اخي قط، ارجعوا راشدين! (الحافظ نور الدين الهيثمي، مجمع الزوائد، بيروت، دار الكتب، ج٦، ص١٥. نقلا عن المعجم الاوسط والكبير للطبراني، ومسند أبي يعلى). وقد وصف الهيثمي سند رواية أبي يعلى بأنه سند صحيح. وراجع أيضاً: فقه السيرة، محمد الغزالي، عالم المعرفة، ص١١٤ - ١١٥.

١ - ابن هشام، مصدر سابق، ص٢٨٧؛ الطبري، مصدر سابق، ص٢٢٠؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب (قم: المطبعة العلمية)، ج١، ص٥٩؛ ابن الاثير، مصدر سابق، ص٦٥؛ ابن كثير، مصدر سابق، ص٤٧٧؛ الحلي، مصدر سابق، ص٤٦٣.

٢ - ذكر الله تعالى في عدة مواضع من كتابه الكريم تعصبهم الديني وتبعيتهم لأسلافهم وتمسكهم بالعادات والتقاليد الموروثة، وذم

ونظراً الى ما كانت تتمتع به قريش من سلطة ونفوذ ومكانة في مكة، فرمى لن يكون من الصعب ادراك سبب مخالفتهم، اذ ان هذه القبيلة . وكما بينا في بحثنا حول تجارة قريش وسدانة الكعبة . قد استحوذت على المقدرات الاقتصادية والاجتماعية في مكة، ولم تكن مستعدة لقبول ظهور أي منافس لها، ولم تكن تسمح لأحد بعمل شيء من غير موافقتها وخلافا لمشيتها. فهذه القبيلة كانت تفرض الجباية على القبائل الاخرى وتتبع اساليب التمييز معها وتفرض سياستها على حجاج بيت الله.

وفي ضوء ذلك يبدو من الطبيعي ان لا يرتضي اشراف قريش هذا الدين الجديد الذي جاء به رسول الله ﷺ، اذ انهم ادركوا منذ اوائل كلامه ان دينه يتعارض مع الدين الذي ارتضوه؛ وعلاوة على ذلك كانوا يتوقعون ان تؤمن جماعة بهذا الدين وستكون له شهرة. وهذا ما يتعارض طبعا مع كبرياء قريش.

ومع كل ذلك ومن خلال استقراء السور والآيات المكية الاولى، وغيرها من الوثائق والشواهد، يمكننا استنتاج مجموعة من أهم الأسباب والعوامل التي دعتهم الى معارضة النبي منذ السنوات الاولى للدعوة.

### ١- الخشية من انهيار النظام الاجتماعي

بما ان النظام الاجتماعي السائد في مكة كان نظاما قبليا وكانت قريش تحظى في ظلها بامتيازات هائلة، فهذا يعني ان هذه المدينة كان يسودها حكم اشراف ونبلاء قريش. وقد ألف سادة قريش هذا النظام وكان من المزيج لهم ان يحصل أي مساس به. في حين كان اوائل المنضمين الى النبي ﷺ هم الشباب، والضعفاء، والمحرومون، والعيبد. يُضاف الى ذلك انه هو أيضاً لم يكن من الأشراف، وانما كان في صغره يتيماً، وفي شبابه مُعَدَمًا، ويُعد ضمن التصنيف القبلي من افراد الدرجة الثانية من بني هاشم. وكان عمه ابو طالب رغم شرف

---

هذه الصفة فيهم، ومن الامثلة على ذلك: سورة البقرة (٢)، الآية ١٧٠؛ سورة المائدة (٥)، الآية ١٠٤؛ سورة يونس (١٠)، الآية ٧٨؛ سورة لقمان (٣١)، الآية ٢١؛ سورة الزخرف (٤٣)، الآيتان ٢٢ - ٢٣.



## الدعوة العلنية وبدء المعارضة ..... ١٤٥

نسبه قليل ذات اليد. وكانت كل هذه المؤشرات بمثابة تحذيرات ونذر لزعماء قريش بأن دعوة الرسول محمد ﷺ تهدد بزعة اسس نظامهم الاجتماعي. ولاحظنا كيف انهم عبروا عن تذمرهم وسخطهم ازاء نزوع الشباب والمحرومين والعبيد نحو هذه الدعوة الجديدة. فالمبعوثون الذين اوفدتهم قريش الى الحبشة لاستعادة من هاجر اليها من المسلمين، عرّفوا انفسهم في بلاط النجاشي بالقول: «وقد بعثنا فيهم اشراف قومهم»<sup>١</sup>.

وقد كشف القرآن الكريم عن تفكيرهم النبلائي هذا عند اعتراضهم على بعثة الرسول ﷺ وقولهم: لماذا لم يبعثه الله من بين اشراف مكة أو الطائف:

{وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ} <sup>٢</sup>.

وفيفيد أحد التفاسير ان المراد من الرجل العظيم الوليد بن المغيرة رئيس قبيلة بني مخزوم، وعروة بن مسعود الثقفي (وكان ذا اموال عظيمة) من الطائف<sup>٣</sup>. وقد كتبوا في شأن نزول هذه الآية ما يلي: ان الوليد بن المغيرة قال: أُيُنْزِلَ على محمد وأترك، وأنا كبير قريش وسيدها؟! اذا فقريش حاربت دعوة النبي ﷺ ابتداءً بسبب ما رآته فيها من تهديد لنظامها الاجتماعي وليس باعتبارها ديناً جديداً.

### ٢- المخاوف الاقتصادية

يرى بعض الباحثين المعاصرين ان الدافع الاقتصادي كان من العوامل القوية لمقاومة قريش لدعوة الرسول؛ وذلك لوجود مجموعة من الآيات المكية التي تدم بشدة أصحاب الثروة والمال. فكبار الاثرياء وأصحاب رؤوس الاموال في مكة . الذين اطلعنا على الثروات الهائلة للبعض منهم في بحث تجارة وسدانة قريش . استشعروا الخطر عند سماع هذه الآيات، ورأوا ان نجاح هذه الدعوة سيكون بمثابة تهديد لمصالحهم الاقتصادية. ومن الأمثلة على تلك الآيات:

١ - ابن هشام، سيرة النبي، ج ١، ص ٣٥٨.

٢ - سورة الزخرف (٤٣)، الآية ٣١.

٣ - الطبرسي، مجمع البيان، ج ٩، ص ٤٦.

٤ - ابن هشام، سيرة النبي، ج ١، ص ٣٨٧؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ٥٠.

{ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا \* وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا \* وَبَنِينَ شُهُودًا \* وَمَهَدْتُ لَهُ تَمَهِيدًا \* ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ \* كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا}¹.

{سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ \* لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ \* لَوَاحَةٌ لِّلْبَشَرِ}².

{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ \* مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ \* سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ}³.  
{وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ \* الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ \* يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ \* كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ \* نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ \* الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْفُتُودَةِ}⁴.  
{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ \* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ \* وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ \* وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ \* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ \* وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى}⁵.

يفهم من خلال التدقيق في نصوص هذه الآيات ومن دراسة شأن نزولها، يبدو لنا أنها نزلت في اعقاب ما بان منهم من معارضة لدعوة النبي ﷺ (لم يكن سبب ذلك المعارضة المبدئية). ولعلها كانت ذات تأثير في تكريس تلك المعارضة والعداء وزيادة عدد الخصوم. وعلى اية حال فقد كان كبار تجار مكة واصحاب رؤوس الاموال فيها على رأس الخصوم والمعارضين للنبي ﷺ.

ورد في احد النصوص التاريخية ما يلي:

فان رسول الله ﷺ لما دعا قومه لما بعثه الله من الهدى والنور الذي أنزل عليه، لم يبعدوا

١ - سورة المدثر (٧٤)، الآيات ١١ - ١٦.

٢ - سورة المدثر (٧٤)، الآيات ٢٦ - ٢٩. اعتُبرت سورة المدثر السورة الرابعة في ترتيب النزول (التمهيد في علوم القرآن، ج ١، ص ١٠٤).

٣ - سورة المسد (١١١)، الآيات ١ - ٣. اعتُبرت سورة المسد السورة السادسة في ترتيب النزول (التمهيد في علوم القرآن، ج ١، ص ١٠٤).

٤ - سورة الهمة (١٠٤)، الآيات ١ - ٧.

٥ - سورة الليل (٩٣)، الآيات ٥ - ١١. اعتُبرت هذه السورة التاسعة في ترتيب النزول (التمهيد في علوم القرآن، ج ١، ص ١٠٤).

## الدعوة العلنية وبدء المعارضة ..... ١٤٧

منه اول ما دعاهم، وكادوا يسمعون له، حتى ذكر طواغيتهم. وقدم ناس من الطائف<sup>١</sup> من قريش لهم اموال، انكروا ذلك عليه، واشتدوا عليه وكرهوا ما قال، وأغروا به من اطاعهم؛ فانصفق عنه عامة الناس فتركوه<sup>٢</sup>.

### ٣- الخوف من القوى المجاورة

نقل القرآن الكريم اقوالهم التي اعربوا فيها عن تخوفهم من هجوم الدول والقوى المجاورة فيما لو انهم دخلوا مع الرسول في الإسلام، وفند تلك المخاوف معتبراً انها بعيدة عن الواقع: {وَقَالُوا إِن تَتَّبِعِ الْهْدَىٰ مَعَكَ نَخْطِفُ مِنْ أََرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} <sup>٣</sup>.

ونقل ان الحارث بن نوفل بن عبد مناف قال للنبي ﷺ: انا لنعلم ان قولك حق ولكن يمنعنا ان نتبع الهدى معك ونؤمن بك مخافة ان يتخطفنا العرب من ارضنا ولا طاقة

١ - يبدو ان هؤلاء كانوا يستثمرون اموالهم في الطائف، وكان لهم - اضافة الى مكة - مركز تجاري هناك.

٢ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك (بيروت: دار القاموس الحديث)، ج ٢، ص ٢٢١.

الذين ينظرون الى حياة الانسان وتطور المجتمع من زاوية مادية فقط، يعزون معارضة قريش للإسلام الى دوافع اقتصادية صرفة، ويعبرون لهذا الجانب أهمية تفوق الحد الطبيعي. والحقيقة هي انهم ينظرون الى القضية من بُعد واحد فحسب. ويمكن اعتبار تحليل وتقييم العالم الروسي بطروشفسكي - المتخصص بشؤون الاسلام وايران والاستاذ في كلية الاستشراق في جامعة لنيغراد - نموذجاً واضحاً لهذا النمط من التفكير في هذا المجال. حيث كتب ما يلي:

>... كان اشراف مكة من كبار المرابين وتجار الرقيق، وكانت لهم نظرة عدائية الى دعوة محمد [صولاً يمكن القول بأن التعصب الديني كان هو السبب الكامن وراء ذلك العداء، بل كانت دعوة محمد ضد عبادة الاصنام خطراً على المصالح التجارية والسياسية لمكة؛ وذلك لأنه كان من المحتمل ان تؤديّ دعوته الى سقوط عبادة الكعبة (!!) وأصنامها!! ومثل هذا الوضع كان كفيلاً بايقاف تدفق الزوّار الى هناك، ويجلب على سوق مكة الكساد ويؤدي الى تدهور علاقاتها التجارية مع الاماكن الاخرى، وليس هذا فحسب بل كان من المحتمل أيضاً ان يؤدي الى انحيار النفوذ السياسي لمكة.

ولهذا السبب رأى اشراف مكة في دعوة محمد خطراً على مصالحهم وابدوا العداء له. (اسلام در ايران، ترجمة كريم كشاورز، الطبعة ٧، طهران: دار نشر پیام، ١٣٦٣، ص ٢٦). وفي ضوء التعليقات التي عرضناها آنفاً في المتن لا تبقى ثمة حاجة لتوضيح وهن نظرية بطروشفسكي.

٣ - سورة القصص (٢٨)، الآية ٥٧.

لنا بالعرب<sup>١</sup>.

ويلاحظ من بين ثنايا كلامهم خشيتهم من سحق ملوك ايران وقيصرة الروم<sup>٢</sup>. وهذا ما يدل على شعور العرب بالضعف في مقابل الدول المجاورة. وهذا ما حصل يوماً حينما دعا الرسول جماعة من وجهاء العرب الى الإسلام وتلا عليهم آيات من القرآن الكريم فيها تعاليم اخلاقية وفطرية. فوقع في انفسهم موقعا حسنا واعرب كل واحد منهم عن استحسانه لها بأسلوب معين، ولكن كبيرهم وهو المثنى بن حارثة قال:

وانا انزلنا بين صريين، أما احدهما فطفوف البر وارض العرب، وأما الآخر فأرض فارس وانهار كسرى. وانما نزلنا على عهد اخذه علينا كسرى ان لا نحدث حدثاً ولا نؤوي محدثاً. ولعل هذا الأمر الذي تدعوننا إليه مما تكرهه الملوك. فأما ما كان يلي بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول؛ واما ما كان يلي بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور، وعذره غير مقبول<sup>٣</sup>.

#### ٤- التنافس والحسد القبلي

احدى النتائج التي تتمخض عن النظام القبلي، التفاخر والتنافس الحاد على مناقب ومآثر كانت لها مكانتها بين القبائل آنذاك. ولما كان رسول الله ﷺ من رھط بني هاشم، فقد أعرض زعماء البطون الاخرى عن الايمان بنبوته انطلاقاً من التنافس والتحاسد القبلي (اذ ان نبوته سيكون فيها شرف وفخر لبني هاشم). وقد صرح ابو جهل - الذي كان من بني مخزوم، وهو من اثرى وأكثر بطون قريش نفوذا وسلطة - بهذه الهواجس حين قال:

تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف؛ اطعموا فاطعمنا، وحملوا فحملنا، واعطوا فأعطينا،

١ - الطبرسي، مجمع البيان، ج ٧، ص ٢٦٠؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، (قم؛ المطبعة العلمية)، ج ١، ص ٥١.

٢ - مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ٥٩.

٣ - محمد ابو الفضل ابراهيم (وآخرون)، قصص العرب (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٣٨٢ هـ . ق)، ج ٢، ص ٢٥٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية (بيروت: مكتبة المعارف، الطبعة ٢، ١٩٧٧م)، ج ٣، ص ١٤٤.

## الدعوة العلنية وبدء المعارضة ..... ١٤٩

حتى اذا تجاذينا على الركب وكُنّا كفرسي رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك مثل هذا؟! والله لا نؤمن به ابدا ولا نصدّقه<sup>١</sup>.

وكان امية بن ابي الصلت أحد الاشراف والشعراء الكبار في الطائف. وكان في ما سبق من الحنفاء<sup>٢</sup>. وهو لم يؤمن بالإسلام، انطلاقاً من هذا الواقع أيضاً. فهو كان لسنوات طويلة ينتظر النبي الموعود، ولكنه كان الى حد ما يتوقع ان يكون هو. ولما بلغه خبر مبعث النبي امتنع عن اتباعه استحياء من نساء ثقيف وقال: <اني كنت احدثهنّ اني هو، ثم يريني تابعاً لغلّام من بني عبد مناف><sup>٣</sup>.

---

١ - ابن هشام، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٣٧؛ ابن شهر آشوب، ج ١، ص ٥٠؛ ابن كثير، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، (القاهرة: ١٣٨٤ هـ)، ج ١، ص ٥٠٦ - ٥٠٧.

٢ - راجع: باب الأديان والمذاهب في جزيرة العرب وما جاورها - في هذا الكتاب -، موضوع الاحناف.

٣ - ابن كثير، السيرة النبوية، ج ١، ص ١٣٠.



## الفصل الثالث

### تداعيات معارضة قريش والإجراءات التي اتخذتها

#### ايذاء المسلمين وتعذيبهم

لما رأت قريش ان عدد المسلمين غدا يزداد يوماً بعد آخر، وانها لم تحصل على نتيجة من حوارها مع ابي طالب، وان بني هاشم قد نهضوا للدفع عن الرسول، ووجدت نفسها حينذاك عاجزة عن النيل منه، وثبت كل قبيلة على من فيها من اصحاب رسول الله الذي آمنوا معه، يعذبونهم أملاً في ان يردوهم عن دينهم<sup>١</sup>.

فالمشكلة التي واجهتها قريش هي ان الذين آمنوا بالرسول لم يكونوا من قبيلة واحدة او قبيلتين ليتسنى لهم ايقافهم عند حدّهم، ولكن كان هناك عدة افراد من كل قبيلة آمنوا بهذا الدين الجديد. وعند إلقاء نظرة على قائمة اسماء مهاجري الحبشة الذين اضطروا الى مغادرة مكة في اعقاب ما تعرضوا له من الضغوط والأذى على يد المشركين، يتبيّن انهم كانوا مجموعة من النساء والرجال الذين ينتمون الى قبائل شتى مثل: بني عبد شمس، وبني أسد، وبني عبد الدار، وبني زهرة، وبني مخزوم، وبني جمح، وبني عدي، وبني الحارث، وبني عامر، وبني أمية. وهذا ما دفع المشركين الى اتخاذ قرار بأن تعذب كل قبيلة من فيها من المسلمين، وان لا يتدخل في هذا العمل افراد من القبائل لكيلا يؤدي ذلك الى اثاره العصبية والقيام بأعمال معادية.

واكثر ما أصاب التعذيب الذين سبقوا الى الإسلام ولا عشائر لهم تمنعهم ولا قوة لهم

---

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (بيروت: دار القاموس الحديث)، ج ٢، ص ٢٢١.

يمنعون بها<sup>٢</sup>؛ ومنهم ياسر وابنه عمار، وبلال بن رباح، والخباب بن الأرت، وابو فكيهة، وعامر بن فهيرة، وصهيب بن سنان؛ ومن النساء والجواري: سُمَيَّة، وام عُبَيْس (أو أم عُبَيْس)، وزَيْنرة، ولَبِيبة (أو لُبَيْنة)، ونَهْدِيَّة<sup>٣</sup> ممن عذبوا بشكل أو آخر. فمنهم من عُجِّلَ بالجووع والعطش، أو السجن، أو الضرب، أو إلقائه على الرمال في شدة حرارة الرمضاء، أو يوضع عليه درع من حديد برمضاء مكة إذا اشتد الحر، أو يربط من رقبته بجبل ويجرّه الصبيان.

### الهجرة الى الحبشة

كان رسول الله ﷺ يجد نفسه تحت حماية ابي طالب وبني هاشم ولا سبيل لقريش الى النيل منه. ولكنه لما رأى ازدياد تعذيب وايداء الضعفاء من المسلمين أمرهم بالهجرة الى ارض الحبشة (كحل مؤقت) وقال لهم: **كلو خرجتم الى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد**<sup>٤</sup>. ففي ذلك الوقت كانت الحبشة هي المكان الوحيد المناسب لهجرة المسلمين. وكان من المحتمل ان لا يُقبل المسلمون في بلاد فارس والروم والمناطق الخاضعة لنفوذهما مثل الشام واليمن أو ربما سيواجهون مشاكل في اعقاب الهجرة، سواء كان ذلك بتحريض من قريش او انطلاقاً من مقتضيات السياسة الخاصة لكل واحد من هاذين البلدين؛ اضافة الى ان ارض الحبشة كانت معروفة للمسلمين لأنها كانت متجراً لقريش يتجرون فيها<sup>٥</sup>. وفضلاً عن ذلك فقد كان اهل الحبشة مسيحيين ويشتركون مع المسلمين في عقيدة التوحيد. ويذكر ان مسيحيي الحبشة كانوا من طائفة اليعاقبة التي كانت تعتبر الله ذا ماهية واحدة **«اقنوم واحد»**.

٢ - البلاذري، انساب الاشراف، تحقيق: الدكتور محمد حميد الله، (القاهرة: دار المعارف، ط ٣)، ج ١، ص ١٩٧؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، (بيروت، دار صادر)، ج ٢، ص ٦٦.

٣ - البلاذري، مصدر سابق، ج ١، ص ١٥٦ - ١٩٦؛ ابن الاثير، مصدر سابق، ج ٢، ص ٧٠ - ٦٦.

٤ - ابن هشام، سيرة النبي، ج ١، ص ٣٤٤؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٢، ص ٢٢٢؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٧٦.

٥ - الطبري، مصدر سابق، ص ٢٢١.



تداعيات معارضة قريش والاجراءات التي اتخذتها ..... ١٥٣

ولم يكونوا من المعتقدين بالتثليث، وكانت عقيدتهم قريبة من التوحيد الإسلامي في هذا الجانب<sup>٦</sup>.

وعلى اية حال فقد غادرت مكة سرا جماعة من المسلمين في السنة الخامسة للبعثة<sup>٧</sup>. وكان عددها ١٥ شخصا<sup>٨</sup>. الى ارض الحبشة، ووصلوا الى هناك عن طريق ميناء الشعبية بعد عبور عرض البحر الاحمر. وبعد أن اقاموا مئتين شهرين او ثلاثة أشهر في الحبشة بلغهم خبر ان قريشاً قد أسلمت، فعادوا الى مكة<sup>٩</sup>.

واشتدت قريش بالاذى والعذاب على المسلمين، ولما رأى المسلمون الذين رجعوا من الحبشة ذلك عادوا على ادراجهم مهاجرين الى الحبشة ثانياً وسلخوا نفس الطريق الذي سلخواه أولاً. وكان عدد من هاجر هذه المرة مائة وواحد (من الرجال والنساء)<sup>١٠</sup>، وعلى رأسهم جعفر بن ابي طالب. وبعد مئتين شهرين شعرت قريش بالخطر من الاستقرار والأمان الذي يعيش فيه المهاجرون في الحبشة؛ فارسلت مبعوثين عنها الى بلات النجاشي ليستردوا منه من هاجر اليه من المسلمين.

فلما تنهى خبر تلك المؤامرة الى اسماع ابي طالب كتب الى النجاشي كتاباً يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم<sup>١١</sup>.

---

٦ - عمر فروخ، تاريخ صدر الاسلام والدولة الأموية (بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة ٣، ١٩٧٦م)، ص ٥٤؛ الدكتور عباس زرياب، سيره رسول الله، طهران؛ سروش، الطبعة ١، ١٣٧٠)، ص ١٦٩.

٧ - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٠٤؛ البلاذري، انساب الاشراف، ج ١، ص ٢٢٨؛ ابن الاثير، مصدر سابق، ص ٧٧.

٨ - ابن سعد، مصدر سابق، ص ٢٠٤؛ ابن هشام، مصدر سابق، ص ٣٤٤؛ الطبري، مصدر سابق، ص ٢٢٢ - ٢٢١.

٩ - البلاذري، مصدر سابق، ص ٢٢٧.

١٠ - ابن سعد، مصدر سابق، ص ٢٠٧. وذكروا أيضاً ان عدد المهاجرين كان اقل من هذا. ولكن عدد اسماء المهاجرين الذي سجلته كتب التاريخ يؤيد صحة الرقم الأول. راجع: ابن هشام، مصدر سابق، ص ٣٤٦ - ٣٥٣؛ الدكتور محمد ابراهيم آيتي، تاريخ پیامبر اسلام، (دار نشر جامعة طهران، الطبعة ٢، ١٣٦١)، ص ١٢٢ - ١٣٢.

١١ - ابن هشام، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٥٧؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ١٨، ص ٤١٨. استناداً إلى ما نقله الطبرسي، كتب ابو طالب في كتابه الايات التالية:

وبعد ان تكلم مبعوثو قريش وعرضوا ادعاءاتهم في بلاط النجاشي، قام جعفر بن ابي طالب وتكلم بكلام بليغ دافع فيه عن قيم الإسلام ومبادئه؛ فلقي كلامه موقعا حسنا عند النجاشي. ورفض النجاشي عند ذاك اعادة المسلمين الى قريش، واعلن عن حمايته لهم<sup>١٢</sup> ولم يكن كل المهاجرين الى الحبشة ممن عُذِّبوا واوذوا، بل كان فيهم افراد من قبائل قوية ولم يتجرأ الكفار على اذائهم. ولكن على اية حال كانت اجواء مكة اجواء ضغط وكبت. ولعل هدف الرسول من وراء هذا العمل - فضلا عن ابعاد المسلمين عن اجواء الضغط والتعذيب في مكة - هو تأسيس قاعدة في الحبشة للإسلام ومواجهة خصوم هذا الدين. وكما نعلم فان اقامة المهاجرين في الحبشة لم تكن خالية من التأثير الاعلامي. فقد قبل النجاشي - ملك الحبشة - الإسلام، وأقام علاقات مع الرسول ﷺ<sup>١٣</sup>. ويبدو ان قلق قريش كان سببه من هذه الناحية أكثر من غيرها وهو ما دفعها الى ايفاد المبعوثين الى الحبشة.

وتفيد بعض الوثائق والشواهد ان رسول الله ﷺ كان يتابع اوضاع واخبار المهاجرين ويتضح ذلك من موافاته بخبر ارتداد ووفاة عبيد الله بن جحش (أحد المهاجرين) هناك<sup>١٤</sup>. وفي هذه المرة طالت اقامة المهاجرين في الحبشة، وتوفي منهم في هذه المدة احد عشر نفراً في ذلك البلد، وعاد ٣٩ منهم الى مكة قبل هجرة الرسول ﷺ منها، وعاد ٢٦ رجلا وعدد من النساء الى المدينة بعد هجرة النبي إليها وبعد معركة بدر. ورجعت المجموعة الاخيرة

---

تعلم	ملك	الحبش	ان	محمد	نبي	كموسى	والمسيح	بن	مریم
اتى	بالهدى	مثل	الذي	اتيا	به	وكل	بأمر	الله	يهدى
وانكم	تتلونه	في	كتابكم	بصدق	حديث	لا	حديث	مرجّم	
فلا	تجعلوا	الله	نذراً	وأسلموا	فان	طريق	الحق	ليس	بمظلم

(اعلام الورى، ص ٤٥).

١٢ - الطبرسي، مصدر سابق، ص ٤٣ - ٤٤؛ ابن هشام، مصدر سابق، ص ٣٦٠ - ٣٥٦؛ ابن الاثير، مصدر سابق، ج ٢، ص ٨١ - ٧٩.

١٣ - جاء في بعض المصادر ان جعفر بن ابي طالب حين رجع من الحبشة كان معه سبعون نفراً قدموا من هناك، وبعدما كلمهم الرسول (ص) آمنوا بالإسلام (مجمع البيان، ج ٣، ص ٢٣٤).

١٤ - ابن سعد، مصدر سابق، ص ٢٠٨.

تداعيات معارضة قريش والاجراءات التي اتخذتها ..... ١٥٥

منهم برئاسة جعفر بن ابي طالب في السنة السابعة للهجرة، بعد انتهاء معركة بدر ووفوه في ذلك الموضع<sup>١٥</sup>.

### ولادة فاطمة الزهراء عليها السلام

استنادا الى اشهر الاقوال عند مؤرخي الشيعة فان السيدة فاطمة قد ولدت في السنة الخامسة للبعثة في مكة<sup>١٦</sup>. وكانت أصغر اولاد الرسول ﷺ من زوجته خديجة. وبعد الهجرة تزوجت من علي<sup>عليه السلام</sup> في المدينة. كانت فاطمة قد شهدت . منذ صغر سنّها . جهاد ابيها المشركين وصراعه معهم، وبقيت تستذكر عناء ذلك العهد ومصابعه.

### الاسراء والمعراج

أسري بالرسول ليلا من مكّة الى بيت المقدس بمعجزة خارقة للعادة (الاسراء). ثم عُرج به من هناك إلى السماوات بقدرة الله (المعراج). وكلا هاتين الحادثتين وقعتا اثناء ما كان في مكّة؛ اذ نقلتا في الآيات والصور المكية. ولكن هناك اختلاف في سنة وقوعهما.

وكان الهدف من هذين السفين (الاسراء والمعراج) مشاهدة علائم وآيات عظمة الله في الكواكب والسماوات، ولقاء الملائكة وارواح الانبياء، ورؤية مشاهد الجنة والنار ودرجات اهل الجنة وأهل النار وما شابه ذلك. وقد وصف الله عز وجل <الاسراء> كما يلي:

{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}<sup>١٧</sup>.

وقال في <المعراج> بعد بيان المراحل التي مرّ بها الرسول ﷺ في هذا السفر ما يلي:

---

١٥ - ابن سعد، مصدر سابق، ج٨، ص٩٧؛ ابن هشام، مصدر سابق، ص٢٣٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية (بيروت: مكتبة المعارف، الطبعة ١، ١٩٦٦م)، ج٤، ص١٤٣؛ الدكتور محمد ابراهيم آيتي، مصدر سابق، ص١٣٢.

١٦ - المجلسي، بحار الانوار، ج٤٣، ص٧ فما بعدها. ولكن المشهور عند علماء أهل السنّة أنّها ولدت في السنة الخامسة قبل البعثة. <السيد جعفر شهيدى، زندكي فاطمه زهرا عليها السلام، (طهران: مكتب نشر الثقافة الاسلامية، ١٣٦٥، الطبعة ٧)، ص٢٤ - ٣٢>.

١٧ - سورة الاسراء (١٧)، الآية ١.

{لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} ١٨.

قال الامام موسى بن جعفر عليه السلام . لمن سألته: لأي علة عرج الله بنبيه عليه السلام الى السماء والله لا يوصف بمكان؟: ان الله لا يوصف بمكان ولا يجري عليه زمان؛ ولكنه عز وجل اراد ان يشرف به ملائكته وسكان سماواته ويكرمهم بمشاهدته، ويريه من عجائب عظمتة ما يخبر به بعد هبوطه، وليس ذلك على ما يقوله المشبهون، سبحانه الله وتعالى عما يصفون ١٩.

### تقويم روايات المعراج

وردت روايات كثيرة حول عروج الرسول الى السماء. وقد قسم المفسر الكبير الطبرسي هذه الروايات الى اربعة مجموعات، وبها كما يلي:

١. ما يقطع بصحته لتواتر الاخبار به، مثل أصل قصة المعراج.
  ٢. ما ورد في ذلك مما تجوز العقول ولا تأباه الاصول، مثل سير الرسول في السماوات ومشاهدته الانبياء والجنة والنار وما شابه ذلك.
  ٣. ما يكون في ظاهره مخالفاً لبعض الاصول الا انه يمكن تأويلها على وجه يوافق المعقول، فالاولى ان نأوله على ما يطابق الحق والدليل، كالروايات التي تقول بأنه قد شاهد جماعة من اهل النار في جهنم، وجماعة من اصحاب الجنة في الجنة؛ اذ ينبغي القول بأن هذه المشاهد عبارة عن نوع من التمثيل والتجسيم للجنة والنار الحقيقيتين.
  ٤. ما لا يصح ظاهره ولا يمكن تأويله الا على التعسف البعيد، نحو ما روي انه صلى الله عليه وآله وسلم كلم الله سبحانه جهرة، وراه وقعد معه على سريره، وما شابه ذلك. وهذا باطل ولا أساس له ٢٠.
- ومن الجدير بالاشارة أن علماء الامامية يعتقدون ان معراج النبي كان جسمانياً أي انه

١٨ - سورة النجم (٥٣)، الآية ١٨.

١٩ - البحراني، تفسير البرهان (قم: دار الكتب العلمية، ١٣٩٣ هـ)، ج ٢، ص ٤٠٠.

٢٠ - مجمع البيان (طهران: شركة المعارف)، ج ٦، ص ٣٩٥، تفسير الآية الاولى من سورة الاسراء.

تداعيات معارضة قريش والاجراءات التي اتخذتها .....١٥٧

عرج بجسمه وروحه<sup>٢١</sup>.

وبناء على ما جاء في الروايات فان الصلوات اليومية الخمسة قد فُرضت في المعراج<sup>٢٢</sup>. واذا كان قد شوهد أو نقل ان النبي ﷺ او الامام علي عليه السلام كانا يصلّيان قبل المعراج، فلا بد انها كانت صلاة غير واجبة او انها كانت لا تنطبق عليها شروط وخصائص الصلوات الخمس<sup>٢٣</sup>.

### الحصار الاقتصادي والاجتماعي ضد بني هاشم

لما رأى زعماء قريش انهم لم يحصلوا على نتيجة من مداولاتهم مع ابي طالب، وقد فشلوا في استعادة من هاجر الى الحبشة من المسلمين، ولاحظوا . من جهة اخرى . ان هناك شخصيات مهمة اخذت تدخل في الإسلام، وراح الإسلام ينتشر بين القبائل، اضطروا الى اتخاذ اساليب واجراءات جديدة يمارسون خلالها ضغوطا اقتصادية واجتماعية على بني هاشم وبني عبد المطلب ليرغموهم على الكف عن مساندة رسول الله وتسليمه إليهم. وفي ضوء هذا القرار كتبوا كتاباً تعاقدوا فيه على ان لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً، ولا يتاعوا منهم<sup>٢٤</sup>.

سبق ان ذكرنا أن أهالي مكة كانوا يعتاشون عن طريق التجارة، وكانت عجلة الاقتصاد والتجارة تدار بيد قريش. وهذا يعني انهم لو فرضوا حصاراً على أحد أو على جماعة فذلك يعني حرمانه كلياً. وبناءً على ذلك فقد كانوا يرون ان هذا الإجراء مؤثر تماماً، لذلك كانوا

٢١ - المجلسي، مصدر سابق، ج١٨، ص٢٩٠؛ تفسير نمونه [التفسير الأمثل]، ج١٢، ص١٧ فما بعدها.

٢٢ - الكليني، الفروع من الكافي، (طهران: دار الكتب الاسلامية، ط٢، ١٣٦٢)، ج٣، ص٤٨٧ - ٤٨٢؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢١٣؛ صحيح البخاري، تحقيق: الشيخ قاسم الشماخي الرفاعي، (بيروت: دار القلم، الطبعة ١، ١٤٠٧هـ)، ج٥، مناقب الأنصار، الباب ١٠٤، ص١٣٢ - ١٣٤؛ الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، (بيروت: دار احياء التراث العربي، الطبعة ٤)، ج٣، كتاب الصلاة، ص٧، الحديث ٥، وص ٣٥، الحديث ١٤، وص ٦٠، الحديث ٦؛ المجلسي، مصدر سابق، ج١٨، ص٣٤٨؛ السيد هاشم البحراني، مصدر سابق، ج٢، ص٩٣٣.

٢٣ - العلامة الأميني، الغدير، ج٣، ص٢٤٢.

٢٤ - ابن هشام، سيرة النبي، ج١، ص٣٧٥؛ الطبري، مصدر سابق، ج٢، ص٢٢٥؛ البلاذري، انساب الاشراف، تحقيق: محمد حميد الله، (القاهرة: دار المعارف، ط٣)، ج١، ص١٤٣.

## ١٥٨..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى رحلة

النبي ﷺ

يتوقعون ان يستسلم بنو هاشم سريعاً.

وكان حظر الزواج يعني قطع العلاقات الاجتماعية معهم، وهو ما ذكرته بعض المصادر باعتباره واحداً من البنود التي تعاقدت عليها قريش<sup>٢٥</sup>، حيث كان هدفهم عزل بني هاشم والضغط عليهم اجتماعياً.

وفي اعقاب ابرام هذا العقد، انحاز جميع افراد بني هاشم المسلم منهم والكافر<sup>٢٦</sup> باقتراح من ابي طالب<sup>٢٧</sup>، واجتمعوا في شعب أبي طالب<sup>٢٨</sup>، عدا أبا لهب<sup>٢٩</sup>. وبقوا هناك مئتين ثلاث سنوات<sup>٣٠</sup>، وهي المدة التي استمر فيها فرض الحصار.

٢٥ - البلاذري، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٣٤؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٠٩؛ ابن أبي الحديد، شرح نخب البلاغة، ج ١٤، ص ٥٨.

٢٦ - ابن أبي الحديد، شرح نخب البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار احياء الكتب العربية، ١٩٦١م)، ج ١٤، ص ٦٤؛ فتال النيسابوري، روضة الواعظين (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة ١، ١٤٠٦هـ)، ص ٦٣. البلاذري، مصدر سابق، ص ٢٣٠؛ ابن شهر آشوب، مصدر سابق، ج ١، ص ٦٣؛ ابن اسحاق، السير والمغازي.

٢٧ - تحقيق: سهيل زكار (بيروت: دار الفكر، الطبعة ١، ١٣٩٨هـ)، ص ١٥٩؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ١٩، ص ١٨.

٢٨ - الشعب بمعنى الوادي أو مسيل الماء في بطن من الارض. وشعب ابي طالب الذي عرف لاحقاً باسم شعب أبي يوسف، كان لعبد المطلب وقد قُسم بين بنيه حين ضعف بصره. وكان النبي (ص) أخذ حظ أبيه. وهو كان منزل بني هاشم ومسكنهم (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٤٧). وتفيد الدراسات التي اجريت حديثاً ان شعب ابي طالب - وخلافاً لما يتصوره البعض - لا يقع في الحجون التي تُسمى اليوم بين اهل مكّة باسم جنة المعلّاة، وتُعرف عند الايرانيين باسم مقبرة ابي طالب، وانما يقع قرب المسجد الحرام الى جانب جبل الصفا والامتداد الشمالي لجبل ابي قبيس. وكانت ولادة النبي، وكذلك دار السيدة خديجة في هذا الوادي، وبقي رسول الله (ص) يسكن تلك الدار الى حين هجرته. وبعد هجرة الرسول الى المدينة استولى عليها عقيل بن ابي طالب. ثم اشتراها محمد بن يوسف الثقفي - اخو الحجاج - من أبناء عقيل، وضمّها الى داره. ويبدو ان اسمه تبدل منذ ذلك الوقت الى شعب ابي يوسف، وذكره المؤرخون القدماء بهذا الاسم.

كان مسقط رأس النبي معروفاً في هذا الموضع. وفي عهد الملك عبد العزيز بن سعود حوّل مدير بلدية مكّة الى مكتبة، وزال اثره من الوجود في عام ١٣٩٩هـ. عند تنفيذ مشروع تعريض شارع غزّة (مجلّة ميقات الحج، الرقم ٣، ربيع ١٣٧٢، مقالة السيد علي قاضي عسكر، بحث حول شعب ابي طالب، ص ١٤٩ - ١٧١).

٢٩ - أول شهر محرم من السنة السابعة للبعثة، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٠٩.

٣٠ - ابن سعد، مصدر سابق، ص ٢٠٩؛ البلاذري، مصدر سابق، ص ٢٣٤ - ٢٣٣؛ ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٥؛

تداعيات معارضة قريش والاجراءات التي اتخذتها ..... ١٥٩

ورغم ان ما تحالفت عليه كان يقتصر على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية فحسب، ولكن حقد قريش وغضبها على الرسول وبني هاشم كان قد بلغ ذروته، واعلنوا ان السبيل الوحيد لتوافقهم مع بني هاشم قتل محمد. وهذا ما جعل ابو طالب يخشى على النبي وبني هاشم، فجمعهم في ذلك الشعب لكي تسهل عليهم حراستهم وحمايتهم لأنفسهم. واستنفر ابو طالب بني هاشم وكانوا اربعين رجلا<sup>١</sup> لحراسة الشعب.

وكان النبي ﷺ اذا اخذ مضجعه ونامت العيون، جاء ابو طالب فأخضه عن مضجعه وأضجع عليا مكانه<sup>٢</sup> لكي يحميه من أي هجوم أو محاولة اغتيال قد تقوم بها قريش. في هذه المدة كانت قريش تقطع الميرة عن شعب ابي طالب، وتمنع على بني هاشم أي عمل تجاري حتى غدو في اشد عسر وفاقة. وكانوا لا يخرجون الا في موسم الحج والعمرة فيشترون ويبيعون فيهما<sup>٣</sup>.

وحتى في هذين الموسمين أيضا كان هناك افراد من قريش يخرجون الى الطرقات فمن رأوا معه ميرة فهو ان يبيع من بني هاشم شيئاً ويجذرونه ان هو فعل ذلك فستكون سلعته عرضة للنهب<sup>٤</sup>. واذا اراد رجل من بني هاشم شراء شيء كانوا يزيدون عليه لكي لا يتمكن من شرائه<sup>٥</sup>.

واحيانا كان ابو العاص بن الربيع<sup>٦</sup> وحكيم بن حزام<sup>٦</sup> يحملون الطعام الى الشعب بعيدا عن

---

ابن الاثير، الكامل في التاريخ، (بيروت: دار صادر)، ج ٢، ص ٨٧؛ فتال النيسابوري، مصدر سابق، ص ٦٣ - ٦٤.

١ - ابن شهر آشوب، مصدر سابق، ج ١، ص ٦٣؛ الطبرسي، إعلام الوری (طهران: دار الكتب الاسلامية، ط ٣)، ص ٩٤.

٢ - فتال النيسابوري، روضة الواعظين، (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، الطبعة ١، ١٤٠٦ هـ)، ص ٦٤؛ ابن شهر آشوب، آشوب، مصدر سابق، ص ٦٤؛ الطبرسي، مصدر سابق، ص ٥٠؛ ابن ابي الحديد، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٦٤؛ راجع: ابن اسحاق، مصدر سابق، ص ١٦٠.

٣ - ابن شهر آشوب، مصدر سابق، ص ٦٥؛ ابن سعد، مصدر سابق، ص ٢٠٩؛ البلاذري، مصدر سابق، ص ٢٣٤؛ ابن اسحاق، مصدر سابق، ص ١٥٩.

٤ - الطبرسي، مصدر سابق، ص ٥٠.

٥ - المجلسي، مصدر سابق، ج ١٩، ص ١٩؛ ابن اسحاق، مصدر سابق، ص ١٥٩.

٦ - ابن شهر آشوب، مصدر سابق، ص ٦٥؛ الطبرسي، مصدر سابق، ص ٥١.

## ١٦٠..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى رحلة

النبي ﷺ

عن اعين قريش. وكان علي عليه السلام يخرج ليلا من الشعب متخفيا ليحمل الى بني هاشم على ظهره الطعام<sup>٢</sup>.

وفي هذه المدة أنفق رسول الله ماله، وأنفق ابو طالب ماله، وأنفقت خديجة ماله<sup>٣</sup>. وانفقت خديجة على النبي ﷺ في الشعب مالا كثيرا<sup>٤</sup>.

وبعد مضي ثلاث سنوات عندما اخبرهم الرسول ﷺ بواسطة ابي طالب ان الصحيفة قد اكلتها الأرضية<sup>٥</sup>، اضافة الى ان بعض الموقعين على الصحيفة تلاوموا على ما صنعوا ببني هاشم<sup>٦</sup> فاعلنوا براءتهم منها وبادروا الى إلغائها<sup>٧</sup>. وخرج بنو هاشم الى مساكنهم<sup>٨</sup>.

وقد كتب الامام علي عليه السلام في احد كتبه الى معاوية يصف فيه ذلك الدور المليء بالمصاعب والآلام كما يلي:

«فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا وَاجْتِيَا حَاضِرِنَا وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ وَفَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِيلَ وَنَعُونَا الْعَذْبَ وَاحْلَسُونَا الْخَوْفَ وَاضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَغَرٍّ وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ فَعَزَمَ اللَّهُ لَنَا عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذَلِكَ الْأَجْرَ وَكَافَرْنَا يُحَامِي عَنِ الْأَصْلِ».

١ - ابن اسحاق، مصدر سابق، ص ١٦١؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٧٩؛ البلاذري، مصدر سابق، ص ٢٣٥؛ المجلسي، مصدر سابق، ص ١٩.

٢ - ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٣، ص ٢٥٤.

٣ - ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٥؛ الطبرسي، إعلام الوري، ص ٥٠.

٤ - الطبرسي، مصدر سابق، ص ٥٠؛ ابن شهر آشوب، مصدر سابق، ج ١، ص ٦٤.

٥ - ابن اسحاق، مصدر سابق، ص ١٦١؛ البلاذري، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٣٤؛ ابن سعد، مصدر سابق، ج ١، ص ٢١٠؛ ابن شهر آشوب، مصدر سابق، ج ١، ص ٦٥.

٦ - ابن اسحاق، مصدر سابق، ص ١٦٢، ١٦٥، ١٦٦؛ البلاذري، مصدر سابق، ص ٢٣٦؛ ابن ابي الحديد، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٥٩؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٨٨؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ١٩، ص ١٩.

٧ - في السنة العاشرة للبعثة (ابن سعد، مصدر سابق، ج ١، ص ٢١٠؛ البلاذري، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٣٦).

٨ - الطبرسي، مصدر سابق، ص ٥٢ - ٥١.



تداعيات معارضة قريش والاجراءات التي اتخذتها ..... ١٦١

### وفاة خديجة وابي طالب

وفي السنة العاشرة للبعثة، وبعد خروج بني هاشم من الشعب بمدة قصيرة توفيت خديجة، وبعدها بمدة قصيرة توفي ابو طالب<sup>١</sup>. فعظم ذلك على رسول الله واشتد جزعه<sup>٢</sup>. وبوفاة هذين الشخصين اللذين كانا له عضدا وحرزا وناصرًا تتابعت عليه المصائب<sup>٣</sup>.

### دور خديجة

كان من الطبيعي ان يترك فقدان هاتين الشخصيتين الكبيرتين تأثيرا سلبيا في حياة الرسول؛ وذلك لأن خديجة . رغم انها لم تقم بدور الحماية والدفاع عن الرسول ﷺ على صعيد مكّة . كانت ضمن نطاق البيت والأسرة الزوجة الوحيدة الحنون والمضحية والحريصة، وكانت وزيرة صدق على الإسلام وكان يسكن إليها. وبقي رسول الله الى آخر عمره يكرم مثواها<sup>٤</sup>. ولا ينسى سبقها في الإسلام وما تحملته من مشقة ومكابدة في سبيل الدين. حتى انه ذات يوم قال لعائشة:

«ما ابدلني الله خيراً من خديجة؛ لقد آمنت بي حين كفر بي الناس، وصدقتني حين كذبتني الناس، وواستني في مالها حين حرمني الناس، ورزقني الله منها اولاداً»<sup>٥</sup>.

### دور ابي طالب

كما ذكرنا سابقاً، ان ابا طالب هو الذي تولّى رعاية محمد ﷺ في طفولته وصباه، بل

١ - البلاذري، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٣٦؛ ابن الاثير، مصدر سابق، ج ٢، ص ٩٠.

٢ - ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٩. سُمّي رسول الله (ص) ذلك العام >عام الحزن<. المجلسي، بحار الانوار، ج ١٩، ص ٢٥.

٣ - ابن اسحاق، مصدر سابق، ص ٢٤٣؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج ٢، ص ٥٧؛ الطبرسي، إعلام الوری، ص ٥٣.

٤ - ابن اسحاق، مصدر سابق، ص ٢٤٣؛ ابن هشام، مصدر سابق، ص ٥٧.

٥ - امير مهنا الخيامي، زوجات النبي واولاده، (بيروت: مؤسسة عز الدين، ط ١٤١١هـ)، ص ٦٢ - ٦٣؛ ابو بشر الدولابي، الذرية الطاهرة (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة ٢)، ص ٦٣ - ٦٤.

٦ - ابن عبد البر، الاستيعاب (في حاشية الإصابة، ج ٤، ص ٢٨٧؛ الدولابي، مصدر سابق، ص ٥١).

## ١٦٢..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى رحلة

النبي ﷺ

وكان الذاب والمدافع عنه حتى في عهد رسالته، فكان يقف كالسد العظيم امام احقاد المشركين وعدوانهم. وفي زمن حياة ابي طالب كانت قريش نادرا ما تتجرأ على ايدائه. وروي ان اكابر قريش أغروا غلاما فالقى النبي ﷺ السلى والفرث وهو يصلي في المسجد الحرام، فانصرف فأتى أبا طالب وأعلمه بما جرى. فأقبل ابو طالب مشتملاً على السيف يتبعه حمزة وهو يحمل ذلك السلى، وأمر حمزة ان يمسح السلى على وجوههم<sup>١</sup>. ولما توفي ابو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ واجترأوا عليه حتى نثر بعضهم التراب على رأسه<sup>٢</sup>. وكان يقول: «ما نالت قريش مني شيئاً اكرهه حتى مات ابو طالب»<sup>٣</sup>.

### ايمان ابي طالب

يرى عموم علماء الشيعة ان ابا طالب قد أسلم<sup>٤</sup>، ولكنه ما كان يظهر اسلامه ليتسنى له حماية رسول الله. وبما ان عصبية الدم والقربة كانت سائدة في ذلك المجتمع، فقد اتخذها ابو طالب غطاء ظاهرياً لحماية الرسول ﷺ<sup>٥</sup>. قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام:

- 
- ١ - الكليني، الأصول من الكافي (طهران: دار الكتب الاسلامية، ١٣٨١هـ)، ج ١، ص ٤٤٩؛ العلامة الأميني، الغدير، ج ٧، ص ٣٩٣؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ١٨، ص ١٨٧؛ راجع: الغدير، ج ٧، ص ٣٥٩، ٣٨٨، ٣٩٣؛ تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ٢٠.
  - ٢ - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢١١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٢، ص ٢٢٩؛ البيهقي، دلائل النبوة، ج ٢، ص ٨٠؛ ابن الاثير، مصدر سابق، ج ٢، ص ٩١.
  - ٣ - ابن اسحاق، السير والمغازي، ص ٢٣٩؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج ٢، ص ٥٨؛ الطبري، مصدر سابق، ص ٢٢٩؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل ابي طالب، ج ١، ص ٦٧؛ ابن الاثير، مصدر سابق، ص ٩١؛ البيهقي، مصدر سابق، ص ٨٠؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص (النحف الاشرف: المكتبة الحيدرية، ١٣٨٣هـ)، ص ٩.
  - ٤ - الشيخ المفيد، اوائل المقالات (قم: مكتبة الداوري، ١٣٧٠هـ)؛ فتال النيسابوري، مصدر سابق، ص ١٥٥؛ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٤، ص ٦٥؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج ٣، ص ٢٨٧؛ تفسير آية ٢٦ من سورة الانعام؛ علي بن طائوس، الطوائف في معرفة مذاهب الطوائف (قم: مطبعة الخيام، ١٤٠٠هـ)، ص ٢٩٨.
  - ٥ - الطبرسي، مصدر سابق، ج ٧، ص ٢٦٠، تفسير الآية ٥٦ من سورة القصص.

تداعيات معارضة قريش والاجراءات التي اتخذتها ..... ١٦٣

كان مثل ابي طالب كمثل اصحاب الكهف اسروا الايمان واطهروا الشرك فاتاهم الله اجرهم مرتين<sup>١</sup>.  
وقد انكر جماعة من مؤرخي أهل السنة ايمان ابي طالب وادعوا بأنه لم يؤمن حتى وفاته  
وخرج من الدنيا كافراً. بيد أن هناك شواهد وادلة كثيرة تثبت عكس ذلك، وتدلل على اعتقاد  
ابي طالب بالإسلام وإيمانه بنبو محمد ﷺ، نذكر هنا اثنين منها بإيجاز:

١ - أشعاره وكلماته: وصلتنا اشعار وكلمات كثيرة من ابي طالب يذكر في قسم منها -  
بصراحة - نبو الرسول وحقانيته<sup>٢</sup>، وهذا دليل واضح على ايمانه نورد بالإسلام. في ما يلي  
مقتطفات من اشعاره:

تعلم مليك الحبش ان محمدا	نبي كموسى والمسيح بن مريم
اتى بالهدى مثل الذي اتينا به	وكل بامر الله يهدى ويعصم <sup>٣</sup>

\*\*\*\*\*

ألم تعلموا اننا وجدنا محمدا رسولا كموسى خط في اول الكتب<sup>٤</sup>

---

١ - الكليني، مصدر سابق، ج ١، ص ٤٤٨؛ الصدوق، الامالي (قم: مطبعة الحكمة)، ص ٣٦٦ (المجلس ٨٩)؛ فتال النيسابوري،  
مصدر سابق، ص ١٥٦؛ العلامة الأميني، الغدير، ج ٧، ص ٣٩٠؛ المفيد، الاختصاص (قم: منشورات جماعة المدرسين)، ص ٢٤١.  
٢ - كان لأبي طالب ديوان شعر جمعه اللغوي ابو نعيم علي بن حمزة البصري التميمي (م ٣٧٥هـ) في صقلية. ورأى الشيخ الآقا  
بزرگ الطهراني نسخة منه في مكتبة آل السيد عيسى العطار في بغداد (الذريعة، ج ٩، القسم الاول، ص ٤٢ - ٤٣). وكذلك كان  
لأبي هفان عبد الله بن احمد العبدى من بني مهزم - وكان من شعبة البصرة وشاعرا واديبا مشهورا - كتاب عنوانه: شعر ابي طالب بن  
عبد المطلب واخباره. (رجال النحاشي، تحقيق: محمد جواد النائي، بيروت، الطبعة ١، ١٤٠٨هـ)، ج ٢، ص ١٦، الرقم ٥٦٨٠.  
وكان امير المؤمنين (ع) يعجبه ان يروى شعر ابي طالب وان يدون، وقال: تعلموه وعلموه اولادكم فانه كان على دين الله وفيه علم  
كثير (الغدير، ج ٧، ص ٣٩٣).

٣ - الطبرسي، إعلام الوری، ص ٤٥؛ مجمع البيان، ج ٤، ص ٢٨٨؛ العلامة الأميني، الغدير، ج ٧، ص ٣٣١.

٤ - الكليني، مصدر سابق، ج ١، ص ٤٤٩؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج ٤، ص ٢٨٧؛ ابن هشام، سيرة النبي، ج ١، ص ٣٧٧؛ ابن  
ابي الحديد، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٧٢؛ الشيخ ابو الفتح الكراجكي، كنز الفوائد، تحقيق: الشيخ عبد الله نعمة، (قم: دار  
الذخائر، الطبعة ١، ١٤١٠هـ)، ج ١، ص ١٨١؛ الأميني، الغدير، ج ٧، ص ٣٣٢.

ولقد علمت ان دين محمد من خير اديان البرية ديناً<sup>١</sup>

### دفاعه عن الرسول ﷺ

استمر ابو طالب يدافع ويساند رسول الله ﷺ سبع سنوات من غير كلل أو ملل، ووقف طيلة تلك المدة بوجه قريش وتحمل الكثير من المصاعب والآلام. وهذا يمثل دليلاً واضحاً على إيمانه واعتقاده. أما الذين ينكرون إيمانه فيرون بأن الدافع من وراء كل هذه الجهود هو دافع القربة. في حين ان دافع القربة لا يمكن ان يشكل حافزاً يحدو بالانسان الى بذل كل هذه التضحيات وتحمل كل هذه المتاعب المضنية ومواجهة كل هذه المخاطر. ولا بد من وجود ركيزة إيمانية واعتقادية لتقدم مثل هذه التضحيات.

واذا كان دافع ابي طالب الى اتخاذ تلك المواقف هو دافع القربة فحسب، فلماذا لم يفعل أعمامه الآخرون. كالعباس وابي لهب. مثلما فعل ابو طالب<sup>٢</sup>.

يرى بعض الباحثين أن المساعي المحمومة التي بذلها البعض من اجل اثبات كفر ابي طالب تقف وراءها دوافع سياسية ويُعزى سببها الى بعض انواع التعصب؛ وذلك لأن كبار اصحاب رسول الله ﷺ الذين اصبحوا في ما بعد منافسين سياسيين للامام علي عليه السلام. كانت لهم على العموم سابقة في عبادة الاصنام، والامام علي عليه السلام هو الوحيد الذي لم يسجد لصنم، وترعرع منذ صغره في مدرسة الرسول. وقد اضطر من اراد الانتقال من مكانة علي وخفض مرتبته الى الأدنى لكي يتساوى مع من هم ادنى منه مرتبة، اضطر الى

١ - ابن ابي الحديد، مصدر سابق، ص ٥٥؛ العلامة الأميني، مصدر سابق، ص ٣٣٤؛ العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ج ٤، ص ١١٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، (بيروت: مكتبة المعارف، الطبعة ٢، ١٩٧٧م)، ج ٣، ص ٤٢.

٢ - كُتبت حول إيمان ابي طالب كتب متعددة، ذكر قسماً منها الشيخ الآقا بزرگ الطهراني في كتاب الذريعة، ج ٢، ص ٥١٠ - ٥١٤. وبحث المرحوم العلامة الأميني في كتاب الغدير، ج ٧، ص ٣٣٠ - ٤٠٣ حول هذا الموضوع بشكل موسع، وعرض عناوين تسعة عشر كتاباً ألفها علماء مسلمون كبار حول اثبات إيمان ابي طالب وحسن عاقبته، ونقل اربعين حديثاً في اثبات إيمانه. وقد في بداية المجلد الثامن الشبهات والاشكالات التي اثارها المخالفون في هذا المجال.

تداعيات معارضة قريش والاجراءات التي اتخذتها ..... ١٦٥

السعي لاثبات كفر ابيه، لكي يثبتوا ولادته من أب كان عابدا للأصنام. والحقيقة هي ان أبا طالب لا جريرة له سوى انه والد علي. ولو لم يكن له ابن كعلي، لما الصقوا به مثل هذه التهمة!

ينبغي عدم تجاهل دور الامويين والعباسيين في هذه المحاولات الجائرة؛ وذلك لأن جد أي منهم لم يكن في مصاف علي ولا في مرتبته ومنزلته، ولم يكن لأحد منهم مثل سبقه في الإسلام. وانطلاقاً من هذه الدوافع حاولوا اثبات كفر ابيه، لكي يخطوا بهذا الاسلوب من منزلته!

ان التهمة التي الصقوها بأبي طالب تنسجم وتتناسب مع وضع العباس بن عبد المطلب (عم الرسول وعلي، وجد سلالة الخلفاء العباسيين)، أكثر مما تتناسب مع وضع ابي طالب؛ لأن العباس بقي في مكة حتى عام الفتح (أي في السنة الثامنة للهجرة)، وشارك في معركة بدر في صف المشركين وأسر وأطلق بفدية. وفي فتح مكة انضم الى جيش المسلمين عندما كان متوجها الى مكة وعاد برفقتهم الى مكة. وسعى كثير عند الرسول للحصول على أمان لأبي سفيان - رئيس المشركين - ورغم كل ذلك لم يقل احد ان العباس كان كافراً. فهل يبدو مثل هذا الحكم بشأن هذين الشخصين أمراً طبيعياً ومن هنا يذهب الباحثون الى اعتبار الاحاديث التي ذكرت كفر أبي طالب، احاديث موضوعة<sup>١</sup>.

### زوجات الرسول

لم يتزوج رسول الله ﷺ امرأة اخرى على خديجة حتى ماتت<sup>٢</sup>. وبعد وفاتها تزوج عدة نساء أخر كلهن ثيبات عدا عائشة. وكانت اولهن سودة، وكانت قبل ذلك تحت السكران بن عمرو وهو ممن هاجروا الى الحبشة وتوفي هناك، فبقيت من غير معيل. ذهب بعض المستشرقين الى اتخاذ زواجات الرسول ذريعة للإساءة إليه والنيل منه، وعملوها

١ - الدكتور عباس زرياب، سيره رسول الله، (طهران: سروش، الطبعة ١، ١٣٧٠)، ص ١٧٨ و ١٧٩.

٢ - ابن عبد البر، الاستيعاب (في حاشية الإصابة)، ج ٤، ص ٢٨٢؛ صحيح مسلم، بشرح الامام النووي (بيروت: دار الفكر)، ج ١٥، ص ٢٠١.

بدوافع من الشهوة وحب النساء<sup>١</sup>. في حين تكشف النظرة المنصفة الى هذه القضية بان الدافع وراء تلك الزيجات لم يكن دافعا عاديا وانما كانت له غايات سياسية واجتماعية تصب في مصلحة الاسلام. فبعض النساء كن ارامل من غير معيل فجعل النبي الزواج منهن طريقا للتكفل بهن واعالتهن. وكان البعض منهن ينتمين الى قبائل كبيرة وقوية وكان هدف الرسول من الزواج بهن استمالة تلك القبائل. وكانت الغاية من زواجه في حالات اخرى محاربة بعض التقاليد الجاهلية المغلوطة.

وهناك شواهد وقرائن تؤيد صحة ما ذهبنا إليه، نورد قسما منها كالآتي:

١. ذكرنا في ما سبق ان رسول الله ﷺ تزوج وهو في سن الخامسة والعشرين. أي عندما كان في عنفوان شبابه. بخديجة التي كانت. بناء على القول المشهور. تكبره بفارق سنّي كبير، وكانت قد قضت عنفوان شبابها في اسرتها السابقة، وقضى معها خمسا وعشرين سنة.
٢. طالما كانت خديجة على قيد الحياة لم يتزوج امرأة اخرى، رغم ان تعدد الزوجات كان يومذاك أمرا شائعا في شبه جزيرة العرب.

٣. كانت الزيجات التالية للرسول بعدما تجاوز الخمسين من عمره (قبل الهجرة بقليل، ووقع معظمها بعد الهجرة). فهي إذا وقعت في سنوات شيخوخته من جهة، وجاءت في وقت كان يكابد فيه أفسى المشكلات والمعضلات السياسية والاجتماعية والعسكرية من جهة اخرى. فهل يُعقل بأن من يعيش في مثل هذا الوضع يعير أهمية للجنس والشهوة؟ وهل كانت تتوفر للنبي أصلا فرصة للاهتمام بمثل هذه القضايا في المدينة؟

٤. هل العيش مع نساء متباينات في السلوك والطباع (وحتى ان بعضهن آذين الرسول وأسخطنه بسوء طبائعهن وما يتصفن به من شقاق وتحاسد نسوي)<sup>٢</sup> يتوافق مع طلب الشهوة واللذة؟

٥. كانت كل واحدة من زوجات الرسول ﷺ من قبيلة، ولم يكن بينهم أي علاقات

١ - محمد حسين هيكل، حياة محمد، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة ٨، ١٩٦٣م)، ص ٣١٥، ٣١٦، ٣٢٥.

٢ - للاطلاع على مزيد من المعلومات في هذا المجال، راجع تفسير الآيات ١ - ٥ من سورة التحريم.

تداعيات معارضة قريش والاجراءات التي اتخذتها ..... ١٦٧

قري. فهل الزواج من قبائل مختلفة كان مجرد صدفة؟

٦. بعد هجرة الرسول الى يثرب، انتشر الإسلام وازداد النفوذ المعنوي للرسول في القلوب وازدادت. تبعا لذلك. مكانته الاجتماعية والسياسية. وكان زعماء القبائل يتفاخرون فيما لو تزوج الرسول بناتهم. بينما كانت النساء اللواتي تزوجهن من المستنات، والارامل اللواتي لا معيل لهن ولا كفيل. في حين كان هو يحث الرجال على الزواج بالأبكار. نقلم في ما يلي نبذة عن عدد من زوجات الرسول:

#### ١- أم حبيبة

بنت ابي سفيان . الذي كان العدو اللدود للإسلام . وكانت في من هاجر الى ارض الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش، ابن عمه النبي. ولكن زوجها عبيد الله تنصّر هناك، ومات بسبب إسرافه في شرب الخمر<sup>١</sup>. ولما تناهى الخبر الى رسول الله ﷺ بعث في السنة السادسة للهجرة<sup>٢</sup> عمرو بن أمية الضمري الى الحبشة، فقدم على النجاشي وخطب منه ام حبيبة لرسول الله ﷺ فزوجها إياه. ومكثت في الحبشة سنة اخرى، وفي السنة السابعة رجعت من الحبشة الى المدينة مع آخر مجموعة من المهاجرين<sup>٣</sup>. وكان عمرها يومذاك ثلاثين ونيف من السنين<sup>٤</sup>.

ومن الواضح ان مبادرة الرسول الى الزواج من هذه المرأة المسلمة جاءت من باب العطف عليها والمواساة لها، وذلك لأنها تركت أباهها وقومها الذين كانوا يعبدون الأصنام وهاجرت برفقة زوجها الى الحبشة، ثم فقدت زوجها وشريك حياتها في بلاد الغربة. ولم يكن هناك شيء

١ - محمد بن سعد، الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر)، ج٧، ص٩٧؛ الشيخ عباس القمي، سفينة البحار، ج١، كلمة حب، ص٢٠٤.

٢ - ابن الأثير، أسد الغابة، ج٥، ص٤٥٨؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر (بيروت: دار الاندلس)، ج٢، ص٢٨٩؛ حمد الله المستوفي، تاريخ كزنده، باهتمام الامام عبد الحسين النوائي (طهران: دار أمير الكبير، ١٣٦٢)، ص١٦١.

٣ - ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص١٤٤؛ حمد الله المستوفي، مصدر سابق، ص١٦١.

٤ - ابن سعد، مصدر سابق، ص٩٩؛ الشيخ عباس القمي، مصدر سابق، ص٢٠٤.

افضل لها من نيل مفخرة الزواج بالرسول ﷺ .

واذا افترضنا جدلاً صحة ما ذهب إليه المستشرقون المسيحيون، فكيف يُعقل ان يتزوج شخص امرأة تُقيم في بلد آخر ولا يعلم متى تسمح الظروف بعودتها؟

## ٢- أم سلمة

هند بنت أبي امية المخزومي، كانت زوج ابن عمّها ابو سلمة (عبد الله) المخزومي<sup>١</sup>، ابن عمّة رسول الله ﷺ<sup>٢</sup>، فولدت له اربعة اسم احدهم سلمة، ولهذا سمّاها <أم سلمة> و<ابو سلمة><sup>٣</sup>.

اصيب ابو سلمة في معركة بدر واستشهد على اثر ذلك في جمادى الثانية في السنة الثالثة للهجرة<sup>٤</sup>. ويبدو انه لم يكن هناك أحد في المدينة من قبيلة ام سلمة وزوجها (نبي مخزوم)؛ لانها قالت عندما مات ابو سلمة: غريب وفي أرض غربة؟! لأبكيه بكاء يُتحدّ عنه<sup>٥</sup>.

تزوجها النبي في السنة الرابعة للهجرة<sup>٦</sup>. وكانت حينذاك قد أسنت وأدبر منها العمر<sup>٧</sup>، وكانت ترضع اصغر اولادها<sup>٨</sup>.

ومن الواضح ان هدف الرسول من وراء هذا الزواج هو النهوض باعالة وكفالة هذه المرأة واولادها اليتامى. ألم يكن الزواج من ارملة مسنة وتربية اولادها اليتامى الاربعة يمثل نوعاً من

١ - العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٤٥٨؛ ابن الاثير، اسد الغابة، ج٥، ص٥٨٨.

٢ - ابن الاثير، مصدر سابق، ص٢١٨.

٣ - المصدر السابق، ص٥٨٨؛ ابن هشام، سيرة النبي، ج٤، ص٢٩٤؛ ابن سعد، مصدر سابق، ج٨، ص٨.

٤ - ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٤، ص٨٢.

٥ - امير مهنا الخيامي، زوجات النبي واولاده (بيروت: مؤسسة عزّ الدين، الطبعة ١، ١٤١١هـ)، ص١٩٩.

٦ - ابن حجر، مصدر سابق، ص٤٥٨؛ ابن سعد، مصدر سابق، ج٨، ص٨٧.

٧ - ابن سعد، مصدر سابق، ص٩٠، ٩١؛ محمد بن حبيب الغدادي، المخبر (بيروت: دار الافاق الجديدة)، ص٨٤.

٨ - ابن حجر، مصدر سابق، ص٤٥٨؛ ابن سعد، مصدر سابق، ص٩١.



تداعيات معارضة قريش والاجراءات التي اتخذتها ..... ١٦٩

الرياضة الاخلاقية؟!

كانت ام سلمة من حيث التقوى والفضيلة من بعد السيدة خديجة،<sup>١</sup> وكانت على علاقة وثيقة بأهل البيت وكثيراً ما كانوا يستودعونها علوم واسرار الولاية<sup>٢</sup>.

### ٣ - زينب بنت جحش

بنت عمّة رسول الله ﷺ. وكانت قبله زوجة ابنه بالتبني زيد بن حارثة<sup>٣</sup>. وبعد طلاقها من زيد تزوجها النبي ﷺ.

كان زيد مولى لخديجة، ووهبته للنبي بعد زواجها منه. وقبل البعثة أعتقه الرسول وتبناه. ومنذ ذلك اليوم صاروا يسمّونه زيد بن محمد<sup>٤</sup>.

وبعد البعثة ابطال الله عادة التبني، في قوله تعالى:

{مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ} \* ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا}°.

وبعد نزول هذه الآيات قال الرسول لزيد: أنت زيد بن حارثة. وصار يُعرف منذ ذلك اليوم بمولى رسول الله<sup>٥</sup>. وقد خطب له رسول الله ﷺ زينب لكنها رفضت الزواج به في اول الامر على اعتبار انها ذات نسب وشرف وحفيدة عبد المطلب ومن قبيلة قريش المعروفة، وأما زيد فلم يكن قرشياً وانما كان مولى واعتق.

١ - المامقاني، تنقيح المقال، ج٣، (فصل النساء)، ص٧٢.

٢ - المامقاني، مصدر سابق؛ الشيخ محمد تقي التستري، قاموس الرجال (طهران: مركز نشر الكتاب، ١٣٨٩ هـ)، ج١٠، ص٣٩٦.

٣ - ابن سعد، مصدر سابق، ج٨، ص١٠١؛ ابن الاثير، اسد الغابة، ج٢، ص٢٢٦؛ ابن حجر، الإصابة، ج٤، ص٥٦٤.

٤ - ابن سعد، مصدر سابق؛ ابن الاثير، مصدر سابق، ج٢، ص٢٢٤؛ ابن حجر، مصدر سابق، ص٥٦٣.

٥ - سورة الاحزاب (٣٣)، الآيتان ٤ - ٥.

٦ - الآلوسي، تفسير روح المعاني (بيروت: دار احياء التراث العربي)، ج٢١، ص١٤٧.

ولكنها وافقت في نهاية الامر بعدما لاحظت رغبة الرسول العميقة في ان يتم هذا الزواج.

وكان هذا الزواج مثلاً لالغاء الامتيازات الطبقية والعنصرية، وكان هذا هو السر الكامن وراء رغبة الرسول في انجازه. ولكن كثيراً ما كانت تقع بينهما خلافات بسبب عدم انسجامهما حتى أوشكا على الطلاق. وحاول زيد عدة مرات طلاقها الا ان النبي ﷺ دعاها الى التصالح قائلاً له: امسك عليك زوجك<sup>١</sup>. وفي الحتام طلقها زيد. وبعد ذلك أمر الرسول من قبل الله تعالى بالزواج من زينب؛ لكي لا يكون من العسير على المسلمين الزواج بمطلقات ادعيائهم، وليكسر بذلك سنة مغلوطة كانت شائعة في الجاهلية؛ وذلك لأنهم كانوا يعتبرون الادعياء ابناً حقيقين بمعنى الكلمة، ولذلك كانوا يحرمون مطلقاتهم. وقد بين القرآن الكريم الغاية من هذا الزواج كما يلي:

{وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا }<sup>٢</sup>.

وتكلم المنافقون في ذلك وقالوا: ان محمدا تزوج امرأة ابنه زيد<sup>٣</sup>. فرد عليهم الله تعالى بقوله:  
{مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

١ - ابن سعد، مصدر سابق، ج ٨، ص ١٠٣.

٢ - ذهب اهل التحقيق من المفسرين الى ان المراد مما كان يخفيه الرسول في نفسه هو ما أوحى الله تعالى به إليه ان زينب سيطقتها زيد ويتزوجها هو بعده، ويلغي هذه السنة المغلوطة، ولكن النبي ما كان يظهر ذلك خوفا من اعتراضهم. وهذا المعنى منقول عن الامام علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما. (الآلوسي، مصدر سابق، ج ٢٢، ص ٢٤؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج ٨، ص ٣٦٠).

٣ - سورة الاحزاب (٣٣)، الآية ٣٧.

٤ - ابن الاثير، مصدر سابق، ج ٧، ص ٤٩٤؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج ٨، ص ٣٣٧؛ القسطلاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تحقيق: صالح احمد الشامي (بيروت: المكتب الاسلامي، الطبعة ١، ١٤١٢هـ)، ج ٢، ص ٨٧.

تداعيات معارضة قريش والاجراءات التي اتخذتها ..... ١٧١

عَلِيماً<sup>١</sup>.

وقد صوّر بعض المستشرقين المسيحيين هذا الزواج على شكل قصّة حب ذات شجون وفروع وأضفوا عليها الكثير من الخيال<sup>٢</sup>. الا ان هذا الادعاء لا ينسجم مع نبوّ وعصمة الرسول، وفضلاً عن ذلك فقد لاحظنا ان القضية كانت على نحو آخر وهي مدوّنة في صفحات التاريخ من جهة، وقد بيّنها القرآن بشكل صريح من جهة اخرى. يبدو ان هذه النبذة التي ذكرناها عن حياة عدد من زوجات الرسول تكفي للكشف عن سبب تعدد زوجاته. ولا ضرورة لتقديم نبذة عن الباقي منهن لأنّ اوضاعهن مشابهة لهذا الوضع تقريباً.

### جذابية القرآن

عندما كان الرسول ﷺ يدعو الناس الى الإسلام كان نادراً ما يتحدّث من عند نفسه. وكانت افضل وسيلة لدعوته آيات القرآن الكريم التي كان لها تأثير سحري وجذّاب في اسماع العرب. فالقرآن معجزة الرسول ﷺ؛ معجزة في الفصاحة والبلاغة. والفاظ القرآن وكلماته، وتركيب جملة، وانتقاء كلماته، والسجع الذي تتميز به آياته في غاية الجمالية والسحر والجادبية، وهو مما يتعذر على البشر الاتيان بمثله او صياغة نظير له. ومن هنا فقد تحدّى

---

١ - سورة الاحزاب (٣٣)، الآية ٤٠.

٢ - دائرة المعارف الاسلامية، تعريب أحمد الشنتاوي وآخرون، ج ١١، ص ٢٩، كلمة زينب؛ محمد حسين هيكل، حياة محمد، ص ٣١٦، ٣٢٣. وملخص كلام المستشرقين هو أن رسول الله (ص) ذهب في أحد الايام إلى دار زيد، ولم يكن زيد في حينها هناك، فرأى زينب فبهره حسننها وجمالها. وعندما عرف زيد رغبة رسول الله فيها، طلقها! بينما كانت زينب في واقع الحال ابنة عمّة الرسول وكان على معرفة تامة بما بمحاسنها ومساوئها. ومما يدعو إلى اشد الاسف ان المستشرقين اعتمدوا في رواياتهم على أخبار غير معتبرة وردت في بعض كتب الحديث والسيرة مثل (تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٤٢؛ الطبقات الكبرى، ج ٨، ص ١٠١)، وأخذ عنهم المؤلفون الآخرون من غير التفات منهم إلى خطورة مثل هذا النقل. وقد لاحظنا ان القرآن طرح القضية على نحو آخر، وكذلك صرح العلماء المسلمون بأن هذا الخبر غير مقبول، ومنهم السيد مرتضى علم الهدى العالم الشيعي المعروف (م ٤٣٦هـ)، حيث سمى هذه الرواية بالرواية الخبيثة (تنزيه الأنبياء، ص ١١٤)، واعتبر الألووسي البغدادي هذا الكلام مرفوضاً وهو من وضع اصحاب الاساطير، ونقل عن شارح المواقف قوله بأنه ينبغي تنزيه الانبياء عن مثل هذه التلفيقات. (روح المعاني، ج ٢٢، ص ٢٤ - ٢٥)

القرآن المنكرين ودعاهم . إن كانوا في شك منه . ان يأتوا بسورة مماثلة لواحدة من سورته<sup>١</sup> .  
 لقد كان عرب الحجاز شعراء وذوي خبرة وتبحر بالشعر، ولكن فصاحة القرآن وجمال آياته قد بهرتهم وجذبتهم . فكلمات الوحي كانت من اروع الكلمات في اسماعهم، وايقاعه من اجل ما يتناهى الى الأذن من إيقاع ونغم، حتى انهم كانوا احياناً ييقون مبهوتين وغارقين في امواج من عذوبة البيان بسبب شدة تأثير القرآن وسحر بيانه في اعماق وجودهم .  
 ومما يذكر في هذا المجال ان عدداً من وجهاء قريش خرجوا ذات ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي ليلاً في بيته . فأخذ كل رجل مجلساً يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا . فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا . ومع ذلك فقد تكرر منهم هذا العمل ثلاث ليال، وهم في كل مرة يقررون ان لا يعودوا إلى مثلها<sup>٢</sup> .

### اتهامه بالسحر

كان موسم الحج فرصة مناسبة ينتهزها الرسول ﷺ لدعوة الناس الى الإسلام، وذلك لأن القبائل كانت تفد الى مكة لاداء مناسك الحج . وفي هذا الموسم كان باستطاعة الرسول ابصال نداء التوحيد الى جميع سكان شبه جزيرة العرب . ولهذا السبب كان موسم الحج خطراً تخشاه قريش .

وقبيل حلول موسم الحج اجتمع نفر من قريش الى الوليد بن المغيرة وكان ذا سن فيهم ورئيس قبيلة بني مخزوم، وقد حضر الموسم فقال لهم: يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قولكم بعضه بعضاً . قالوا: فأنت يا أبا عبد

١ - سورة البقرة (٢)، الآية ٢٣ .

٢ - ابن هشام، سيرة النبي، ج ١، ص ٣٢٧ .

تداعيات معارضة قريش والاجراءات التي اتخذتها .....١٧٣

شمس، فقل وأقم لنا رأياً نقول به، قال: بل أنتم فقولوا أسمع. قالوا: نقول كاهن. قال: لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعته. قالوا: فنقول مجنون. قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنفة ولا تخالجه ولا وسوسته. قالوا: فنقول شاعر، قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر. قالوا: فنقول ساحر. قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم. قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق وإن فرعه لجناة. وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه أن تقولوا ساحر، جاء بقول هو سحر، يفرق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته. فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، وذكروا لهم أمره<sup>١</sup>.

ان ما سَمَّاه وجهاء قريش <سحرا> ما هو الا آيات القرآن الكريم التي تأخذ بمجامع القلوب، وتجتذب قلب كل سامع، وتستميله الى ما فيها من روعة البيان. وقد بلغ تحذير قريش من سماع القرآن حدا جعل زعماء قريش يوصون شخصية كبيرة مثل اسعد بن زرارة الذي قدم من يثرب الى مكة، ان يضع في اذنيه القطن اثناء الطواف لكي لا يسحره سماع كلام محمد<sup>٢</sup>.

### سفره الى الطائف للدعوة

تقع الطائف على بعد اثني عشر فرسخا (حوالي ٧٢ كيلو متراً) من مكة. وهي طيبة الهواء وكانت تشتهر بمزارع العنب<sup>٣</sup>. وكان للمتمولين من قريش فيها مزارع وعقارات. وكان اهل الطائف اغنياء ويعرفون بالربا. وكانت تسكنها في ذلك الوقت قبيلة قوية هي قبيلة ثقيف.

١ - ابن هشام، مصدر سابق، ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

٢ - الطبرسي، إعلام الوري، ص ٥٦.

٣ - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٩.

بعد وفاة خديجة وابي طالب اشتد أذى قريش لرسول الله ﷺ، حتى غدا من الصعب عليه مواصلة الدعوة في مكة. وعلى صعيد آخر كان يرى بانه لا ينبغي التوقف عن دعوة الناس الى الإسلام. ولذلك عزم على التوجه الى الطائف لدعوة أهلها الى الإسلام، لعله يلتبس منهم النصر والمنعة. وكان معه في سفره هذا زيد بن حارثة<sup>١</sup>، وعلي بن ابي طالب<sup>٢</sup>.

ولما انتهى رسول الله ﷺ الى الطائف، عمد الى ثلاثة اخوة من ثقيف . وهم يومئذ سادات ثقيف واشرافهم، وكانت زوجة أحدهم من قريش من بني جُمَح<sup>٣</sup> . فدعاهم الى الله، وكلمهم لنصرتهم وللقيام معه على من خالفه. فرفضوا ما عرضه عليهم، وكلموه بغلظة.

فقال لهم رسول الله ﷺ ان يكتموا عليه أمره لئلا يبلغ ذلك قريشا فيستكلبوا عليه. ولكنهم لم يكتموا أمره.

وقصد رسول الله رجلاً آخرين من اشراف ثقيف، فلم يجيبوه وخافوا على أحدائهم<sup>٤</sup>. واغروا به سفهاءهم فجعلوا يرمونه بالحجارة حتى ان رحلي رسول الله ﷺ لتدميان وزيد بن حارثة يقيه بنفسه، حتى شُج رأس زيد.

ولما وصل الى حائط لعبتة وشيبة (من اشراف قريش)، عمد الى ظل حبله من عنب فجلس فيه، واخذ يناجي ربه ويدعوه.

ولما رأى عتبة وشيبة ما لقي رسول الله، تحركت له رحمهما، فدعيا غلاما لهما نصرانيا من

١ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك (بيروت: دار القاموس الحديث)، ج٢، ص ٢٣٠؛ البلاذري، انساب الاشراف، تحقيق: محمد حميد الله، (القاهرة: دار المعارف)، ج١، ص ٢٣٧.

٢ - ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (القاهرة: دار احياء الكتب العربية، ١٩٦١م)، ج ١٤، ص ٩٧ وج ٤، ص ١٢٧ - ١٢٨ نقلا عن المدائني.

٣ - الطبري، مصدر سابق، ص ٢٣٠؛ ابن هشام، سيرة النبي، ج ٢، ص ٦٠.

٤ - ابن سعد، مصدر سابق، ص ٢١٢.

تداعيات معارضة قريش والاجراءات التي اتخذتها ..... ١٧٥

اهل نينوى اسمه علبّس وأمره ان يأخذ له عنبا في طبق. فلما وضع رسول الله ﷺ يده قال <بسم الله> ثم أكل. فنظر علبّس الى وجهه مستغربا هذا الأمر. ودار بينهما حوار وعرض عليه رسول الله ﷺ رسالته. فأكبّ علبّس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه ورجليه<sup>١</sup>، وأسلم<sup>٢</sup>.

وبعد عشرة ايام من الاقامة بالطائف<sup>٣</sup> انصرف رسول الله ﷺ راجعا الى مكة حين يؤس من ايمان ثقيف ونصرتها.

### هل استجار الرسول بأحد

يقال ان رسول الله استجار عند عودته الى مكة بمطعم بن عدي، ودخل مكة في جواره وحمايته. ولكن هناك مجموعة من الأدلة والشواهد التي تفيد بأن الخبر بعيد وهي:

١. كيف يُعقل ان يتحمل الرسول مذلة الاستجارة بمشرك، بعد عشر سنوات من الدعوة ومجابهة المشركين، وهو الذي لم يتقبل يوماً فضلاً أو مَنّاً من أحد؟

٢. إن كان ابو طالب قد توفي يومذاك، فبقية بني هاشم كانوا في الوجود وفيهم من الشجعان من قهاب قريش سطوته مثل حمزة. والشاهد على ذلك ان خطة اغتيال الرسول في ليلة الهجرة تحالفت عليها عبّس قبائل تلافياً لثأر بني هاشم.

٣. جاء في بعض المصادر التاريخية ان زيدا كان برفقته. ونقل مؤرخون آخرون ان عليّاً كان معه أيضاً (ومن المستبعد ان لا يرافق الامام علي الرسول في مثل هذا السفر). وهذا يعني انهم كانوا مجموعة مؤلفة من ثلاثة اشخاص. وهذه المجموعة تستطيع الدفاع عن

١ - الطبري، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٣٠؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج ٢، ص ٦٢.

٢ - ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٠.

٣ - ابن سعد، مصدر سابق، ج ١، ص ٢١٢؛ ابن أبي الحديد، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٩١؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ١٩، ص ٢٢. وأشارت مصادر اخرى إلى أن النبي (ص) مكث في الطائف أكثر من هذه المدة.

نفسها ولا تحتاج الى مجير.

٤. كان رسول الله من شجعان العرب ولا ينبغي الظن بأنه كان شخصا عاجزا وضعيفا بحيث ينال منه كل من يريد النيل منه. فهي هو امير المؤمنين ﷺ يصور شجاعته في ساحة المعركة على النحو التالي:

<كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ<sup>١</sup>.

٥. كان رسول الله يحارب النظام القبلي الذي كان سببا للكثير من مشاكل الناس يومذاك، فكيف يُعقل ان يلجأ هو الى سُنَّة الاستحارة التي تُعتبر من افرازات النظام القبلي، ويضفي عليها صفة القبول والتأييد؟

٦. ورد في ما نقله البلاذري<sup>٢</sup> وابن سعد<sup>٣</sup> ان خروجه الى الطائف كان في الايام الاخيرة من شهر شوال. فان صح ذلك واخذ بنظر الاعتبار مثل اقامته في الطائف، فذلك يعني ان عودته الى مكة صادفت في أحد الأشهر الحرم. وكان من المتعارف يومذاك الامتناع عن اراقة الدماء والتعرض للافراد في الأشهر الحرم. وبناء على ما مر ذكره لم يكن هناك ما يخشاه ويستجير منه.

ويمكن في ضوء القرائن السالف ذكرها ان نستنبط بأن عودته من الطائف . حيث يقال بأنه مكث ليلة في نخلة<sup>٤</sup> ومرَّ به نفر من الجن وسمعه يتلو القرآن<sup>٥</sup>. كانت عن طريق وادي نخلة<sup>٦</sup>.

١ - نصح البلاغة، تحقيق: صبحي الصالح، ص ٥٣٠، غريب كلامه، الرقم ٩.

٢ - انساب الاشراف، ج ١، ص ٢٢٧.

٣ - الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢١٠.

٤ - نخلة: واد بين الطائف ومكة على بعد ليلة من مكة. (ابن هشام، سيرة النبي، ج ٢، ص ٦٣، الهامش).

٥ - الطبري، مصدر سابق، ص ٢٣١؛ ابن هشام، مصدر سابق، ص ٦٣.

٦ - راجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ج ٢، ص ١٦٨ - ١٦٧.



تداعيات معارضة قريش والاجراءات التي اتخذتها ..... ١٧٧

### دعوته القبائل العربية الى الإسلام

كان رسول الله يدعو قبائل العرب الى الإسلام سواء في مكة أو في ما جاورها من البلاد؛ فأتى منازل كندة، وكلباء، وبنو خنيفة، وبنو عامر بن صعصعة، وعرض عليهم نفسه ودعاهم الى الإسلام. وكان ابو لهب يسير خلفه ويحذّر الناس من الاستماع إليه والتصديق به<sup>١</sup>. وعندما كان في منازل بني عامر يدعوهم الى الإسلام، قال له رجل من كبراءهم: «أرأيت ان نحن بايعناك على أمرك، ثم اظهرك الله على خالفك، أ يكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر الى الله، يجعله حيث يشاء. فرد عليه الرجل: أفتهدف نحورنا للعرب دونك، فاذا اظهرك الله كان الأمر لغيرنا! لا حاجة لنا بأمرك»<sup>٢</sup>.

ونقل أيضا بأن مثل هذا الموقف وهذا الاقتراح كان من قبل قبيلة كندة، وكان جواب الرسول لهم هو ذات الجواب الآنف ذكره<sup>٣</sup>.

وهذا الجواب وهذا الموقف الذي اتخذته الرسول ﷺ يثير الاهتمام ويستحق التأمل لسببين: الأول: تأكيده ان أمر خلافته لله، يدل ان منصب الخلافة يأتي عن طريق التعيين والتنصيب؛ أي ان هذا المنصب منصب إلهي، والانتخاب يأتي من الله وليس من الناس. الثاني: ان رسول الله ﷺ لم يستخدم اساليب غير اخلاقية في دعوته، خلافاً للسياسة الذين يتبعون منطق <الغاية تبرر الوسيلة> ويستخدمون كل وسيلة متاحة لتحقيق مآربهم. وان

---

١ - ابن هشام، مصدر سابق، ج ٢، ص ٦٦ - ٦٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك (بيروت: دار القاموس الحديث)، ج ٢، ص ٢٣٣ - ٢٣٢؛ البلاذري، انساب الاشراف، ج ١، ص ٢٣٧ - ٢٣٨؛ ابن اسحاق، السير والمغازي، تحقيق: سهيل زكار، ص ٢٣٢. وكذلك دعا قبائل: بني فزارة، وغسان، وبني مزة، وبني سليم، وبني عابس، وبني الحارث، وبني غنبرة، والحضارمة، وبني النضر، وبني بكاء، إلى الاسلام، إلا ان أياً من هذه القبائل لم تستجب لدعوته. (ابن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت: دار صادر، ج ١، ص ٢١٦ - ٢١٧).

٢ - ابن هشام، مصدر سابق، ج ٢، ص ٦٦؛ الحلبي، السيرة الحلبية (بيروت: دار المعرفة)، ج ٢، ص ١٥٤؛ زيني دحلان، السيرة النبوية والآثار المحمدية (بيروت: دار المعرفة، الطبعة ٢)، ج ١، ص ١٤٧؛ السيد جعفر مرتضى العاملي، الصحيح من سيرة النبي الاعظم، ج ٢، ص ١٧٥ - ١٧٦.

٣ - ابن كثير، البداية والنهاية، (بيروت: مكتبة المعارف، الطبعة ١، ١٩٦٦م)، ج ٣، ص ١٤٠.

١٧٨..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى رحلة

النبي ﷺ

رسول الله لم يقطع عهداً لا يستطيع الوفاء به، رغم ان اسلام قبيلة كبيرة كانت له أهمية بالغة يومذاك.

وعلى اية حال، ففي موسم الحج والعمرة حيث كان الأمن يستتب تكريماً للأشهر الحرم ويغد الناس الى مكة ومنى او الى الاسواق المجاورة لمكة مثل عكاظ ومجنة وذو المجاز<sup>١</sup>، كان رسول الله ﷺ يوسّع نشاطه هناك ويتبع الحاج في منازلهم. فان لم يؤمن به الحاج والمسافرون، فانهم على الأقل سينشرون خبر بعثته في منازل سكنهم. وهذه مجرد ذاتها خطوة مهمة باتجاه تحقيق رسالته.

## الباب الرابع

### من الهجرة الى الدعوة العالمية

الفصل الاول: الهجرة الى يثرب

الفصل الثاني: الاعمال الاساسية للرسول في المدينة

الفصل الثالث: مؤامرات اليهود

الفصل الرابع: تشكيل القوة القتالية الإسلامية



## الفصل الاول

### الهجرة الى يثرب

#### عوامل انتشار الإسلام في يثرب

وادي القُرى: وادٍ بين المدينة والشام من اعمال المدينة كثير القرى، وبها سُمي وادي القرى، يمر به التجار الذين يسرون من اليمن الى الشام ويكون مسيرهم فيه بعد العبور من جانب مكّة. كانت فيه ذات ماء وعلف وزرع<sup>١</sup>. وكانت تنتفع منه القوافل التي تمر من هناك. وكانت تقع في احدى هذه الواحات على بعد خمسمائة كيلو متر الى الشمال من مكة، مدينة قديمة (يثرب) تبدل اسمها بعد هجرة الرسول إليها الى <مدينة الرسول> ثم <المدينة>.

كان أهالي هذه المدينة يشتغلون بالاراضي والزراعة خلافا لأهالي مكّة الذين كانوا يعملون بالتجارة. وكانت المكونات السكانية والوضع الاجتماعي في يثرب يختلف اختلافا كبيرا عما عليه الحال في مكّة. فكان يقطن في هذه المدينة ثلاث قبائل يهودية كبيرة، وهي بنو النضير، وبنو قينقاع، وبنو قريظة. وإلى جانب اليهود كانت تسكنها قبيلتا الأوس والخزرج، وهما في الأصل من اليمن من الفرع القحطاني، وهاجرتا من الجنوب على أثر انهيار سد مأرب<sup>٢</sup>. في السنوات التي كان فيها الرسول يدعو قومه الى الإسلام في مكة، وقعت في يثرب حوادث رُلِّحَ إلى تمهيد الظروف لهجرة الرسول الى هناك وتحويل هذه المدينة الى قاعدة للدعوة ونشر الإسلام. ونذكر من تلك الحوادث ما يلي:

١ - ياقوت الحموي، معجم البلدان، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٣٩٩هـ)، ج٤، ص٣٣٨.

٢ - المصدر السابق، ج٥، ص٣٦. بحثنا حول سد مأرب وتاريخ انهاره في الباب الاول من هذا الكتاب.

١. كانت الاراضي الخصبة في المناطق المجاورة للمدينة بيد اليهود، وقد غرسوا في بساينها النخيل، وكانوا يتمتعون بوضع اقتصادي أفضل<sup>٣</sup>. وبين الحين والآخر كانت تقع منازعات بينهم وبين الأوس والخزرج، فكان اليهود يقولون لهم: كان نبياً مبعوث الآن، قد أظل زمانه، فتتبعه فتقتلكم معه قتل عاد وإرم<sup>٤</sup>. وكان اليهود أهل كتاب وعلم، والمشركون ينظرون إليهم بعين الاحترام ويصدقون ما يقولونه لهم حول هذا الأمر. ونتيجة لتكرار هذه التهديدات فقد رسخت الفكرة في اذهان بني الاوس والخزرج، وكانت الأرضية مهيئة في اذهان أهالي يثرب لظهور النبي.

٢. منذ سنوات مضت وقعت عتق حروب بين قبيلتي الأوس والخزرج أريققت فيها الكثير من الدماء وكانت آخرها حرب بُعاث. وفي هذه المعارك ذهب من الفريقين الكثير من الخسائر والتضحيات، حتى ضاق الفريقان بما ذرعاً، وكانا يرغبان في الصلح، ولكن لم يكن هناك من شخص وجيه يُصلح ما بينهما. وكان عبد الله بن أبي شريقا في الخزرج وقد وقف على الحياد في حرب بُعاث، وحاول مصالحة القبيلتين. وقد كان الأوس والخزرج اجتمعوا على ان يملكوه عليهم لشرفه وقد اتخذوا لذلك اكليلا لتتويجه بالرئاسة<sup>٥</sup>. ولكن بعد لقاء الأوس

٣ - مونتغمري واط، محمد في المدينة، تعريب: شعبان بركات (بيروت: منشورات المكتبة العصرية)، ص٢٩٤. يقال ان يهود كانوا تيفاً وعشرين قبيلة. وكانت آطامهم تسعة وخمسين اطمأ. وللعرب النازلين عليهم قبل الانصار ثلاثة عشر اطمأ، قبل قدوم الاوس والخزرج (مصدر سابق، ص٢٩٣؛ وفاء الوفاء، ج١، ص١٦٥).

٤ - ابن هشام، مصدر سابق، ج٢، ص٧٠؛ الطبري، مصدر سابق، ج٢، ص٢٣٤؛ البيهقي، دلائل النبوة، ج٢، ص١٢٨؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل ابي طالب، ج١، ص٥١؛ الطبرسي، اعلام الوري، ص٥٦. اليهود الذين كانوا يصرّحون بمثل هذه العلام عن ظهور الرسول هبوا لمعاداته بعد بعثته. ولهذا السبب توجه اليهم القرآن باللوم والتقريع كما يلي:

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (سورة البقرة (٢)، الآية ٨٩).

٥ - الطبرسي، مصدر سابق، ص٥٧.

الهجرة الى يثرب ..... ١٨٣

والخزرج بالرسول ﷺ في مكة (وهو ما سنشرحه في الصفحات الآتية) تلبّ مسار الأحداث وفقد عبد الله بن أبي مكانته.

### أول جماعة اسلمت في يثرب

منذ السنوات الاولى للدعوة العلنية للرسول ﷺ في مكة، تناهت اخبار بعثته الى اسماع أهالي يثرب بواسطة المسافرين وزوار مكة. وكان البعض منهم قد قابله في مكة وأسلم، ولكنهم ماتوا أو قتلوا بعد ملّة<sup>٦</sup>، ولم تتوفر لهم الظروف لنشر الإسلام هناك. وفي السنة الحادية عشرة للبعثة التقى رسول الله بستّة من اشراف الخزرج في موسم الحج في منى ودعاهم الى الإسلام، فقال بعضهم لبعض: يا قوم تعلموا والله انه النبي الذي كان يوعدكم به اليهود، فلا يسبقنكم اليه احد. فأجابوه وقالوا له: انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم العداوة والشرا مثلما بينهم، فعسى ان يجمع الله بينهم بك. فتقدّم عليهم وتدعوهم إلى أمرك. وكانوا ستة نفر. قال: فلما قدموا المدينة فاحبروا قومهم بالخبر، فما دار حول الا وفيها حديث رسول الله ﷺ<sup>٧</sup>.

### بيعة العقبة الاولى

وفي السنة الثانية عشرة للبعثة اجتمع اثنا عشر من أهالي يثرب عند عقبة منى<sup>٨</sup>، وبايعوا رسول الله ﷺ<sup>٩</sup>. كان من هذه الجماعة عشرة من الخزرج واثنان من الأوس. وهذا يمثل دليلا على ان هاتين القبيلتين قد تناسيتا اضعافهما السابقة وتكاتفتا في ظل لواء الإسلام. وقد بايعوا الرسول على ان لا يشركوا بالله، ولا يسرقوا، ولا يزنوا، ولا يقتلوا اولادهم، ولا يأتوا

٦ - ابن هشام، مصدر سابق، ج٢، ص٦٧ - ٧٠؛ الطبري، مصدر سابق، ج٢، ص٢٣٣؛ البلاذري، انساب الاشراف، ج١، ص٢٣٨؛ البيهقي، مصدر سابق، ج٢، ص١١٨.

٧ - ابن هشام، مصدر سابق، ص٧٠ - ٧٣؛ الطبري، مصدر سابق، ص٢٣٥ - ٢٣٤؛ البيهقي، مصدر سابق، ج٢، ص١٢٨؛ المجلسي، بحار الانوار، ج١٩، ص٢٥.

٨ - العقبة بمعنى الطريق الضيق، ويراد بها العقبة التي تقع عند نهاية منى إلى يمين مكة.

٩ - خمسة ممن بايعوه في السنة الماضية، وسبعة آخر.

ببهتان، ولا يعصوا النبي في معروف<sup>١٠</sup>.

ووعدهم الرسول انهم اذا تمسكوا بهذه البيعة فان لهم على الله الجنة<sup>١١</sup>. وبعد انقضاء موسم الحج عادوا الى يثرب وسألوا الرسول ان يرسل الى يثرب من يعلم أهلها القرآن فبعث اليهم رسول الله مصعب بن عمير<sup>١٢</sup>. فازداد عدد المسلمين هناك بفعل النشاطات والجهود التي بذلها مصعب. وكما لاحظنا ان الاكابر من اهالي مكة هم الذين رفعوا لواء معارضة الدين، بينما اقبل عليه الشبان والمحرمون منهم، الا ان الوضع كان على خلاف ذلك في يثرب؛ أي ان الأشراف منهم كان لهم السبق في دخول الإسلام، ودخله سائر الناس تبعاً لهم. وكان هذا من عوامل انتشار الإسلام بسرعة في هذه المدينة.

### بيعة العقبة الثانية

وفي السنة الثالثة عشر للبعثة دخل مكة خمس وسبعون، كان أحد عشر منهم من الأوس (والباقيون من الخزرج) وامراتان\* قادمين برفقة قافلة الحجاج الوافدين من يثرب. وفي الثاني عشر من ذي الحجة بايعوا الرسول عند عقبة منى بيعة العقبة الثانية (مع الالتزام بالكتمان طبعاً). وقد عاهدوه في هذه البيعة على ان ينصروه. اذا هاجر الى مدينتهم. ويمنعون عنه كما يمنعون عن نسائهم واولادهم، وان يحاربوا من يحاربه ولهذا السبب سميت هذه البيعة باسم بيعة

١٠ - لم يطرح في هذه البيعة موضوع الحرب والجهاد، لذلك سميت بيعة النساء، وجاءت على غرار بيعة الرسول مع النساء المسلمات من هذه المدينة في اعقاب فتح مكة، وهي بهذا المضمون أيضاً. وأشارت اليها الآية ١٢ من سورة الممتحنة على النحو التالي: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا لَا يَرَوْنَ عَرْفَ مُبَايَعْتِكَ إِلَّا أَنْ يَبْلُغَنَّهُنَّ الْإِسْلَامَ وَلَا يَأْتِيَنَّ مِنْهُنَّ مَتْرَبٌ مِّنَ الْمَدِينَةِ ۚ فَتَقْبَلْنَ لَهُنَّ الْبَيْعَةَ إِذَا طَرَفْتِ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ عَلَيْهِنَّ فَمَا فُتِنَ بِهِنَّ وَلَا يَمْنَعُكُمُ اللَّهُ عَقْرَهُنَّ ۚ اللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝﴾.

١١ - المصدر السابق؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٢٠.

١٢ - مصعب بن عمير احد شباب قريش من بني عبد الدار، وكان من اسرة ذات غنى ورفاه. كان من فضلاء الصحابة وخيارهم ومن السابقين إلى الاسلام، أسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الارقم وكنم اسلامه خوفا من امه وقومه. ومع ان ابويه كانا يحبانها حباً جماً الا انه بعد ان اسلم طردها وحرماها من الثروة، وكان ممن هاجروا المجرئين إلى الحبشة. (ابن الاثير، أسد الغابة، ج ٤، ص ٣٦٨ - ٣٧٠).

\* - وردت اسماء اعضاء هذه البيعة في الكتب الموسعة للتاريخ الاسلامي.



## الهجرة الى يثرب ..... ١٨٥

الحرب.

ثم ان النبي أمرهم ان يختاروا منهم اثني عشر نقيباً، فاختاروا اثني عشر نقيباً واخرجوهم له، ليكونوا على قومهم كفلاء، الى حين هجرة رسول الله<sup>١٣</sup>. وهذه دلالة على السلوك التنظيمي للرسول وسعيه الى تنظيم القوى الموجودة.

### بداية الهجرة الى يثرب

رغم كل التكتّم الذي اتبعه الرسول وأهل يثرب، الا ان قريش علمت بهذه البيعة، وعزمت على القاء القبض على المبايعين، ولكن القوم حزموا امرهم وعجلوا بالخروج من مكّة، ولم يُمسكوا الا بشخص واحد منهم.

وبعد مغادرة افراد تلك المجموعة مكّة واطلاع قريش على ان الرسول وجد له انصاراً وحماة، اشتدت عليهم قريش عند ذاك وازدادوا في تعذيبهم بقصد ان يفتنّوهم ويردّوهم عن دينهم، حتى مرّت عليهم فتنة اخرى كالفتنة التي اضطرّتهم للهجرة الى الحبشة<sup>١٤</sup>.

وعلى اثر ذلك أذن الرسول للمسلمين بالهجرة الى المدينة وقال لهم:

«كان الله عز وجل قد جعل لكم اخواناً وداراً تأمّنون بها».

واخذ المسلمون يتوجهون الى يثرب تدريجياً على مدى شهرين ونصف (من منتصف ذي الحجة الى آخر صفر)<sup>١٥</sup> رغم كل المشاكل والعراقيل التي وضعتها قريش أمامهم. ولم يبق من المسلمين في مكّة سوى النبي وعلي وابو بكر وبضعة اشخاص آخرين. وفي تاريخ الإسلام سُمّي من هاجروا من مكّة الى يثرب «المهاجرون»، وسُمّي مسلمو يثرب الذين نصروا الرسول باسم «الانصار».

---

١٣ - البيهقي، مصدر سابق، ص ١٤٠ - ١٣٢؛ ابن هشام، مصدر سابق، ص ٩٠ - ٨١؛ البلاذري، مصدر سابق، ص ٢٥٤ - ٢٤٠؛ ابن سعد، مصدر سابق، ص ٢٢٣ - ٢٢١؛ الطبري، مصدر سابق، ص ٢٣٧؛ الطبرسي، اعلام الوري، ص ٥٩ - ٦٠؛ المجلسي، مصدر سابق، ج ١٩، ص ٢٥ - ٢٦.

١٤ - البلاذري، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٥٧؛ الطبري، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٤١ - ٢٤٠؛ ابن سعد، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٢٦؛ المجلسي، مصدر سابق، ص ٢٦.

١٥ - الخليلي، السيرة الحلبية، (انسان العيون) (بيروت: دار المعرفة)، ج ٢، ص ١٨٩.

### مؤامرة لقتل الرسول ﷺ

بعد هجرة المسلمين الى يثرب واستقرارهم فيها، ادركت قريش بأن يثرب غدت قاعدة منيعة وملاذاً للرسول ومن آمن معه، وان أهلها متأهبون لمناصرتهم على من عاداه وخالفه. وهذا ما جعلهم يخشون هجرة النبي ﷺ الى هناك. لانه لو هاجر الى يثرب فستكون هناك عدة مخاطر تحيط بقريش، وهي:

١. ان المسلمين سيخرجون عن سيطرتهم ونفوذهم؛ وذلك لأن يثرب مدينة مستقلة ولا تملك قريش أية وسيلة للضغط عليها. وهذا يعني أن قريش ستكون في ظل الوضع الجديد غير قادرة على التنبؤ بمسار الاحداث او التأثير فيها.

٢. بما ان أهالي يثرب قد بايعوا الرسول بيعة الحرب، فكان من المحتمل ان يستعين بهم ويهجم على مكة لغرض الانتقام.<sup>١٦</sup>

٣. وحتى على فرض عدم نشوب الحرب بينهما، يبقى هناك ثمة خطر بارز يهددهم وهو ان يثرب كانت سوقاً تدر الارباح لتجار قريش، ولو خرجت هذه المدينة من ايديهم فسيلحق بهم ضرر اقتصادي بالغ.

٤. تقع يثرب الى جوار الطريق التجاري بين مكة والشام، وباستطاعة المسلمين تهديد هذا الطريق واجباد خلل في عملهم التجاري.

هذه المخاوف دفعت وجهاء قريش الى ان يدخلوا دار الندوة (وهي دار المداولات والمشاورات وكانت من قبل دار قصي بن كلاب) ويتشاوروا فيها لمعالجة الموقف المستجئ. وقلم كل واحد منهم مقترحا في ما يتعلق بوضع الرسول وكيفية التعامل معه. فمنهم من قال: انفوه أو احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً. ولكن هذين المقترحين رُفِضا لعق أسباب. ثم استقر رأيهم على قتل محمد ﷺ، الا ان قتله لم يكن عملاً سهلاً، اذ لابد وان بني هاشم سيثأرون لمقتله، وهذا ما دفعهم الى التفكير على نحو آخر وهو ان يأخذوا من كل قبيلة فتي

الهجرة الى يثرب ..... ١٨٧

شابا ثم يعمدون إليه فيهمجون عليه ليلاً ثم يضربونه ضربة رجل واحد، فأنهم ان فعلوا ذلك تفيرّ دمه في القبائل كلها ولا يقدر بنو هاشم على الثأر من كل القبائل التي شاركت في قتله. وقرروا الليلة الأولى من ربيع الأول موعداً لتنفيذ هذه الخطة. وقد ذكر الله عز وجل هذه المؤامرة بالشكل التالي:

{وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} ١٧.

### هجرة الرسول ﷺ

اطلع النبي على مؤامرة دار الندوة عن طريق الوحي، وجاءه الأمر من الله بمغادرة مكة. فأخبر النبي ﷺ علي بن أبي طالب بما عزم عليه وقاله له: كنم على فراشي وأتشع ببردي الحضرمي الأخضر. وسارع علي إلى تنفيذ ما أمره به النبي ﷺ.

في تلك الليلة غادر النبي ﷺ برفقة أبي بكر متوجهين إلى غار ثور في جنوب مكة (في الاتجاه المعاكس لطريق يثرب) وبقي في الغار ثلاثة أيام حتى تيسر قريش من العثور عليه وتأمين السبل ويتسنى له عند ذاك مواصلة هجرته إلى يثرب. وقد ذكر القرآن الكريم وحدة الرسول ﷺ وانعدام الناصر والمعين، وأنه لم يكن معه سوى رفيق واحد، ثم إن هذا الرفيق اعتراه الخوف. ورغم أن قريشاً قد جندت كل قواها للعثور على النبي، ولكنها بقدرة الله لم تعثر عليه:

{إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} ١٨.

### التضحية الكبرى

١٧ - سورة الانفال (٨)، الآية ٣٠.

١٨ - سورة التوبة (٩)، الآية ٤٠.

في تلك الليلة نام علي على فراش النبي ﷺ، وحاصر رجال قريش بسيوفهم دار النبي ﷺ. وعند الصباح هجموا على الدار بالسيوف، فقام علي عن الفراش. كانوا حتى تلك اللحظة يظنون ان خطتهم تسير وفقاً لما رسموه لها تماماً. ولكنهم لما رأوا علياً بهتوا وهجموا عليه، ولكنه انتضى سيفه وتصدى لهم. ولما سألوه: أين محمد؟ قال: لا ادري<sup>١٩</sup>.

كل من يبيت تلك الليلة على فراش النبي كان احتمال بقائه على قيد الحياة ضئيلاً جداً، بل يكاد يبلغ حد الصفر. لكن عليا الذي طالما كان ينام في موضع الرسول في شعب ابي طالب، جعل من نفسه درعاً هذه المرة أيضاً وبرز الى مجابهة الخطر فداءً للرسول ﷺ. وقد ذكر البارى تعالى هذه التضحية الكبرى على النحو التالي:

{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ} ٢٠.

قال: المفسرون والمحدثون ان هذه الآية نزلت بشأن التضحية الكبرى لعلي عليه السلام في ليلة المبيت<sup>٢١</sup>.

١٩ - وردت حادثة دار الندوة وليلة المبيت مع اختلاف في العبارات والالفاظ، ومن حيث الالفاظ والاطناب في الكتب والمصادر التالية: تاريخ الامم والملوك، ج٢، ص٢٤٢ - ٢٤٥؛ السيرة النبوية، ج٢، ص١٢٤ - ١٢٨؛ الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٢٧ - ٢٢٨؛ دلائل النبوة، ج٢، ص١٤٧ - ١٤٩؛ انساب الاشراف، ج١، ص٢٥٩ - ٢٦٠؛ الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٠١ - ١٠٣؛ تاريخ يعقوبي، ج٢، ص٣٢؛ اعلام الورى، ص٦١؛ امالي الشيخ الطوسي، ص٤٤٥ - ٤٤٧ و ص٤٦٣ - ٤٧١؛ مناقب ابن شهر آشوب، ج١، ص١٨٢ - ١٨٣؛ مناقب الخوارزمي، ص٧٣؛ كنز الفؤاد للكراچكي، ج٢، ص٥٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، ص١٧٥ - ١٨٠؛ السيرة النبوية، ج٢، ص١٨٩ - ٢٠٦؛ تاريخ بغداد، ج١٣، ص١٩١ - ١٩٢؛ بحار الانوار، ج١٩، ص٤٧ - ٦٥.

٢٠ - سورة البقرة (٢)، الآية ٢٠٧.

٢١ - - فتال النيسابوري، روضة الواعظين (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، الطبعة ١، ١٤٠٦هـ)، ص١١٧؛ ابن الاثير، اسد الغابة، ج٤، ص٢٥؛ مؤمن الشبلنجي، نور الأبصار (القاهرة: مكتبة المشهد الحسيني)، ص٨٦؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج١، ص٣٠١؛ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم (القاهرة: دار احياء الكتب العربية، ١٩٦١م)، ج١٣، ص٢٦٢؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص (النجف: المكتبة الحيدرية، ١٣٨٣هـ)، ص٣٥؛ تقي الدين ابو بكر الحموي، ثمرات الأوراق (في حاشية المستطرف)، ص٢٠؛ عبد الحسين الاميني، الغدير، ج٢، ص٤٨، نقلاً عن مصادر متعددة؛ الشيخ محمد حسن المظفر، دلائل الصدق (قم: مكتبة بصيرتي)، ج٢، ص٨٠، نقل المرحوم المظفر عن المفسرين والعلماء البارزين من اهل السنة مثل

## الهجرة الى يثرب ..... ١٨٩

وقد بين علي في كلمة له . بعد تسليط الضوء على مؤامرة الاغتيال التي خططت لها قريش . حالته في تلك الليلة الخطيرة، بالشكل التالي:

<... فأمرني رسول الله ﷺ ان أضطجع في مضجعه وأقيه بنفسي، فأسرعت إلى ذلك مطيعاً له مسروراً لنفسي بأن اقتل دونه، فمضى عليه السلام لوجهه واضطجعت في مضجعه وأقبلت رجالات قريش موقنة في أنفسها أن تقتل النبي صلى الله عليه وآله فلما استوى بي وبهم البيت الذي أنا فيه ناهضتهم بسيقي فدفعتهم عن نفسي بما قد علمه الله والناس ><sup>١</sup>.

### وصول الرسول الى قبا

أخبر رسول الله ﷺ علياً بخروجه، وأمره ان يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس<sup>٢</sup>، وأمره ان يهتئ مستلزمات هجرة ابنته فاطمة عليها السلام وعدد آخر من النساء والرجال من بني هاشم، ممن لم يهاجروا حتى ذلك اليوم<sup>٣</sup>. وغادر النبي محمد ﷺ الغار قاصدا يثرب في الرابع من ربيع الاول (في السنة الرابعة عشر للمبعث)<sup>٤</sup>، ووصل في الثاني عشر من الشهر نفسه الى منطقة قُباء على مقربة من يثرب، وهي منازل قبيلة بني عمرو بن عوف<sup>٥</sup>، وتوقف في قباء بضعة أيام في انتظار قدوم علي عليه السلام\*.

---

التعلي، القندوزي، الحاكم النيسابوري، احمد بن حنبل، ابو السعادات، الغزالي، الفخر الرازي، وكلهم قالوا بأن هذه الآية نزلت في علي بن ابي طالب (عليه السلام).

١ - الصدوق، الخصال (قم: منشورات جامعة المدرسين)، ج٢، ص٣٦٧، باب السبعة؛ المفيد، الاختصاص (قم: منشورات جماعة جماعة المدرسين)، ص١٦٥.

٢ - ابن هشام، سيرة النبي، ج٢، ص١٢٩؛ الطبري، مصدر سابق، ج٢، ص٢٤٧؛ البلاذري، انساب الاشراف، ج١، ص٢٦١؛ ص٢٦١؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل ابي طالب، ج١، ص١٨٣.

٣ - الشيخ الطوسي، الأمالي (قم: دار الثقافة، الطبعة ١، ١٤١٤هـ)، ص٤٦٨؛ راجع: المفيد، الاختصاص، ص١٤٧؛ تاريخ الخلفاء، ص١٦٦.

٤ - محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٣٢؛ المجلسي، بحار الانوار، ج١٩، ص٨٧.

٥ - ابن هشام، مصدر سابق، ص١٣٧؛ الطبري، مصدر سابق، ص٢٤٨؛ الطبرسي، إعلام الوري بأعلام الهدى، ص٦٤؛ البلاذري، مصدر سابق، ص٢٦٣؛ البيهقي، دلائل النبوة، ج٢، ص١٧٢.

١٩٠..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى رحلة

النبي ﷺ

علي ﷺ\* وبني في هذه الملة مسجدا هناك<sup>١</sup>.

وبعد هجرة الرسول أقام علي بن ابي طالب بمكة ثلاث ليال وأيامها حتى ألحَّ عن رسول الله الودائع التي كانت عنده للناس<sup>٢</sup>، ثم أخذ أمه فاطمة بنت اسد، وفاطمة بنت رسول الله، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب مع شخصين آخرين والتحق بالرسول ﷺ في قُباء<sup>٣</sup>.

### وصول الرسول الى يثرب

وبعد وصول علي بن ابي طالب ﷺ الى قُباء، توجه الرسول ويرفقه جماعة من بني النجار (اخوال عبد المطلب) صوب يثرب، وصلى أول صلاة جمعة في منازل قبيلة بني سالم بن عوف. وعند وصوله الى يثرب استقبله الناس بفرح وسرور بالغ. وكان الرسول لا يمر بحج من الاحياء الا وقام وجوه القبائل واشرافها واخذوا بزمام ناقته طالبين منه النزول عليهم، ورسول الله يقول: <خلّوا سبيلها فانها مأمورة واني انزل حيثما بركت>.

ويبدو ان رسول الله ﷺ اراد بهذا التدبير (كما حصل في قضائه في نصب الحجر الأسود) ان لا تفخر قبيلة على اخرى بشرف استضافته، مما قد يؤدي الى حصول مشكلة في المستقبل.

وفي نهاية الأمر بركت الناقة في حي بني النجار عند ارض لتيمين (وهي الارض التي بُني عليها مسجد النبي في ما بعد) قرب دار ابي ايوب الانصاري (خالد بن زيد الخزرجي). فلما نزل اجتمع عليه الناس وكل واحد منهم يطلب منه النزول عنده.

---

\* - هناك اختلاف بين المؤرخين حول ملة بقاء النبي في قُباء.

١ - ابن شهر آشوب، مصدر سابق، ج ١، ص ١٨٥؛ البيهقي، مصدر سابق، ص ١٦٦ و ١٧٢؛ الطبري، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٤٩.

٢ - ابن هشام، مصدر سابق، ص ١٣٨؛ الطبري، مصدر سابق، ص ٢٤٩.

٣ - ابن شهر آشوب، مصدر سابق، ص ١٨٣؛ راجع: اعلام الوري، ص ٦٦؛ تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ٣٤.

## الهجرة الى يثرب ..... ١٩١

وبادر ابو ايوب الى الرحل فحلّه وادخله الى بيته، فعند ذاك قال الرسول: المرء مع رحله. ونزل دار ابي ايوب الانصاري<sup>١</sup>.

### بداية التاريخ الهجري

كانت الهجرة نقطة تحوّل ومنعطفا مهما في تاريخ الإسلام؛ اذ اتيح للمسلمين في ظلها الانعتاق من اجواء الضغط والكبت، والانطلاق الى اجواء حرّة، والتجمع في منطقة يتمتعون فيها بالحرية. وكانت هذه الحالة تمثل في تلك الظروف العصبية نصرا ساحقاً. ولولا الهجرة لوئد الإسلام في مكّة ولما وجد فرصة للانتشار. وبعد الهجرة صارت للمسلمين تنظيمات سياسية وعسكرية وانتشر الإسلام في جزيرة العرب.

انطلاقاً من هذه الرؤية غدت الهجرة مبدأ لتاريخ الإسلام والمسلمين. ولكن من الذي اسس هذا الأساس لأول مرّة؟ ومنذ متى شاع هذا التاريخ وعُمل به؟

المشهور هو ان هذا التاريخ وضع في عهد خلافة عمر بن الخطاب، وهو الذي عمل به بعد التشاور مع اصحاب النبي<sup>٢</sup>. ولكن التحقيقات التي اجراها بعض الباحثين والمحللين في تاريخ الإسلام تظهر ان اول من اتخذ التاريخ الهجري هو الرسول نفسه. فقد كتب جماعة من المؤرخين المسلمين الكبار ان رسول الله أمر بعد هجرته الى يثرب في ربيع الأول ان يؤرخوا ابتداء من هذا الشهر<sup>٣</sup>. ومن الشواهد المؤيدة لهذا الرأي هناك عدد من رسائل النبي ووثائقه وكتبه، التي وصلت إلينا من المصادر التاريخية، قد دَوّن عليها تاريخ كتابتها من مبدأ الهجرة، نورد في ما يلي مثالين على ذلك:

١ - المصدر السابق.

٢ - ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، (النجف: المكتبة الحيدرية، ١٣٨٤هـ.)، ج ٢، ص ١٣٥؛ المسعودي، التنبيه والاشراف (القاهرة: دار الصاوي للطباعة والنشر)، ص ٢٥٢؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ (بيروت: دار صادر)، ج ١، ص ١٠؛ الشيخ عبد القادر بدران، تهذيب تاريخ دمشق (تأليف الحافظ ابن عساكر) (بيروت: دار احياء التراث العربي، الطبعة ٣، ١٤٠٧هـ.)، ج ١، ص ٢٣ - ٢٤.

٣ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك (بيروت: دار القاموس الحديث)، ج ٢، ص ٢٥٢؛ نور الدين السمهودي، وفاء الوفا باخبار دار المصطفى، (بيروت: دار احياء التراث العربي، الطبعة ٣، ١٤٠١هـ.)، ج ١، ص ٢٤٨؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ٤٠، ص ٢١٨ نقل من ابن شهر آشوب.

## ١٩٢..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى رحلة

النبي ﷺ

١. جاء في آخر المعاهدة التي ابرمها الرسول مع يهود مُقنا ما يلي: وكتب علي بن ابو طالب في سنة تسع<sup>١</sup>.

٢. جاء في المعاهدة التي ابرمها الرسول مع مسيحيي نجران ما يلي:  
أمر الرسول عليا ان يكتب فيها: كتبت هذه المعاهدة في السنة الخامسة للهجرة<sup>٢</sup>.  
وهناك شواهد وقرائن تفيد بأن تدوين الوقائع والحوادث كان يجري حتى السنة الخامسة على أساس الهجرة مع حساب الأشهر.  
ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١. قال ابو سعيد الخدري:  
<فُرض صوم رمضان بعدما حوِّلت القبلة الى الكعبة بشهر في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مهاجر رسول الله ﷺ><sup>٣</sup>.

٢. ويتحدث عبد الله بن انيس عن سريته الى سفيان بن خالد فيقول:  
<خرجت من المدينة يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على رأس اربعة وخمسين شهراً><sup>٤</sup>.

٣. قال محمد بن مسلمة حول المعركة مع القرطاء:<sup>٥</sup>  
<خرجت لعشر ليالٍ خلون من المحرم فغبت عشرين ليلة الا ليلة، وقدمت المدينة لليلة بقيت من المحرم على رأس خمس وخمسين شهراً من الهجرة><sup>٦</sup>.

---

١ - البلاذري، فتوح البلدان (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٨ هـ)، ص ٧٢-٧١. ورد في النص الاصيلي لهذه الوثيقة اسم علي بن ابو طالب، وقد بيّنت الكتب سبب ذلك.

٢ - الشيخ عبد الحي الكتاني، التراتيب الادارية (بيروت: دار احياء التراث العربي)، ج ١، ص ١٨١.

٣ - الشيخ حسين الديار بكري، تاريخ الخميس (بيروت: مؤسسة شعبان)، ج ١، ص ٣٦٨.

٤ - الواقدي، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات)، ج ٢، ص ٥٣١.

٥ - رهط من قبيلة بني بكر.

٦ - الواقدي، مصدر سابق، ص ٥٣٤.



الهجرة الى يثرب ..... ١٩٣

ويتّضح لنا في ضوء ما سبق ذكره ان أول من بدأ التقويم الهجري هو رسول الله. ولكن يُحتمل انه لم يكن قد اشتهر بين الناس في تلك الملت<sup>١</sup>.

وقد وقعت في عهد عمر بن الخطاب اختلافات في زمن الحوادث وتاريخ بعض الكتب والوثائق<sup>٢</sup>.

وان ما حدث في زمن عمر هو فقط جعل مبدأ السنة الهجرية شهر محرم، بدلاً من ربيع الأول<sup>٣</sup>.

---

١ - السيد جعفر مرتضى العاملي، الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ج٣، ص٥٥.

٢ - الطبري، مصدر سابق، ص٢٥٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، (بيروت: مكتبة المعارف، الطبعة ٢، ١٣٩٤هـ)، ج٧، ص٧٤ - ٧٣؛ ابن أبي الحديد، شرح نصح البلاغة، تحقيق:

محمد ابو الفضل ابراهيم (القاهرة: دار احياء الكتب العربية، ١٩٦١م)، ج١٢، ص٧٤؛ بن الاثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص١٠ - ١١.

٣ - ابن شهر آشوب، مناقب آل ابي طالب، ج١، ص١٧٥؛ الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ج٣، ص٣٥. للاطلاع على مزيد من المعلومات في هذا المجال، راجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ج٣، ص٣٢ و٥٦.



## الفصل الثاني

### الاعمال الاساسية للرسول في المدينة

#### بناء المسجد

بعد استقرار رسول الله ﷺ في يثرب<sup>١</sup> رأى انه لابد من بناء مسجد ليكون بمثابة مدرسة لتعليم وتربية المسلمين، وموضعاً لاجتماعهم لصلاة الجمعة والجماعة. فاشتري الارض التي بركت عندها ناقته في اليوم الاول . وكانت ليتيمين . اشتراها من وليّهما، وبنى عليها مسجداً بمساعدة المسلمين<sup>٢</sup>، وهو المسجد الذي عُرف باسمه؛ أي مسجد النبي، وكان هذا أول عمل اجتماعي اقدم عليه الرسول ﷺ بعد الهجرة.

وبعد اتمام بناء المسجد بُنيت الى جانبه حجرتان لتكون مساكن لرسول الله وزوجاته<sup>٣</sup>، ثم انتقل الى مساكنه من بيت ابي ايوب<sup>٤</sup>، وبقي يسكن تلك الحجرة الى آخر عمره.

---

١ - ياقوت الحموي، معجم البلدان (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٣٩٩هـ)، ج ٥، ص ٤٣٠، (كلمة يثرب).

٢ - محمد بن سعد، الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر)، ج ١، ص ٢٣٩؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك (بيروت: دار القاموس الحديث)، ج ٢، ص ٢٥٦؛ البيهقي، دلائل النبوة، ج ٢، ص ١٨٧؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل ابي طالب (قم: المطبعة العلمية)، ج ١، ص ١٨٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية (بيروت: مكتبة المعارف، الطبعة ٢، ١٩٧٧م)، ج ٣، ص ٢١٥؛ الدين الحلبي، السيرة الحلبية (انسان العيون) (بيروت: دار المعرفة، ج ٢، ص ٢٥٢؛ المجلسي، بحار الانوار، (طهران: دار الكتب الإسلامية)، ج ١٩، ص ١٢٤.

٣ - حجرة لسودة، وحجرة لعائشة (محمد بن سعد، مصدر سابق، ص ٢٤٠؛ الحلبي، مصدر سابق، ص ٢٧٣).

٤ - ابن هشام، سيرة النبي، (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٥هـ)، ج ٢، ص ١٤٣؛ ابن شهر آشوب، مصدر سابق، ص ١٨٦.

## اصحاب الصُّفَّة

بعد قدوم مهاجري مَكَّة الى يثرب، نزلوا في منازل الانصار، وواساهم الانصار بالديار والاموال<sup>٥</sup>.

وأما أصحاب الصُّفَّة فهم جماعة من الفقراء الذين لم تكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر. فكانوا ينامون في المسجد (كسكن مؤقت) حيث بُني لهم عند نهاية المسجد ظل يستظلون فيه وما لهم مأوى غيره. فكان رسول الله يدعوهم بالليل اذا تعشى فيفرقهم على أصحابه وتعشى طائفة منهم مع رسول الله.

وكان أيضا يحث الاغنياء من الانصار على الاحسان اليهم. وقد عُرفت هذه الجماعة من المسلمين من أهل الايمان والفضيلة بأصحاب الصُّفَّة<sup>٦</sup>.

كان الرجل اذا قدم على النبي ﷺ وكان له عريف بالمدينة نزل عليه، واذا لم يكن له عريف نزل مع أصحاب الصفة.

وكان عدد اصحاب الصفة يختلف حسب اختلاف الاوقات والاحوال؛ فربما تفرَّ عنها وانتقص طارقوها من الغرباء والقادمين فيقل عددهم. وربما يجتمع فيها واردها من الوفود فينضم اليهم فيكثرون<sup>٧</sup>.

٥ - ابن واضح، تاريخ يعقوبي، (السحف: المكتبة الحيدرية، ١٣٨٤هـ.)، ج ٢، ص ٣٤.

٦ - ابن سعد، مصدر سابق، ص ٢٥٥؛ نور الدين السهمودي، وفاء الوفا باخبار دار المصطفى (بيروت: دار احياء التراث العربي، الطبعة ٣، ١٤٠١هـ.) ج ٢، ص ٤٥٣ - ٤٥٨؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ١٧، ص ٨١، ج ٢٢، ص ٦٦، ١١٨، ٣١٠، ج ٧٠، ص ١٢٨ - ١٢٩، ج ٧٢، ص ٣٨؛ راجع: مجمع البيان، ج ٢، ص ٣٨٦، تفسير الآية: ﴿لَقَدْ فَخَّرَ الَّذِينَ أُحْصُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْحَيَاةِ﴾ سورة البقرة (٢)، الآية ٢٧٣ وعبد الحي الكتاني، التراتيب الادارية، ج ١، ص ٤٧٣ - ٤٨٠.

٧ - ابو نعيم الاصفهاني، حلية الأولياء (بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة ٢، ١٣٨٧هـ.) ج ١، ص ٣٤٠ - ٣٣٩. سجّل ابو نعيم الاصفهاني شرحاً وصف فيه اوضاع اصحاب الصُّفَّة بالتفصيل (حلية الاولياء، ج ١، ص ٣٤٧ - ٣٥٠) وذكر فيه ان عدد افراد هذه الجماعة كان واحداً وخمسين شخصاً. وقدم نبذة عن كل واحد منهم (ويلاحظ بين الاسماء اسم امرأة). ولكنه بين ان قسماً منهم ليسوا من اصحاب الصفة. ومن الذين اعتبرهم ابو نعيم من اصحاب الصُّفَّة نذكر الاشخاص التالية اسمائهم: بلال، البراء بن مالك، جند بن جنادة، حذيفة بن يمان، خباب بن الأرت، ذو البجادين (عبد الله)، سلمان، سعد بن ابي وقاص، سعد بن مالك

## وثيقة المدينة

بعد ان استقر الرسول ﷺ في المدينة رأي من اللازم تنظيم الوضع الاجتماعي لأهلها؛ وذلك لأن تحقيق اهدافه على المدى البعيد يتطلب استقرار الاوضاع فيها. ولابد من الاشارة إلى أن التركيبة السكانية فيها كانت غير متكافئة ولا متجانسة. فقد كان يقطن هذه المدينة يومذاك جماعات ينتمي كل واحد منهم الى إحدى قبيلتين كبيرتين هما الأوس والخزرج. وكان يعيش في داخل المدينة وحولها اقوام من اليهود، وفي الوضع الجديد أضيف اليهم أيضاً المهاجرون القادمون من مكة. وكان هذا الوضع ينذر بالمخاطر. وفي ضوء هذا الواقع ابتكر الرسول فكرة وهي انه كتب ميثاقاً وُصف بأنه <اول دستور> أو <أعظم عقد وسند تاريخي في الإسلام>. وقد بين هذا العقد حقوق مختلف المكونات الساكنة في يثرب، وضمن لهم حياة سليمة لأهلها مع اقرار النظم والعدالة فيها، اضافة الى تفادي حصول أي نوع من التوتر بين الجماعات السكانية هناك. ومن البنود المهمة التي تضمنها هذا الميثاق نذكر ما يلي:

١. المسلمون واليهود<sup>٨</sup> امة واحدة.
٢. للمسلمين واليهود الحرية في اتباع دينهم.
٣. يبقى المهاجرون من قريش على عاداتهم السابقة وعلى ريعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
٤. بنو عمرو بن عوف (قبيلة من الانصار) وسائر البطون على ريعتهم يتعاقلون معاقلمهم الاولى، وكل طائفة تغدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
٥. لا يحق لأحد ان يجبر عبداً أو ولداً أو أي من اعضاء اسرة شخص آخر من غير اذنه.

---

(ابو سعيد الخدري)، سالم (مولا ابي حذيفة) وعبد الله بن مسعود.

٨ - المراد باليهود هنا يهود بني عمر بن عوف وسائر اليهود من أهالي يثرب. واما القبائل اليهودية الثلاثة: بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة، فقد وقعت عهداً على حدة مع الرسول، وسيأتي شرحها لاحقاً.

٦. يتولى الموقعون على هذا الميثاق الدفاع المشترك عن المدينة.

٧. يشرب مدينة مقدسة تُحرم اراقة الدماء فيها.

٨. كل ما يقع من حدث يخاف فسادَه بين أهل هذه الصحيفة فان مرّده الى الله عز

وجل، والى محمد رسول الله ﷺ<sup>٩</sup>.

ويُستدل من سير الاحداث بأن هذا الميثاق (الذي صدر في الأشهر الاولى لدخول الرسول الى المدينة)<sup>١٠</sup> كان مؤثراً في حفظ الاستقرار في المدينة؛ اذ لم تقع اية نزاعات بين أهل المدينة حتى السنة الثانية للهجرة؛ أي الى مابعد معركة بدر حيث وقعت معركة مع بني قينقاع بسبب ما قامت به هذه القبيلة من اثارة للفتنة.

### المؤاخاة بين المهاجرين والانصار

العمل الاجتماعي المهم الآخر الذي أقدم عليه الرسول ﷺ في السنة الاولى للهجرة<sup>١١</sup> هو المؤاخاة بين المهاجرين والانصار. فقد وقعت بين هاتين الجماعتين المسلمتين حالات من التنافس بسبب اختلافهم في العمل والانساب؛ وذلك لأن الانصار كانوا من مهاجرة الجنوب (اليمن) ومن الشق القحطاني. بينما كان المهاجرون من عرب الشمال ومن الشق العدناني. وكان هناك تنافس شديد في الجاهلية بين العدنانيين والقحطانيين.

وعلى صعيد آخر كان الانصار يعملون بالزراعة والبساتين، بينما كان أهالي مكة تجاراً ويعتبرون الزراعة عملاً دنيئاً. وفضلاً عن ذلك فكل واحدة من هاتين الجماعتين نشأت في

٩ - ابن هشام، مصدر سابق، ج٢، ص١٤٧ - ١٥٠. للاطلاع على مزيد من التفاصيل حول هذه الوثيقة وبنودها، راجع: فروغ ابدیت، ج١، ص٤٦٢ - ٤٦٥.

١٠ - نقل المؤرخون المسلمون ان هذا الميثاق اعلن بعد اول خطبة للرسول (ص) في المدينة. وهذا يدل على ان عقد هذا الميثاق كان من ضمن الاعمال الاولى للنبي (ص) في المدينة.

١١ - خمسة او ثمانية أشهر بعد الهجرة. (السمهودي، مصدر سابق، ج١، ص٢٦٧؛ المجلسي، بحار الانوار، ج١٩، ص١٣٠، بالهامش، نقلاً عن المقرئ).

بيئة تختلف عن بيئة الأخرى، وقد أضحو اليوم في ظل الإسلام اخوة في الدين<sup>١٢</sup>، وتركز وجودهم في المدينة. وكانت هناك مخاوف من ان تكون تأثيرات الثقافة والفكر الماضي قد رسبت في عقول جماعة منهم، وقد تؤدي الى اثاره غيرة من التناحر والجدل بين هذين الفريقين المسلمين.

ولهذا السبب آخى الرسول بينهم، وآخى كل مهاجر مع أحد الانصار<sup>١٣</sup>، وأخذ بيد علي بن أبي طالب وقال: هذا أخي<sup>١٤</sup>.

ومن الطبيعي ان عقد الاخوة كان على أساس المشاكلة والمماثلة بين كل اثنين في الدرجات النفسية بين المهاجري والانصاري<sup>١٥</sup>. وجاءت المؤاخاة بين الرسول ﷺ والامام علي في ضوء هذه الرؤية، على اعتبار انهما كلاهما مهاجران.

أدى هذا الميثاق الى مزيد من التلاحم بين المهاجرين والانصار، اذ اظهر الانصار ميلاً

١٢ - ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (سورة الحجرات (٤٩)، الآية ١٠.

١٣ - ابن هشام، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٥٠؛ ابن سعد، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٣٨؛ الحلبي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٩٢؛ المجلسي، مصدر سابق، ج ١٩، ص ١٣٠. كانت هذه الاخوة على اساس الدين والقاسم الديني المشترك كما صرحت الرواية: آخى رسول الله (ص) بين الأنصار والمهاجرين، اخوة الدين. الطوسي، الأمالي، (قم: دار الثقافة، ١٤١٤هـ)، ص ٥٨٧.

١٤ - ابن هشام، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٥٠؛ العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، (بيروت: دار احياء التراث العربي، الطبعة ١، ١٣٢٨هـ)، ج ٢، ص ٥٠٧؛ الشيخ سليمان القندوزي الحنفي، ينابيع المودة، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات)، ج ١، الباب ٩، ص ٥٥؛ سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص (النحف الاشرف: المكتبة الحيدرية، ٨٣هـ)، ص ٢٠ و ٢٢ نقلاً عن احمد بن حنبل في كتاب الفضائل؛ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (في حاشية الإصابة) ج ٣، ص ٣٥؛ الحلبي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٩٢؛ السمهودي، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٦٨؛ المظفر، دلائل الصدق (قم: مكتبة بصيرتي)، ج ٢، ص ٢٦٨ - ٢٧١.

١٥ - الشيخ سليمان القندوزي، مصدر سابق، ج ١، الباب ٩، ص ٥٥ نقلاً عن احمد بن حنبل؛ العلامة الأميني، الغدير، ج ٣، ص ١١٢؛ السيد جعفر مرتضى العاملي، الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ١٤٠٣هـ، ج ٣، ص ٦٠؛ الطوسي، الأمالي، ص ٥٨٧. الأحاديث التي نصّت على مؤاخاة علي مع رسول الله (ص) في عقد المؤاخاة هذا ليست مما يمكن الطعن به وانكاره من حيث قواعد الحديث. وعلى هذا الأساس فان كلام ابن تيمية وابن كثير ليست له اية قيمة علمية لأنه جاء انطلافاً مما يحملانه من فكر ونوازع نفسية. راجع: الغدير، ج ٣، ص ١١٢ - ١٢٥، ١٧٤، ٢٢٧ و ٢٣٦.

٢٠٠..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى رحلة

النبي ﷺ

اكثر مما سبق لدعم المهاجرين مالياً، اذ تنازلوا لصالح المهاجرين عن الغنائم التي حصلوا عليها في غزوة بني النضير<sup>١٦</sup>.

وكانت رعايتهم وحسن ضيافتهم مدعاة لإطلاق لسان المهاجرين بالمدح لهم والثناء عليهم بين يدي رسول الله<sup>١٧</sup>. وقد اثني الله عز وجل على بذل وتضحية الانصار كما يلي:

{لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصَرُّونَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ \* وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} <sup>١٨</sup>.

كان البدو يحملون خصالاً ذات حدّين، أحدهما نصرة ومساندة الاقارب وافراد القبيلة وقد لجم الرسول هذه الخصلة ووجهها نحو مسار الوحدة الإسلامية والترابط والتلاحم، وأما الخصلة الاخرى فهي الشجاعة والقسوة على الأجنبي، وقد سخر رسول الله ﷺ هذه الصفة في الحرب ضد اعداء الإسلام والتصدي لهجماتهم<sup>١٩</sup>.

### معاهدة عدم اعتداء مع ثلاث قبائل يهودية

بالاضافة الى الميثاق العام الذي اعلنه الرسول ﷺ (وشاركت فيه قبيلتا الأوس والخزرج، وشمل أيضا يهود هاتين القبيلتين) عقد معاهدات منفردة مع كل واحدة من القبائل اليهودية الثلاثة، وهي بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة؛ ويمكن تسميتها <معاهدات عدم

١٦ - الواقدي، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات)، ج ١، ص ٣٧٩؛ ابن شبة، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق: فهم محمد شلتوت (قم: دار الفكر، ١٤١٠هـ)، ج ٢، ص ٢٨٩.

١٧ - مسند احمد، ج ٣، ص ٢٠٤؛ الحلي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٩٢؛ ابن كثير، مصدر سابق، ج ٣، ص ٢٢٨؛ ابن شبة، مصدر سابق، ص ٤٩٠.

١٨ - سورة الحشر (٥٩)، الآيتين ٨ - ٩.

١٩ - ﴿يُحَمَّدُ رَسُولَ اللَّهِ وَلَئِذَا مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَينَهُمْ﴾ (سورة الفتح (٤٨)، الآية ٢٩).



## الأعمال الأساسية للرسول في المدينة .....

٢٠١

اعتداء>. وقد سبق ان ذكرنا بأن هذه القبائل الثلاثة كانت تعيش في المدينة واطرافها وقد تعهدوا فيها بما يلي:

١. ان لا يتعاونوا مع اعداء الإسلام ولا يُعينوا عليهم بسلاح ولا بكراع.
٢. ان لا يُعينوا على رسول الله ﷺ ولا على أحد من المسلمين بلسان ولا يد، في السر والعلانية.

٣. إن فعلوا شيئاً من ذلك، يحق لرسول الله ﷺ سفك دمائهم، وسي ذراريهم ونسائهم وأخذ اموالهم. وتولى أمر التوقيع على هذه المعاهدة عن القبائل الثلاث المذكورة على التوالي: مخيريق، وحيي بن اخطب، وكعب بن اسد<sup>٢٠</sup>.

ويبدو ان اليهود ما كانوا يجدون في المسلمين أي خطر عليهم آنذاك. أو انهم كانوا يرون بأن من مصلحتهم المهادنة واتخاذ موقف الحياد، اعتقاداً منهم بأن اعداء الإسلام الآخرين سيتكفلون بالقضاء على الإسلام والمسلمين. ولهذا اقدموا على إبرام هذه المعاهدة<sup>٢١</sup>. أدت هذه الاعمال والاجراءات الى ان تنعم المدينة وما جاورها بالأمن والاستقرار، واطمأن النبي الى عدم وقوع اضطرابات أو توتر فيها. وعند ذاك حان الوقت لاتخاذ الاجراءات الكفيلة بمجابهة خطر قريش، وتوفير متطلبات بناء المجتمع الجديد.

### المنافقون

بالإضافة الى جماعة اليهود، تبلورت في اعقاب هجرة النبي الى يثرب جماعة جديدة سُمّاهم القرآن بالمنافقين. وهذه الجماعة عبارة عنّ كانوا يسمّون انفسهم مسلمين في الظاهر، وفي الباطن كان بعضهم يعبد الأصنام<sup>٢٢</sup>، والبعض الآخر يهود<sup>٢٣</sup>، فهذه الجماعة بعدما رأت قوة

٢٠ - الطبرسي، إعلام الوري بأعلام الهدى (طهران: دار الكتب الإسلامية، الطبعة ٣)، ص ٦٩؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ١٩،

ص ١١١ - ١١٠؛ راجع: الواقدي، المغازي، ج ١، ص ١٧٦ - ٣٦٥، ٣٦٧ وج ٢، ص ٤٥٤؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢٣١؛ تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٤٣. وقد عاقب رسول الله هذه القبائل الثلاثة لاحقا استنادا إلى هذه المعاهدة.

٢١ - المجلسي، مصدر سابق، ص ٦٩ و ١١٠.

٢٢ - ابن هشام، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٦٠ و ١٦٦؛ النويري، نهایة الإرب في فنون الادب، ج ١، ص ٣٣٢

## ٢٠٢..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى رحلة

النبي ﷺ

الإسلام المتزايدة، وادركت عجزها عن مجابهته علانية، تظاهرت بالإسلام ودست نفسها في صفوف المسلمين.

لقد تواطأ المنافقون مع اليهود وآمروا في الخفاء ضد المسلمين. وكان على رأسهم عبد الله بن أبي الذي سبق ان ذكرنا بأنه كان على وشك ان يتوج لرئاسة يثرب، ولكنه فقد هذا المنصب عند دخول الرسول الى الساحة السياسية في يثرب، وأضمر الحقد في قلبه ضد الرسول<sup>٢٤</sup>.

لقد أدى المنافقون دوراً تخريبياً هائلاً بحيث ذكرهم القرآن في سور: البقرة، آل عمران، التوبة، النساء، المائدة، الانفال، العنكبوت، الاحزاب، الفتح، الحديد، المنافقون، الحشر، التحريم. كانت محاربة الرسول لهذه الجماعة اصعب وأشد تعقيدا من محاربتة للمشركين واليهود؛ ويعود سبب ذلك الى انهم كانوا يتظاهرون أمام المسلمين بالإسلام، ولم يكن باستطاعة الرسول محاربتهم بحكم ظاهرهم الإسلامي. واستمرت عراقل هذه الجماعة وعملها ضد الإسلام بشكل جماعي ومنظم الى حين موت عبد الله بن أبي (في السنة التاسعة للهجرة)<sup>٢٥</sup>. ولكنها تحولت من بعد ذلك الى أعمال فردية وخفت وطأتها.

---

٢٣ - الحلبي، السيرة الحلبية (انسان العيون) (بيروت: دار المعرفة)، ج ١، ص ٣٣٧؛ النويري، مصدر سابق، ص ٣٣٩؛ ابن هشام، مصادر سابق، ص ١٧٤.

٢٤ - ابن هشام، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٣٨ - ٢٣٧؛ البيهقي، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٦٥؛ النويري، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٣٨؛ ابن شبة، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق: فهد محمد شلتوت (قم: دار الفكر، ١٤١٠هـ.ق)، ج ١، ص ٣٥٧؛ احمد زيني دحلان، السيرة النبوية والآثار الحمديّة (بيروت: دار المعرفة، الطبعة ٢)، ص ١٨٤.

٢٥ - المسعودي، التنبيه والاشراف، (القاهرة: دار الصاوي للطباعة والنشر)، ص ٢٣٧.

## الفصل الثالث

### مؤامرات اليهود

#### مخالفات اليهود

كان اليهود (كما هو الحال بالنسبة الى المسيحيين) على علم بقرب مبعث النبي ﷺ. وحسب تعبير القرآن فان أهل الكتاب كانوا يعرفون النبي مثلما يعرفون ابناهم<sup>٢٦</sup>. ووجدوا فيه الأوصاف التي يقرأونها في التوراة والانجيل<sup>٢٧</sup> وعلى هذا كان من المتوقَّع ان يُسلموا قبل الأوس والخزرج؛ وقد ذكرنا بأن أحد اسباب اقبال هاتين القبيلتين على الإسلام هو ما كان يتناهى الى اسماعهم من تنبؤات اليهود التي كانت تأتيهم على شكل تهديدات، ولكن لم يدخل الإسلام الا نفر قليل منهم. وعلى الرغم من بقائهم على دينهم كانت علاقتهم مع المسلمين طبيعية في بداية الهجرة، والدليل على ذلك توقيعهم معاهدة عدم اعتداء مع النبي ﷺ. ولكن لم تمضِ متَّةٌ طويلة حتى بدلوا موقفهم وانتهجوا اسلوب المخالفة ووضع العراقيين، ومن جملة تلك الممارسات انهم كتموا اوصاف رسول الإسلام أو بدّلوها، وقالوا: لم نجد وصف محمد في كتبنا، وصفاته ليست صفات النبي الذي تقول انه سيُبعث<sup>٢٨</sup>. وقد ذم القرآن الكريم هذا الموقف كما يلي:

---

٢٦ - سورة البقرة (٢)، الآية ١٤٦؛ سورة الانعام (٦)، الآية ٢٠.

٢٧ - سورة الاعراف (٧)، الآية ١٥٧؛ سورة البقرة (٢)، الآيات ٧٦، ٨٩، ١٠١؛ سورة آل عمران (٣)، الآيات ٨١، ١٨٧؛ سورة الأنعام (٦)، الآية ١١٤؛ سورة القصص (٢٨)، الآية ٥٢.

٢٨ - الحلبي، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٢٠؛ البيهقي، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٨٦؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب (قم: المطبعة العلمية)، ج ١، ص ٥١؛ الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٣٦٧.

{وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ} ٢٩.

وقد اخذ اليهود يتبعون اساليب شتى من المخالفة والشقاق، ومن ذلك:

١. عرض مجموعة من المطالبات التعجيزية وغير المنطقية مثل طلبهم انزال كتاب من السماء

عليهم ٣٠.

٢. اثاره أسئلة دينية معقدة بمهدف تشويش اذهان المسلمين، وليلبسوا الحق بالباطل ٣١.  
وكانوا في كل الحالات يحصلون على نتائج عكسية، لأن الرسول كان يقلم الاجابات القاطعة والواضحة.

٣. سعيهم لزعزعة ركائز ايمان المسلمين، فكان بعضهم يقول لبعض: تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد واصحابه غدوة، ونكفر به عشية حتى نلبس عليهم لعلمهم يرجعون عن دينه:  
{وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهِ النَّهَارِ وَكَفَرُوا  
آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} ٣٢

٤. العمل على الوقيعة بين المسلمين، مثلما فعل أحدهم واسمه شأس بن قيس الذي حاول بعث الاحقاد القديمة بين الأوس والخزرج، لاشعال نار الاختلاف والحرب بينهما، ولكن الرسول بادر الى مصالحتهم، وافشل تلك المؤامرة ٣٣.

٢٩ - سورة البقرة (٢)، الآية ٨٩.

٣٠ - سورة النساء (٤)، الآية ١٥٣؛ سورة آل عمران (٣)، الآية ١٨٣.

٣١ - ابن هشام، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٦٠؛ ابن شهر آشوب، مصدر سابق، ج ١، ص ٥٤؛ الحلبي، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٢٢ - ٣٢١؛ زيني دحلان، السيرة النبوية والآثار الحمديّة (بيروت: دار المعرفة)، ج ١، ص ١٧٨ - ١٨٠.

٣٢ - سورة آل عمران (٣)، الآية ٧٢.

٣٣ - ابن هشام، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٦٠؛ ابن شهر آشوب، مصدر سابق، ج ١، ص ٥٤؛ الحلبي، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٢٢ - ٣٢١؛ زيني دحلان، السيرة النبوية والآثار الحمديّة (بيروت: دار المعرفة)، ج ١، ص ١٧٨ - ١٨٠.

## دوافع مخالفة اليهود

اليهود اساساً اناس نفعيون، وحريصون<sup>٣٤</sup>، ويتَّسمون بالتعنّت والتذرّع. وقد وصف القرآن الكريم اليهود والمشرّكين بأنهم ألدّ اعداء المسلمين<sup>٣٥</sup>، وذلك لأن هذين الفريقين لا يعترفان بالمنطق والاستدلال، ولا يتورّعان عن الاحقاد والمخالفة والتعنّت. ويمكن ايجاز اسباب ودوافع مخالفة اليهود للإسلام في الامور التالية:

١. التفكير العنصري عند اليهود وحسدكم لنبي الإسلام وعدم تحملهم نبيا لا يكون من اليهود (عربي)<sup>٣٦</sup>.

٢. كانوا قبل انتشار الإسلام في يثرب يحظون بمكانة اقتصادية واجتماعية أفضل؛ لانهم كانوا يحتكرون حرفة الزراعة<sup>٣٧</sup> وكانوا يأكلون الربا<sup>٣٨</sup>، اضافة الى ان اقتصاد المدينة كان كله في ايديهم. وعلى صعيد آخر فقد استغلوا الخلافات بين الأوس والخزرج لضعفهما من خلال تحالف بني قينقاع مع الخزرج، وتحالف بني النضير وبني قريظة مع الاوس<sup>٣٩</sup>. وفي اعقاب الهجرة المحجرة واتحاد قبيلتي الاوس والخزرج تحت لواء الإسلام والتعاظم المتزايد لقوة الإسلام، شعروا بأن القوّة ستكون بيد المسلمين في المستقبل القريب في كل المنطقة، وانهم سيفقدون مكانتهم. ولم يكن ذلك بالأمر الهين عليهم.

٣٤ - ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَخْرَ النَّاسِ عَلَى حَيَوةٍ...﴾ (سورة البقرة (٢)، الآية ٩٦).

٣٥ - سورة المائدة (٥)، الآية ٨٢.

٣٦ - سورة البقرة (٢)، الآية ٩٠ و ١٠٩؛ سورة النساء (٤)، الآية ٥٤؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٦٠؛ زيني دحلان، مصدر سابق، ج ١، ص ١٧٦؛ الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٣٦٥.

٣٧ - كان بنو قينقاع يعملون في صياغة الذهب (مونتغمري واط، محمد في المدينة، تعريب: شعبان بركات، بيروت: المكتبة العصرية). وكان لهم سوق في المدينة باسمهم (ابن شبة، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق: فهد محمد شلتوت، قم: دار الفكر، ج ١، ص ٣٠٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٢٤) وبني بنو النضير وبني قريظة في اطراف المدينة قلاعاً ومجمّعات سكنية، وكانوا يعملون في الزراعة والبساتين ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج ١، بني النضير والبطحان؛ نور الدين السمهودي، وفاء الوفاء باخبار دار المصطفى، (بيروت: دار احياء التراث العربي، الطبعة ٣، ١٤٠١ هـ)، ج ١، ص ١٦١.

٣٨ - سورة النساء (٤)، الآية ١٦١.

٣٩ - ابن هشام، سيرة النبي، (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٥ هـ)، ج ٢، ص ١٨٨.

## ٢٠٦..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى رحلة

النبي ﷺ

٣. كان لعلماء اليهود احترام وتكريم بين الناس، وكان العوام من الناس يتبعونهم ويطيعونهم طاعة عمياء، وحتى لو كانوا يحكمون بغير حكم الله فانهم كانوا يطيعونهم بلا نقاش ولا جدل.<sup>٤٠</sup>

وفضلاً عن كل ذلك فقد كانت مصادر دخلهم هي الهدايا والخيرات التي كان يقدمها لهم عامة اليهود على اعتبار انهم يتولون حراسة التوراة. وكان مما يثير قلقهم ان هذه الأموال ستقطع عنهم فيما لو اعتنق اليهود الإسلام<sup>٤١</sup>.

٤. كانوا اعداء لجبرائيل الذي انزل الوحي على رسول الله ﷺ، وجعلوا من ذلك ذريعة لمخالفة الرسول ﷺ.

٥. رسم القرآن الكريم خط البطلان على الكثير من معتقدات وأعمال اليهود وبعضاً من تعاليم التوراة<sup>٤٢</sup>، وخالف اليهود في كثير من الاحكام والممارسات<sup>٤٣</sup>؛ ويعود ذلك الى جذور تمتد في الماضي. فقبل ظهور الإسلام كان اهل الكتاب متفوقون ثقافياً على عبدة الاوثان، وكان المشركون ينظرون اليهم بعين الاحترام<sup>٤٤</sup>. وبعد ظهور الإسلام بقيت هذه الجوانب ماثلة في الأذهان بشكل او آخر.

ومن هنا فقد كان المسلمون في المدينة يطرحون عليهم في بعض الاحيان اسئلة حول

---

٤٠ - سورة التوبة (٩)، الآية ٣١.

٤١ - سورة البقرة (٢)، الآية ٧٩؛ سورة آل عمران (٣)، الآية ١٨٧؛ سورة التوبة (٩)، الآية ٣٤؛ البيهقي، دلائل النبوة، ج ٢، ص ١٨٦ - ١٨٧.

٤٢ - سورة البقرة (٢)، الآيات ٩٧ - ٩٨؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر)، ج ١، ص ١٧٥؛ الحلبي، السيرة الحلبية، (انسان العيون) (بيروت: دار المعرفة، ج ١، ص ٣٢٩).

٤٣ - سورة النساء (٤)، الآيات ٤٦، ١٥٥ - ١٥٩؛ سورة التوبة (٩)، الآية ٣٠.

٤٤ - السيد جعفر مرتضى العاملي، (الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ١٤٠٣هـ). ج ٣، ص ١٠٦؛ راجع: صحيح البخاري، شرح وتحقيق: الشيخ قاسم الشماخي الرفاعي (بيروت: دار القلم، الطبعة ١، ١٤٠٧هـ)، ج ٧، الباب ٤٨٦، الحديث ١١٨٨؛ صحيح مسلم، بشرح النووي، ج ١٤، ص ٨٠.

٤٥ - السيد جعفر مرتضى العاملي، مصدر سابق، ج ١، ص ١٧٥ - ١٧٦.

## مؤامرات اليهود ..... ٢٠٧

قضايا دينية، وكانوا هم يفسرون لهم بعض تعاليم التوراة باللغة العربية، بينما غالباً ما كانت تأتي معلوماتهم الدينية مخترعة ومغلوبة. ولهذا السبب أوصى الرسول المسلمين بعدم تصديق كلام أهل الكتاب<sup>٤٦</sup>، وقال ذات يوم لعمر بن الخطاب: «والذي نفسي بيده لو كان موسى حياً لما وسعه الا اتباعي»<sup>٤٧</sup>.

وقد أدت امثال هذه الامور الى زيادة عداة اليهود، حتى كانوا يقولون: كما يريد هذا الرجل ان يدع من امرنا شيئاً الا خالفنا فيه»<sup>٤٨</sup>.

### تبديل القبلة

كان رسول الله ﷺ اثناء اقامته في مكة، ومدة من بعد الهجرة الى المدينة يصلي باتجاه بيت المقدس بأمر الله عز وجل. وبعد ان أسفر اليهود عن عدائهم، اتخذوا قضية القبلة ذريعة لنفث سموم اعلامهم ضد رسول الله، وقالوا بأنه لا استقلالية له في دينه، وانه يصلي باتجاه قبلتنا. وركزوا على هذا الموضوع كثيراً. فتأذى الرسول من هذا الوضع وضاق صدره. وكان في الليالي يقلب بصره في السماء بانتظار نزول الوحي أملاً في حصول أمر إلهي جديد يقطع به دابر الاعلام اليهودي.

وبعد سبعة عشر شهراً من الهجرة<sup>٤٩</sup>، وبعدما صلى رسول الله ركعتين من صلاة الظهر نحو بيت المقدس، نزل عليه جبرائيل وابلغه أمر تحويل القبلة، ووجه الرسول نحو الكعبة وصلى

٤٦ - صحيح البخاري، نفس الطبعة، ج٩، الباب ١١٩٠، ص ٧٧٢.

٤٧ - الحلبي، مصدر سابق، ج١، ص ٣٧٢؛ راجع: ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج١، ص ٥٢.

٤٨ - الحلبي، مصدر سابق، ج٢، ص ٣٣٢.

٤٩ - ابن واضح، تاريخ يعقوبي، (النجف، المكتبة الحيدرية، ١٣٨٤هـ)، ج٢، ص ٣٤؛ محمد بن سعد، مصدر سابق، ج١، ص ٢٤٢؛ الشيخ الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، الطبعة ٤، ١٣٩١هـ، ج٣، كتاب الصلوة، ابواب القبلة، الباب ٢، الحديث ٣، ص ٢١٦؛ الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة ٣، ١٣٩٣هـ)، ج١، ص ٣٣١. نُقل ان تحويل القبلة حصل بعد الهجرة بسبعة أشهر إلى ثمانية عشر شهراً. (وفاء الوفاء، ج١، ص ٣٦١ - ٣٦٤؛ بحار الانوار، ج ١٩، ص ١١٣، في الهامش). ولكن العلامة الطباطبائي أيد ان المثلّث هي سبعة أشهر بعد الهجرة.

الرسول الركعتين الاخيرتين باتجاه الكعبة<sup>٥٠</sup>. وكان نص الأمر الالهي كما يلي:  
 {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ  
 الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ  
 رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ}<sup>٥١</sup>.

كان تحويل القبلة . الذي وقر للمسلمين الاستقلالية من هذا الجانب . حادثة مريرة على  
 اليهود، فبدأوا عند ذاك يعزفون على وتر آخر وهو: لماذا انصرف المسلمون عن قبلتهم التي  
 كانوا يصلون نحوها عدّة سنوات؟ وقد بين الله للنبي موقفهم هذا، قبل تحويل القبلة، وبين له  
 جوابه وهو ان المشرق والمغرب وكل موقع فوق الارض لله، وعليه ان يصلي في أي اتجاه يأمر  
 به الله، وانه ما من موضع مُشَرَّف بذاته:

{سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ  
 يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}<sup>٥٢</sup>.

وفي اعقاب تبيان هذا الجواب لم يعد لدى اليهود ذريعة لاطلاق الدعايات ضد المسلمين.  
 ومن بعد تحويل القبلة زال الرابط المشترك بين اتباع الدين القلسم والدين الجديد، وانفصل  
 هذين الفريقين عن بعضهما وتعكرت العلاقة بينهما:

٥٠ - يقول قسم من المؤرخين ان هذه الحادثة وقعت في مسجد قبيلة بني سَلَمَة، الذي عُرف بمسجد القبلتين (ابن واضح، مصدر سابق، ج٢، ص٣٤؛ محمد بن سعد، مصدر سابق، ج١، ص٢٤٢؛ السمهودي، وفاء الوفاء، ج١، ص٣٦١ - ٣٦٢؛ الرمسخري، تفسير الكشاف، (بيروت: دار المعرفة)، ج١، ص١٠١. بينما ذهب قسم آخر الى القول بأنها وقعت في مسجد قبيلة بني سالم بن عوف وهو المسجد الذي صلى فيه الرسول اول صلاة جمعة (الطبرسي، اعلام الوري، ص٧١؛ المجلسي، بحار الانوار، ج١٩، ص١٢٤). ولكن بعض الاخبار التاريخية تفيد ان هذه الحادثة وقعت في مسجد النبي نفسه (ابن سعد، مصدر سابق، ج١، ص٢٤١؛ السمهودي، وفاء الوفاء، ج١، ص٣٦٠؛ المجلسي، مصدر سابق، ج١٩، ص٢٠٠ - ٢٠١). ومكان مسجد القبلتين الذي اعيد بناؤه في الوقت الحاضر - وهو يقع في شمال المدينة - يتناسب مع قبيلة بني سَلَمَة؛ لأن قبيلة بني سالم كانت تقطن في الجهة الجنوبية من المدينة. وعلى اية حال فان اختلاف آراء المؤرخين في تعيين موضع تحويل القبلة لا يقلل من أهميته.

٥١ - سورة البقرة (٢)، الآية ١٤٤.

٥٢ - سورة البقرة (٢)، الآية ١٤٢.



{وَلَيْنُ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ  
بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ} ٥٣ .  
يُستفاد مما ورد في القرآن الكريم في هذا المجال بأن تحويل القبلة بأمر الله تعالى قد أثار  
مؤاخذات واعتراضات اليهود، وفضلاً عن ذلك فقد كان بمثابة اختبار للمؤمنين للكشف عن  
مدى إيمانهم وإخلاصهم وامتثالهم لأمر الله:  
{...وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ  
لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ} ٥٤ .  
وقد فسّرت بعض الأحاديث هذا الاختبار والابتلاء بأن هوى أهل مكّة كان في الكعبة  
فأراد الله . بجعله بيت المقدس قبلّة مؤقتة للمسلمين . ان يبين متبع محمد من مخالفيه باتباع  
القبلة التي كرهها، ومحمد يأمر بها، ولما كان هوى أهل المدينة في بيت المقدس أمرهم بمخالفتها  
والتوجه إلى الكعبة ليبين من يتبع محمدا فيما يكرهه . فهو مصدقه وموافقه ٥٥ .

٥٣ - سورة البقرة (٢)، الآية ١٤٥ .

٥٤ - سورة البقرة (٢)، الآية ١٤٣ .

٥٥ - الطبائبي، الميزان في تفسير القرآن (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة ٣، ١٣٩٣هـ)، ج ١، ص ٣٣٣. هناك  
أحاديث ونصوص تاريخية تفيد ان رسول الله (ص) لم يكن يجعل الكعبة خلف ظهره (وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٢١٦، كتاب  
الصلاة، ابواب القبلة، الحديث ٤)، وانما كان يجعلها وبيت المقدس في امتداد واحد ويصلي باتجاههما كليهما. (الحلي، السيرة الحلبية،  
ج ٢، ص ٣٥٧).



## الفصل الرابع

### تشكيل القوى القتالية الإسلامية

#### المعارك

كان رسول الله ﷺ في دور الإقامة والدعوة في مكة بممارسة دوره كقائد إلهي فحسب، وكان نشاطه ينحصر في هداية وارشاد الناس، والجدل الفكري والاعتقادي مع المشركين وعبدة الأصنام. ولكن بعد استقراره في يثرب فانه ﷺ بالاضافة إلى أدائه رسالته الدينية والزعامة الروحية أخذ يتولّى الزعامة السياسية للمسلمين؛ وذلك لأنه استجد في المدينة وضع جديد، وقد سار الخطوات الاولى باتجاه اقامة مجتمع جديد مبني على اساس تعاليم الإسلام. ومن هنا فقد استشرف المخاطر والمشكلات المحتملة وكان عليه ان يتصرف كقائد سياسي واع وبعيد النظر، ويتدبّر الحلول لها. وفي ضوء هذه الرؤية بادر الى القيام بمجموعة من الاجراءات الاحترازية ومنها المؤاخاة بين مجموعتين من المسلمين، وعلان الميثاق العام، وكذلك ابرام معاهدة عدم اعتداء مع اليهود.

السور والآيات التي نزلت في المدينة وتضمّنت احكاما وتعاليم سياسية واجتماعية كانت بمثابة خطوط عريضة سار عليها الرسول في اتخاذ هذه الاجراءات السياسية. ولما صدر من الله عز وجل الإذن بالجهاد والدفاع<sup>٥٦</sup> عزم الرسول على تشكيل قوّة دفاعية. وقد اكتسبت هذه القوّة اهميتها بسبب ما كان يحتمل ان يقوم به مشركو مكة (الذين لم يعودوا قادرين على ابداء وتعذيب المسلمين من بعد هجرتهم) من هجوم عسكري هذه المرّة على بيضة الإسلام

---

٥٦ - ﴿لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ سورة الحج (٢٢)،  
الآيتان ٣٩ - ٤٠؛ راجع: الميزان في تفسير القرآن، ج ١٤، ص ٣٨٣؛ تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ٣٦.

## ٢١٢..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى رحلة

النبي ﷺ

(المدينة). ولذا فقد بادر الرسول ﷺ الى وضع النواة الأولية للجيش الإسلامي منذ أواخر السنة الاولى للهجرة لمحاكمة مثل هذه الاحتمالات.

وكان هذا الجيش في بداية الأمر محدودا من حيث العدد ومن حيث العتق ومستلزمات القتال. ولكنه تطور بسرعة على الصعيدين على حد سواء بحيث ان السرايا التي كانت تُبعث للاغراض العسكرية او لمهام الدورية والاستطلاع لم يكن عدد افرادها يتجاوز ستين شخصا، او ربما بلغ أقصى عدد لها مائتي شخص في القليل النادر<sup>٥٧</sup>.

وأما في السنة الثانية. أي في معركة بدر. فقد فاق العدد الثلاثمائة بقليل. ولكن في فتح مكة (في السنة الثامنة للهجرة) زاد عدد جنود الإسلام على عشرة آلاف مقاتل، وكانوا على درجة عالية جدا من حيث المعدات العسكرية.

وعلى اية حال فقد أثبت مسار الاحداث ان توقعات الرسول ﷺ كانت صائبة؛ اذ وقعت. ابتداء من السنة الثانية للهجرة فما بعدها. عتق معارك بين الفريقين، ولو لم يكن لدى المسلمين قوات دفاعية لدحروا في هذه المعارك مع المشركين<sup>٥٨</sup>.

### المناورات العسكرية

دأب الرسول ﷺ على القيام بمجموعة من التحركات العسكرية بهذه الاعداد القليلة من القوات، وهي تحركات عسكرية لا تُعتبر في واقع الحال حربا كاملة، ولم يحصل قط في أي منها معركة أو اشتباك بين الطرفين؛ مثل سرية حمزة بن عبد المطلب التي كانت تتألف من ثلاثين مقاتلا (في الشهر الثامن للهجرة)، التي لاحقت قافلة لقريش اثناء عودتها الى مكة؛ وسرية عبيدة بن الحارث التي كانت تتألف من ستين مقاتلا (في الشهر السادس للهجرة) وتبع

٥٧ - ابن الاثير، الكامل في التاريخ، (بيروت: دار صادر)، ج٢، ص١١٢.

٥٨ - قيل ان مجموع غزوات الرسول بلغ ٢٦ غزوة، وبلغ عدد سراياه ٣٦ سرية (ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج١، ص١٨٦؛ الطبرسي، اعلام الوري، ص٧٢). وقال مؤرخون آخرون ان عدد سراياه كان أكثر من هذا (المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٢٨٢). وذكر البخاري في رواية ان عددها تسع عشرة سرية (صحيح البخاري، ج٦، ص٣٢٧).

## تشكيل القوى القتالية الإسلامية ..... ٢١٣

جماعة ابي سفيان؛ وسرية سعد بن ابي وقاص التي كان عدد افرادها عشرين مقاتلا (في الشهر التاسع للهجرة) التي لاحقت قافلة لقريش، ولكنها لم تلحق بها<sup>٥٩</sup>. وكذلك تتبع الرسول برفقة جماعة من المسلمين (في الشهر الحادي عشر) قافلة لقريش حتى بلغ أرض الابهاء، ولكن لم يقع اشتباك بين الطرفين. وعقد النبي ﷺ في سفره هذا معاهدة مع قبيلة بني ضمرة بأن تقف على الحياد ولا تتعاون مع اعداء الإسلام. وفي شهر ربيع الاول (الشهر الثاني عشر) لاحق النبي كرز بن جابر الفهري. الذي نهب قطعان ماشية المدينة. الى ارض بدر، ولكنه لم يلحق به.

وفي جمادى الآخرة خرج على رأس مائة وخمسين (أو مائتين) من أصحابه لاعتراض قافلة تجارية لقريش يقودها ابو سفيان متوجها من مكة الى الشام (غزوة ذات العشيرة) ولكنه هذه المرة لم يلحق بالقافلة أيضا؛ وابرأ أثناء ذلك معاهدة مع قبيلة بني مدلج ثم عاد الى المدينة<sup>٦٠</sup>. ويمكن ان نطلق على هذا النوع من التحركات العسكرية اسم المناورات العسكرية، وهي تمثل في الواقع نوعا من استعراض القوى وليس معارك حقيقية.

### اهداف الرسول من المناورات العسكرية

ثبتت القرائن ان هدف النبي ﷺ من تلك السرايا والغزوات الصغيرة لم يكن نهب اموال العدو ولا الاشتباك معه في حروب ومعارك؛ اذ كما رأينا ان عدد افراد سرايا الإسلام كان قليلاً ولا يتمتع بأية مقدرة عسكرية، وفي المقابل كان عدد افراد العدو يفوقهم عدّة مرّات؛ وعلى صعيد آخر شارك الانصار أيضا في بعض هذه السرايا؛ في حين انهم اشتروا على انفسهم في بيعة العقبة الثانية الدفاع عن النبي ﷺ في المدينة، وليس محاربة العدو خارج

---

٥٩ - الواقدي، المغازي، تحقيق: مارسدن جونز، ج١، ص١١-٩؛ محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك (بيروت: دار القاموس الحديث)، ج٢، ص٢٥٩؛ راجع: ابن هشام، سيرة النبي، ج٢، ص٢٤٥، ٢٥١. ذكر ابن اسحاق هذه السرايا ضمن وقائع السنة الثانية للهجرة (الطبري، مصدر سابق). واذا سلّمنا بصحّة هذا النقل لا بد من الادّعاء بأن تشكيل الجيش الاسلامي كان في السنة الثانية. وحتى لو صح ذلك فان هذا المعنى لا يقلل من أهمية الموضوع، بل بالعكس يظهر مدى قدرة الرسول على المبادرة في هذا المجال.

٦٠ - الواقدي، مصدر سابق، ص١١-١٣؛ الطبري، مصدر سابق، ص٢٥٩ - ٢٦١.

وفضلاً عن ذلك فقد كان أهالي المدينة فلاحين ويعملون في البساتين والمزارع، ولم يكونوا قد اعتادوا على عادات القبائل البدوية في الغزو والغارات. وإذا كانت هناك معارك بين الأوس والخزرج، فهي كانت معارك محلية، وكان الذي يشعل فتيلها اليهود، ولم يسبق لهم أن نهبوا بضائع قافلة أو أموال قبائل أخرى. وعلاوة على كل ذلك لم يظهر المسلمون عند مجابهة الأعداء ميلاً للاشتباك معهم، مثلما حصل حين امتنع حمزة عن الدخول في معركة بعد وساطة شخص محايد<sup>٦١</sup>.

وفي ضوء هذه القرائن يبدو أن النبي ﷺ كان يرمي من وراء هذه المناورات والتحركات، إلى تحقيق أهداف معينة منها:

### تهديد طريق تجارة قريش الى الشام:

كانت القوافل التجارية لأهالي مكة تمر عبر طريق يقع على مقربة من المدينة ويمر بينها وبين ضفاف البحر الأحمر، ولم يكن باستطاعة تلك القوافل الابتعاد عن المدينة بما يزيد عن ١٣٠ كيلو متراً<sup>٦٢</sup>. وكان رسول الله ﷺ يرمي من وراء تلك التحركات الإيحاء لقريش بأنها لو حاولت فرض قيود على حرية المسلمين في المدينة (مثلما كانت تفعل في مكة) فستكون هناك مخاطر تهدد طريق تجارتها ومن المحتمل أن يستولي المسلمون على أموالهم التجارية\*. ومن الطبيعي أن يكون هذا التهديد بالنسبة إلى مشركي مكة - الذين كانت التجارة أمراً حيوياً لهم - رادعاً قوياً وتهديداً خطيراً يدعوهم إلى إعادة النظر في تعاملهم مع المسلمين.

ولا ينبغي الشك - طبعاً - في أن المسلمين كان من حقهم الاستيلاء على أموال مشركي

٦١ - الواقدي، مصدر سابق، ص ٩.

٦٢ - مونتغمري واط، محمد في المدينة، تعريب: شعبان بركات (بيروت: المكتبة العصرية)، ص ٥.

\* - تحقق هذا التهديد لاحقاً وشعرت قريش (كما سنبين ذلك) بقلق بالغ من قطع طريق التجارة إلى الشام وحاولت البحث عن طريق آخر إلى الشام.

## تشكيل القوى القتالية الإسلامية ..... ٢١٥

مكة؛ وذلك لأنهم ارغموهم على مغادرة مكة واستولوا على مساكنهم واموالهم<sup>٦٣</sup>. وينبغي ان لا ننسى بأن هذا العمل قد ذهب الى ما هو أبعد من الانتقام الشخصي وتسوية الحسابات الفردية، وتحول في واقع الحال الى صراع بين كتلتين وقوتين، حيث أخذ كل واحد من الطرفين يسعى الى اضعاف الطرف الآخر. ويبدو ان المسلمين كانوا يرون بأن إلحاق الضرر الاقتصادي بالاعداء وبث الرعب والقلق في نفوسهم يفوق أهمية البضائع والسلع أو الغنائم المنتزعة منهم؛ إذ لم يقع في ايدي المسلمين شيء من اموال المشركين، الى حين مسير سرية عبد الله بن جحش ومعركة بدر.

٢. كانت تلك التحركات بمثابة نوع من استعراض القوة العسكرية للمسلمين، وتحذير لمشركي مكة بأن لا يفكروا بالهجوم العسكري على المدينة، وإيحاء لهم بأن المسلمين غدوا اصحاب قوة قادرة على صد أي هجوم محتمل منهم. وكما قلنا عند بحث أسباب ودوافع معارضة قريش، ان الرسول عندما كان في مكة وكان عدد المسلمين وقتذاك قليلاً، كان اشراف قريش منذ ذلك الحين يتوجسون المخاوف من زوال هيمنتهم الاقتصادية. والآن وبعد ان تحوّلت المدينة الى قاعدة للاسلام وتملك المقدّرات والمستلزمات الكافية، كيف يمكن لعبيد المال من أهالي مكة ان يشعروا بالأمان؟ ومن هنا فقد كان على المسلمين ان يأخذوا بزمام المبادرة لكي لا يطمع المشركون بهذه المدينة.

٣. يحتمل ان يكون في هذه التحركات العسكرية والمناورات تحذير ضماني ليهود المدينة

---

٦٣ - بعد هجرة النبي (ص) استولى عقيل بن ابي طالب على داره في مكة (في شعب أبي طالب) ودور المهاجرين من بني هاشم. وفي فتح مكة ضرب النبي خيمة في الحجون (خارج مكة) ف قيل له: لماذا لم تنزل في دارك؟ فقال: >هول ابقى لنا عقيل داراً!> (الواقدي، المغازي، ج٣، ص٨٢٨؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر)، ج٢، ص١٣٦؛ القسطلاني، المواهب اللدنية والمنح المحمدية (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة ١، ١٣١٦هـ)، ج١، ص٣١٨. باع ورثة عقيل تلك الدار لاحقاً بمبلغ مائة الف دينار على أخي الحاجج بن يوسف! (الحلي، السيرة الحلبية، ج١، ص١٠١ - ١٠٢) وكذلك بقيت دور رهط بني جحش بن رثاب في مكة خالية بعد هجرتهم الى المدينة، فاستولى عليها ابو سفيان بذريعة ان ابنته زوجة اجدهم! (ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص١٤٥). وفضلاً عن ذلك، فعند هجرة صهيب الى المدينة تبعه مشركو مكة وسلبوه امواله ولكنه نجا بنفسه! (ابن هشام، مصادر سابق، ج٢، ص١٢١).

٢١٦..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى رحلة

النبي ﷺ

أيضاً، بعدما كشفوا عن عدائهم؛ ليكفوا عن دسائسهم ولا يفكروا في القيام بأي تحرّ  
عسكري، وإلاّ فإن للمسلمين من القوة ما يكفي لإخماد أية فتنة تقوم والقضاء على أسبابها  
واجتثاث جذورها<sup>٦٤</sup>.

### سرية عبد الله بن جحش

في شهر رجب من السنة الثانية، ارسل النبي ﷺ عبد الله بن جحش (ابن عمته) مع  
ثمانية من المهاجرين في مهمة استطلاعية، وكتب له كتاباً وامره ان لا ينظر فيه حتى يسير  
يومين ثم ينظر فيه، فيمضي لما أمره به، ولا يستكره من اصحابه احداً.

فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب، فنظر فيه، فاذا فيه: اذا نظرت في  
كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من  
اخبارهم>.

ثم ان عبد الله اعلم اصحابه بما امر به رسول الله وقال لهم بأنه نحاني ان أستكره منكم  
احداً، فمن كان منكم يريد الشهادة فليطلق معي، ومن كره ذلك فليرجع. فمضى ومضى  
معه أصحابه لم يتخلف منهم أحد.

ومضى عبد الله بن جحش وبقية اصحابه حتى نزل بنخلة، فمرّت به غير لقريش يقودها  
عمرو بن الحضرمي كانت عائدة من الطائف الى مكة؛ وتشاور القوم فيهم، وكان ذلك في  
آخر يوم من رجب. فقال القوم: والله لئن تركتم القوم في هذه الليلة ليدخلن الحرم فليتمنعن  
منكم به، ولن قتلتموهن لتقتلنهم في الشهر الحرام.

ثم انهم هجموا على القافلة وقتلوا عمرو بن الحضرمي واسروا اثنين منهم وعادوا بالقافلة  
وبالأسيرين حتى قدموا المدينة. فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال لهم: ما أمرتكم بقتال في  
الشهر الحرام، وأبى ان يأخذ خمس الغنائم والأسيرين.



## تشكيل القوى القتالية الإسلامية ..... ٢١٧

وكان لهذه الحادثة صداها الواسع، وعظم على المسلمين ما قامت به هذه الجماعة من سفك الدماء في الشهر الحرام، وعنفهم اخوانهم من المسلمين في ما صنعوا. واستغلت قريش هذه الحادثة لاغراض اعلامية وقالت: قد استحل محمد واصحابه الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدم. ونفت اليهود ما يضمنونه من أحقاد وسموم وقالوا بأن ذلك سيكون فيه ضرر وبلاء على المسلمين. فلما أكثر الناس من القول في ذلك انزل الله على رسول الله ﷺ:

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا<sup>٦٥</sup>}.  
وعند نزول هذه الآيات التي كانت تحمل ضمناً معنى براءة عبد الله بن جحش، وتعتبر قريشاً سبب الفتنة، وان ما تقوم به قريش من فتنة انما هي اعظم عند الله من القتل، تبددت غيوم الاجواء المسمومة التي تراكمت ضد المسلمين. وافرج رسول الله عن الأسيرين بناء على طلب تقدم به مندوبون من قريش. وقد أسلم احدهما وحسن اسلامه وبقي في المدينة<sup>٦٦</sup>.

تبين مثل هذه الحوادث ان هناك اشخاصا او جماعات قد يتصرفون بحسن نية (ولكن بسوء تدبير) وتكون لذلك التصرف انعكاسات سلبية ونتائج ذات ضرر بالغ على المجتمع، بحيث لا يفي حسن نواياهم في تلافي تلك النتائج الخطيرة. وقد كان تصير<sup>٦٧</sup> عبد الله بن جحش واصحابه من هذا النوع.

## معركة بدر

٦٥ - سورة البقرة (٢)، الآية ٢١٧.

٦٦ - ابن هشام، سيرة النبي، (مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٥هـ)، ج ٢، ص ٢٥٥ - ٢٥٢؛ البلاذري، انساب الاشراف، تحقيق: محمد حميد الله، (القاهرة: دار المعارف، الطبعة ٣)، ج ١، ص ٣٧٠ - ٣٧١؛ الواقدي، مصدر سابق، ج ١، ص ١٣ - ١٩؛ محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (بيروت: دار القاموس الحديث)، ج ٢، ص ٢٦٢ - ٢٦٤؛ ابن شبة، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق: فهد محمد شلتوت، الطبعة ١، ج ٢، ص ٤٧٢ - ٤٧٧.

## ٢١٨..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى رحلة

النبي ﷺ

وقعت هذه المعركة في اعقاب ما قام به رسول الله ﷺ من تحركات عسكرية وتهديد لطريق تجارة قريش الى الشام. وكانت اول معركة بمعنى الكلمة بين المسلمين والمشركين. وكما ذكرنا سابقا، فإن رسول الله ﷺ قد تبع في شهر جمادى الآخرة قافلة لقريش كان يقودها ابو سفيان وكانت متجهة الى الشام، حتى بلغت ذات العُشيرة، ولكن لم يلحق بها. ثم ارسل العيون والرجال الى الشام، فوافوه بالاخبار عن رجوع تلك القافلة<sup>٦٧</sup>.

كانت القافلة ذات أهمية بالغة من حيث الحجم وقيمة ما تحمله من بضائع وسلع. فقد ذكر انها كان فيها ألف جمل، وتضاهي بضاعتها ما قيمته خمسين ألف دينار، وكان لكل قريش سهم فيها<sup>٦٨</sup>.

كان الطريق الطبيعي الذي ينبغي ان تسلكه القافلة منطقة بدر<sup>٦٩</sup>. وسار رسول الله ﷺ للاستيلاء على القافلة<sup>٧٠</sup> في ثلاثمائة وثلاثة عشر من المسلمين<sup>٧١</sup> وليس لهم من العتق الا الشيء القليل<sup>٧٢</sup>، قاصداً منطقة بدر.

---

٦٧ - الواقدي، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٠.

٦٨ - الواقدي، مصدر سابق، ص ٢٧؛ المجلسي، بحار الانوار (طهران: دار الكتب الاسلامية، ١٣٨٥هـ)، ج ١٩، ص ٢٤٥ - ٢٤٧.

٦٩ - تقع بدر إلى الجنوب الغربي من المدينة، وأضحت اليوم مدينة كاملة واتخذت مركزاً لمنطقة تحمل هذا الاسم نفسه. يمر بها الطريق القديم المبلط الذي يربط المدينة بمكة ومكة. وهي تبعد عن المدينة مسافة ١٣٥ كيلو متراً، وعن مكة ٣٤٣ كيلو متراً. محمد عبدة اليماني، بدر الكبرى، (جدة: دار القبلية للثقافة الاسلامية، الطبعة ١، ١٤١٥هـ) ص ٢٥. ولم يعد الحجاج يمرّ من هذا الطريق لاداء شعائر الحج، في أعقاب شق الطريق السريع بين المدينة ومكة.

٧٠ - ابن هشام، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٥٨.

٧١ - محمد بن سعد، الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر)، ج ٢، ص ٢٠؛ الطبري، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٧٢.

٧٢ - كان عدد اهل المسلمين سبعين بغيراً؛ كل عدّة اشخاص منهم على بغير (الواقدي، مصدر سابق، ص ٢٦؛ ابن هشام، مصدر سابق، ص ٢٦٤)، وفرس واحد فقط (الشيخ المفيد، الإرشاد، ص ٧٣؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ١٨٧؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ١٩، ص ٣٢٣؛ مسند أحمد، ج ١، ص ١٢٥). وبناءً على خبر آخر كان لهم فرسان (الواقدي، مصدر سابق، ص ٢٦؛ ابن سعد، مصدر سابق، ص ١٢ - ٢٤؛ تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ٣٧)، وستة دروع، وثمانية سيوف (ابن شهر

## تشكيل القوى القتالية الإسلامية ..... ٢١٩

وعلم ابو سفيان . عند عودته من الشام . بما عزم عليه النبي ﷺ ، فأرسل رسولا على وجه السرعة الى مكة يطلب العون من قريش<sup>٧٣</sup> ، وحاد عن الطريق متجهاً نحو الساحل وترك بدر بيسار، وانطلق حتى أسرع<sup>٧٤</sup> ، وابتعدا عن منطقة الخطر. وبناءً على طلب ابي سفيان فقد سار تسعمائة وخمسون مقاتلا من مكة الى المدينة لإنقاذ القافلة. ومع ان المشركين قد تنهات اليهم الاخبار عن نجاة القافلة الا ان اصرار ابي جهل أدى بهم الى الاشتباك مع المسلمين.

وبينما كان المسلمون يبحثون عن القافلة، علم النبي ﷺ باقتراب جيش قريش الى منطقة بدر، وكانت عملية اتخاذ القرار عسيرة؛ وذلك لأن المسلمين كانوا قد خرجوا بذلك العدد القليل لأجل الاستيلاء على القافلة التجارية وليس لغرض القتال في مواجهة جيش يفوقهم في العدد ثلاث مئة.

ولو افترضنا انهم ارادوا التراجع والانسحاب لأدى ذلك الى تقويض التأثيرات الاعلامية والنفسية للتحركات العسكرية التي سبق الحديث عنها، وكان من المحتمل ان يلاحقهم العدو ويهجم على المدينة.

وبعد تشكيل لجنة عسكرية واستطلاع النبي ﷺ لآراء المسلمين (وخاصة الانصار) والكلمة الحماسية التي ألقاها المقداد (من المهاجرين) وسعد بن عباد (من الانصار)، عزموا على مقاتلة العدو<sup>٧٥</sup>.

وفي صبيحة يوم السابع عشر من شهر رمضان اندلعت معركة بدر<sup>٧٦</sup>. وفي البداية قتل كل من حمزة، وعبيدة، وعلي بن أبي طالب في المبارزة الفردية نظراءهم وهم كل من شيبة، وعتبة، والوليد بن عتبة<sup>٧٧</sup>.

---

آشوب، مصدر سابق، ص ١٨٧؛ المجلسي، مصدر سابق، ج ١٩، ص ٣٢٣).

٧٣ - ابن هشام، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٥٨؛ الواقدي، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٨.

٧٤ - ابن هشام، مصدر سابق، ص ٢٧٠؛ الواقدي، مصدر سابق، ص ٤١.

٧٥ - ابن هشام، مصدر سابق، ص ٢٦٦ - ٢٦٨؛ الواقدي، مصدر سابق، ص ٤٨ - ٤٩؛ ابن سعد، مصدر سابق، ص ١٤.

٧٦ - ابن هشام، مصدر سابق، ص ٢٧٨؛ ابن سعد، مصدر سابق، ص ١٥ - ١٩ و ٢٠.

٧٧ - ابن هشام، مصدر سابق، ص ٢٧٧؛ ابن سعد، مصدر سابق، ص ١٧ - ٢٣ و ٢٤؛ المجلسي، مصدر سابق، ج ١٩، ص ٢٧٩؛

## ٢٢٠..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى رحلة

النبي ﷺ

وكان مقتل هؤلاء ضربة موجعة زعزعت قادة قريش<sup>٧٨</sup>. ثم وقع القتال بين الفريقين وسرعان ما انتصر جيش المسلمين، وما ان حلّ وقت الظهر<sup>٧٩</sup> الا وكان العدو قد هزم وانسحب من الساحة. وقُتل في هذه المعركة من المشركين سبعون رجلاً<sup>٨٠</sup> وأُسِر منهم سبعون<sup>٨١</sup>، واستشهد من المسلمين اربعة عشر رجلاً<sup>٨٢</sup>.

ووافق رسول الله ﷺ على اطلاق سراح الاسرى مقابل فدية، وأما الآخرون فمن كان منهم يجيد القراءة والكتابة فأمرهم الرسول بتعليم عشرة من شباب الانصار القراءة والكتابة ليطلق سراحهم<sup>٨٣</sup>. واطلق سراح الآخرون بمنّ الرسول<sup>٨٤</sup>.

### عوامل انتصار المسلمين

أدى الانتصار الباهر والسريع للمسلمين في اول معركة عسكرية الى كسر هيبة قريش وأجبتها، وإلقاء الرعب في نفوسهم. وكانت هزيمة قريش مفاجأة غير متوقعة، بحيث ان المبعوث الذي كلّفه رسول الله ﷺ بالاسراع إلى المدينة وإعلان البشري بانتصار المسلمين، ودخلها قبل عودة الجيش، مبشراً بالنصر، لم يصدّقه الناس في بداية الأمر وظنّوه شخصاً مهزوماً وفاراً

---

ابن الاثير، الكامل في التاريخ، (بيروت: دار صادر)، ج ٢، ص ١٢٥.

٧٨ - الشيخ المفيد، الإرشاد، (قم: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، الطبعة ١، ١٤١٣هـ)، ص ٦٩.

٧٩ - الواقدي، مصدر سابق، ص ١١٢. صلى النبي صلاة العصر بعد انتهاء المعركة في طريق العودة إلى المدينة. (الواقدي، مصدر سابق، ص ١١٢ - ١١٤).

٨٠ - ابن سعد، مصدر سابق، ص ١٨؛ الطبري، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٩٤؛ تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ٣٧.

٨١ - ابن سعد، مصدر سابق، ص ١٨ - ٢٢؛ الواقدي، مصدر سابق، ص ١١٦؛ الطبري، مصدر سابق، ص ٢٩٤؛ تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ٣٧؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ١٨٩؛ المجلسي، مصدر سابق، ج ١٩، ص ٢٩١.

٨٢ - ابن سعد، مصدر سابق، ص ١٧؛ تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ٣٧؛ ابن شهر آشوب، مصدر سابق، ص ١٨٩.

٨٣ - تعلّم زيد بن ثابت القراءة والكتابة عن هذا الطريق، (ابن سعد، مصدر سابق، ص ٢٢ - ٢٦).

٨٤ - ابن سعد، مصدر سابق، ص ١٨.

## تشكيل القوى القتالية الإسلامية ..... ٢٢١

من المعركة<sup>٨٥</sup>؛ ولكن سرعان ما جاءوا بالأسرى الى المدينة، ووصلت اصداء هذا الانتصار الى الحبشة. وبعد ما تلقى النجاشي الخبر دعا من كان هناك من مهاجري المسلمين وابلغهم بتلك البشرى السار<sup>٨٦</sup>.

وقال رسول الله ﷺ:

بدر اول معركة اعز الله بها الإسلام وخذل بها أهل الشرك<sup>٨٧</sup>. وقال أيضاً: ما رؤي الشيطان يوماً هو فيه اصغر ولا أحر ولا أحقر ولا أغيب منه في يوم عرفة. وما ذاك الا لما رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام. الا ما رأى يوم بدر<sup>٨٨</sup>.

ويمكن تلخيص اسباب وعوامل هذا الانتصار الباهر للمسلمين في ما يلي:

١. القيادة الصالحة للنبي ﷺ وشجاعته واقدامه\*. وقد قال علي عليه السلام مستذكرا معركة

بدر وما برز فيها من شجاعة النبي ﷺ، ما يلي:

كُنَّا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله ﷺ فلم يكن أحد منا أقرب الى العدو منه<sup>٨٩</sup>.

٢. شجاعة علي عليه السلام وتضحيته الفدّة، فهو وحده قتل نصف عدد من قتلوا من

المشركين<sup>٩٠</sup>.

---

٨٥ - الواقدي، مصدر سابق، ج ١، ص ١١٥.

٨٦ - المصدر السابق، ص ١٢١.

٨٧ - المصدر السابق، ص ٢١.

٨٨ - المصدر السابق، ص ٧٨.

\* - لم تكن لدى رسول الله ﷺ أية تجربة عسكرية قبل البعثة، ولم يذكر له المؤرخون الا حضوره في شبابه (او في صباه) في حرب الفجار، وهو خبر غير موثق. ولكنه رغم ذلك، كان يقود المعركة وكأنه قائد محنك خبرته التجارب، بحيث لم يعرض للمسلمين أي فشل من جانب قيادته.

٨٩ - ابن سعد، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٣؛ مسند احمد بن حنبل، ج ١، ص ١٢٦؛ ابن أبي الحديد، شرح نخب البلاغة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (القاهرة: دار احياء الكتب العربية، ١٩٦١م)، ج ١٣، ص ٢٧٩.

٩٠ - ابن أبي الحديد، مصدر سابق، ج ١، المقدمة، ص ٢٤؛ الشيخ المفيد، الإرشاد، (قم: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، الطبعة

ونقل الشيخ المفيد اسماء خمس وثلاثين من قتلى يوم بدر وقال:

اثبت رواة العامة والخاصة معا اسماء الذين تولى امير المؤمنين عليه السلام قتلهم ببدر من المشركين، على اتفاق في ما نقلوه في ذلك واصطلاح، عدا من اختلفوا في قاتلهم او من شارك علي في قتلهم<sup>٩١</sup>.

٣. رغم ان عددا من المسلمين عند المسير من المدينة اظهروا كراهيتهم وعدم رغبتهم في الخروج<sup>٩٢</sup>، وكشف بعض كبار المهاجرين . في الشورى العسكرية . عن ضعفهم وتكلموا بكلام يبعث في النفوس اليأس والاحباط<sup>٩٣</sup>، الا ان بقية المسلمين كانوا على درجة عالية من الإيمان وقوة الروح المعنوية وقتلوا بكل بسالة واطهروا من الشجاعة ما أثار دهشة المشركين.

٤. الامداد الغيبي<sup>٩٤</sup> الذي حصل على عتق وجوه:

أ. نزول المطر ليلة المعركة، فأخذ المسلمون ما يحتاجون إليه من الماء، ولم يمنعهم من المسير بل سهّله لهم<sup>٩٥</sup>.

١، (١٤١٣هـ)، ص ٧٢.

٩١ - الشيخ المفيد، مصدر سابق، ص ٧٠ - ٧٢. ذكر البلاذري والواقدي ان عددهم ثمانية عشر شخصاً. (أنساب الأشراف، ج ١، ص ٢٩٧ - ٣٠١؛ المغازي، ج ١، ص ١٥٢؛ وكذلك راجع: المجلسي، بحار الانوار، ج ١٩، ص ٢٩٣). وفي معركة الخندق التي وقعت بعد معركة بدر بثلاث سنوات، وبعدما عبر عمرو بن عبد ود - الفارس العربي المعروف - الخندق وطلب من يبارزه، وتبرز إليه علي بن ابي طالب، قال له: لقد كان ابوك نديماً لي وصديقاً فأرجع فاني لا احب ان أقتلك.

قال ابن ابي الحديد المعتزلي، شارح نهج البلاغة بعد نقل هذا الكلام: كان شيخنا ابو الخير مصدق بن شبيب النحوي يقول - اذا امرنا في القراءة عليه بهذا الموضع -: والله ما أمره بالرجوع ابقاءً عليه، بل خوفاً منه، فقد عرف قتلاه ببدر وأحد، وعلم انه ان ناهضه قتله، فاستحيا ان يظهر الفشل، فاطهر الابقاء والارعاء وانه كاذب فيهما. (شرح نهج البلاغة، ج ١٩، ص ٦٤).

٩٢ - سورة الانفال (٨)، الآيات ٥ - ٦.

٩٣ - الواقدي، مصدر سابق، ج ١، ص ٤؛ الحلي، السيرة الحلبية (انسان العيون) (بيروت: دار المعرفة)، ج ٢، ص ٣٨٥ - ٣٨٦؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ١٩، ص ٢٤٧.

٩٤ - سورة آل عمران (٣)، الآية ١٢٣.

٩٥ - سورة الأنفال (٨)، الآية ١١؛ الواقدي، مصدر سابق، ص ٥٤؛ ابن سعد، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٥ و ٢٥.

## تشكيل القوى القتالية الإسلامية ..... ٢٢٣

ب . أصاب المسلمين في تلك الليلة النعاس<sup>٩٦</sup>، وبقي الرسول مستيقظاً وحده الى الصباح يدعو للمسلمين بالنصر<sup>٩٧</sup>.

ج . نزول الملائكة على المسلمين بالنصر وحضورهم في ساحة المعركة<sup>٩٨</sup>.

د . إلقاء الرعب في قلوب المشركين<sup>٩٩</sup>.

### معطيات ونتائج انتصار الجيش الإسلامي

كان لانتصار جيش الإسلام في هذه المعركة معطيات ونتائج عديدة، نوجز قسمًا منها في ما يلي:

١. سبق ان وعد الله المسلمين بالنصر على قافلة قريش أو على جيش مكة<sup>١٠٠</sup>، وقد أعلن النبي ﷺ ذلك الوعد للمسلمين في ختام المداولات التي جرت في اللجنة العسكرية<sup>١٠١</sup>. وبعد ان تحقق هذا النصر للمسلمين عظم أملهم وازدادت ثقتهم بوعد الله ونصره، وترسخ في قلوبهم الايمان.

٢. اثار هذا الانتصار سخط وغضب المنافقين واليهود في المدينة وتولد لديهم شعور بالمذلة والهوان. وعندما دخل بشير الرسول الى المدينة يشرهم بذلك النصر العظيم، انطلق المنافقون يبتون الاشاعات ويقولون: كلفد قُتل محمد وهُزم المسلمون وتفرقوا<sup>١٠٢</sup>. وأظهر اليهود أيضا حقدهم<sup>١٠٣</sup>، فقال احد كبارهم وهو كعب الأشرف:

---

٩٦ - سورة الأنفال (٨)، الآية ١١؛ الواقدي، مصدر سابق، ص ٥٤؛ الحلبي، مصدر سابق، ص ٣٩٢. بينما بقي المشركون يقظين حتى الصباح من شدة الرهبة، ولم يأكلوا شيئاً بسبب اضطرابهم. (الواقدي، مصدر سابق، ص ٥٤).

٩٧ - الشيخ المفيد، مصدر سابق، ص ٧٣؛ مسند احمد، ج ١، ص ١٢٥؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ١٩، ص ٢٧٩.

٩٨ - سورة الأنفال (٨)، الآية ٩؛ الواقدي، مصدر سابق، ص ٧٦ - ٧٩؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٨٦.

٩٩ - سورة الأنفال (٨)، الآية ١٢.

١٠٠ - سورة الأنفال (٨)، الآية ٧.

١٠١ - الواقدي، مصدر سابق، ص ٤٩.

١٠٢ - المصدر السابق، ص ١١٥؛ البلاذري، انساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، (القاهرة: دار المعارف، الطبعة ٣)، ج ١، ص ٢٩٤.

١٠٣ - الطبري، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٩٧.

## ٢٢٤..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى رحلة

النبي ﷺ

هؤلاء اشرف العرب وملوك الناس، والله لئن كان محمد اصاب هؤلاء القوم، لبطن الارض خير من ظهرها<sup>١٠٤</sup>.

٣. اعتبرت القبائل المجاورة للمدينة هذا النصر دلالة على احقية الإسلام ونصر الله، وعلى اثر ذلك أخذوا يدخلون في الإسلام. قال اليعقوبي في هذا المجال:  
بعدهما اعز الله نبيّه [في معركة بدر] وقتل من قريش من قتل اوفدت العرب وفودها الى رسول الله ﷺ.

وقال أيضا في موضع آخر:

بعد اربعة او خمسة اشهر من معركة بدر حاربت ربيعة كسرى وكانت وقعتهم بذى قار، فقالوا عليكم بشعار التهامي؛ فنادوا: يا محمد، يا محمد، فهزموا جيوش كسرى وقتلهم<sup>١٠٥</sup>.

٤. ادركت قريش بأنها قد اخطأت في تقديرها لقوة النبي ﷺ والمسلمين. فلم يكن يخطر لهم ببال بأنهم سيواجهون مثل هذه الهزيمة النكراء على يد عدد من الفارين وبالتعاون مع جماعة من الفلاحين. على حد تعبيرهم. وقد ادرك القرشيون بأن تجارتهم باتت في خطر، ولم يعد بإمكانهم التعويل على الطريق التجاري بين مكة والشام الذي يمر قرب بدر؛ فقال صفوان بن أمية في جمع من سادة قريش في مكة:

نحن في دارنا هذه ان اقمنا نأكل من رؤوس اموالنا فمالنا بها من نفقات. وانما نزلناها على التجارة في الصيف الى الشام وفي الشتاء الى ارض الحبشة، وان محمداً واصحابه قد عوّروا علينا طريق تجارتنا على الساحل الى الشام لا يبرحونه، وقد وادعوا اهلهم ودخل عاقبتهم معهم، فما ندري اين نسلك؟

وفي الختام قرر هذا الجمع استئناف التجارة الى الشام عن طريق العراق. ثم ان صفوان خرج على رأس قافلة تجارية كان سهمه وحده فيها ثلاثمائة ألف درهم.

وسارت هذه القافلة الى الشام عن طريق العراق. ولما سمع رسول الله ﷺ بمسيرها، بعث

١٠٤ - الواقدي، مصدر سابق، ج ١، ص ١٢١؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج ٣، ص ٥٥؛ راجع: البيهقي، ج ٢، ص ٣٤١.

١٠٥ - تاريخ اليعقوبي، (النحف: المكتبة الحيدرية، ١٣٨٤هـ)، ج ٢، ص ٣٨.





## ٢٢٦..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى رحلة

النبي ﷺ

من جديد واتخاذ التدابير اللازمة لتلافي وقوع مثل هذه الحوادث مرة اخرى لو ابدى اليهود حسن نية ورغبة في استتباب الأمن، ولكنهم لجأوا الى قلعته وتحصنوا فيها، فأمر رسول الله ﷺ بمحاصرتهم، وكانت محاصرته ايامهم خمس عشرة ليلة. ثم ان عبد الله بن أبي بن سلول (الخزرجي) الذي كان حليفا لهم، التمس رسول الله ﷺ بالعفو عنهم، فوافق رسول الله على ان يسلموا سلاحهم الى المسلمين ويجلوا من المدينة، فنزحوا الى اذرعات من ارض الشام، وكان ذلك في شهر شوال من السنة الثانية للهجرة<sup>١١٠</sup>.

كان بنو قينقاع اشجع اليهود<sup>١١١</sup>، والذي يبدو من كلامهم انهم كانوا مغرورون بما لديهم من قوة وعقل، ولعلمهم كانوا يعولون في ذلك على احلافهم من الخزرج وبنو عوف<sup>١١٢</sup>؛ ولكن لاحظنا بأن الخزرج لم يستطيعوا ان يفعلوا لهم اكثر من الوساطة لهم عند رسول الله للتساهل في معاقبتهم<sup>١١٣</sup>، كما ان عبادة بن الصامت اعلن براءته منهم<sup>١١٤</sup>. ومن جانب آخر كانت القبيلتان اليهوديتان الاخرتان وهما بنو النضير وبنو قريظة حليفتين سابقتين لقبيلة الاوس، وهذا ما منعهما من النهوض لمؤازرة بني قينقاع، ولعل سيد الأوس سعد بن معاذ كان له تأثيره في منع تدخلهما في هذه القضية. وعلى اية حال فقد كان لإجلاء هذه القبيلة عن المدينة فائدة للمسلمين وهي تشتيت قدرة هذه القبائل الثلاثة، مضافاً الى ذلك انطوى على تحذير لبقية يهود المدينة لعدم التورط في مثل هذا الخطأ!

### زواج علي عليه السلام من فاطمة عليها السلام

١١٠ - الواقدي، مصدر سابق، ج١، ص١٧٦؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج٣، ص٥٠ - ٥٢؛ البلاذري، مصدر سابق، ج١،

ص٣٠٨ - ٣٠٩؛ الطبري، مصدر سابق، ج٢، ص٢٩٧ - ٢٩٨.

١١١ - الواقدي، مصدر سابق، ص١٧٨.

١١٢ - الواقدي، مصدر سابق، ص١٧٨؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج٣، ص٥٠.

١١٣ - يبدو ان رسول الله (ص) قبل وساطة عبد الله بن أبي فيهم بحكم انه كان في الظاهر مسلماً ولأجل ما كان يقوم به من عمل عمل لصيانة وحدة المسلمين ومنع المزيد من توتر الأوضاع.

١١٤ - الواقدي، مصدر سابق، ص١٧٩.

## تشكيل القوى القتالية الإسلامية ..... ٢٢٧

في اعقاب انتصار المسلمين في معركة بدر، وما عاد به عليهم ذلك النصر من عز وشموخ، حصلت مناسبة كريمة اخرى في دار رسول الله ﷺ وهي زواج علي بن ابي طالب من السيدة فاطمة بنت النبي<sup>١</sup>.

ونظرا لما كانت تتمتع به السيدة فاطمة من صلاح وفضيلة وما كان لها من مكانة منبثقة مما كان للرسول من احترام وقداسية، فقد كانت شخصية متميزة يطمح الكثير من وجهاء القوم الى خطبتها. فقد خطبها عدد من اصحاب النبي البارزين وكان قسم منهم من الاثرياء، الا ان الرسول رفض طلبهم<sup>٢</sup>، وقال: **كنتظر بها القضاء**<sup>٣</sup>.

فجاءوا الى علي وقالوا له: لولا اتيت رسول الله ﷺ فذكرت له فاطمة، فجاء الى رسول الله ﷺ وعرض عليه الأمر. ثم ان رسول الله عرض عليها الأمر لمعرفة رأيها، فوافق على خطبة علي عليه السلام<sup>٤</sup>، وقال لابنته:

اني زوّجتك اقدمهم سلما واحسنهم خلقا<sup>٥</sup>. وقال لعلي عليه السلام:

لقد عاتبني رجال من قريش في امر فاطمة، وقالوا:

خطبناها إليك فمنعتنا وزوّجت عليا، فقلت لهم: والله ما أنا منعتكم وزوجته، بل الله منعكم وزوجه، فليس لفاطمة كفو على وجه الارض الا علي<sup>٦</sup>.

وجرت مراسيم هذا الزواج بشكل بسيط وفي اجواء مفعمة بالحبّة والوئام وبمهر قليل<sup>٧</sup> وجهاز بسيط<sup>٨</sup>، حتى اعتبر هذا الزواج واحداً من ابرز مظاهر تكريم القيم المعنوية في التزويج

١ - المجلسي، بحار الانوار، ج٤٣، ص٩٧.

٢ - المجلسي، مصدر سابق، ص١٠٨؛ ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣٤.

٣ - ابن سعد، الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر)، ج٨، ص١٩.

٤ - المجلسي، مصدر سابق، ص٩٣.

٥ - العلامة الأميني، الغدير، ج٣، ص٢٠.

٦ - المجلسي، مصدر سابق، ص٩٢.

٧ - المصدر السابق، ص١١٢.

٨ - للاطلاع على مزيد من المعلومات في هذا المجال، راجع: الدكتور السيد جعفر شهيدى، زندگانی فاطمة زهراء (عليها السلام)،

## معركة احد

في اعقاب هزيمة قريش في معركة بدر بدأت تعد العتق للانتقام من المسلمين؛ وأنفقت لهذا الغرض أرباح قافلة تجارية كانت قد عادت الى مكة بسلام<sup>١</sup>، واستعانت بكثير من القبائل، وسارت على اتم العتق والعدد<sup>٢</sup> من مكة، وجلبت معها جماعة من النساء لتشجيع المقاتلين في ساحة المعركة<sup>٣</sup>. وقد علم رسول الله ﷺ بما عزم عليه قريش عن طريق تقرير سبي<sup>٤</sup> بعثه إليه عمه العباس من مكة<sup>٥</sup>، وشكل مجلساً عسكرياً استطلع فيه آراء المسلمين في كيفية مجابهة العدو. واعلنت بعض الشخصيات البارزة وعدد من كبار الانصار، ومنهم عبد الله بن أبي ان الرأي هو البقاء في المدينة واتخاذ موقف دفاعي في داخل المدينة. في حين كان رأي الشبان الذين لم يشهدوا بدرًا وغيرهم من كبار المهاجرين والانصار مثل حمزة هو أن تجري مجابهة العدو خارج المدينة؛ لأن البقاء في المدينة يوحي الى العدو بضعف المسلمين ويمنحه الجرأة والاقدام عليهم، واعتبروا ذلك أمراً لا يتناسب مع ما أظهره جيش الإسلام من قوة في معركة

السلام)، (طهران: مكتب نشر الثقافة الاسلامية، ١٣٦٥هـ.ش)، ص ٤٤ - ٧٦، امير مهنا الخيامي، زوجات النبي واولاده، (بيروت: مؤسسة عز الدين، ط ١، ١٤١١هـ)، ص ٣٢٢ - ٣٢٨.

١ - الواقدي، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٠٠؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج ٣، ص ٦٤؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٧.  
٢ - كان عدد جيش المشركين ثلاثة آلاف، وكان سبعمائة منهم دارعين، وكان عدد خيلهم مائتين وابلهم ألفاً. >الواقدي مصدر سابق، ص ٢٠٣ - ٢٠٤؛ محمد بن سعد، مصدر سابق، ص ٣٧؛ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة (القاهرة: دار احياء الكتب العربية، ١٩٦٢م)، ج ١٤، ص ٢١٧.

٣ - الواقدي، مصدر سابق، ص ٢٠٢ - ٢٠٣؛ ابن سعد، مصدر سابق، ص ٣٧؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج ٣، ص ٦٦.  
٤ - الواقدي، مصدر سابق، ص ٢٠٤ و ٢٠٦؛ ابن ابي الحديد، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٢٧. ورد في خبر آخر ان قبيلة خزاعة التي كان هواها مع النبي (ص) ومع الاسلام والمسلمين، هي التي ابليت الرسول بما عزم عليه قريش. (ابن ابي الحديد، مصدر سابق، ص ٢١٨) ويُحتمل ان الخبر وصله عن كلا الطرفين.

بدر<sup>١</sup>.

وفي ختام المداولات أقر النبي ﷺ رأي هذه الجماعة التي ينم رأيها عن شجاعة وبسالة<sup>٢</sup>، فسار نحو جبل أحد\* في ألف ورجع عبد الله بن أبي في كتيبة وهو يقول: عصاني وأطاع الولدان ومن لا رأي له<sup>٣</sup>، متدرباً بأنه لن تكون هناك معركة<sup>٤</sup>، ورجع معه ثلاثمائة الى المدينة. ولما رأى رسول الله ﷺ ان جيش الإسلام نقص الى السبعمئة<sup>٥</sup>، جعل الجيش عند جبل أحد، وجعل الجبل خلف الجيش، والمدينة امامه وجبل العينين عن يساره<sup>٦</sup>، وجعل جيش المسلمين نحو الغرب، وجيش المشركين نحو الشرق<sup>٧</sup>.

ثم ان الرسول ألقى نظرة عسكرية الى المنطقة والتفت الى أهمية جبل عينين؛ لأنه كان من المحتمل ان يتسلل العدو من تلك المنطقة اثناء القتال ويلتف من وراء جبهة المسلمين، لذلك انتدب خمسين من الرماة وجعل عليهم فارساً اسمه عبد الله بن جبير، وكلفهم بحماية تلك المنطقة وقال لهم:

قوموا على مصافكم هذه فاحموا ظهورنا؛ فان رأيتمونا قد هزمناهم حتى ادخلناهم مكة فلا

١ - الواقدي، مصدر سابق، ص ٢١٠، ٢١٢ و ٢١٣؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج ٣، ص ٦٧؛ ابن سعد، مصدر سابق، ص ٣٨.

٢ - ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب (قم: المطبعة العلمية)، ج ١، ص ١٩١؛ المجلسي، مصدر سابق، ج ٢٠، ص ١١٧.

\* - يقع جبل أحد في شمال المدينة. ونظراً لوجود حواجز طبيعية من جهة الجنوب فلم يكن باستطاعة العدو دخولها من تلك الجهة، وانما كان عليه ان يدور حول المدينة ليهاجم عليها من جهة الشمال. (محمد حميد الله، الرسول القائد، ص ٧٩ - ٨٥).

٣ - الواقدي، مصدر سابق، ج ١، ص ٢١٩؛ ابن سعد، مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٩؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج ٣، ص ٦٨.

٤ - سورة آل عمران (٣)، الآية ١٦٧؛ الواقدي، مصدر سابق، ص ٢١٩؛ الطبرسي، مجمع البيان (شركة المعارف الاسلامية، ١٣٧٩هـ)، ج ٢، ص ٥٣٣.

٥ - الطبرسي، أعلام الوري، (طهران: دار الكتب الاسلامية، الطبعة ٣)، ص ٨٠؛ ابو سعيد واعظ الخرگوشي، شرف النبي، ص ٣٤٥؛ الحلبي، السيرة الحلبية (انسان العيون) (بيروت: دار المعرفة)، ج ٢، ص ٤٩٤؛ ابن هشام، مصدر سابق، ص ٧٠.

٦ - الواقدي، مصدر سابق، ص ٢٢٠؛ ابن سعد، مصدر سابق، ص ٣٩؛ نور الدين السهمودي، وفاء الوفاء باخبار دار المصطفى (بيروت: دار احياء التراث العربي، الطبعة ٣، ١٤٠١هـ)، ج ١، ص ٢٨٤.

٧ - الواقدي، مصدر سابق، ص ٢٢٠.

## ٢٣٠..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى رحلة

النبي ﷺ

تبرحوا من هذا المكان، وان رأيتموهم قد هزمونا حتى ادخلونا المدينة فلا تبرحوا هذا المكان<sup>١</sup>.\*  
وراح ابو سفيان يعبئ جيش المشركين ويختار من يحملون لواء كل طائفة؛ في ذلك الوقت كان حامل اللواء دور أساسي، ولهذا السبب كانوا يسلّمون اللواء لمن يُعرف بالشجاعة والاقدام. كان بقاء اللواء شامخاً يُعرف في ميدان القتال يبعث الثقة في نفوس المقاتلين، وعلى العكس من ذلك يؤدي مقتل حامل اللواء الى الاحباط وتثبيط العزائم. وقد اختار ابو سفيان حملة الرايات من بني عبد الدار (الذين كانوا معروفين بالشجاعة) وقال لهم:

يا بني عبد الدار! انكم قد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم، وانما يُؤتى الناس من قبل راياتهم؛ اذا زالت زالوا<sup>٢</sup>.

---

١ - المجلسي، مصدر سابق، ج ٢٠، ص ٢٥ و ٤٩؛ راجع: ابن هشام، مصدر سابق، ج ٣، ص ٧٠؛ ابن سعد، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٠ - ٣٩؛ السهمودي، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٨٥؛ محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك (بيروت: دار القاموس الحديث)، ج ٣، ص ١٤.

\* - ذكرت المصادر التاريخية ان الموضع الذي تُدب له الرماة المسلمون كان جبلاً أو قَم شُعب. والتصور الشائع هو ان هذا الموضع كان شقاً في جبل أحد، وقد التف خالد بن الوليد من هناك على المسلمين في الصفحة التالية من المعركة. غير ان محمد بن سعد الذي تُعتبر اخبار ومعلومات استاذة الواقدي بشأن حروب الرسول وغزواته وخاصة مواقعها العسكرية، أكثر دقة ووثاقة (المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، مقدمة، ص ٦، ق ٣١) يذكر هذا الموضع باسم عينين (الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٣٩) ويطبقه على الجبل الذي اشترنا الى انه يقع الى يسار جيش المسلمين ويدعو انه سمي بهذا الاسم لوجود عينين الى جانبه (الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٣٩) وقد ذكر علماء الجغرافيا المسلمون القدامى هذا الجبل. فقد كتب ياقوت الحموي ما يلي: عينين: جبل من جبال أحد بينهما واد. (معجم البلدان، ج ٤، ص ١٧٤، كلمة عين) وقال عبد الله البكري الأندلسي أيضاً: جبل عينين بأحد، وفي هذا الجبل أقام رسول الله (ص) الزّامة يوم أحد. (معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج ٣، ص ٩٧٨، كلمة عين). ويمكن ان يُفهم من خلال ملاحظة الوثائق والشواهد والقرائن التاريخية والجغرافية، ومن خلال مشاهدة منطقة أحد عياناً ان عينين عبارة عن تل ترابي يقع في مقابل جبل أحد من جهة المدينة، وقد وقعت المعركة بينه وبين أحد، وتقع بين هذين الجبلين قبور شهداء هذه المعركة الذين دفنوا في ساحة المعركة، وهذا يعني ان موضع الرماة لم يكن على جبل أحد. وكما شاهدت الموضع عن كثب فأن جبل أحد ليس فيه مثل هذا الشق الذي يمكن ان يعبر منه مائتا فارس. وقد كتب البروفسور محمد حميد الله، الذي درس ساحة معركة أحد بدقة في الاعوام ١٩٣٢، و ١٩٤٥، و ١٩٤٧، و ١٩٦٣ بحثاً قيمة في هذا المجال. راجع: الرسول القائد، ص ٩٠).

٢ - الواقدي، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٢١؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٠٦.

### انتصار المسلمين في الجولة الاولى من الحرب

بدأت معركة أحد في يوم الخامس من شوال في السنة الثالثة للهجرة<sup>١</sup>. ولم يمض وقت طويل حتى انتصر المسلمون على المشركين وهزمهم. ولم تكن هزيمتهم بسبب كثرة القتلى؛ لأن عدد من قُتل منهم حتى آخر المعركة (على أساس أكبر رقم ذكر في هذا المجال) لم يتجاوز الخمسين قتيلًا<sup>٢</sup>. ولم يكن هذا العدد يُمثل شيئاً ذا بال بالقياس الى عدد جيشهم، وإنما كان سبب هزيمتهم مقتل حملة راياتهم حيث قُتل تسعة منهم بسيف علي<sup>عليه السلام</sup><sup>٣</sup>؛ فبعدما توالى سقوط راياتهم حبطت معنوياتهم ولاذوا بالفرار<sup>٤</sup>. وبقي علي في ما بعد يذكر هذا الموقف؛ معتبراً اياه من جملة مآثره المشرفة عندما تكلم في شورى الخلافة التي تشكلت من ستة اشخاص لاختيار خليفة في اعقاب مقتل عمر، وأيده فيها اعضاء الشورى<sup>٥</sup>.

وبعد مقتل حملة رايات قريش تبددت صفوف جيش الشرك وولوا فارين. وبعد الحاق الهزيمة بهم انهمك المسلمون بجمع الغنائم، وعند مشاهدة الرماة لهذا الموقف دفعهم الطمع بجمع الغنائم الى ترك مواضعهم، وظنّوا ان المعركة قد حُسمت ولم يلتفتوا الى نداءات عبد الله بن جبير الذي دعاهم الى الالتزام بأمر الرسول<sup>٦</sup>.

١ - المجلسي، بحار الانوار، ج ٢٠، ص ١٨؛ العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، (دار احياء التراث العربي، الطبعة ١، عام ١٣٢٨هـ)، ج ١، ص ٣٥٤. وقيل أيضاً في اليوم الثالث، السابع، الثامن، التاسع، الحادي عشر، من شوال (تاريخ الأمم والملوك، ج ٣، ص ١٤؛ وفاء الوفاء باخبار دار المصطفى، ج ١، ص ٢٨١).

٢ - راجع: السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٥٤٧. ذكرت بعض المصادر انه قُتل من المشركين ٢٣، وذكرت مصادر اخرى ٢٨ قتيلًا. (ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٥، ص ٥٤؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٤٣؛ البلاذري، انساب الأشراف، ج ١، ص ٣٢٨).

٣ - الشيخ المفيد، الإرشاد (قم: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، الطبعة ١، ١٤١٣هـ)، ص ٨٨؛ المجلسي، مصدر سابق، ج ٢٠، ص ٥١؛ الطبرسي، مجمع البيان، (شركة المعارف الإسلامية)، ج ٢، ص ٤٩٦.

٤ - الطبري، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٧؛ ابن سعد، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤١؛ السهودي، وفاء الوفاء، ج ١، ص ٢٨٨؛ المجلسي، مصدر سابق، ج ٢٠، ص ٢٦.

٥ - الشيخ الصدوق، الخصال (قم: منشورات جامعة المدرسين في الحوزة العلمية، ١٤٠٣هـ)، ص ٥٦٠.

٦ - سورة آل عمران (٣)، الآية ١٥٢.

### انتصار المشركين

أدت مخالفة الرماة لأمر الرسول الى ان يتبدل مصير المعركة؛ اذ استغل خالد بن الوليد تلك الفرصة، وهجم على ذلك الموضع بمائتي فارس، وقتل عبد الله بن جبير والرماة العشرة الذين ثبتوا معه، والتف على جيش المسلمين وهجم عليهم من خلفهم.

ومن جانب آخر حملت عَمْرَة - بنت علقمة التي جاءت مع من جاء من نساء قريش الى ساحة المعركة - الراية من الارض ونصبتها<sup>١</sup>. وعندما شاهدت قريش هجوم خالد واهتزاز الراية انبعث فيهم العزم واعادوا الكف على المسلمين<sup>٢</sup>. ولم يستطع المسلمون الصمود بسبب انقراط نظم صفوفهم وانقطاع الاتصال بين القادة والمقاتلين، وهُزموا هزيمة نكراء. وكانت هناك عدّة عوامل اخرى ساعدت على إلحاق هذه الهزيمة بهم، منها:

١. أشيع بان النبي قد قُتل<sup>٣</sup>.

٢. في ذلك العصر لم يكن أي من الفريقين يرتدي ثيابا عسكرية تميّزه عن الفريق الآخر، وكانوا في ساحة الحرب يُعرفون بشعاراتهم ونداءاتهم فحسب. وعندما اعادت قريش الكرة على المسلمين دبّ في صفوفهم مزيد من الاضطراب، ولم يعرف احدهم الآخر وسلّوا السيوف على بعضهم<sup>٤</sup>، حتى ان حُسَيْل بن جابر - والد حذيفة بن اليمان - قُتل بسيوف المسلمين<sup>٥</sup>. ولكنهم بعدما ربط جأشهم وافاقوا من صدمة الهجوم المضاد وهتفوا بشعاراتهم

١ - ابن هشام، مصدر سابق، ج٣، ص٨٣؛ الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص١٧؛ المجلسي، مصدر سابق، ج٢٠، ص٥١؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج٢، ص٤٩٦. قال حستان بن ثابت - شاعر الرسول يهجو قريشا ويعيّرهم بما فعلته عمرة: ولولا الحارثية أصبحوا يُباعون في الاسواق بالثمن البخس (ابن هشام، مصدر سابق، ج٣، ص٨٤؛ ابن ابي الحديد، مصدر سابق، ج١٤، ص٢١٧).

٢ - ابن سعد، مصدر سابق، ج٢، ص٤٢ - ٤١؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج٣، ص٨٢؛ الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص١٧؛ المجلسي، مصدر سابق، ج٢٠، ص٤٩ - ٢٦.

٣ - ابن هشام، مصدر سابق، ج٣، ص٨٢؛ مصدر سابق، ج٣، ص١٧؛ المجلسي، مصدر سابق، ج٢٠، ص٢٧ - ٢٦.

٤ - ابن سعد، مصدر سابق، ج٢، ص٤٢؛ راجع: وفاء الوفاء، ج١، ص٢٨٦.

٥ - ابن سعد، مصدر سابق، ج٢، ص٤٣ و٤٥؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج٣، ص٩٣؛ السمهودي، مصدر سابق، ج١،



## تشكيل القوى القتالية الإسلامية ..... ٢٣٣

تغير موازين القوى<sup>١</sup>.

٣. ان الريح قد حالت فصارت دبوراً (تهب من الغرب) بعدما كانت صبا (تهب من الشرق)، وصعب على المسلمين القتال<sup>٢</sup>.

وعلى اية حال فقد اضطرت صفوف المسلمين بحيث انهزم اكثرهم، وصعد عدد منهم فوق الجبل، بينما بقي الرسول ﷺ مرابطاً في ساحة القتال ويدعو الفارين الى الثبات والصمود<sup>٣</sup>، وثبت معه علي عليه السلام وعدد آخر من المسلمين<sup>٤</sup>. فقد بقي علي الى جانبه يذود عنه بالسيف، ودفع عنه عدّة مرات هجمات كتائب الاعداء<sup>٥</sup>.

وفي خضم هذا الاستبسال وهذه الشجاعة الفذة هتف هاتف في السماء: لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي<sup>٦</sup>.

وفي تلك الاثناء عرف احد المسلمين الرسول ﷺ، وكان هناك الى جانبه عدد ممن ثبتوا معه في المعركة، او الذين عادوا بعد ان كانوا قد فترّوا والتفّوا حوله وظلّوا يقاتلون الى ان وصلوا

---

ص ٢٨٨؛ السيّد علي خان المدني، الدرجات الرفيعة (قم: منشورات مكتبة البصيرتي، ١٣٩٧هـ)، ص ٢٨٣.

١ - البلاذري، انساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، (القاهرة: دار المعارف، ط ٣)، ص ٣٢٢.

٢ - ابن سعد، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٢.

٣ - سورة آل عمران (٣)، الآيات ١٥٣ - ١٥٤؛ البلاذري، مصدر سابق، ص ٣١٨؛ الطبري، مصدر سابق، ج ٣، ص ٢٠؛ ابن سعد، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٧؛ ابن أبي الحديد، مصدر سابق، ج ١٥، ص ٢٣ و ٢٥.

٤ - ابن سعد، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٧؛ ابن أبي الحديد، مصدر سابق، ج ١٥، ص ٢١ و ٢٩.

٥ - الشيخ المفيد، الإرشاد (قم: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ١٤١٣هـ)، ص ٨٩؛ الطبري، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٧؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، (بيروت: دار صادر)، ج ٢، ص ١٥٤؛

ابن أبي الحديد، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٢٥٠؛ الحافظ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق (ترجمة الإمام علي بن أبي طالب) تحقيق: محمد باقر المحمودي (بيروت: دار التعارف للمطبوعات، الطبعة ١، ١٣٩٥هـ)، ج ١، ص ١٥٠؛ المجلسي، مصدر سابق، ج ٢٠، ص ٨٨.

٦ - الطبري، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٧؛ ابن أبي الحديد، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٢٥١؛ الشيخ المفيد، مصدر سابق، ص ٨٧؛ المجلسي، مصدر سابق، ج ٢٠، ص ٥٤، ١٠٣، ١٠٥ و ١٠٧.

الى الجبل<sup>١</sup>؛ ثم أخذ غبار المعركة ينجلي.

وهناك بادر ابو سفيان الى هجمة اعلامية يهدف من ورائها إضعاف معنويات المسلمين، فأخذ يردد شعار: اعلُ هُبُل، اعلُ هُبُل. فقال رسول الله ﷺ في الرد عليه: الله أعلى وأجل. فقال ابو سفيان: لنا العزى ولا عُزى لكم. فقام أحد المسلمين بأمر رسول الله ورد عليه بالقول: الله مولانا ولا مولى لكم<sup>٢</sup>.

وقتل في هذه المعركة من المسلمين . بناء على المشهور . سبعون<sup>٣</sup> منهم حمزة عم النبي ﷺ، ومصعب بن عمير.

ورغم ان المسلمين قد هزموا في أحد، وبقيت قوات قريش على حالها لم يُصبها الكثير من الخسائر، ويشير التقييم الظاهري للامور بأنهم لو هجموا على المدينة لكان النصر لهم، الا ان الرعب الذي كان يملأ قلوب زعماء قريش وخشيتهم من عواقب هذا العمل<sup>٤</sup> جعلهم ينشئون عن مهاجمة المدينة وينصرفون نحو مكة، واكتفوا بما اوقعوه من قتلى بين المسلمين انتقاما لمن قُتل منهم في بدر، بينما لم يُلحقوا أي ضرر بالمدينة، ولا وقروا الحماية لطريق التجارة الى الشام.

وفي اليوم التالي للمعركة بادر الرسول ﷺ الى القيام بتحرير<sup>٥</sup> عسكري كان الهدف منه الايحاء للعدو بأن المسلمين لا زالوا على قوتهم، ولكي لا يتكون لدى المشركين شعور بأن

١ - الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص١٩؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج٣، ص٨٩ - ٨٨؛ المجلسي، مصدر سابق، ج٢٠، ص٥٤.

٢ - ابن سعد، مصدر سابق، ج٢، ص٤٨ - ٤٧؛ البلاذري، مصدر سابق، ج١، ص٣٢٧؛ الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص٢٤؛ ابن ابى الحديد، مصدر سابق، ج١٥، ص٣١ - ٣٠؛ ابو سعيد واعظ الخرگوشي، شرف النبي؛ الحلبي، مصدر سابق، ج٢، ص٥٣١؛ المجلسي، مصدر سابق، ج٢٠، ص٣٢ و٤٥.

٣ - البلاذري، مصدر سابق، ج١، ص٣٢٨؛ الطبرسي، إعلام الوری (طهران: دار الكتب الاسلامية، ط٣)، ص٨٢؛ ابو سعيد واعظ الخرگوشي، مصدر سابق، ص٣٤٦؛ السمهودي، مصدر سابق، ج١، ص٢٩١ - ٢٩٢؛ المجلسي، مصدر سابق، ج٢٠، ص١٨؛ الحلبي، مصدر سابق، ج٢، ص٥٤٧.

٤ - ابن هشام، مصدر سابق، ج٣، ص١١٠؛ الحلبي، مصدر سابق، ج٢، ص٥٥٠.

## تشكيل القوى القتالية الإسلامية ..... ٢٣٥

المسلمين قد وهنوا، ويتجرون عند ذاك على مهاجمة المدينة؛ فصار بجيش المسلمين . وكان أكثرهم جرحى . وتبع جيش المشركين الى ارض <حمراء الاسد>، ولما تأكد انهم ليسوا بصدد الاعداد لهجوم جديد، قفل راجعاً الى المدينة<sup>١</sup>.

### نتائج الهزيمة في معركة احد

يمكن تلخيص بعض آثار ونتائج هزيمة المسلمين في معركة أحد، بما يلي:

١. رغم ان المسلمين هزموا عسكرياً في هذه المعركة، ولكنهم تعلّموا ان لا يعصوا أمر الرسول، ولم يتكرر منهم مثل هذا العصيان في المعارك اللاحقة.
٢. حاول المنافقون إثارة الفتن واظهروا السرور لما أصاب المسلمين، وصاروا يوجهون اليهم اللوم والتفريع<sup>٢</sup>.
٣. كشف اليهود عن احقادهم وقالوا: ان محمداً يريد السلطان، وإلا فليس من نبي مُني بمثل هذه الهزيمة<sup>٣</sup>.
٤. وجد أعداء الإسلام في اطراف المدينة في انفسهم الجرأة على التآمر وإثارة الفتنة، وبرز مثال على ذلك ما قامت به قبيلة بني أسد من تحيّز للهجوم على المدينة، وحادثة الرجيع، وبئر معونة.

٥. بعد رجوع المسلمين الى المدينة، خيّم على الاجواء حالة من الحزن والغم، وسادت ربوع المدينة مشاعر اليأس والاحباط. وكان مما كرس هذه المشاعر تلك الهواجس التي اخذ ييشها المنافقون واليهود في المدينة وجاءت امتدادا للحرب النفسية التي اطلقها ابو سفيان في أحد. وقد بدّد الباري تعالى هذه الآثار والانعكاسات وشحذ معنويات المسلمين في عدة آيات نزلت في سورة آل عمران. واستنادا الى ما قاله ابن اسحاق فإنّ ستين آية من آيات

١ - ابن هشام، مصدر سابق، ج٣، ص١٠٧ و١١٠؛ ابن ابي الحديد، مصدر سابق، ج١٥، ص٣١ و٣٣؛ الحلي، مصدر سابق،

ج٢، ص٥٥٠؛ المجلسي، مصدر سابق، ج٢٠، ص٤٠، ٤١ و٩٩.

٢ - الواقدي، مصدر سابق، ج١، ص٣١٨ - ٣١٧.

٣ - الواقدي، مصدر سابق، ج١، ص٣١٧؛ الحلي، مصدر سابق، ج٢، ص٥٤٩.

هذه السورة جاءت حول معركة أحد<sup>١</sup>. وقد بين الله عز وجل للمسلمين في هذه الآيات سبب هزيمتهم ومحدد إياهم بأنهم اذا كانوا قد هُزموا عسكرياً فلا ينبغي ان يُسيطر عليهم اليأس فيهمزموا نفسياً، مشيراً الى ان سر هزيمتهم يكمن في عدم انضباطهم العسكري، واقبالهم على مال الدنيا. وان كان الله قد نصرهم بيدرك ذلك لأنهم كانوا يجاهدون في سبيله فقط. ولكنهم في هذه المعركة سارعوا نحو الغنائم ففشلوا. نعرض في ما يلي عددا من آيات سورة آل عمران:

{وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}.

{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}.

{وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}.

{وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ

الظَّالِمِينَ}.

{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ}.

{وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ}.

{وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ

مَنْ بَعْدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ

لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ}.

{ أَوَلَمَّا أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}٢.

أدت الهزيمة في معركة أحد الى زعزعة الثقة بالقدرة العسكرية للمسلمين وشجعت اعداء الإسلام في اطراف المدينة الى الوقوف ضد المسلمين والتآمر عليهم. وكان اختيار تلك البرهة

١ - ابن هشام، مصدر سابق، ج٣، ص١١٢.

٢ - سورة آل عمران (٣)، الآيات ١٢٣، ١٣٢، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٣، ١٥٢ و١٦٥.

## تشكيل القوى القتالية الإسلامية ..... ٢٣٧

الزمنية للتآمر والتخطيط للهجوم على المدينة ناتج عن ذلك التصوّر المغلوط الذي تكوّن في أذهانهم عن الوهن العسكري للمسلمين<sup>١</sup>. نشرح في ما يلي امثلة من تلك المؤامرات:

### ١. الهجوم الفاشل لبني أسد:

تناهى الى أسماع الرسول خبر مفاده ان بني أسد يخططون للهجوم على المدينة؛ فدعا رسول الله أبا سلمة وعقد له لواءً وبعث معه مائة وخمسين رجلاً، وقاله له: سر حتى تنزل ارض بني أسد فأغر عليهم قبل ان تتلاقى عليك جموعهم. فاسرع السير مجتنباً سنن الطريق وسبق الاخبار، وافلت القوم وتفرّقوا في كل ناحية، وعاد ابو سلمة بغنائم وعدد من الاسرى الى المدينة<sup>٢</sup>.

وقد أدّى هذا النصر الى اعادة الثقة بالقدرة العسكرية للمسلمين الى حدٍّ ما، وادركت القبائل النازلة الى جوار المدينة بأن المسلمين لم ينهاروا مثلما كانوا يتصورون.

### ٢. حادثة الرجيع:

وقعت هذه الحادثة في شهر صفر من السنة الرابعة للهجرة، حيث قدم افراد من قبيلة <عضل والقارة> بتحريض من قبيلة <بني لحيان> وتظاهروا باعتناق الإسلام، وقالوا: يا رسول الله ان فينا قوما دخلوا في الإسلام فابعث نفرا من اصحابك يفقهوننا في الدين ويقرئونا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام. فبعث معهم رسول الله ﷺ عشرة\* من أصحابه، حتى اذا بلغوا منطقة الرجيع. وهو ماء لهديل. تأمروا مع بني لحيان وهجموا على هذه الثلة، فهبوا للدفاع عن انفسهم فقتلوا في معركة غير متكافئة وأسر المشركون اثنين منهم، ثم خرجوا بهم الى مكة وباعوهم الى ذوي قتلى بدر، فقتلها مشركو مكة قتلة فجيعة<sup>٣</sup>.

١ - الواقدي، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٤٢.

٢ - المصدر السابق، ص ٣٤٣ - ٣٤٠؛ محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٥٠.

\* - هناك اقوال اخرى بأنهم كانوا ستة او سبعة. (ابن هشام، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٧٨؛ ابن شهر آشوب، مصدر سابق، ج ١، ص ١٩٤؛ الواقدي، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٥٥).

٣ - الواقدي، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٥٤ - ٣٦٢؛ ابن سعد، مصدر سابق، ج ٢، ص ٥٥ - ٥٦؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٧٨ - ١٩٢؛ ابن شهر آشوب، مصدر سابق، ص ١٩٤ - ١٩٥؛ المجلسي، مصدر سابق، ج ٢٠، ص ١٥١ - ١٥٢.

٢٣٨..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى رحلة

النبي ﷺ

ويبدو ان القبيلتين المذكورتين كانتا تتآمران سرا مع مشركي مكة، وقد استغلوا تلك الظروف واقترفوا مثل هذه الخيانة.

### ٣. حادثة بئر معونة:

وقعت هذه الحادثة في شهر صفر من السنة الرابعة للهجرة، وكانت أكثر بشاعة من حادثة الرجيع، وكانت على النحو التالي:

قَدِمَ ابو براء - شريف قبيلة بني عامر - على رسول الله ﷺ في المدينة، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام، فلم يُسَلِّمْ ولم يبعد من الإسلام، واقترح على رسول الله ان يبعث جماعة من أصحابه الى أهل نجد ليدعوهم الى الإسلام رجاء ان يستجيبوا، فقال له رسول الله ﷺ: اني اخشى عليهم أهل نجد. فقال ابو براء: أنا لهم جار. فبعث رسول الله سبعين رجلا من قراء القرآن ومن خيار اصحابه.

ولما وصلوا الى بئر معونة بعثوا شخصا منهم يحمل كتاب رسول الله الى عامر بن الطفيل، فلما أتاه لم ينظر في كتابه، بل عدا عليه فقتله. ثم انه استصرخ عليهم بني عامر، فأبوا ان يجيبوه الى ما دعاهم إليه بسبب ما كان من جوار أبي براء لهم. فاستصرخ عليهم قبائل من بني سُلَيْم، فأجابوه الى ذلك. فخرجوا وهجموا على تلك الثلة، فلما رأوهم اخذوا سيوفهم ثم قاتلوهم حتى قُتِلوا عن آخرهم الا كعب بن زيد، وعمرو بن أمية الضمري<sup>٢</sup>.

وأما عمرو بن أمية - الذي أسره العدو ثم أطلق سراحه - فقد لقي في طريق عودته الى

١ - ورد في احد الاخبار انهم كانوا اربعين. (الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٣٤؛ ابن هشام، سيرة النبي، ج٣، ص١٩٤؛ الواقدي، المغازي، ج١، ص٣٤٧).

٢ - الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص٣٣ - ٣٤؛ الطبرسي، مجمع البيان، (شركة المعارف الاسلامية، ج٢، ص٥٣٣؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب (قم: المطبعة العلمية)، ج١، ص١٩٥ - ١٩٦؛ المجلسي، مصدر سابق، ج٢٠، ص١٤٧ - ١٤٨؛ الواقدي، مصدر سابق، ص٣٤٦ - ٣٤٨؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج٣، ص١٩٣؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٥١ - ٥٣.

تشكيل القوى القتالية الإسلامية ..... ٢٣٩

المدينة رجلين من بني عامر . كان معهما عقد من رسول الله وجوار، وهو لا يعلم به . فقتلتهما<sup>١</sup> .

### غزوة بني النضير<sup>٢</sup>

في اعقاب مقتل الرجلين من بني عامر (الذين كان لهما أمان من رسول الله) أثار ذلك العمل استياء الرسول ﷺ فقال: بئس ما صنعت لقد قتلت قتيلين وكان لهما مني أمان وجوار لأدينيهما<sup>٣</sup> . وعلى صعيد آخر طالبت قبيلة بني عامر . في كتاب بعثته الى النبي . بديتهما<sup>٤</sup> .

كان لبني عامر حلف وعهد مع بني النضير، لذلك قصدهم الرسول في جماعة من المهاجرين والانصار للاستعانة بهم في دفع الدية، وأتى قلعة لهم تقع على مقربة من المدينة، واخبرهم بتلك الواقعة، وقد اعلن بنو النضير موافقتهم على ذلك، ولكنهم بعثوا سرا شخصا ليرمي على الرسول حجرا من فوق الجدار الذي كان يجلس النبي ﷺ الى جانبه، وعلم النبي بهذه المؤامرة عن طريق الغيب<sup>٥</sup>، فغادر الموضع ورجع الى المدينة، واندروهم بالجلاء عن المدينة، وسمح لهم بأخذ اموالهم معهم، فشاع فيهم الخوف والرعب واستعدوا للجلاء، لكن عبد الله بن ابي دعاهم الى المقاومة ووعدهم بأن يمدّهم بالرجال فيما لو وقعت المعركة، ولو انهم

١ - الطبري، مصدر سابق، ص ٣٤؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٩٥؛ ابن سعد، مصدر سابق، ص ٥٣ .

٢ - ذكر بعض المؤرخين وكتاب السير - وخلافا للمشهور - بأن هذه الواقعة كانت قبل معركة أحد وكان لها سبب آخر . وقد رجح الاستاذ العلامة السيد جعفر مرتضى العاملي هذا النقل . (الصحیح من سيرة النبي الأعظم، ج ٦، ص ٣٢ - ٤٤) .

٣ - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٥٣؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٩٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٣، ص ٣٥؛ الواقدي، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٥٢ .

٤ - الواقدي، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٥٢ و ٣٦٤ .

٥ - البيهقي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٣٥؛ الواقدي، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٦٥، ٣٦٦؛ الطبرسي، اعلام الوری بأعلام الهدی (طهران: دار الكتب الإسلامية)، ص ٨٨ .

٢٤٠..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى رحلة

النبي ﷺ

اخرجوا من المدينة فسيخرج هو معهم أيضا<sup>١</sup>.

تشير بعض النصوص التاريخية على ان قريش كانت قبل هذه الحادثة تحرضهم لمحاربة المسلمين والتآمر عليهم<sup>٢</sup>، ويبدو ان هذه الحادثة ثم تكن بمعزل عن ذلك التحريض. خُذع بنو النضير بالوعود الكاذبة لعبد الله بن أبي، فامتنعوا عن الجلاء عن المدينة، فأمر الرسول ﷺ جيش الإسلام فحاصر قلعتهم خمسة عشر يوما، وخلال هذه المدة لم يأت أي جيش لنصرتهم! فاضطروا الى النزول عند شروط النبي ﷺ، الذي أمرهم بترك سلاحهم، وحمل امتعتهم. فحملوا امتعتهم على الابل وغادروا المدينة حيث توجه قسم منهم الى اذرعاء في الشام، فيما توجه القسم الآخر ومنهم رئيسهم . حُيي بن أخطب . الى خيبر، حيث استقبلهم أهل خيبر بحفاوة وتكريم، واعلنوا ولاءهم وطاعتهم لرئيسهم<sup>٣</sup>. وبما ان بني النضير استسلموا بغير قتال ولا حرب، فقد أضحت اموالهم <خالصة><sup>٤</sup> وبناء على عقد المؤاخاة بين المهاجرين والانصار، قسم النبي ﷺ تلك الاموال . بعد نيل موافقة الأنصار . على المهاجرين<sup>٥</sup>.

وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم خيانة ومصير بني النضير على النحو التالي:  
{هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ

١ - سورة الحشر (٥٩)، الآية ١١؛ الطبرسي، مجمع البيان (طهران: شركة المعارف الاسلامية، ١٣٧٩هـ)، ج ١٠، ص ٢٦٤؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ٢٠، ص ١٦٥ و ١٦٩.

٢ - السمهودي، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٩٨.

٣ - ابن هشام، سيرة النبي، ج ٣، ص ٢٠٣ - ١٩٩؛ الطبري، مصدر سابق، ج ٣، ص ٣٩ - ٣٦؛ الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٣٨٠ - ٣٦٣؛ البلاذري، انساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله (القاهرة: دار المعارف)، ص ٣٣٩؛ راجع: السمهودي، وفاء الوفاء، ج ١، ص ٢٩٧ - ٢٩٨.

٤ - ابن هشام، مصدر سابق، ص ٢٠١؛ السمهودي، مصدر سابق، ص ٢٩٨؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ٢٠، ص ١٦٦ و ١٧٣.

٥ - السمهودي، مصدر سابق، ص ٢٩٩؛ ابن هشام، مصدر سابق، ص ٢٠١؛ الواقدي، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٧٧؛ المجلسي، مصدر سابق، ص ١٧٢ - ١٧١.



تشكيل القوى القتالية الإسلامية ..... ٢٤١

يَخْرُجُوا وَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي  
قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ \* وَلَوْ لَا أَن  
كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ \* ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ {<sup>١</sup> .

---

١ - سورة الحشر (٥٩)، الآيات ٢ - ٤. كان ابن عباس يُسمي سورة الحشر سورة بني النضير. (الطبرسي، مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٥٨).

### معركة الخندق (الاحزاب)

وقعت هذه المعركة في شهر شَمْل من السنة الخامسة للهجرة<sup>١</sup>. وقد بدأت المعركة بعدما التقى حُيي بن أخطب وبعض رؤساء بني النضير الذين لجأوا الى خير، وكذلك جماعة من قبيلة بني وائل، بقريش في مكة وحرصوهم على محاربة النبي ﷺ ووعدهم بتقاسم كل انواع العون والدعم لهم.

وسألتهم قريش هل ديننا أفضل أم دين محمد؟ ومن الطبيعي ان اليهود موحدون، ولا ينبغي ان يؤيدوا عبادة الأصنام، الا انهم ايدوهم وقالوا: دينكم افضل من دين محمد، وانتم أقرب الى الحق.

فاطمأنت قريش لكلامهم، وتهيأت للحرب. وقد ذم الله تعالى هذا الحكم العدائي على النحو التالي:

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَبَتِ وَالطَّاعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا \* أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا<sup>٢</sup>.

هذا الحكم الحاقد لزعماء اليهود كان بعيداً عن الانصاف والمنطق، حتى ان بعض اليهود اليوم يلومونهم على ذلك العمل. فقد كتب الدكتور اسراييل ولفنسون في كتاب تاريخ اليهود في بلاد العرب، ما يلي:

كان من واجب هؤلاء أن لا يتورطوا في مثل هذا الخطأ الفاحش وان لا يصرحوا امام زعماء قريش بأن عبادة الأصنام افضل من التوحيد الإسلامي، ولو ادى بهم الامر إلى عدم اجابة مطالبهم؛ لأن بني اسراييل كانوا يحملون راية التوحيد في العالم منذ قرون<sup>٣</sup>.

١ - البلاذري، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٤٣؛ ابن سعد، مصدر سابق، ج ٢، ص ٦٥؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج ٣، ص ٢٢٤.

٢ - سورة النساء (٤)، الآيات ٥١ - ٥٢.

٣ - محمد حسين هيكل، حياة محمد، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة ٨، ١٩٦٣م)، ص ٣٢٩.

## تشكيل القوى القتالية الإسلامية ..... ٢٤٣

وعلى اية حال فقد ذهب رؤساء اليهود الى قبيلة غطفان ودعوهم الى نصرتهم لمحاربة المسلمين<sup>١</sup>. وقد اعلنت ثلاثة بطون من هذه القبيلة استعدادها لهذا العمل، وهم بنو فزارة، وبنو مرة، وبنو أشجع<sup>٢</sup>، كما انهم حصلوا على موافقة قبيلتي بني سُلَيْم وبني اسد<sup>٣</sup>، كما ان قريش نجحت في اقناع حلفائها بالتعاون معها مثل ثقيف وبني كنانة<sup>٤</sup>. وهكذا فقد ظهر حلف عسكري قوي وجيش يبلغ عدده عشرة آلاف<sup>٥</sup>. وفي الطريق الى المدينة وعد حُيي بن أخطب أبا سفيان بأن بني قريظة سيمدون جيش الأحزاب بسبعمئة من رجالهم<sup>٦</sup>. ونظراً للامكانيات الهائلة التي كُرسَت لأجل هذه الحرب، وما لجُعل لها من العدة والعدد، فقد كان اشراف قريش واليهود يعتبرون هذه المعركة معركة مصيرية، واستقر رأيهم على ابادَةِ المسلمين عن بكرة أبيهم. وقد علم رسول الله بمسير جيش الأحزاب عن طريق تقرير سِرٍّ بعثته إليه قبيلة خزاعة التي كانت تميل الى المسلمين<sup>٧</sup>. وفي المداولات اللجنة العسكرية التي تشكلت بدعوة من الرسول، لم يقترح أحد الخروج من المدينة (ويبدو ان هذا جاء نتيجة لتجربة معركة أحد) واتفق الجميع على البقاء في داخل المدينة<sup>٨</sup>.

١ - وعدوا غطفان ان يجعلوا لهم تمر خبير سنة (البلاذري، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٤٣؛ الواقدي، مصدر سابق، ج ٤ ص ٤٤).

٢ - الطبري، مصدر سابق، ج ٣، ص ٤٤؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج ٣، ص ٢٢٥.

٣ - محمد بن سعد، مصدر سابق، ج ٢، ص ٦٦؛ الواقدي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٤٣؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل ابي طالب (قم: المطبعة العلمية)، ج ١، ص ١٩٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٠، ص ١٩٧.

٤ - البلاذري، مصدر سابق، ص ٣٤٣.

٥ - ابن سعد، مصدر سابق، ج ٢، ص ٦٦؛ الطبري، مصدر سابق، ج ٣، ص ٤٦؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج ٣، ص ٢٣٠؛ السمهودي، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠١؛ المجلسي، مصدر سابق، ج ٢٠، ص ٢٠٠.

٦ - الواقدي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٥٤.

٧ - الحلي، انسان العيون (السيرة الحلبية) (بيروت: دار المعرفة)، ج ٢، ص ٦٣١.

٨ - الشيخ المفيد، الإرشاد (قم: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، الطبعة ١، ١٤١٣ هـ) ص ٩٦؛ ابن شهر آشوب، مصدر سابق، ج ١، ص ١٩٧.

كانت اطراف المدينة محاطة بموانع طبيعية كالمنازل وبساتين النخيل، وهي تحول دون دخول العدو الى داخل المدينة<sup>١</sup>. وقد عرض سلمان الفارسي اقتراحا بحفر خندق في المواضع التي تفتقد لمثل هذه الموانع الطبيعية، ليحول دون وصول العدو الى داخل المدينة<sup>٢</sup>. وتم حفر الخندق سريعا بفضل الجهود المتواصلة للمسلمين، والقيادة والمشاركة العملية والفاعلة للنبي ﷺ. وكان خندقا عميقا لا يمكن عبوره<sup>٣</sup>.

وأمر الرسول فوضعت النساء والاطفال وغير العسكريين في قلاع وحصون داخل المدينة<sup>٤</sup>، وأما الجيش الذي يقدر عدد افراده . حسب القول المشهور . بثلاثة آلاف<sup>٥</sup> فقد اتخذ مواضعه بين الخندق وجبل سلع وجعل سلعا وراء ظهره والخندق بينه وبين القوم<sup>٦</sup>.

كان قادة جيش الاحزاب يتوقعون ان يشتبكوا مع المسلمين خارج المدينة مثلما حصل في معركة أحد. ولكن ذلك لم يحصل. ولما شارفوا على المدينة وشاهدوا الخندق تعجبوا واخذتهم

١ - الحلي، مصدر سابق، ج٢، ص٦٣٦؛ الواقدي، مصدر سابق، ج٢، ص٦٦.

٢ - البلاذري، مصدر سابق، ص٣٤٣؛ ابن سعد، مصدر سابق، ج٢، ص٦٦؛ الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص٤٤؛ ابن شهر آشوب، مصدر سابق، ج١، ص١٩٨؛ الطبرسي، اعلام الوري، ص٩٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٢٠، ص٢١٨.

٣ - ذكر ابن سعد ان الخندق حفر في ستة أيام (الطبقات الكبرى، ج٢، ص٦٧). ويرى البروفسور محمد حميد الله - وهو عالم مسلم معاصر - زار مواضع حروب الرسول مع اعدائه عن كتب عثرَ مَرَّتْ ولاحظها من جميع الأوجه، ان الخندق حفر على شكل حرف N وبلغ طوله خمسة كيلو مترت ونصف. راجع: الرسول القائد، ص١١٣ - ١١٤. ويبدو ان أساس هذه الحسابات هو ان عدد جيش الاسلام كان يبلغ ثلاثة آلاف، وعند حفر الخندق قسموا الى مجموعات يبلغ عدد افراد كل منها عشرة اشخاص، وحفرت كل مجموعة منهم أربعين ذراعاً. (الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص٤٥؛ المجلسي مصدر سابق، ج٢٠، ص١٩٨) فكان سهم كل واحد منهم أربعة أذرع، فكان المجموع ما يقارب ستة آلاف متر (= ٦ كيلو متر).

٤ - ابن سعد، مصدر سابق، ج٢، ص٦٧؛ الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص٤٦؛ الحلي، مصدر سابق، ج٢، ص٦٣٦.

٥ - ابن سعد، مصدر سابق، ج٢، ص٦٦؛ الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص٤٦؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج٣، ص٢٣١؛ المجلسي، مصدر سابق، ج٢٠، ص٢٠٠؛ السمهودي، مصدر سابق، ج١، ص٣٠١.

٦ - البلاذري، مصدر سابق، ص٣٤٣؛ محمد بن سعد، مصدر سابق، ج٢، ص٦٦؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج٣، ص٢٣١؛ الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص٤٦؛ السمهودي، مصدر سابق، ج١، ص٣٠١.

## تشكيل القوى القتالية الإسلامية ..... ٢٤٥

الدهشة؛ لأن حفر الخنادق كحيلة حربية لم يكن معروفا بين العرب<sup>١</sup>، لذلك اضطروا الى ان يعسكروا وراء الخندق ويحاصروا المدينة.

استمرت محاصرة المدينة مدّة تقارب عشرين يوماً، كان الطرفان اثناءها يترامون بالسهام، وكان فرسان قريش يقومون بحركات عسكرية وصولات وجولات بهدف بث الرعب والخوف في نفوس المسلمين<sup>٢</sup>.

وعاش المسلمون ظروفًا عصيبة بسبب محاصرة المدينة من قبل العدو. وسادت المدينة اجواء يملؤها الترقّب والحذر، وهو ما صورّه الله تعالى في القرآن الكريم بقوله: {اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا \* إِذْ جَاؤُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا \* هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا} <sup>٣</sup>.

### غدر بني قريظة

وفي هذه الاثناء وقعت حادثة اخرى جعلت وضع المسلمين اكثر حرجاً وصعوبة، وذلك ان قبيلة بني قريظة نقضت ما كان بينها وبين النبي ﷺ من معاهدة عدم اعتداء واعلنت وقوفها الى جانب جيش الاحزاب، وجاءت خيانة هذه القبيلة بتأثير من حُيي بن أخطب<sup>٤</sup>. وقد ادى شيوع خبر هذه المؤامرة الى النيل من معنويات الكثير من المسلمين، ولكن الرسول ﷺ كان يحاول افشال تلك التأثيرات السيئة وازالة مفعولها.

ولم يكتف بنو قريظة بنقض العهد وانما ارتكبوا عملين خيائين آخرين كبيرين، هما: تزويد جيش الاحزاب بالطعام والميرة بعدما كانوا في ضيق وقلة من الطعام، وقد صادف المسلمون

١ - البلاذري، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٤٣؛ الطبري، مصدر سابق، ج ٣، ص ٤٨؛ ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، (النحف: المكتبة الحيدرية، ١٣٨٤هـ)، ج ٢، ص ٤١؛ الحلبي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٦٣٦ - ٦٥٧.

٢ - ابن سعد، مصدر سابق، ج ٢، ص ٦٧؛ الحلبي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٦٣٦ - ٦٣٧.

٣ - سورة الاحزاب (٣٣)، الآيات ٩ - ١١.

٤ - ابن سعد، مصدر سابق، ص ٦٧؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج ٣، ص ٢٣١؛ الطبري، مصدر سابق، ج ٣، ص ٤٧-٤٦؛ السمهودي، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠٣؛ المجلسي، مصدر سابق، ج ٢٠، ص ٢٠٠ - ٢٠١.

ذات مِثْرَ في منطقة قبا قافلة مرسلة من بني قريظة الى جيش الاحزاب وكانت محملة بالتمر والشعير والعلف، فاستولوا عليها<sup>١</sup>؛ والعمل الآخر هو بث الرعب والخوف في معقل النساء والمدنيين من خلال ارتكاب مجموعة من العمليات التي تثير الرهبة وتزرع الخوف. وقد تسلل ائدهم ذات مِثْرَ الى داخل الحصن فقتلته صفية عمة النبي ﷺ<sup>٢</sup>. وذات ليلة عزم بنو قريظة على الاغارة على مركز المدينة، وبعثوا حُبي بن أخطب الى قريش طالبين ان يمدوهم بألف رجل من قريش وألف رجل من غطفان ليساعدوهم على تنفيذ هذا الهجوم، وبلغ الرسول خبر هذه التحركات، وشاعت على اثر ذلك في المدينة اجواء من الخوف والرعب، فانتدب الرسول خمسمائة فارس لحماية المدينة، فكانوا يجولون من الليل حتى الصباح وهم يهتفون ويكبرون، ويجرسون المواضع التي فيها النساء والمدنيين<sup>٣</sup>.

### عوامل فشل جيش الاحزاب

ورغم كل هذه الصعوبات، كانت هناك . اضافة الى حفر الخندق . عتّى أمور مهمة جعلت الوضع يسير لصالح المسلمين، مما ادى في نهاية الأمر الى فشل جيش الاحزاب؛ ويمكن تلخيص تلك الاسباب والامور بما يلي:

#### ١- الاختلاف بين بني قريظة وجيش الاحزاب

كان نعيم مسعود من قبيلة غطفان وقد أسلم حديثاً، وقد استأذن الرسول . الذي كان يجيز الخدعة في الحرب<sup>٤</sup> . ليمارس هذه الخدعة ويفرّ شمل القوم. فأتى الى بني قريظة وحدثهم

١ - السهمودي، مصدر سابق، ج١، ص٣٠٤؛ الحلبي، مصدر سابق، ج٢، ص٦٤٧.

٢ - البلاذري، مصدر سابق، ج١، ص٣٤٧؛ الواقدي، مصدر سابق، ج٢، ص٤٦٣ - ٤٦٢؛ الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص٥٠؛ السهمودي، مصدر سابق، ج١، ص٣٠٢.

٣ - الواقدي، مصدر سابق، ج٢، ص٤٦٠؛ الحلبي، مصدر سابق، ج٢، ص٦٣٦. نقل عن أبي بكر انه كان يتذكر معركة الاحزاب ويشير الى خيانة بني قريظة ويقول: لقد خفنا على الذراري بالمدينة من بني قريظة اشد من خوفنا من قريش وغطفان. (الواقدي، مصدر سابق، ص٤٦٠).

٤ - الحرب خدعة.

## تشكيل القوى القتالية الإسلامية ..... ٢٤٧

عن سابق علاقته بهم ومودته لهم، فلامهم على نقضهم الحلف مع النبي ﷺ، وبين لهم ان قريشا وغطفان ليسوا مثلكم، وانما جاءوا على ظهور دوابهم، فإن اصابوا من النبي ﷺ ما ارادوا والا انصرفوا عنه. وانتم تعلمون ان لا طاقة لكم به وبأصحابه إن خلا بكم. ثم اقترح عليهم ان لا يقاتلوا الا بعدما يأخذوا رهائن من اشراف قريش وغطفان، يكونون بأيديهم ثقة لهم ان لا ينصرفوا عنهم ويدعوهم.

ثم أتى الى رؤساء قريش وغطفان وابلغهم بأنه اطلع على سر بني قريظة وهو انهم قرروا ان يأخذوا من اشرافهم رجالا يسلموهم الى محمد تعبيرا عن حسن نيتهم معه، ثم حذرهم قائلاً: فاياكم ان يخدعكم اليهود أو يظفروا بأحد منكم. فحققت هذه الخطة غرضها، واستوحش بعض القوم من بعض وتنافرت قلوبهم، وانفرط عقد تحالف الاحزاب<sup>١</sup>.

### ٢- قتل عمرو بن عبد ود

واجهت قريش ضغوطاً من ثلاثة جوانب اضطررها الى الاسراع بانهاء الحرب؛ الأول: نفاذ ما كان لديهم من الأطعمة بسبب طول مكوثهم. الثاني: البرد التدريجي الذي طرأ على الجو بحيث ان الخيم كانت لا تفي لوقايتهم من البرد. الثالث: اقتراب حلول شهر ذي القعدة وهو من الأشهر الحرم، وان لم يبادروا الى انهاء الحرب في شهر شوال كان ينبغي عليهم تأخيرها لثلاثة اشهر متوالية<sup>٢</sup>؛ ولهذا قرروا كسر حالة الجمود التي وصلت اليها الحرب بأي ثمن كان، وعلى هذا الأساس فقد اطلق خمسة من فرسان جيش الاحزاب اعنة خيلهم وعبروا الى الجانب الآخر من الخندق من خلال موضع ضيق<sup>٣</sup>، واخذوا يدعون من يخرج الى مبارزتهم، وكان احدهم الفارس العربي المعروف عمرو بن عبد ود الذي كان يُعرف بفارس قريش،

١ - ابن سعد، مصدر سابق، ج٢، ص٦٩؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج٣، ص٢٤٠؛ الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص٥١ -

٥٠؛ الحلبي، مصدر سابق، ج٢، ص٦٥٠؛ السهمودي، مصدر سابق، ج١، ص٣٠٤؛ المجلسي، مصدر سابق، ج٢٠، ص٢٠٧.

٢ - محمد حميد الله، الرسول القائد، ص١٢٨.

٣ - ابن سعد، مصدر سابق، ج٢، ص٦٨؛ الواقدي، مصدر سابق، ج٢، ص٤٧٠؛ الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص٤٨؛ الشيخ

المفيد، الإرشاد (قم: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، الطبعة ١، ١٤١٣هـ)، ص٩٧؛ المجلسي، مصدر سابق، ج٢٠، ص٢٠٣.

وفارس ليليل<sup>١</sup>؛ فبعدها عبر الخندق نادى <هل من مبارز؟> ولكن لم يبرز له احد من جيش المسلمين<sup>٢</sup>، وكرر النداء عث<sup>٣</sup> مرات. وفي كل مرّة كان عليّ ؓ هو الشخص الوحيد الذي ينهض ويستأذن الرسول للقتال؛ وفي المرة الاخيرة خرج إليه علي باذن من الرسول، وعندما خرج علي قال رسول الله ﷺ:

<خرج الإسلام كله الى الشرك كله><sup>٣</sup>.

وقتل علي عمرو في مبارزة بطولية فريدة من نوعها، وأما الفرسان الاربعة الآخرون الذين عبروا معه الخندق وبقوا ينتظرون نتيجة برازه مع علي فقد فرّوا ليعبروا الخندق، فطفرت بهم خيلهم الا واحدا منهم فأنه قصر فرسه فوقع في الخندق فرماه المسلمون بالحجارة وقتلوه<sup>٤</sup>.

وقال رسول الله ﷺ في الثناء على هذه الشجاعة العظمى لأمر المؤمنين ؓ:

لو وزن اليوم عملك بعمل امة محمد، لرجح عملك بعملهم؛ وذلك انه لم يبق بيت من بيوت المشركين الا وقد دخله وهن بقتل عمرو، ولم يبق بيت من بيوت المسلمين الا وقد دخله عز بقتل عمرو<sup>٥</sup>.

ونقل احد علماء أهل السنة . وهو المجلد الكبير الحاكم النيسابوري . ان رسول الله ﷺ

١ - سُمّي بهذا الاسم لأنه انتصر بمفرده على جماعة من اعدائه في موضع اسمه ليليل. (بحار الانوار، ج ٢٠، ص ٢٠٣). كان عمرو قد قاتل يوم بدر حتى اثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أحد. فلما كان يوم الخندق خرج مُعَلِّماً ليرى مكانه. (ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢٣٥؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٣، ص ٤٨؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ١٨١).

٢ - الواقدي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٧٠؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم (دار احياء الكتب العربية، ١٩٦٤م)، ج ١٣، ص ٢٩١ و ١٩٩، ص ٦٣؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ٢٠، ص ٢٠٣.

٣ - ابن أبي الحديد، مصدر سابق، ج ١٩، ص ٦١؛ المجلسي، مصدر سابق، ج ٢٠، ص ٢١٥.

٤ - البلاذري، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٤٥؛ محمد بن سعد، مصدر سابق، ج ٢، ص ٦٨؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج ٣، ص ٢٣٦؛ الطبري، مصدر سابق، ج ٣، ص ٤٨؛ السهودي، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٠٣.

٥ - ابو الفتح محمد بن علي الكراچكي، كنز الفوائد (قم: دار الذخائر، ١٤١٠هـ)، ج ١، ص ٢٩٨؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ٢٠، ص ٢٠٥، ٢١٦.



قال:

«لمبارزة علي بن ابي طالب لعمر بن عبد ود يوم الخندق افضل من اعمال امتي الى يوم القيامة»<sup>١</sup>.

وبعد مقتل عمرو دب الرعب في جيش الاحزاب، فانهمزموا اجمعين وتفرقوا خائفين وظهرت وهمت كل قبيلة بالرجوع الى موطنها.<sup>٢</sup>

### ٣- الامداد الغيبي

كانت الضربة القاضية التي نزلت بمعسكر المشركين عبارة عن مدد غيبي، حيث سلط الله عليهم ريحاً باردة وعاصفة شديدة اقتلعت خيامهم حتى تعذر عليهم المكوث، فأمرهم ابو سفيان بالعودة الى مكة<sup>٣</sup>.

وقد ذكر الله تعالى هذا النصر في كتابه الكريم، وهو قوله:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا}، {وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا}٤.

رغم كل الامكانيات الهائلة التي وظفها قادة الاحزاب لهذه الحرب، ومع كل هذه الاعداد التي حشدوها، الا ان نتائجها كانت مريرة عليهم؛ اذ انهم لم ينالوا من المدينة شيئاً ولم يضرها ولا هم ضمنوا سلامة طريق تجارتهم الى الشام.

وانكسرت زعامة ابي سفيان وذهبت هيبة قريش واجتثها. ومن بعد هذه المعركة انتقل المسلمون من حالة الدفاع الى حالة الهجوم؛ فقال رسول الله ﷺ: «لَا نَغْزُوهُمْ وَلَا

١ - المستدرك على الصحيحين، تحقيق: عبد الرحمن المرعشي (بيروت: دار المعرفة، الطبعة ١، ١٤٠٦ق)، ج ٣، ص ٣٢.

٢ - الكراچي، مصدر سابق، ص ٢٩٩.

٣ - البلاذري، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٤٥؛ ابن سعد، مصدر سابق، ج ٢، ص ٧١؛ الطبري، مصدر سابق، ج ٣، ص ٥٢ -

٥١؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل ابي طالب، ج ١، ص ١٩٨؛ الطبرسي، اعلام الوري، ص ٩٢؛ السمهودي، مصدر سابق، ج ١،

ص ٣٠٥؛ المجلسي، مصدر سابق، ج ٢٠، ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

٤ - سورة الاحزاب (٣٣)، الآيات ٩ و ٢٥.

يفزوننا<sup>١</sup> وهذا هو ما حصل لاحقاً.

كان شهداء المسلمين في هذه المعركة ستة شهداء<sup>٢</sup>، وقُتل فيها من المشركين ثلاثة<sup>٣</sup>.

### غزوة بني قريظة

ومن بعد جلاء الاحزاب عن المدينة، أمر النبي ﷺ بالبت في قضية بني قريظة وحسم أمرهم، فأمر جيش المسلمين بالتحرك من ساعته، فحاصر عصر ذلك اليوم قلعة بني قريظة، فاتخذ بنو قريظة مواضعهم في قلعتهم، وأخذوا يرمون المسلمين بالنبال ويشتمون النبي ﷺ.

وبعد خمسة وعشرين يوماً من الحصار اضطروا الى النزول عند حكم رسول الله، وطلبت الأوس . وكانوا حلفاءهم . من رسول الله ان يحكم فيهم مثل حكمه في يهود بني قينقاع (حلفاء الخزرج). فجعل رسول الله الحكم فيهم الى سعد بن معاذ. وقبل الاوس وبنو قريظة هذا الرأي. وبعدما اوكلت هذه المهمة الى سعد بن معاذ كان المتوَقَّع منه ان يحكم لصالح بني قريظة بناء على ما تقتضيه السنن والعادات الجاهلية والقبلية، الا انه لم يخضع لآراء ابناء قبيلته فيهم واعلن لهم بانه لن تأخذه في الله لومة لائم.

وبعد نيل موافقة الطرفين، حكم بقتل الرجال وسي النساء والذرية وتقسيم اموالهم، ونفذ فيهم الحكم. وكان حُيي بن اخطب . الذي حرضهم على نقض عهدهم مع المسلمين،

١ - الشيخ المفيد، الإرشاد، ص١٠٦؛ صحيح البخاري، تحقيق: الشيخ قاسم الشماخي الرفاعي (بيروت: دار القلم، الطبعة ١٤٠٧هـ)، ج٥، ص٢١٥؛ كتاب المغازي، الباب ١٤٦، الحديث ٥٩٣؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج٨، ص٣٤٥؛ المجلسي، مصادر سابق، ج٢٠، ص٢٠٩.

٢ - ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٤٢؛ الواقدي، المغازي، ج٢، ص٤٩٢؛ ابن هشام، سيرة النبي، ج٣، ص٢٦٤؛ الطبري، مصادر سابق، ج٣، ص٥٨؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج١، ص١٩٨. وجاء في مصادر اخرى ان عدد شهداء هذه المعركة أكثر من هذا. راجع: تاريخ پیامبر اسلام، محمد ابراهيم آيتي (طهران: مؤسسة انتشارات وچاب جامعة طهران، ١٣٦١)، ص٣٧٢.

٣ - الواقدي، مصادر سابق، ج٢، ص٤٩٦؛ ابن هشام، مصادر سابق، ج٣، ص٢٦٥؛ الطبري، مصادر سابق، ج٣، ص٥٩؛ ابن شهر آشوب، مصادر سابق، ج١، ص١٩٨. ذكر اليعقوبي ان عدد قتلى العدو ثمانية (ج٢، ص٤٢).

## تشكيل القوى القتالية الإسلامية ..... ٢٥١

ضمن القتلى؛ وذلك لأنه وعد بني قريظة بأنه سيقف الى جانبهم، ولو انهم هزموا سيلقى ذات مصيرهم.

وفي اللحظات الاخيرة، عندما توجهوا إليه باللوم والتقريع أبى ان يعترف بإثمه ويعلن ندمه؛ وانما علّله بانه قدر كتبه الله عليهم. وقال لرسول الله ﷺ: «ما لمت نفسي في عداوتك، ولكن من يخذل الله يُخذل». ثم اقبل على الناس فقال: «لا بأس بأمر الله، قدر وكتاب، ملحمة كتبت على بني اسرائيل»<sup>١</sup>.

ثم بعث رسول الله أحد المسلمين بسبايا من سبايا بني قريظة الى نجد فابتاع لهم بها خيلاً وسلاحاً<sup>٢</sup>. ووصف القرآن الكريم خاتمته المرية بما يلي:

{وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صِبَاصِهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا \* وَأَوْرَثَكُم أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطُورُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا<sup>٣</sup> }

### نقد وتحليل

هناك اختلاف بين المؤرخين حول تفاصيل هذه القضية (مثل عدد المحاربين من بني قريظة، أو عدد من نفذوا أمر القتل)، الا ان أصل هذه القضية كان مشهوراً ومسلماً به عند المؤرخين منذ القدم، ولا بأس ان نستعرض في ما يلي رأيين حول هذا الحكم:

١. انتقد بعض الكتاب الاوربيين هذا الموقف ازاء بني قريظة ووصفوه بأنه وحشي وغير

---

١ - للاطلاع على مزيد من التفاصيل حول هذه الغزوة، راجع المصادر التالية: الطبقات الكبرى، ج٢، ص٧٤ - ٧٨؛ تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٥٣ - ٥٨؛ المغازي، ج٢، ص٤٩٦ - ٥٢٤؛ السيرة النبوية، ج٣، ص٢٤٤ - ٢٦١؛ وفاء الوفاء، ج١، ص٣٠٥ - ٣٠٩؛ بحار الانوار، ج٢٠، ص٢٣٣ - ٢٣٨.

٢ - ابن هشام، سيرة النبي، ج٣، ص٢٥٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٥٨. وارسل النبي جماعة منهم مع سعد بن عبادة الى الشام لهذا الغرض أيضاً. وللاطلاع على مزيد من المعلومات حول معركة الاحزاب وغزوة بني قريظة، اضافة الى المصادر المذكورة، راجع: الميزان في تفسير القرآن، ج١٦، ص٢٩١ - ٣٠٣.

٣ - سورة الاحزاب (٣٣)، الآيات ٢٦ - ٢٧.

انساني<sup>١</sup>، الا ان هذا النقد لا يمكن قبوله في ضوء الجرائم التي اقترفتها بنو قريظة؛ فهؤلاء القوم لم يكتفوا بنقض العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله، وانما قاموا بعمليات الترويع وبث الرعب والخوف في داخل المدينة، وزوّدوا الاحزاب بما كانوا يحتاجون إليه من الطعام والعلف؛ أي انهم في الواقع قد دخلوا في الحرب عملياً بدعمهم المالي للاحزاب؛ ونحن نعلم بأن مثل هذه الاعمال في وقت الحرب لا يمكن التغاضي عنها عند أي شعب أو قوم، ولا بد من معاقبة فاعليها بأشد العقوبات.

واضافة الى ذلك كان بإمكان رسول الله معاقبتهم استنادا الى الحلف الذي كان قد عقده معهم، ولكنه استجاب لطلب الأوس وأحال الحكم من باب الرفق بهم الى سعد بن معاذ، وحظي رأيه بقبول الأوس وبني قريظة، وعلى هذا الأساس لا يبقى هناك أي مبرر للاعتراض. وفضلا عن ذلك فهناك سؤال يتبادر الى الأذهان وهو: متى واين ومع من ينبغي استخدام اللين والرفق؟ وهل الذي لا يحمل من الانسانية الا صورة الانسان، ويسحق جميع القيم الانسانية، ولا يلتزم بأي عهد او ميثاق، ويطفح الحقد والعناد والعداء من كل كيانه، هل يستحق العفو والمداراة؟<sup>٢</sup> ألم يُعامل يهود بني النضير بزعامة حيي بن أخطب برفق؟ ولكنهم

١ - مونتغمري واط، محمد في المدينة، تعريب: شعبان بركات (بيروت: منشورات المكتبة العصرية)، ص ٣٢٧. ضم مؤلف هذا الكتاب صوته الى اصوات الكتاب الاوربيين، وطعن في الحكم الصادر ضد بني قريظة. ورغم انه يكشف بصراحة عن الخيانة الكبرى التي اقترفتها بنو قريظة ويقول: <في معركة الخندق وحصار المدينة ضاقت الامور على المسلمين، وكان خطر انضمام بني قريظة إلى الجيش المهاجم أمرا محتملا جدا، ومتى ما وقع فأنه كان سيؤدي إلى هزيمة المسلمين بكل تأكيد، بل كان من المحتمل جدا ان يؤدي إلى القضاء على الدعوة المحمدية قضاء تاماً...> ولكنه رغم كل ذلك يضيف: <كان ينبغي [!] ان يكونوا موضع رافة وتسامح محمد> <مصطفى حسين الطباطبائي، خيانت در گزارش تاريخ، (طهران: انتشارات جانبخش، الطبعة ١، ١٣٦٦ هـ. ش)، ج ٣، ص ١٦٤ - ١٦٥>.

٢ - كشفت المفاوضات السرية لبني قريظة في الأيام الاخيرة للحصار - كالرأي الذي عرضه كعب بن اسد ودعا فيه الى قتل النساء والاطفال ثم التفتح لمحاربة المسلمين -، وكذلك اعمالهم وردود افعالهم عندما كانوا على مشارف القتل، ذروة عنادهم وقسوتهم، كما حصل بالنسبة الى احدهم بعدما وافق النبي على العفو عنه وعن زوجته واولاده بناءً على طلب أحد المسلمين، لكنه أصر على عناده وفضل الموت على الحياة! (ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢٥٣ - ٢٥٤).

## تشكيل القوى القتالية الإسلامية ..... ٢٥٣

لم يكفوا عن التآمر، بل دخلوا في الحرب ضد المسلمين. وهل هناك ما يضمن عدم تكرار الممارسات السابقة على يد حيي بن أخطب وكعب بن اسد، وأتھما لن يعملأ على تجهيز جيش ضخم آخر للقضاء على الإسلام والمسلمين؟ والا تعني الرأفة بأمثالهما رأفة بذئاب كاسرة؟!

في الأيام التي كانت فيها المدينة تحت حصار الاحزاب، بعث ابو سفيان الى رسول الله ﷺ رسالة تهديد جاء فيها: «خاني أحلف باللات والعزى، لقد سرتُ إليك في جمعنا، وانا نريد ان لا نعود اليك ابداً حتى نستأصلك، فان نرجع عنكم فلكم منا يوم كيوم أحد، تُبْقَر فيه النساء»<sup>١</sup>. ولو حصل مثل هذا الوضع، ألن يتعاون بنو قريظة مع جيش الاحزاب مرة اخرى؟

ولو تجاوزنا ذلك فان حكم سعد يتطابق مع ما جاء في تعاليم التوراة، ولعله كان على معرفة بأحكامهم الجزائية بحكم تحالفه معهم وعلاقته الوثيقة بهم. فقد ورد في التوراة ما يلي: واذا تقدّمت الى مدينة لتقاتلها فادعها أولاً الى السلم، فاذا اجابتك بالسلم وفتحت لك ابوابها، فكل القوم الذي فيها يكون لك تحت السخرة ويخدمك، وان لم تسلمك بل حاربتك، فحاصرتها، واسلمها الرب إلهك الى يدك، فاضرب كل ذكر بحد السيف، واما النساء والاطفال والبهائم وجميع ما في المدينة من غنيمة، فاغتنمها لنفسك، وكُلْ غنيمة اعدائك التي اعطاك الرب إلهك اياها<sup>٢</sup>.

وقد انكر أحد الباحثين المعاصرين عقوبة بني قريظة، ورأى . استنادا الى بعض الأدلة والقرائن . بأنه من المستبعد ان تصدر مثل هذه العقوبة الصارمة من النبي ﷺ<sup>٣</sup>، ومثل هذا

١ - الواقدي، المغازي، ج٢، ص٤٩٢.

٢ - التوراة، ترجمة وليم كين قستيس إكسي، (لندن، ١٣٢٧ هـ.) سفر المثنى، الفصل العشرون. للاطلاع على مزيد من المعلومات حول مستمسكات سعد في هذا الحكم، راجع: جعفر سبحاني، فروغ ابدیت، ج٢، ص١٥٤ - ١٥٧؛ مصطفى الحسيني الطباطبائي، خیانت در گزارش تاریخ، ج٣، ص١٦١ - ١٧٣.

٣ - السيد جعفر شهیدی، تاریخ تحلیلی اسلام تا پایان امویان (طهران: مرکز النشر الجامعي، الطبعة ٦، ١٣٦٥ هـ.ش)، ص٧٥-٧٣.

الكلام يُعدُّ بمثابة نوع من الدفاع في مقابل انتقادات بعض الكتاب الاوربيين أو ضد الهجمات الاعلامية للصهاينة. ولكن ما كتبه بعض الباحثين في نقد هذه النظرية<sup>١</sup> يظهر ان الادلة التي استندت إليها غير كافية، لاسيما وان هذا الاستدلال لم يلتفت الى الآية ٢٦ من سورة الاحزاب، التي تتحدث عن وقوع هذه الحادثة. فضلا عن ذلك لا يوجد في التاريخ أي اثر لبني قريظة من بعد معركة الاحزاب، ولو لم تكن هذه القضية صحيحة لتحدثت المصادر التاريخية عن شيء من اخبارهم ووضاعهم بعد ذلك التاريخ.

### غزوة بني المصطلق

وفي شهر شعبان من السنة السادسة<sup>٢</sup> بلغ رسول الله ﷺ ان الحارث بن ابي ضرار - رئيس بني المصطلق (رهط من خزاعة) - جمع ناسا من قومه وغيرهم وأخذ يحشد الجموع للهجوم على المدينة، فلما سمع رسول الله ﷺ بهم جهّز جيشاً وخرج لهم حتى لقيهم على ماء لهم يُقال له المريسيع<sup>٣</sup> في المنطقة الساحلية المجاورة للبحر الاحمر، فتزاحف الناس واقتتلوا، فهزم الله بني المصطلق، واخذ المسلمون الكثير منهم أسرى وغنموا اموالهم<sup>٤</sup>.

كانت جويورية بنت زعيمهم الحارث من بين الاسرى، وقدم أبوها الحارث بن ابي ضرار الى المدينة بفداء ابنته، ثم اتى الى النبي ﷺ. وكان النبي قد اطلع عن طريق الغيب بأن هذا الرجل قد أخفى بعيرين من الابل التي جاء بها لفداء ابنته، فأخبره النبي بخبر البعيرين اللذين

١ - السيد علي مير شرفي، نگرشي کوتاه به غزوه بني قريظة [لحة على غزوة بني قريظة]، مجله نور علم، العدد ١١ و ١٣.

٢ - اعتبر بعض المؤرخين كالبلاذري، والواقدي، ومحمد بن سعد، هذه الغزوة من وقائع السنة الخامسة للهجرة، ولذا أدرجوها قبل معركة الاحزاب، وهناك قرائن تؤيد صحة رأيهم. (راجع: السيرة النبوية، ج ٣، ص ٣٠٢، هامش، وفاء الوفاء، ج ١، ص ٣١٤).

٣ - ولهذا السبب تُعرف هذه الغزوة أيضا باسم غزوة مريسيع.

٤ - ابن هشام، مصدر سابق، ج ٣، ص ٣٠٨ - ٣٠٢؛ الطبري، مصدر سابق، ج ٣، ص ٦٦ - ٦٣؛ المجلسي، مصدر سابق، ج ٢٠، ص ٢٩٠ - ٢٨١.

## تشكيل القوى القتالية الإسلامية ..... ٢٥٥

غيّهما، أسلم عند ذاك. وسلّموا له ابنته جويرية ثم خطبها رسول الله وتزوجها<sup>١</sup>. واطلق المسلمون من كان في أيديهم من أسرى بني المصطلق أكراما لرسول الله ﷺ على اعتبار أنهم صاروا أصحاب رسول الله ﷺ؛ ولهذا السبب عرفت جويرية بأنها اعظم النساء بركة على قومها<sup>٢</sup>. ويمكن النظر الى هذا الزواج بأنه من زواجات رسول الله التي تمخّضت عنها نتائج ايجابية على الصعيد الاجتماعي، وجاءت - استنادا الى بعض المؤشرات - أبعد من كونها قضية شخصية.

### حج العمرة

وفي السنة السادسة للهجرة عزم النبي ﷺ على التوجّه الى مكّة لأداء العمرة، اذ لم يتمكن المسلمون - منذ هجرتهم - ان يؤدّوا الحج أو العمرة. وكان هذا السفر الديني - اضافة الى ما فيه من جوانب معنوية - يتضمن نوعا من الاستعراض الديني الذي ينطوي على تأثيرات اعلامية؛ وذلك لأنه يستقطب اهتمام زوار مكّة والحاضرين فيها من جهة، ويظهر مدى كثرة اصحاب النبي ﷺ من جهة اخرى؛ ويبين أيضا بأنّ الحج والعمرة التي كانت شعائر دينية كبرى ومقدّمة عند المشركين، قد أقرّها الإسلام أيضا وتُعتبر فيه عبادة أيضا. ومن الطبيعي ان لهذا الواقع تأثيره في استمالة قلوبهم ومشاعرهم. ولو حاولت قريش منعهم من أداء العمرة فستكون لهذا العمل انعكاسات سلبية عليها امام الرأي العام. فقريش التي كانت على الدوام صاحبة السدانة، كانت تدعو الى الحج وتستقبل الحجاج، وتعتبر ذلك منقبة لها؛ ولو منعت المسلمين اليوم من دخول مكّة فسيؤدّي ذلك الى سخط الناس عليها، وسيترك الجميع ان هذا العمل ليس له من دافع سوى العناد ضد المسلمين<sup>٣</sup>.

١ - ابن هشام، مصدر سابق، ج٣، ص٣٠٨؛ مفيد، الإرشاد (قم: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، الطبعة ١٤١٣هـ)،

ص١١٩ - ١١٨؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، (قم: المطبعة العلمية)، ج١، ص٢٠١.

٢ - ابن هشام، مصدر سابق، ج٣، ص٣٠٨ - ٣٠٧؛ الواقدي، مصدر سابق، ج١، ص٤١١؛ الطبرسي، إعلام الوري (طهران:

دار الكتب الإسلامية)، ص٩٤. ذكرت بعض المصادر التاريخية هذا الزواج على نحو آخر.

٣ - مثلما حصل حين منعت قريش المسلمين من دخول مكّة، حيث هدد أحد اشراف مكّة واسمه حليس بن علقمة بأن قريش اذا

## ٢٥٦..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى رحلة

النبي ﷺ

وسار رسول الله ﷺ في شهر ذي القعدة في الف وثمانمائة من أصحابه<sup>١</sup> الى مكة، وقد أمر الرسول ان لا يحمل كل واحد من المسلمين من السلاح الا السيف (وهو ما كان يحمله كل مسافر في ذلك العصر) وأخذوا معهم البدن من المدينة لتعرف قريش انهم لا يريدون الحرب.

وبلغ قريش خبر مسير الرسول ﷺ وعزموا على منعه من دخول مكة، ثم ان قريشاً جمعت الجموع وخرجت إليه، فوقف الرسول في ارض الحديبية؛ وبعثت قريش الرسل الى النبي لتعرف الهدف من مجيئه الى مكة، وكان في كل مرة يقول لهم: كلم نأت لقتال وأنما جئنا معتمرين، ومع كل ذلك فقد منعتهم قريش من دخول مكة ووصلت الامور الى طريق مسدود.

### بيعة الرضوان

ثم ان رسول الله ﷺ بعث اليهم عثمان بن عفان، ليبيّن لقريش هدف الرسول من القدوم، وتأخر رجوع عثمان حتى اشبع بأنهم قتلوه<sup>٢</sup>؛ وعند ذاك جمع الرسول أصحابه عند شجرة وعقد وإياهم بيعة الثبات<sup>٣</sup>، وبعد الانتهاء من البيعة بلغهم ان خبر مقتل عثمان لا

---

استمرت على هذا الموقف فسيجمع قبيلته لحرب قريش. (ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣ ص ٣٢٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٣، ص ٧٥؛ محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٩٦؛ الحلبي، السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٦٩٦.

١ - الكليني، الروضة من الكافي (طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٢)، ص ٣٢٢. ذكرت كتب التاريخ اعدادا مختلفة لمن رافق الرسول في وجهه هذا لأداء العمرة، فقليل: سبعمائة، ألف وثلاثمائة، ألف واربعمائة وخمس وعشرون، ألف وستمائة، ألف وسبعمائة. (السيرة النبوية، ج ٢، ص ٦٨٩؛ المغازي، ج ٢، ص ٦١٤؛ الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٩٥، ٩٨؛ تاريخ الأمم والملوك، ج ٣، ص ٧٢؛ السيرة النبوية، ابن هشام، ج ٣، ص ٣٣٢؛ مجمع البيان، ج ٩، ص ١١٠).

٢ - المغازي، ج ٢، ص ٦٠٢.

٣ - ابن هشام، مصدر سابق، ص ٣٣٠؛ الطبري، مصدر سابق، ص ٧٨؛ ابن سعد، مصدر سابق، ص ٩٧ - ٩٩؛ البلاذري، انساب الأشراف، ج ١، ص ٣٥٠؛ الطبرسي، أعلام الوري، ص ٩٦.



صححة له. وبما ان هذه البيعة عقدت تحت شجرة، واعلن الله رضاه<sup>١</sup> عن المشاركين فيها فقد سميت ببيعة الرضوان، وتُعرف أيضاً باسم بيعة الشجرة.

### صلح الحديبية (الفتح المبين)

في اعقاب عودة عثمان بن عفان من قريش بغير نتيجة، بعثت قريش سهيل بن عمرو الى النبي ﷺ، مفاوضاً وكان الشرط المسبق لأي تفاوض ومواعدة هو عودة رسول الله ﷺ في ذلك العام<sup>٢</sup>؛ وبعد مداولات ومفاوضات اتفق الطرفان على عقد صلح عُرف باسم صلح الحديبية، وقد نصَّ على ما يلي:

١. الهدنة لمدة عشر سنين يأمن فيها الناس ويكفوا بعضهم عن بعض.
٢. ان يرجع محمد وأصحابه في هذا العام، على ان يأتي مع اصحابه في السنة القادمة وتخرج قريش من مكة، ويبقى هو واصحابه فيها ثلاثة أيام يؤدون خلالها العمرة، بشرط ان لا يكون معهم سلاح الا سلاح المسافر وهو السيف<sup>٣</sup>.
٣. اذا جاء احد من قريش بغير إذن وليه يرده النبي ﷺ الى مكة، ومن أتى قريشاً من أصحاب محمد لا ترده قريش إليه.
٤. لكل قبيلة حرية الدخول في عهد محمد وعقده، أو الدخول في عهد قريش وعقدها. (وهنا وثبت خزاعة فقالوا: نحن ندخل في عهد محمد وعقده، ووثبت بنو بكر فقالوا: نحن ندخل مع قريش في عهد محمد وعقدها).
٥. ان لا يكون هناك إسلال ولا إغلال، وان تكون بين الجانبين عيبة مكفوفة<sup>٤</sup>.

١ - ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾، سورة الفتح (٤٨)، الآية ١٨.

٢ - الطبري، مصدر سابق، ص ٧٨؛ ابن هشام، مصدر سابق، ص ٣٣١.

٣ - ووفقاً لهذه المأج أدى رسول الله (ص) والمسلمون العمرة في السنة السابعة للهجرة، وسميت عمرة القضاء.

٤ - الإسلال بمعنى السرقة الخفية، والإعانة على الغير، والإسلال الغارة الظاهرة. (ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٣٩٢). والظاهر بحسب السياق نفي اعانة أحد المتعاهدين على الآخر (الاحمدي المياحي، مكاتيب

٦. ان يكون الإسلام ظاهراً بمكة ولا يكره احد على دينه، ولا يؤذى ولا يُعير<sup>١</sup>.
٧. من قدم مكة من اصحاب محمد حاجاً أو معتمراً أو تاجراً فهو آمن على دمه وماله، ومن قدم المدينة من قريش مجتازاً الى مصر أو الى الشام للتجارة فهو آمن على دمه وماله<sup>٢</sup>.

### نبوءة الرسول

وبعد الاتفاق على بنود الصلح، بدأ علي بن أبي طالب بكتابة نصّه باملاء الرسول ﷺ، ولكن مندوب قريش اعترض على كتابة بسم الله الرحمن الرحيم في أعلى الكتاب، وعلى كتابة عبارة <رسول الله> بعد اسم النبي محمد ﷺ، وطال النقاش حول هذا الموضوع، وفي ختام الأمر اضطر رسول الله ﷺ . في ضوء ما ينطوي عليه هذا الصلح من مصالح . الى الموافقة على طلبهم، وقال لعلي الذي كره محو عبارة رسول الله: <فان لك مثلها تعطيها وانت مضطهد><sup>٣</sup>؛ وقد تحققت هذه النبوءة عندما أصر معاوية على حذف عبارة <امير المؤمنين> من بعد اسم علي بن أبي طالب أثناء قضية التحكيم في معركة صفين<sup>٤</sup>.

الرسول، ج ١، ص ٢٧٧).

١ - الطبرسي، مصدر سابق، ص ٩٧؛ البلاذري، مصدر سابق، ص ٣٥٠ - ٣٥١؛ ابن هشام، مصدر سابق، ص ٣٣٢؛ الطبرسي، أعلام الوري، ص ٩٧؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ٢٠، ص ٣٥٢؛ وراجع: الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٩٧، ١٠١، ١٠٢.

٢ - الطبرسي، أعلام الوري، ص ٩٧؛ الحلبي، السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٧٧؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ٢٠، ص ٣٥٠ و ٣٥٢.

٣ - الطبرسي، مجمع البيان، ج ٩، ص ١١٨؛ المجلسي، مصدر سابق، ج ٢٠، ص ٣٣٤، ٣٥٠. للاطلاع على مزيد من المعلومات حول معاهدة صلح الحديبية، راجع: مكاتيب الرسول، علي الأحمدي المياخي، ج ١، ص ٢٧٥ و ٢٨٧؛ كتاب مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، تأليف محمد حميد الله، ص ٦٦ و ٦٨.

٤ - نصر بن مزاحم، مصدر سابق، ص ٥٠٩ - ٥٠٨؛ الطبرسي، مصدر سابق، ص ٩٧؛ ابن واضح، تاريخ يعقوبي، (النجف: المكتبة الحيدرية، ١٣٨٤هـ)، ج ٢، ص ١٧٩؛ ابو حنيفة الدينوري، الاخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٠م) ص ١٩٤؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ (بيروت: دار صادر)، ج ٣، ص ٣٢، الحلبي، مصدر سابق، ص ٧٠٨.

### نتائج صلح الحديبية

كان المسلمون لا يدركون الآثار والمعطيات الايجابية والبناءة التي ستحصل من وراء هذا الصلح في المستقبل<sup>١</sup> فإظهر البعض منهم مواقف متعنتة<sup>٢</sup>، لكي يصرفوا رسول الله ﷺ عن امضائه؛ ولكن الامور سارت مثلما كان يتوقع رسول الله، ونتجت عن هذا الصلح معطيات وآثار سياسية واجتماعية متعددة، نورد قسماً منها في ما يلي:

١. الاعتراف الرسمي بالمسلمين من قبل المشركين وذلك من خلال توقيعهم لمعاهدة مشتركة معهم، بينما كان المشركون حتى ذلك الوقت لا يقيمون للمسلمين وزناً ولا يحسبون لهم حساباً، وحتى انهم كانوا يصدد القضاء عليهم.

٢. انهيار الجدار الحديدي الذي نشأ بين المشركين والمسلمين، ومالت جماعات كثيرة من المشركين الى الإسلام على اثر تردد الناس بين مكة والمدينة وما يجري عادة خلال ذلك من علاقات وحوارات حرّة بين الافراد من الفريقين وبعد سماعهم كلام المسلمين واستدلالاتهم، بحيث بلغ عدد من اسلموا بعد هذا الصلح الى حين فتح مكة، مثل عدد من أسلموا قبل ذلك أو زاد عليه<sup>٣</sup>.

ويكفي ان نعلم في هذا المجال بأن عدد من رافقوا الرسول ﷺ في سفره هذا لا يتجاوز ألف وثمانمائة شخص، في حين زاد عدد جيش المسلمين بعد سنتين من ذلك التاريخ. أي عند فتح مكة - على عشرة آلاف. وفي ضوء هذا التغيير الواضح الذي حصل لصالح الإسلام

١ - المجلسي، مصدر سابق، ج ٢٠، ص ٣٥٠.

٢ - الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٦٠٧؛ ابن هشام، سيرة النبي، ج ٣، ص ٣٣١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٣، ص ٩٧؛ الحلبي، السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٧٠٦. المخالفة الصريحة التي ابداهها بعض المسلمين للارادة الجاهلية في هذه الواقعة تدل على نوع من الرأي الذاتي والاجتهاد في غير موضعه في مقابل أمر النبي (ص) الذي هو في الواقع أمر الله. هذا النوع من الاعمال التي تكررت لاحقاً عتق مرات من قبل عدد من أصحاب النبي (ص) كانت مصدراً لعدد من الحوادث المريرة والمشاكل في تاريخ الاسلام. في حين ان الاسلام يقتضي من المسلم الطاعة والامثال والتسليم لأمر الله وأمر الرسول، كما قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (سورة الاحزاب، (٣٣)، الآية ٣٦).

٣ - ابن هشام، مصدر سابق، ج ٣، ص ٣٣٦؛ الطبري، مصدر سابق، ج ٣، ص ٨١؛ الحلبي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٧٢١.

٢٦٠..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى رحلة

النبي ﷺ

قال الامام الصادق عليه السلام: <فما انقضت تلك المدة حتى كاد الإسلام يستولي على اهل مكة><sup>١</sup>.

٣. كانت هجمات قريش العسكرية وأعمالها العدوانية لا تتيح للرسول فرصة الدعوة الى الإسلام في داخل وخارج جزيرة العرب، وبعد ابرام هذا الصلح تمكن الرسول من تطهير المناطق المجاورة للمدينة من الاعداء وارسال وفود وجماعات للدعوة الى مناطق مختلفة. وكما سنبين لاحقاً ان دعوة رؤساء وملوك العالم آنذاك الى الإسلام جاءت بعيد صلح الحديبية.

٤. هذا الصلح أدى . نوعاً ما . الى فتح مكة؛ لأنه بموجب الماه الرابعة منه تركت للقبائل الاخرى حرية التحالف والانضمام الى قريش أو الى المسلمين، فتحالفت قبيلة خزاعة مع المسلمين. وقد نقضت قريش هذا الصلح عندما هاجمت خزاعة، ونتيجة لذلك أقدم النبي ﷺ على فتح مكة.

وعند ملاحظة الآثار والنتائج الباهرة التي نجمت عن هذا الصلح، يمكن اعتباره نصراً عظيماً للمسلمين؛ اذ نزلت سورة الفتح على النبي ﷺ في طريق عودته من الحديبية الى المدينة<sup>٢</sup>، ووصف الله عز وجل هذا الصلح بـ <الفتح المبين><sup>٣</sup>.

١ - الطبرسي، أعلام الوري، ص ٩٨؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ٢٠، ص ٣٦٣.

٢ - ابن سعد، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٠٤ - ١٠٥؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج ٣، ص ٣٣٤؛ الطبرسي، إعلام الوري بأعلام الهدى، ص ٩٨؛ الحلبي، مصدر سابق، ص ٧١٤.

٣ - ﴿وَإِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۚ﴾.

## الباب الخامس

### من الدعوة العالمية الى وفاة الرسول

الفصل الاول: الدعوة العالمية

الفصل الثاني: انتشار الإسلام

الفصل الثالث: حجة الوداع ورحلة الرسول (ص)



## الفصل الاول

### الدعوة العالمية

#### الرسالة العالمية للرسول

رغم ان الدين الإسلامي ظهر في بلاد الجزيرة العربية، وبين العرب، وكان النبي ﷺ نفسه من العرب، الا ان الإسلام لم يكن ديناً محلياً وخاصاً بالعرب وحدهم. والدليل على ذلك هو ان آيات القرآن الكريم لم تخاطب قريشاً ولا العرب وإنما جاء خطاب القرآن الى الناس. وفي الحالات التي رأيد فيها توجيه الكلام الى أتباع الإسلام وتكليفهم بواجبات جاء الخطاب باسم المؤمنين، وقد أعلن النبي ﷺ منذ السنوات الأولى لبعثته، وحينما كان يدعو الناس الى الإسلام في مكة، أعلن بأن الدين الذي جاء به دين عالمي. وهناك عدد من آيات القرآن

تحمل الرسالة العالمية بكل وضوح، ومن امثلتها ما يلي:

{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}¹.

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا}².

{وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ}³.

{إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ \* لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا}⁴.

---

١ - سورة الاعراف (٧)، الآية ١٥٨.

٢ - سورة سبأ (٣٤)، الآية ٢٨.

٣ - سورة القلم (٦٨)، الآية ٥٢.

٤ - سورة يس (٣٦)، الآيتان ٦٩ - ٧٠.

{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ}°. {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}٦.

هذه الآيات كلها تقع ضمن السور المكية وتدل على ان شمولية دعوة الرسول كانت مطروحة منذ أيام الدعوة في مكة. ورغم كل هذه الأدلة والشواهد الجلية، زعم بعض الاوربيين من امثال جولدزيهر بأن شمولية رسالة محمد طُرحت لاحقاً، وأما مبادئ تعاليمه الاولى فلم تكن تتجاوز حاجة بعض العرب في زمن حياته [!]. وفي ضوء ما ذكرناه سابقاً يتّضح لنا خواء هذا الكلام، ولا نرى ضرورة لإطالة مناقشته.

### بداية الدعوة العالمية

إذا كان رسول الله ﷺ لم يتوجّه في سنوات الدعوة في مكة وفي اعقاب الهجرة ببضعة سنوات نحو نشر الإسلام خارج جزيرة العرب، فسبب ذلك يُعزى إلى الاعمال العدائية التي كان يقوم بها مشركو مكة، واليهود والاعداء الآخرون. فهذه الاعمال العدائية لم تترك امامه فرصة القيام بهذا العمل، ولكن بعد ابرام صلح الحديبية، حيث أمن من خطر هجوم قريش، واستتب الاستقرار النسبي في المدينة، بعث في شهر ذي الحجة من السنة السادسة للهجرة أو في شهر محرم من السنة السابعة للهجرة كتباً ورسائل الى ملوك ورؤساء العالم يومذاك، دعاهم فيها الى الإسلام، وبعث في يوم واحد ستّة كتب بيد ستة من اصحابه الى كبار ملوك العالم آنذاك، وهم كل من:

النجاشي ملك الحبشة، وقيصر الروم، وكسرى ملك فارس، والمقوقس ملك مصر، والهارث بن ابي شمر الغساني حاكم الشام، وهوذة بن علي ملك اليمامة<sup>٨</sup>.

٥ - سورة التوبة (٩)، الآية ٣٣.

٦ - سورة الانبياء (٢١)، الآية ١٠٧.

٧ - جولدزيهر، محمد الغزالي، ص ٨٠ - ٧٩.

٨ - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٦٢ - ٢٥٨.



وكانت هذه طبعاً طليعة دعوته العالمية، ولم تقتصر الكتب التي بعثها الى ملوك العالم ودعاهم فيها إلى الإسلام على الكتب الستة التي ذكرناها، وانما كان رسول الله ﷺ قد اوفد الى حين وفاته عتد مبعوثين آخرين الى بقاع اخرى من العالم<sup>٩</sup>. وكان مضمون تلك الكتب متشابهاً وقد كُتبت بعبارات بسيطة، وبعيدة عن التكلف، وصريحة، وقاطعة. ومن الطبيعي ان ردود افعال ملوك العالم ازاء هذه الدعوة لم تكن على نحو واحد.

### معركة خيبر

كانت خيبر تتألف من عتد قلاع، وكان أهاليها يشتغلون بالزراعة وتربية الماشية، وكانت ذات ارض زراعية خصبة حتى سُميت «ريف طعام الحجاز»<sup>١٠</sup>. كان أهل خيبر ذوي نعم وفيرة وثراء، وافضل شاهد على ذلك كثرة الطعام والكراع والسلاح الذي صار بأيدي المسلمين من بعد سقوط قلاعهم. وكانت حصونهم وقلاعهم منيعة وحصينة وفيها من المقاتلين عشرة آلاف<sup>١١</sup>. ولذا كانوا يعتبرون انفسهم اقوى من ان يتجرأ المسلمون على محاربتهم<sup>١٢</sup>. وكما مرر علينا عند شرح غزوة بني النضير ومعركة الخندق، ان يهود خيبر كانوا ينتهزون كل فرصة لضرب الحكم الإسلامي الفتي، وتحولت خيبر الى بؤرة دائمة للفتنة والتآمر ضد الإسلام؛ وكذلك انضم قادة بنو النضير في اعقاب هزيمتهم العسكرية في المدينة، الى أهل خيبر وتكاتفوا معهم.

٩ - علي الأحمد المياحي، مكاتيب الرسول، ج ١، ص ٣١. ذكر ابن هشام ان مجموع كتبه عشرة (السيرة النبوية، ج ٤، ص ٢٥٤)، وقال اليعقوبي انها بلغت ثلاثة عشر كتاباً (تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٦٦ - ٦٧) وقال المسعودي في كتاب التنبيه والاشراف (ص ٢٣٦ - ٢٣٧) انها كانت ستة كتب، وذهب احد الباحثين المعاصرين الى ان مجموع كتب النبي (ص) كان اثنين وثلاثين كتاباً. (احمد صابر الحمداني، محمد وزماداران، قم: دار العلم، الطبعة ٢، ١٣٤٦).

١٠ - الواقدي، المغازي، تحقيق: مارسدن جونز، ج ٢، ص ٦٣٤؛ ابن هشام، سيرة النبي، ج ٤، ص ٣٦٠.

١١ - الواقدي، مصدر سابق، ص ٦٣٧ - ٧٠٣. ذكر اليعقوبي ان عددهم كان عشرين الفا. (ج ٢، ص ٤٦).

١٢ - الواقدي، مصدر سابق، ص ٦٣٧.

وفي السنة السادسة للهجرة، جمع سلام بن ابي الحقيق وهو من زعماء بني النضير وقد آلت إليه رئاسة يهود خيبر، جمع قبيلة غطفان وقبائل اخرى من المشركين، وأعد جيشاً قويا لمحاربة المسلمين. وفي عقب اثارة هذه الفتن والقتال تم قتله على ايدي المسلمين، فاختار اهل خيبر أسير بن زارم<sup>١٣</sup> رئيسا لهم. وقد سعى هذا الآخر أيضا الى معاداة الإسلام وتحريض هذه القبائل ضد المسلمين<sup>١٤</sup>.

وبادر رسول الله ﷺ الى عمل اراد ان يزيل به الخصومات والعداوات السالفة، فوجه إليه وفداً على رأسهم عبد الله بن رواحة لاستمالاته وكفّ عداوته، وعندما كلموه وافق على السير معهم الى المدينة ومعه جماعة من اليهود، ولكن اسير ندم في الطريق وحاول الغدر بعبد الله بن رواحة وقتله، وعندما اشتبك الفريقان قتله المسلمون هو وجماعته<sup>١٥</sup> وبهذا اخفقت الجهود السلمية للرسول ﷺ.

وعلاوة على هذه المؤامرات والفتن بين أحد المؤرخين المعاصرين انه كانت هناك مخاوف ان يستعين الروم أو الفرس بيهود خيبر وان يحركوا في نفوسهم ثاراتهم القديمة ويدكروهم اخوانهم في الدين من بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع، ويعدّوا العدة للهجوم على المدينة<sup>١٦</sup>. ومن هنا توجه الرسول ﷺ . في اعقاب ابرام صلح الحديبية وضمان عدم وجود مخاطر من الجنوب . على رأس ألف واربعمائة مقاتل في اوائل السنة السابعة للهجرة<sup>١٧</sup> نحو الشمال لنزع سلاح يهود خيبر، وجعل مسير الجيش بحيث يقطع طريق الاتصال مع قبيلة غطفان

١٣ - ورد اسمه على نحو آخر ايضاً وهو: يُسيرم بن زارم أو رازم. (ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤، ص٢٦٦).

١٤ - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٩٢ - ٩١.

١٥ - ابن هشام، مصدر سابق، ج٤، ص٢٦٧ - ٢٦٦.

١٦ - محمد حسين هيكل، حياة محمد، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة ٨)، ص٣٨٦.

١٧ - الواقدي، مصدر سابق، ص٦٨٩؛ محمد بن سعد، الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر)، ج٢، ص١٠٧؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج٤، ص٣٦٤.

القوية، التي كانت متحالفة مع أهل خيبر، وحال دون أي تعاون محتمل بين هذين الفريقين<sup>١٨</sup>. واعتمد جيش الإسلام مبدأ المباغته وحاصر قلاع خيبر ليلاً، وادرك رؤساء اليهود الخطر المحيط بهم عند انبلاج ضوء النهار.

كانت معركة المسلمين مع أهل خيبر معركة غير متكافئة؛ وذلك لأنهم متحصنون بقلاع حصينة واغلقوا الابواب المؤدية الى داخل المدينة ووضعوا الحرس فوق رؤوس القلاع والاسوار، واخذوا يرمون النبل والحجارة فمنعوا وصول المسلمين الى اسوار القلاع، وجرح من المسلمين في حملة واحدة خمسون شخصاً<sup>١٩</sup>. وعلى صعيد آخر كان لديهم الكثير من مخزون الطعام، في حين ان المسلمين بدأت لديهم ازمة وشحة في الطعام. واخيرا بدأت القلاع تسقط الواحدة تلو الاخرى ولكن بصعوبة ومشقة، بيد ان آخر قلاعهم - وهي القلعة المعروفة باسم <قموص> وكان القائد فيها البطل اليهودي المعروف مرحب - بقيت صامدة وتقاوم، وظل المسلمون عاجزون عن فتحها. وفي احد الأيام دفع النبي ﷺ الراية لأبي بكر، وفي اليوم التالي دفعها الى عمر، وجعل تحت امرتهما مجموعة من الجيش، الا انهما عادا الى معسكر جيش المسلمين من غير ان يحقق أي منهما أي انتصار<sup>٢٠</sup>.

وعندما شاهد الرسول هذا الحال قال:

<لأدفعن الراية غداً الى رجل يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله، ويفتح عليه>.

وبات اصحاب الرسول في تلك الليلة وكل واحد منهم يتمنى ان يدفع له رسول الله ﷺ الراية غداً، وعند شروق الشمس نادى رسول الله ﷺ اين علي؟ فقالوا له يا رسول الله ان في عينيه رمد، فدعا به وعالج عينيه بكرامة الهية، ودفع إليه الراية وقال له: انفذ على رسلك

١٨ - الواقدي، مصدر سابق، ص ٦٣٩.

١٩ - المصدر السابق، ص ٦٤٦.

٢٠ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك (بيروت: دار القاموس الحديث)، ج ٣، ص ٩٣؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ٣٤٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية (بيروت: مكتبة المعارف، الطبعة ٢، ١٩٧٧م)، ج ٤، ص ١٨٦.

حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم الى الإسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق فيه، فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من ان يكون لك حمر النعم.<sup>٢١</sup>

فسار علي عليه السلام لتنفيذ تلك المهمة، وخاضَ مع مرحب مبارزة بطولية انتهت بقتل مرحب، وفتح تلك القلعة الحصينة بكل بسالة.

ويلاحظ انه كانت هناك عددٌ عوامل مؤثرة في فتح خيبر وسقوط هذه البؤرة التي كانت تُحاك منها المؤامرات والفتن، نذكر منها على سبيل المثال القيادة الصالحة للرسول واساليه العسكرية (مثل مبدأ مباغته العدو، واكتساب الاخبار والمعلومات من داخل معسكرهم)، اضافة الى شجاعة علي عليه السلام التي قلما تجد لها نظيراً.

كانت تضحية علي عليه السلام في هذه المعركة وبطولته وثناء الرسول ﷺ عليه، أمراً استقطب الأنظار وصار حديثاً لكل مسلم، وبقيت هذه المآثر حيّة وماثلة في اذهان ذلك الجيل سنوات طويلة وسجلتها صفحات تاريخ ذلك العهد، بحيث ان معاوية بعدما استولى على السلطة (وأشاع بدعة لعن علي) قال يوماً لسعد بن ابي وقاص: ما منعك ان تسب أبا ثراب؟

٢١ - هذا القول لرسول الله (ص) وهذه المهمة التي كُلف بها علي (ع) نقلتها المصادر التالية مع قليل من الاختلاف في الالفاظ والعبارات: صحيح البخاري، تحقيق: الشيخ قاسم الشماخي الرفاعي (بيروت: دار القلم، الطبعة ١، ١٤٠٧هـ)، ج ٥، كتاب المغازي، الباب ١٥٥، ص ٢٤٥؛ صحيح مسلم، بشرح النووي (بيروت: دار الفكر، ١٤٠١هـ)، ج ١٥، ص ١٧٦، ١٧٧؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، (بيروت: دار صادر)، ج ٢، ص ١١٠، ١١١؛ الصدوق، كتاب الخصال (قم: منشورات جماعة المدرسين، ١٤٠٣هـ)، ص ٣١١ (الباب الخامس)؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك (بيروت: دار القاموس الحديث)، ج ٣، ص ٩٣؛ الشيخ سليمان القندوزي الحنفي، ينياع المودة (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات)، ج ١، ص ٤٧؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ (بيروت: دار صادر)، ج ٢، ص ٢١٩؛ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (في حاشية الإصابة) ج ٣، ص ٣٦؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين (بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٦هـ)، ج ٣، ص ١٠٩؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ٣٤٩؛ ابن حجر الميمني المكي، الصواعق المحرقة، مكتبة القاهرة، ١٣٨٥هـ)، ص ١٢١؛ الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٦٣٥؛ ابن واضح، تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ٤٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٤، ص ١٨٦؛ الحلبي، انسان العيون (السيرة الحلبية)، ج ٢، ص ٧٣٣ - ٧٣٦؛ ابو جعفر محمد بن حسن الطوسي، الامالي (قم: دار الثقافة، ١٤١٤هـ)، ص ٣٨٠.

فقال سعد: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبّه؛ ولئن تكن لي واحدة منهن احب إليّ من حمر النعم!:

١. عندما خلّف النبي ﷺ علياً عليه السلام في بعض مغازبه [غزوة تبوك] قال له علي: يا رسول الله تخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: أما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي؟

٢. وسمعه يقول له يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله. قال فتناولها لها. فقال: ادعو علياً، فأتي به ارمداً، فبصق في عينيه ودفع الراية له ففتح الله عليه.

٣. ولما نزلت الآية {فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ} ٢٢ [وتقرر ان يباهل النبي نصارى بجران] دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي ٢٣.

وقد وصف علي عليه السلام تلك المعركة التاريخية في رسالة بعثها إلى معاوية بما يلي:

فإننا وردنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله مدينة أصحاب خيبر على رجال من اليهود وفرسانها من قريش وغيرها، فتلقونا بأمثال الجبال من الخيل والرجال والسلاح، وهم أجمع داراً وأكثر عدداً، كل ينادي ويدعو ويبادر إلى القتال فلم يبرز إليهم من أصحابي أحد إلا قتلوه حتى إذا احمرت الحديق، ودعيت إلى النزال وأهمت كل امرئ نفسه، والتفت بعض أصحابي إلى بعض وكل يقول: يا أبا الحسن انهض، فأنهضني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى دارهم فلم يبرز إلي منهم أحد إلا قتلته، ولا يثبت لي فارس إلا طحنته ثم شددت عليهم شدة الليث على فريسته، حتى أدخلتهم جوف مدينتهم مسدداً عليهم، فاقتلعت باب حصنهم بيدي حتى دخلت عليهم مدينتهم وحدي أقتل من يظهر فيها من رجالها، وأسبي من أجد

٢٢ - سورة آل عمران (٣)، الآية ٦١.

٢٣ - صحيح مسلم، بشرح النووي، ج ١٥، ص ١٧٦. سعد بن أبي وقاص (من بني زهرة) ودخل الاسلام في سن ١٧ (الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ١٣٩) أو ١٩ سنة في مكة (السيرة الحلبية، ج ١، ص ٤٣٤).

٢٧٠..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى رحلة

النبي ﷺ

من نسائها حتى أفتتحتها وحدي، ولم يكن لي فيها معاون إلا الله وحده<sup>٢٤</sup>.  
وعند سقوط آخر الحصون استسلم اليهود وانتهت المعركة. وكان عدد من قُتل فيها من  
اليهود ٩٣ شخصا<sup>٢٥</sup>، ونال الشهادة من المسلمين ٢٨ شخصا<sup>٢٦</sup>.

### مصير يهود خيبر

وبعدما هُزم أهل خيبر ونزلوا على حكم رسول الله وفتح خيبر سألهم اليهود . على اعتبار  
أنهم أهل النخل والزراعة واعرف بها من غيرهم . ان يقيهم على اراضيهم، فوافق على ما  
طلبوه بشرط ان يقدموا في كل سنة نصف انتاجهم من المحاصيل الزراعية للدولة الإسلامية<sup>٢٧</sup>،  
على ان يغادروها متى ما أمرهم بمغادرتها<sup>٢٨</sup>. وبقيت هذه المعاهدة يُعمل بها الى زمن خلافة  
عمر، ولكن ظهرت في عهد حكمه تحركات من اليهود ضد المسلمين، فاخرجهم من هناك  
وأجلاهم الى الشام<sup>٢٩</sup>.

### فدك

وبعد فتح خيبر، استسلم يهود فدك، ووقع الصلح بينهم وبين رسول الله ﷺ ان لهم  
نصف الارض بترتها؛ وبما ان فدك قد فتحت بغير قتال فقد جعل نصفها خالصا لرسول  
الله ﷺ<sup>٣٠</sup>.

---

٢٤ - الصدوق، الخصال، ص٣٦٩، باب السبعة.

٢٥ - المجلسي، بحار الانوار، ج٢١، ص٣٢.

٢٦ - محمد ابراهيم آيتي، تاريخ پیامبر اسلام (طهران: دار نشر جامعة طهران، الطبعة ٣، ١٣٦١)، ص٤٧٣ - ٤٧٥.

٢٧ - الواقدي، المغازي، ج٢، ص٦٩٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤١٠ (كلمة خيبر).

٢٨ - ابن هشام، سيرة النبي، ج٣، ص٣٥٢.

٢٩ - ياقوت الحموي، مصدر سابق، ص٤١٠؛ البلاذري، فتوح البلدان (بيروت: ١٣٩٨هـ)، ص٣٦، ٣٧.

٣٠ - البلاذري، مصدر سابق، ص٤٢؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج٢، ص٣٥٢؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٢٤؛

الواقدي، مصدر سابق، ج٢، ص٧٠٧؛ ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج٤، ص٢٣٨ (كلمة فدك)؛ ابو عبيد قاسم بن سلام،







## الفصل الثاني

### انتشار الإسلام

#### معركة مؤتة

ذكرنا سابقا ان رسول الله ﷺ بدأ رسالته العالمية بعد ابرام صلح الحديبية، فدعا رؤساء وملوك العالم يومذاك الى الإسلام.

وكان من بين الدول آنذاك امبراطوريتي الروم وفارس، وكانت من اعظم الدول في ذلك العهد. وكان قيصر الروم يميل الى اعتناق الإسلام بعد المعلومات التي توفرت لديه عن نبو محمد ﷺ. ولما اعلن عن هذه الرغبة واجه معارضة حادّة من الأهالي (وكانوا على الدين المسيحي) ومن جيش الروم، فتراجع عمّا كان قد عزم عليه<sup>١</sup>، وهذا الموقف يحمل بين طيّاته دلالة تشير الى ان امراء الروم وقادتهم الآخرين لهم مواقف مناهضة للإسلام. ويمكن النظر الى غزوة مؤتة في ضوء هذه الاوضاع والظروف.

في سياق مساعي الرسول لنشر دعوته في خارج شبه جزيرة العرب، بعث في شهر جمادى الاولى - السنة الثامنة للهجرة - الحارث بن عمير الازدي الى ملك بُصرى (الشام)<sup>٢</sup> فقبض عليه عليه شرحبيل بن عمرو الغساني، امير بلاد الشام لقيصر الروم<sup>٣</sup>، وبعد استنطاقه ومعرفة المهمة

١ - زيني دحلان، السيرة النبوية والآثار الحمديّة (بيروت: دار المعرفة، ط٢)، ج٢، ص ١٧٠ - ١٧١؛ الحلبي، السيرة الحلبية (انسان

(انسان العيون)، (بيروت: دار المعرفة)، ج٣، ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

٢ - كتب الحلبي ما يلي: الكتاب الى هرقل ملك الروم الذي كان في ذلك الوقت في الشام (السيرة الحلبية، ج٢، ص ٧٨٦).

٣ - المصدر السابق، ج٢، ص ٧٨٦.

## ٢٧٤..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى رحلة

النبي ﷺ

المهمة التي اوفد من أجلها، قتله في قرية مؤتة؛ فلَمَّا بلغ الخبر رسول الله ﷺ اشتد عليه ذلك<sup>١</sup>.

ورغم ان مقتل شخص واحد لا يؤدي عادة الى وقوع حرب، الا ان قتل سفير النبي ﷺ كان عملاً يتنافى مع الاصول الاخلاقية والاعراف الشائعة التي تقتضي أن يكون السفير آمناً على حياته، وكان ذلك العمل بمثابة تهديد عسكري ورسالة تعبر عن روح الاغترار بالقوة من قبل امير الشام في مقابل الدعوة الدينية السلمية التي عرضها رسول الله ﷺ؛ ولذا عزم النبي ﷺ على ارسال جيش الى هناك. ويمكن تسمية هذا العمل الذي قام به الرسول بأنها رسالة تحمل معنى عزة الإسلام وقدرته على توجيه ضربة عسكرية مقابلة.

وفي ضوء هذا الواقع سير رسول الله ﷺ الى مؤتة جيشاً من ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة جعفر بن ابي طالب<sup>٢</sup>، ومن بعده زيد بن حارثة، ومن بعده عبد الله بن رواحة، بحيث اذا قتل أحدهم حل الآخر مكانه<sup>٣</sup>.

---

١ - الواقدي، المغازي، تحقيق مارسدن جونز (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات)، ج ٢، ص ٧٥٥؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر)، ج ٢، ص ١٢٨.

٢ - رجع جعفر بن ابي طالب من الحبشة الى المدينة بعد سنوات من الإقامة هناك، وكان ذلك في السنة السابعة للهجرة، بعد فتح خيبر، ووافي الرسول (ص) وهو هناك، فالتزمه رسول الله وقاتل ما بين عينيه وقال: لا ادري بأيهما أفرح بقدم جعفر أو بفتح خيبر. ابن سعد، الطبقات الكبرى، (بيروت: دار صادر)، ج ٤، ص ٣٥؛ ابن الاثير، اسد الغابة (طهران: المكتبة الإسلامية، ١٣٣٦ ش)، ج ١، ص ٢٨٧؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، (في حاشية الإصابة)، ج ١، ص ٢١٠؛ ابو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبين، تحقيق سيد احمد صقر (قم: منشورات الشريف الرضي، ١٤١٦ هـ)، ص ٣٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، (بيروت: مكتبة المعارف)، ج ٤، ص ٢٠٦.

٣ - المشهور هو ان قيادة هذا الجيش كانت بيد زيد ويأتي من بعده جعفر، ولكن هناك روايات عند الشيعة (كما نقل الطبرسي) تذكر ان القائد الاول كان جعفر، وتوجد قرائن تؤيد صحة هذا المعنى. <جعفر سبحاني، فروغ ابدیت (قم: دار نشر مكتب الاعلام الاسلامي، ١٣٦٨، ج ٥)، ج ٢، ص ٢٩١ - ٢٩٣>. وأحد الروايات التي نقلها محمد بن سعد جاءت بهذا المضمون (الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١٣٠). وللإطلاع على مزيد من المعلومات حول هذا الموضوع، راجع: مجموعة مقالات، (دراسات وبحوث في التاريخ والاسلام، السيد جعفر مرتضى العاملي، ج ١، ص ٢١٠).

اشتبك الجيش الإسلامي قرب قرية مؤتة مع جيش الروم الذي كان يتألف من مائة ألف مقاتل. وحمل كل واحد من قادة الجيش الإسلامي اللواء وقاتل، حتى قتلوا ثلاثتهم. ثم ان افراد الجيش الإسلامي اختاروا خالد بن الوليد لقيادة الجيش، وقد اتبع خالد بعض الاساليب التي تمكن بواسطتها من ادخال الرعب في قلوب الاعداء، ثم أمر الجيش بالانسحاب من ساحة المعركة، وعاد به الى المدينة<sup>١</sup>.

وقد ذكر الواقدي بأن عدد من استشهد من المسلمين في هذه الغزوة ثمانية<sup>٢</sup>، بينما ذكر ابن هشام انهم كانوا اثني عشر شهيداً<sup>٣</sup> وذكرت مصادر معاصرة انهم سبعة عشر<sup>٤</sup>، وتقع قبور هؤلاء الشهداء اليوم الى جوار مدينة مؤتة<sup>٥</sup>، وعلى قبر كل واحد من القادة الثلاثة ضريح وقبة، وهناك الى جانب قبر جعفر مسجد مبني على طراز جميل<sup>٦</sup>.

### فتح مكة

سبقت الإشارة الى ان احد بنود صلح الحديبية هو اقرار هدنة لمدة عشر سنوات بين المشركين والمسلمين. وقد استفاد النبي ﷺ من حالة الأمن والاستقرار التي توفرت للمسلمين بعدما كفت عنهم قريش ممارستها العدائية وهجماتها العسكرية، وخطا بعض الخطوات البعيدة

١ - ابن هشام، سيرة النبي، (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٥هـ)، ج ٤، ص ١٩ - ٢١؛ محمد بن جرير الطبري، تاريخ الامم والملوك (بيروت: دار القاموس الحديث)، ج ٣، ص ١٠٧ - ١١٠؛ الواقدي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٧٥٥ - ٧٦٩؛ ابن سعد، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٢٨ - ١٣٠؛ الحلبي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٧٨٧ - ٧٩٣؛ الطبرسي، اعلام الوری، ص ١٠٢ - ١٠٤؛ زيني دحلان، مصدر سابق، ج ٢، ص ٦٨ - ٧٢؛ المجلسي، بحار الانوار (طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٨٤هـ)، ج ٢١، ص ٥٠ - ٦٣؛ الطوسي، الأمالي (قم: دار الثقافة، الطبعة ١، ١٤١٤هـ)، ص ١٤١.

٢ - المغازي، ج ٢، ص ٧٦٩.

٣ - السيرة النبوية، ج ٤، ص ٣٠.

٤ - محمد ابراهيم آيتي، تاريخ پیامبر اسلام (طهران: دار نشر جامعة طهران، ١٣٦١)، ص ٥٠١.

٥ - تقع مؤتة في الاردن، في محافظة الكرك التي تقع الى الجنوب من العاصمة عَمَّان وتبعد عنها مسافة ١٣٥ كيلو متراً.

٦ - جعفر سبحاني، تقرير سفره الى الاردن (مؤتة ارض الذكريات) مجلة درسهائي از مكتب اسلام، سنة ٣٨، العدد ٧، الشهر السابع ١٣٧٧هـ.ش.

المدى، وكان منها انه بعث وفوداً الى مناطق متعددة لأغراض الدعوة والارشاد، ووضع مبدأ عالمية الرسالة موضع التنفيذ، وهادن الكثير من القبائل المعادية التي كانت تقطن الى جوار المدينة، وعقد معاهدات صلح معها، وكذلك سقطت خيبر التي كانت تمثل مصدراً دائماً للفتن والخطر.

### قريش تنقض العهد

وبعد سنتين نقضت قريش معاهدة صلح الحديبية؛ فموجب البند الرابع من هذه المعاهدة، اتاحت لكل قبيلة حرية التحالف مع محمد ﷺ أو مع قريش. وفي تلك الاثناء عقدت قبيلة خزاعة حلفاً مع المسلمين، بينما عقدت قبيلة بني بكر (من كنانة) حلفاً مع قريش<sup>١</sup>. وفي السنة الثامنة للهجرة أغار بنو بكر على خزاعة ليلاً، واعانت قريش بني بكر بالسلح وقوم من قريش اعانواهم بأنفسهم، وقتلوا جماعة من خزاعة، فكان ذلك نقضاً للصلح الواقع يوم الحديبية<sup>٢</sup>. فقدم رئيس بني خزاعة على رسول الله ﷺ مستغيثاً، وفي اعقاب ذلك اخذ الرسول يجهز جيشه وعلن النفير العام بين المسلمين<sup>٣</sup>، وقرر الهجوم على مكة ولكنه لم يكشف عن الوجهة التي يريد ان يقصدها لكي يحافظ على مبدأ المباغتة، ولكي لا تعلم قريش بحركته، ولكي يتمكن من السيطرة على مكة بلا حرب وبلا اراقة دماء<sup>٤</sup>، وأمر بمراقبة الطرق المؤدية الى مكة<sup>٥</sup>، وسأل الله ان يأخذ على ابصار قريش فلا يروه الا بغتة<sup>٦</sup>.

١ - كانت بين هاتين القبيلتين حروب ودماء قبل الاسلام (ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ٣١). ومنذ ذلك الوقت كانت خزاعة في حلف مع عبد المطلب. (الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٧٨١).

٢ - ابن هشام، سيرة النبي، ج ١، ص ٣٣؛ الواقدي، المغازي، ج ٢، ص ٧٨٣؛ ابن واضح، تاريخ يعقوبي، (النحف: المكتبة الحيدرية، ١٣٨٤هـ)، ج ٢، ص ٤٧. يقول ابن هشام: قتل في هذه الحملة رجل واحد من خزاعة (ج ٤، ص ٣٣). بينما ذكر الواقدي وابن سعد ان عدد من قتل كان عشرين شخصاً (المغازي، ج ٢، ص ٧٨٤؛ الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١٣٤).

٣ - الواقدي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٧٩٩ - ٨٠٠؛ ابن سعد، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٣٥.

٤ - الواقدي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٧٩٦ - ٨٠٢؛ ابن سعد، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٣٤.

٥ - الواقدي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٧٨٧ - ٧٩٦؛ ابن سعد، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٣٤.

انتشار الإسلام ..... ٢٧٧

وجَهَّز النبي ﷺ جيشاً قوامه عشرة آلاف مقاتل<sup>٢</sup> وسار نحو مكة؛ وكان لتدابيره الوقائية تأثيرها، إذ لم تعلم قريش بحركته إلى أن عسكر جيش المسلمين عند مشارف مكة (مر الظهران)!

كان العباس عم النبي ﷺ يقيم حتى ذلك العام في مكة، وصادف أنه كان . عند مسير جيش المسلمين إلى مكة . متوجها نحو المدينة، وجاء إلى النبي في منزل الجحفة، ولكنه عاد برفقة المسلمين إلى مكة. وفي الليلة الأخيرة التي كان فيها جيش المسلمين يعسكر خارج مكة، التقى بأبي سفيان خارج المدينة، فجاء به حتى أدخله على رسول الله ﷺ<sup>٣</sup> ولما رأى كثرة عسكر المسلمين أصابه الفزع، وعفا عنه رسول الله ﷺ بناءً على طلب عمه، وقال: <كل من دخل المسجد الحرام فهو آمن، ومن دخل داره واغلق بابه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن>.

وقبل دخول جيش الإسلام إلى مكة، أقبل أبو سفيان بخبر الأمان الذي جعله رسول الله ﷺ لأهل مكة، وكان هذا الاجراء مؤثراً في حقن الدماء واستسلام المدينة بغير مقاومة. وهكذا سقطت مدينة مكة، ولم يحصل اشتباك إلا في موضع واحد حيث اشتبك عدد من المعاندين من قريش مع جيش المسلمين فقتل أشخاص من الفريقين<sup>٤</sup>. وبعد دخول مكة ركب رسول الله راحلته وطاف بالبيت، وجعل كلما مرَّ بصنم من الاصنام التي كانت فيها يشير إليه بقضيب في يده ويقول:

{جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا}<sup>٥</sup> فكان الصنم يقع لوجهه.

١ - ابن هشام، مصدر سابق، ج ٤، ص ٣٩؛ ابن سعد، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٣٤؛ تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ٤٧.

٢ - ابن هشام، مصدر سابق، ج ٤، ص ٤٢، ٦٣؛ ابن سعد، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٣٥؛ الواقدي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٨٠١.

٣ - ابن هشام، مصدر سابق، ص ٤٢، ٤٤، ٤٦؛ الواقدي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٨١٧ - ٨١٩.

٤ - ذكروا أن العدد كان بين ١٥ و ٢٨ شخصاً. (ابن هشام، مصدر سابق، ص ٥٠؛ الواقدي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٨٢٥؛ ابن

سعد، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٣٦).

٥ - سورة الاسراء (١٧)، الآية ٨١.

ثم ان رسول الله ﷺ أمر علي بن ابي طالب فصعد على كتفه (كما هو مشهور بين المؤرخين والمحدثين) وأسقط صنما كبيرا كان موضوعا فوق الكعبة وحطّمه<sup>١</sup>. واستنادا الى حديث منقول عن الامام الصادق عليه السلام انه قال: ان الصنم الذي كسره علي عليه السلام كان هبل، وقد دُفن بأمر رسول الله ﷺ عند باب شيبية (احد ابواب دخول المسجد الحرام) [لكي يُداس بالاقدام]. فصار الدخول من المسجد من باب بني شيبية سنة لأجل ذلك<sup>٢</sup>.

١ - ابن هشام، مصدر سابق، ج ٤، ص ٥٩؛ الواقدي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٨٣٢؛ ابن سعد، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٣٦؛ وكذلك راجع: الطوسي، الأمالي (قم: دار الثقافة، ١٤١٤هـ)، ص ٣٣٦؛ الحلبي، السيرة النبوية، (بيروت: دار المعرفة)، ج ٣، ص ٣٠؛ زيني دحلان، السيرة النبوية والآثار المحمدية (بيروت: دار المعرفة الطبعة ٢)، ج ٢، ص ١٠٢؛ القسطلاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، (بيروت: دار المعرفة، الطبعة ١، ١٤١٦هـ)، ج ١، ص ٣٢٢؛ علي بن موسى بن طاووس، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف (قم: مطبعة الخيام)، ج ١، ص ٨٠ - ٨١؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل ابي طالب (قم: المطبعة العلمية)، ج ٢، ص ١٣٥ - ١٣٦؛ جار الله الزمخشري، تفسير الكشاف، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ج ٢، ص ٢٤٤.

نقل العلامة الاميني هذه الحادثة عن ٤١ محدثاً من محدثي اهل السنة. (الغدير، ج ٢، ص ١٠ - ١٣). وبناء على ما ورد في بعض المصادر (مثل: المناقب للخوارزمي وفرائد السمطين، ونباييع المودة، وتذكرة الخواص، وكذلك بناءً على ما جاء في بعض الاحاديث المنقولة في بحار الانوار، وما شابه ذلك) ان هذه الواقعة كانت في احدى سنوات ما قبل الهجرة ونفذت ليلاً بعيداً عن انظار قريش (ويحتمل ان القضية وقعت بكلا صورتين).

انعكست قضية صعود علي على كتف النبي (ص) منذ القدم في اشعار جماعة من الشعراء، ومنهم ابن العرندس الحلبي من شعراء القرن التاسع للهجرة، الذي يقول في قصيدة طويلة:

وضُعود غارب احمد فضل له دون القراءة والصحابة افضالا  
(الغدير، ج ٧، ص ٨).

وكذلك قال ابن ابي الحديد في واحدة من قصائده السبع العلويات مما يتعلّق بفتح مكة:

رَقِيتْ بِأَسْمَى غَلِيٍّ أَخَذَتْ بِهِ مَلَأْتُكَ يَتْلُونَ الْكِتَابَ الْمُسْتَطَرَّ  
مُحَمَّدٌ الْمُرْسَلِينَ وَأَوْشَرَ الْأُفُقِ نَامَ وَزُكِّيَ فَاعِلٌ وَ طِيَّ الْفَرَى  
(الدكتور محمد ابراهيم آتبي البرجندي، تاريخ پیامبر اسلام، انتشارات جامعة طهران، ص ٥٢٩ - ٥٣٠).

٢ - الحرّ العاملي، وسائل الشيعة (بيروت: دار احياء التراث الإسلامي، ج ٩، ص ٣٢٣، ابواب مقدمات الطواف، باب استحباب دخول المسجد الحرام من باب بني شيبية، الحديث ١).

### العفو العام

على الرغم من ان قريش ومشركي مكة لم يتورعوا عن ممارسة كل انواع العداء والمعارضة والضغوط والجنائيات ضد المسلمين منذ ظهور الإسلام وحتى ذلك اليوم (يوم فتح مكة) وكان النبي قادرا على الانتقام منهم في ذلك اليوم، الا انه اعلن عفواً عاماً عنهم . عدا نفر قليل ممكن كان قد اقترف جنائيات كبرى<sup>١</sup> . وقال لهم:

اقول كما قال اخي يوسف: {لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}<sup>٢</sup>، اذهبوا فأنتم الطلقاء<sup>٣</sup>.

ان قريش التي استسلمت بذلً كانت تتوقع ان ينتقم منها رسول الله ﷺ انتقاماً قاسياً، ولكنها بعدما رأت منه العفو تأثرت تأثراً بالغاً. وقد قام رسول الله ﷺ الى جانب الكعبة خطيباً فقال:

ايها الناس! ان الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والارض، فهي حرام الى يوم القيامة، لا يحل لمؤمن بالله واليوم الآخر ان يسفك فيها دماً ولا يعضد فيها شجراً، لم تحل لأحد كان قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، ولم تحل لي الا ساعة من نهار، ثم رجعت كحرمتها بالأمس، فليبلغ شاهدكم غائبكم...<sup>٤</sup>.

وعقد رسول الله ﷺ بعد فتح مكة بيعة مع النساء المسلمات فيها بأن:

لا يشركن بالله شيئاً، ولا يسرقن، ولا يزنين، ولا يقتلن اولادهن، ولا يأتين بهتان

١ - ذكروا ان عددهم كان ثمانية او عشرة اشخاص. (ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤، ص٥١ - ٥٣؛ الواقدي، المغازي، ج٢، ص٧٢٥؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص١٣٦) ثم شمل العفو عددا منهم أيضاً.

٢ - سورة يوسف (١٢)، الآية ٩٢.

٣ - الحلي، السيرة الحلبية (انسان العيون)، ج٣، ص٤٩؛ زيني دحلان، السيرة النبوية والآثار الحمديّة، ج٢، ص٩٨.

٤ - ابن هشام، مصدر سابق، ج٤، ص٥٨؛ ابن واضح، تاريخ يعقوبي، ج٢، ص٥٠؛ الواقدي، مصدر سابق، ج٢، ص٨٤٤، مع اختلاف في اللفاظ.

يفترينه بين ايديهن وأرجلهن ولا يعصين النبي في معروف<sup>١</sup>.

ان بعض الشخصيات التي برزت اسمائها لاحقاً أو تبوّأت مناصب عليا، كانت في الواقع من بين الذين اشهروا اسلامهم من بعد فتح مكّة، ونخص منهم بالذكر أبا سفيان<sup>٢</sup> وابنه معاوية<sup>٣</sup>.

ونظراً الى الظروف العسيرة والقاسية التي كانت سائدة قبل فتح مكّة، بالمقارنة مع الانفراج النسبي الذي حصل في اعقاب ذلك، فقد جعل الله تعالى لمن اسلم قبل الفتح درجة معنوية ارفع ممن اسلم بعد الفتح، قائلاً:

{وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}٤.

### نتائج فتح مكّة

كانت مكّة هي القلعة الحصينة والقاعدة المركزية للمشرّكين، وهي البؤرة التي كانت تنظّم وتدعم كل القوى المناهضة للإسلام، وكانت كل القوى المعادية للإسلام تلقى منها التأييد والاسناد؛ ولذا فقد فتح سقوط هذه المدينة صفحة مهمة في حركة تاريخ الإسلام، وبهذه الحادثة صار من المتيقّن ان عهد عبادة الأصنام قد ولى بغير رجعة.

١ - السيّد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٩، ص ٢٤٦، عقدت هذه البيعة بعد نزول الآية ١٠ من سورة الممتحنة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَنُفُوسُهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَرِ مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ أَلَا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يُخَوِّمُ بَيْنَكُمْ وَلِلَّهِ عِلْمُ خَيْرٍ﴾ ونظراً لتشابه مفاد هذه البيعة مع بيعة العقبة الاولى، سمّيت بيعة العقبة الاولى لاحقاً باسم بيعة النساء.

٢ - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١٣٥؛ ابن الاثير، اسد الغابة (طهران: المكتبة الإسلامية، ١٣٣٦)، ج ٤، ص ٣٨٥ و ٥، ص ٢١٦؛ ابن عبد البر، الاستيعاب (في حاشية الإصابة)، ج ٢، ص ٨٥.

٣ - ابن الاثير، مصدر سابق، ج ٤، ص ٣٨٥؛ الحلبي، مصدر سابق، ج ٣، ص ٤٣؛ زيني دحلان، مصدر سابق، ج ٢، ص ٩٦.

٤ - سورة الحديد (٥٧)، الآية ١٠.



كانت القبائل العربية تنتظر فتح مكة ودخول قبيلة قريش الكبيرة في الإسلام. وبعدما سقطت مكة وأسلمت قريش أخذت وفود القبائل تأتي وتعلن إسلامها<sup>١</sup>، وأظهرت كل القبائل طاعتها للإسلام عدا قبيلتي هوازن وثقيف<sup>٢</sup>، وكان من بين القبائل التي قدمت وفودها على رسول الله ﷺ وأعلنت الطاعة له: قشير بن كعب<sup>٣</sup>، وباهلة<sup>٤</sup>، وثعلبية<sup>٥</sup>، والصداء<sup>٦</sup>، وبني اسد<sup>٧</sup>، وبلي<sup>٨</sup>، وعذرة<sup>٩</sup>، وثماله<sup>١٠</sup>، وحدان<sup>١١</sup>. وبعد غزوة حنين (هوازن) والطائف (التي وقعت بعد فتح مكة) قدم وفد قبيلة ثقيف (وكانت قبيلة قوية وتحتل في الطائف ذات المكانة التي تحتلها قريش في مكة) على رسول الله، واشتروا في بداية الأمر مجموعة من الشروط للدخول في الإسلام، ولكن رسول الله ﷺ لم يقبل أي منها، ولذلك فقد دخلت هذه القبيلة في الإسلام بلا قيد أو شرط<sup>١٢</sup>. وكانت هذه التطورات بمثابة نجاح باهر في مسيرة تقدم الإسلام.

### معركة حنين\*

١ - شهاب الدين أحمد النويري، نهاية الإرب في فنون الادب، ج٣، ص١١.

٢ - الحلبي، السيرة الحلبية (بيروت: دار المعرفة)، ج٣، ص٦١.

٣ - ابن سعد، الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر)، ج١، ص٣٠٣.

٤ - المصدر السابق، ص٣٠٧.

٥ - المصدر السابق، ص٢٩٨؛ النويري، مصدر سابق، ص٣٧.

٦ - ابن سعد، مصدر سابق، ص٣٢٦.

٧ - ابن سعد، مصدر سابق، ص٢٩٢؛ النويري، مصدر سابق، ص٣٨.

٨ - ابن سعد، مصدر سابق، ص٣٣٠؛ النويري، مصدر سابق، ص٨٩.

٩ - ابن سعد، مصدر سابق، ص٣٣١؛ النويري، مصدر سابق، ص٨٣.

١٠ - ابن سعد، مصدر سابق، ص٣٥٢؛ النويري، مصدر سابق، ص١٠٣.

١١ - ابن سعد، مصدر سابق.

١٢ - الواقدي، المغازي، ج١، ص٩٦٦.

\* - حنين واد الى جانب ذي المجاز أو ماء قرب الطائف، يبعد ثلاث ليال عن مكة. (المواهب اللدنية، ج١، ص٣٢٨).

## ٢٨٢..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى رحلة

النبي ﷺ

بعد فتح مكة الذي حصل في العشرين من شهر رمضان<sup>١</sup> أقام رسول الله ﷺ ملتق<sup>٢</sup> اسبوعين في هذه المدينة<sup>٣</sup>؛ فنظّم اوضاع المدينة ونادى مناديه: من كان في بيته صنم فليكسره<sup>٤</sup> وبعث جماعة الى المناطق المجاورة لمكة لتحطيم ما كان فيها من معابد الأصنام<sup>٥</sup>. وفي اثناء هذه الملتق<sup>٦</sup> بلغ رسول الله ﷺ ان قبيلة هوازن أخذت تعد الجيوش وتساندها في ذلك قبائل ثقيف، ونصر، وجشم، وسعد بن بكر، وطائفة من قبيلة بني هلال، بقيادة مالك بن عوف النصري بقصد الهجوم على مكة<sup>٧</sup>. وكان هذا الخبر صحيحا اذ نزل جيش كثير العدد يتألف افراده من القبائل المذكورة في ارض تُدعى أوطاس قاصدا الهجوم على مكة.

فبعث رسول الله ﷺ من يستطلع له الاخبار خفية، فأبجز المبعوث المهمة وتبين له صدق خبر مسير جيش هوازن الى مكة<sup>٨</sup>.

فقرر النبي ﷺ ان يتحصن<sup>٩</sup> وفقا لاسلوبه العسكري ويأخذ بزمام المبادرة ولا يترك للعدو فرصة الهجوم، فاستعمل عتاب بن اسيد أميرا على مكة<sup>١٠</sup>، ثم خرج في جيش قوامه اثنا عشر

---

١ - الواقدي، المغازي، تحقيق مارسدن جونز (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات)، ج ٣، ص ٨٨٩، الطبري، تاريخ الامم والملوك (بيروت: دار القاموس الحديث)، ج ٣، ص ١٢٥ ذكرت بعض المصادر ان يوم فتح مكة كان في ايام اخرى من ايام شهر رمضان.

٢ - الواقدي، مصدر سابق، الطبري، مصدر سابق، ص ١٢٥؛ القسطلاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة ١، ١٤١٦هـ)، ج ١، ص ٢٢٦.

٣ - ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، (النحف: المكتبة الحيدرية، ١٣٨٤هـ)، ج ٢، ص ٥٠.

٤ - القسطلاني، مصدر سابق، ص ٢٢٧؛ النويري، نهاية الإرب في فنون الادب، ج ٢، ص ٢٨٠ - ٢٨١؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر)، ج ٢، ص ١٤٥ - ١٤٧.

٥ - ابن هشام، سيرة النبي، (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي)، ج ٤، ص ٨٠؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك (بيروت: دار القاموس الحديث)، ج ٣، ص ١٢٦.

٦ - ابن هشام، مصدر سابق، ج ٤، ص ٨٢؛ الطبري، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٢٧؛ الواقدي، مصدر سابق، ج ٣، ص ٨٩٣.

٧ - الواقدي، مصدر سابق، ص ٨٨٩؛ الطبري، مصدر سابق، ص ١٢٧.

ألفاً (عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح الله بهم مكة، وألفان من أهل مكة الذين اسلموا حديثاً)<sup>١</sup> وجعل بني سليم في مقدمة جيشه<sup>٢</sup>.  
ثم ان بعض المسلمين اغتر بكثرة الجيش فقالوا: لا نُغلب اليوم من قلة<sup>٣</sup>. ولكن النتيجة في الواقع العملي جاءت على العكس من ذلك كما بين تعالى في القرآن الكريم<sup>٤</sup>؛ فكثرة الافراد لم تكن شيئاً في هذه المعركة.

### هزيمة المسلمين في الجولة الاولى

وعباً رسول الله ﷺ أصحابه في السَّحَر، وانحدروا في وادي حنين، ولكن جيش هوازن الذي كان قد كمن في مضيق الوادي وشعبه، خرج عليهم وهاجمت كتائبه جيش المسلمين<sup>٥</sup>. وقد اذهل هذا الهجوم المباغت الذي شنه العدو جيش المسلمين؛ فانهزم. بنو سليم الذين كانوا في مقدمة الجيش<sup>٦</sup>؛ وتبعهم اهل مكة وتبعهم الناس منهزمين، ولم يثبت الى جانب رسول الله الا نفر قليل ممن صمدوا في وجه العدو<sup>٧</sup>. واستناداً الى ما نقله الشيخ المفيد فان الناس قد انهزموا ولم يبق معه الا تسعة من بني هاشم أحدهم علي بن أبي طالب.

١ - ابن هشام، مصدر سابق، ص ٨٣؛ الطبري، مصدر سابق، ص ١٢٧؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر)، ج ٢،

ص ١٥٠؛ الطبرسي، إعلام الوري، الطبعة ٣، المكتبة الإسلامية، ص ١١٣؛ ابن واضح، تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ٥٢.

٢ - الواقدي، مصدر سابق، ص ٨٩٣؛ ابن سعد، مصدر سابق، ص ١٥٠.

٣ - الواقدي، مصدر سابق، ص ٨٨٩؛ ابن سعد، مصدر سابق، ص ١٥٠؛ الطبرسي، مصدر سابق، ص ١١٣؛ الشيخ المفيد، الإرشاد، (قم: مكتبة بصيرتي)، ص ٧٤.

٤ - سورة التوبة (٩)، الآية ٢٥.

٥ - ابن هشام، مصدر سابق، ص ٨٥؛ الواقدي، مصدر سابق، ص ٨٩٥؛ الطبري، مصدر سابق، ص ١٢٨؛ الطبرسي، إعلام الوري، ص ١١٤؛ المجلسي، بحار الانوار (طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٨٤هـ)، ج ٢١، ص ١٦٩؛ الشيخ المفيد، مصدر سابق، ص ٧٥.

٦ - الواقدي، مصدر سابق، ص ٨٩٧؛ ابن سعد، مصدر سابق، ص ١٥٠.

٧ - الواقدي، مصدر سابق، ص ٩٠٠؛ ابن واضح، تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ٥٢.

فكان العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ عن يمينه، والفضل بن العباس عن يساره، وعلي يقاتل بالسيف أمامه<sup>١</sup>.

### النصر الظافر في الجولة الاخيرة

انهزم المسلمون الا ان رسول الله ﷺ الذي كان على الدوام مثالا في الصبر والثبات والشجاعة لم يتزعزع ولم يضعف، بل ثبت في ميدان القتال واخذ ينادي بالناس <اين تفرون؟ انا رسول الله، انا محمد بن عبد الله>.

وقال لعمه العباس (الذي كان من الهاشميين الذين ثبتوا معه في ساحة المعركة، وكان جهوري الصوت):

<ناد في القوم وذكرهم العهد> فنادى العباس بأعلى صوته: يا أهل بيعة الشجرة، ويا أصحاب سورة البقرة، الى اين تفرون؟! اذكروا العهد الذي عاهدكم عليه رسول الله ﷺ<sup>٢</sup>. ونتيجة لثبات النبي ودعوته من فتروا للعودة والمقاومة، عاد اليه المسلمون تدريجياً والتفوا حوله واخذوا يقاومون العدو ويصدون هجماته؛ ولم يمض طويلا حتى قتل حامل لواء جيش العدو بسيف علي عليه السلام<sup>٣</sup> وجاء المدد الغيبي الالهي وهزمت هوازن شر هزيمة، وأخذ منهم اربعة آلاف اسير، وغنم المسلمون منهم اثني عشر الف ناقة وغنائم كبيرة اخرى<sup>٤</sup>. وبعد

١ - الإرشاد، ص ٧٤. حول شجاعة علي (ع) في هذه الحرب راجع: الامالي، الشيخ الطوسي، (قم: دار الثقافة، الطبعة ١، ١٤١٤هـ)، ص ٥٧٤ - ٥٧٥.

٢ - ابن سعد، مصدر سابق، ص ١٥١؛ ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٥٢؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ٢١، ص ١٥٠.

٣ - ابن واضح، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٥٢.

٤ - سورة التوبة (٩)، الآية ٢٦.

٥ - الطبرسي، إعلام الوري، ج ٢، ص ١١٦، نقل ابن سعد ان عدد الاسرى كان ستة آلاف، ومقدار الغنائم اربعة وعشرين الف بعير، ومن الغنم أكثر من اربعين ألف شاة، واربعة آلاف اوقية من الفضة. <الطبقات الكبرى، (بيروت: دار صادر)، ج ٢، ص ١٥٢>.

انتهاء المعركة، اطلق رسول الله ﷺ سراح الأسرى بناء على طلب رؤساء القبائل المنهزمة بعدما كانوا قد اسلموا<sup>١</sup>. وكان جميع من استشهد من المسلمين اربعة نفر<sup>٢</sup>.

وقد ذكر الله عز وجل في القرآن الكريم تلك الهزيمة الاولى التي حلت بالمسلمين، ثم انتصارهم لاحقاً في ظل الامداد الغيبي، بقوله:

{لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ} \* ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ} <sup>٣</sup>.

### غزوة تبوك\*

عند دراستنا لأسباب معركة مؤتة تعرّفنا على المواقف العدائية لامبراطورية الروم ضد الدولة الإسلامية الفتية، ولاحظنا أن المسلمين قد هزموا في أول صدام عسكري بين الجانبين.

١ - ابن سعد، مصدر سابق، ص ١٥٣ - ١٥٥؛ الطبري، مصدر سابق، ص ١٣٢ و ١٣٥.

٢ - ابن هشام، مصدر سابق، ص ١٠١؛ ابن سعد، مصدر سابق، ص ١٥٢؛ الواقدي، مصدر سابق، ص ٩٢٢؛ ابن واضح، مصدر سابق، ص ٥٢؛ الطبري، مصدر سابق، ص ١٣٢.

٣ - سورة التوبة (٩)، الآيات ٢٥ - ٢٦.

\* - تبوك: موضع كان معروفاً في منتصف طريق المدينة الى دمشق >القسطلاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣١٦هـ)، ج ١، ص ٣٤٦؛ زيني دحلان، السيرة النبوية والآثار المحمدية (بيروت: دار المعرفة، ج ٢، ص ١٢٥) وبين تبوك والمدينة تسعون فرسخاً، وذلك مسيرة اثني عشرة ليلة. (المسعودي، التنبيه والاشراف، (القاهرة: دار الصاوي للطبع والنشر، ص ٢٣٥) وكانت حينذاك تدخل ضمن الشريط الحدودي لممتلكات السكان المسيحيين لامبراطورية الروم. وتقع تبوك اليوم ضمن اراضي المملكة العربية السعودية قرب حدودها مع الاردن، واللوحة الموجودة في الطريق المتجه من المدينة المنورة الى الشمال تشير الى ان تبوك تبعد مسافة ستمائة كيلو متر وتيّف عن المدينة المنورة.

٣٢١ - الواقدي، المغازي، تحقيق مارسدن جونز، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات)، ج ٣، ص ٩٩٠؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، (بيروت: دار صادر)، ج ٢، ص ١٦٥؛ القسطلاني، مصدر سابق، ص ٣٤٦؛ الحلبي، السيرة الحلبية (بيروت: دار المعرفة)، ج ٣، ص ٩٩) وصلت هذه الاخبار عن طريق تجار البنط الذين كانوا يحملون الزيت والدقيق الى المدينة (الواقدي، مصدر سابق، ص ٩٨٩ - ٩٠٠).

كانت دولتا الروم والفرس آنذاك دولتين كبيرتين، وكانت تدور بينهما حروب متناوبة طويلة، الا انهما كانتا لا ترغبان طبعاً في ظهور قوًى ثالثة على المستوى العالمي، ولهذا كان من الطبيعي ان يسوء الروم (الذين كانوا الجار الشمالي لشبه جزيرة العرب) ما حققه المسلمون من نصر في فتح مكّة وما الحقوه من هزيمة بقبيلة هوازن في معركة حنين. وانطلاقاً من المؤثرات المذكورة، وفي ضوء انتصار الروم في معركة مؤتة فقد كان من المتوقّع ان يقوم الروم بتحرير عسكري ضد المسلمين.

وفي السنة التاسعة للهجرة وصلت الرسول ﷺ اخبار عن طريق التجار الذين كانوا يترددون بين المدينة والشام بأن هرقل امبراطور الروم يعدّ العتد ويجهّز الجيوش استعداداً للهجوم على المدينة<sup>١</sup>. فتلقى الرسول تلك الاخبار بنظر الاهتمام وأخذ يتأهب للمواجهة. وكانت امبراطورية الروم ألدّ عدو للمسلمين في ذلك الحين من حيث سالف العداء وكذا من حيث القوًى السياسية والعسكرية<sup>٢</sup>. كانت الانباء تشير الى ان هرقل جمع قبائل عربية مثل لخم، وجذام، وعاملة، وغسان، وسيّرها في مقدّمة جيشه الى البلقاء<sup>٣</sup>، وأقام هو في حمص<sup>٤</sup>.

أمر رسول الله أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم؛ وذلك في زمان من عسرة الناس، وشدة الحرّ وحين طابت الثمار، والناس يحبّون المقام في ظلالهم ويكرهون الشخوص على الحال والزمان

١ - الواقدي، المغازي، تحقيق مارسدن جونز، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات)، ج٣، ص٩٩٠؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، (بيروت: دار صادر)، ج٢، ص١٦٥؛ القسطلاني، مصدر سابق، ص٣٤٦؛ الحلبي، السيرة الحلبية (بيروت: دار المعرفة)، ج٣، ص٩٩) وصلت هذه الاخبار عن طريق تجار النبط الذين كانوا يحملون الزيت والدقيق الى المدينة (الواقدي، مصدر سابق، ص٩٨٩ - ٩٠٠).

٢ - الواقدي، مصدر سابق، ص٩٩٠.

٣ - الواقدي، مصدر سابق، ابن سعد، مصدر سابق.

٤ - ابن سعد، مصدر سابق، ص١٦٦.

٥ - ابن سعد، مصدر سابق، القسطلاني، مصدر سابق؛ الحلبي، مصدر سابق؛ الطبري، تاريخ الامم والملوك، (بيروت: دار القاموس الحديث)، ج٣، ص١٤٢.

## انتشار الإسلام ..... ٢٨٧

الذي هم عليه<sup>١</sup>. فندب الناس الى الخروج وبعث الى مكة والى قبائل العرب يستنفرهم، وأمرهم بالصدقة فحملوا معهم صدقات كثيرة<sup>٢</sup>. وكان رسول الله ﷺ قلما يخرج في غزوة الا كَتَّى عنها لأسباب أمنية واخبر انه يريد غير الوجه الذي يصمد له، الا ما كان من غزوة تبوك فانه بيّنها للناس، لبعد الشقة، وشدة الزمان، وكثرة العدو الذي يصمد له، ليتأهب الناس لذلك اهبتة؛ فأمر الناس بالجهاز واخبرهم انه يريد الروم<sup>٣</sup>.

ورغم عسرة الظروف وصعوبة الحال فقد جاد المسلمون بسخاء واخلاص<sup>٤</sup>، وتجهّز ثلاثون ألف مقاتل للمسير<sup>٥</sup>، ولهم عشرة آلاف فرس<sup>٦</sup>، واثنا عشر ألف جمل<sup>٧</sup>. وفي مقابل ذلك تحلّف المنافقون بغير عذر<sup>٨</sup> بل واخذوا يثبطون الناس عن الخروج<sup>٩</sup>؛ وقد نزلت آية في ذمهم<sup>١٠</sup>.

وتخلف جماعة من المسلمين عن الخروج بغير عذر مقبول، وقد سمّاهم القرآن <المخلفين>

١ - الواقدي، مصدر سابق، ص ٩٩٢؛ الطبري، مصدر سابق؛ الحلبي، مصدر سابق؛ ابن هشام، سيرة النبي، (القاهرة: مكتبة مصطفى الباني الحلبي، ١٩٥٥هـ)، ج ٤، ص ١٥٩.

٢ - ابن سعد، مصدر سابق، الواقدي، مصدر سابق، ص ٩٩١ - ٩٩٠؛ القسطلاني، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٤٧؛ الحلبي، مصدر سابق؛ ابن هشام، مصدر سابق، ص ١٦٠؛ الطبرسي، أعلام الوري، دار الكتب الإسلامية، ص ١٢٢.

٣ - ابن سعد، مصدر سابق، ص ١٦٥ و ١٦٧؛ الواقدي، مصدر سابق؛ القسطلاني، مصدر سابق، ص ٣٤٦؛ الطبرسي، مصدر سابق؛ الحلبي، مصدر سابق، ص ٩٩؛ ابن هشام، مصدر سابق، ص ١٥٩.

٤ - الواقدي، مصدر سابق، ص ٩٩١؛ الطبري، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٤٢.

٥ - ابن سعد، مصدر سابق، ص ١٦٦؛ الواقدي، مصدر سابق، ص ٩٩٦ و ١٠٠٢؛ القسطلاني، مصدر سابق، ص ٣٤٩؛ الحلبي، مصدر سابق، ص ١٠٢.

٦ - الواقدي، مصدر سابق، ص ١٠٠٢؛ ابن سعد، مصدر سابق، ص ١٦٦.

٧ - المسعودي، التنبيه والاشراف، (القاهرة: دار الصاوي للطباعة والنشر)، ص ٢٣٥.

٨ - ابن سعد، مصدر سابق، ص ١٦٥، ١٦٦؛ الواقدي، مصدر سابق، ص ٩٩٥.

٩ - الواقدي، مصدر سابق، ص ٩٩٣؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ١٦٠؛ القسطلاني، مصدر سابق، ص ٣٤٢.

١٠ - ﴿وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون...﴾ (سورة التوبة (٩)، الآية ٨١).

وذمهم<sup>١</sup>؛ كما ان جماعة آخرين حرموا من المسير في تلك الغزوة رغم شدة رغبتهم في الخروج مع جيش المسلمين وذلك لأنهم كانوا يفتقرون لمعدات للقتال<sup>٢</sup>.

### استخلاف علي في المدينة

كان وضع المدينة حساساً في تلك الأيام، وكما مرّ علينا، فان جيش الإسلام كان متوجهاً الى موضع بعيد جداً، هذا من جهة؛ ومن جهة اخرى كان المنافقون . رغم تظاهرهم بالإسلام . قد رفضوا الخروج مع الرسول ﷺ وتخلّفوا في المدينة، والتف حول عبد الله بن ابي الكثير ممن يرون رأيه<sup>٣</sup>.

وعلاوة على ذلك كانت هناك مخاوف من تأمر أولئك الذين قهرهم الإسلام في مكة واطرافها والبدو في اطراف المدينة، ولهذا كان ينبغي ان يدير شؤون المدينة . في غياب الرسول . رجل قوي له القدرة على منع كل ما يخل بالوضع الأمني في عاصمة الحكومة الإسلامية الفتية، والا لكان من المحتمل وقوع احداث مؤلمة.

وفي ضوء هذه المؤشّرات، استخلف رسول الله ﷺ علياً رضي الله عنه على المدينة وقال له: **«يا علي ان المدينة لا تصلح الا بي أو بك»<sup>٤</sup>.**

كتب المسعودي حول هذه القضية ما يلي:

**«والأشهر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف علياً على المدينة ليكون مع من ذكرنا من المتخلفين»<sup>٥</sup>.**

١ - ﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله...﴾ (سورة التوبة (٩)، الآية ٨١).

٢ - سورة التوبة (٩)، الآيات ٨٧ - ٩٣.

٣ - الواقدي، مصدر سابق، ص ٩٩٥؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج ٤، ص ١٦٢.

٤ - الشيخ المفيد، الإرشاد، (قم: مكتبة بصيرتي)، ص ٨٢؛ الطبرسي، أعلام الوري، ص ١٢٢.

٥ - التنبيه والاشراف، ص ٢٣٦.



وعدا هذه الغزوة كان علي عليه السلام قد خرج مع الرسول في كل غزواته<sup>١</sup> وكان حامل لوائه<sup>٢</sup>. وقد اشاع المنافقون بأن الرسول قد خلف علياً في المدينة لأنه لا يريد له الخروج معه، أو انه يستثقل خروجه معه! فشعر علي عليه السلام بالاستياء من هذه التقولات، فحمل سيفه وتبع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى لحق به في الجرف\* وأعلمه بما يشيعه عنه المنافقون من الأقاويل، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

<كذبوا انما خلفتك لما ورائي فارجع فاخلفني في أهلي واهلك؛ افلا ترضى يا علي ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي...><sup>٣</sup>.

وانه قال له . طبقاً لنقل الشيخ المفيد .:

<ارجع يا اخي الى مكانك، فان المدينة لا تصلح إلا بي أو بك، فأنت خليفتي في أهل بيتي ودار هجرتي وقومي، أما ترضى...><sup>٤</sup>.

وكتب ابن عبد البر القرطبي . وهو من علماء اهل السنة في القرن الخامس . ما يلي: <خلفه رسول الله على المدينة وعلى عياله بعده في غزوة تبوك وقال له: أنت مني...><sup>٥</sup>. وطبقاً لنقل البخاري ومسلم، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شبه علياً بهارون اخي موسى، وقال له ذلك القول<sup>٦</sup>.

١ - ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (في حاشية الإصابة)، ج ٣، ص ٣٤؛ الحلبي، السيرة الحلبية، ج ٣، ص ١٠٤؛ القسطلاني، المواهب اللدنية، ج ١، ص ٣٤٨.

٢ - ابن عبد البر، مصدر سابق، ص ٢٧؛ السيد جعفر مرتضى العاملي، الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ١٤٠٣هـ، ج ٤، ص ١٩٣ - ١٩٦.

\* - الجرف موضع يبعد ثلاثة أميال عن المدينة.

٣ - ابن هشام، سيرة النبي، ج ٤، ص ١٦٣؛ الحلبي، السيرة الحلبية، ج ٣، ص ١٠٤.

٤ - الإرشاد، ص ٨٣.

٥ - الاستيعاب، ج ٣، ص ٣٤.

٦ - صحيح البخاري، شرح وتحقيق الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي، (بيروت: دار القلم، الطبعة ١٤٠٧هـ)، ج ٦، ص ٣٠٩؛ المغازي، الباب ١٩٥، ح ٨٥٧؛ صحيح مسلم، بشرح النووي (بيروت: دار الفكر، ١٤٠١هـ)، ج ١٥، ص ١٧٥؛ فضائل

هذه الكلمة التاريخية لرسول الله ﷺ تعرف باسم <حديث المنزلة>، وتعتبر من الأدلة الجلية والواضحة على امامة وخلافة علي عليه السلام وذلك ان هذا الكلام . وان كان في مورد خاص وهو غزوة تبوك . ولكن الاستثناء المنقطع يدل على ان عليا عليه السلام يستوي مع هارون اخي موسى في جميع الشؤون، ومنها خلافة النبي ﷺ<sup>١</sup>.

### وعورة الطريق

ورغم كل الصعوبات والمعوقات فقد خرج جيش الإسلام من المدينة، ولاقى المسلمون في

---

الصحابة، فضائل علي بن ابي طالب، قول رسول الله ﷺ جعله بالنسبة له مثلما هارون لموسى، ورد - فضلا عن الكتب المذكورة اعلاه - في المصادر التالية:

المواهب اللدنية، ج ١، ص ٢٤٨؛ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (في حاشية الإصابة)، ج ٣، ص ٣٤؛ البداية والنهاية، ج ٥، ص ٧ وج ٨، ص ٧٧؛ مسند احمد، ج ١، ص ١٧٩؛ كنز العمال، ج ١٤٢٤٢، ٣٢٨٨١، ٣٦٥٧٢؛ الجامع الصحيح، الترمذي، المناقب، الباب ٢١، ح ٣٧٣٠؛ التنبيه والاشراف، ص ٢٣٥؛ الصواعق المحرقة، ص ١٢١؛ الإصابة، ج ٢، ص ٥٠٩، الرقم ٥٦٨٨؛ سيرة زيني دحلان، ج ٢، ص ١٢٦؛ مروج الذهب، ج ٣، ص ١٤؛ امالي الشيخ الطوسي، ص ٥٩٩.

وهنا لابد من القول بأن بعض المصادر ذكرت ان رسول الله (ص) استخلف على المدينة في سفره هذا محمد بن مسلمة، وذكرت اخبار اخرى انه استخلف سباع بن عرفطة. (راجع: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ١٦٢؛ السيرة الحلبية، ج ٣، ص ١٠٢؛ تاريخ الامم والملوك، ج ٣، ص ١٤٣؛ الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١٦٥؛ المواهب اللدنية، ج ١، ص ٣٤٨). ولكن كما لاحظنا في ضوء كثرة بل تواتر الاخبار التي نصت على استخلافه عليا في المصادر المعتمدة عند الشيعة والسنة بأنه لا يمكن التعويل على الاخبار المعارضة لها. فقد كتب ابن عبد البر - وهو من كبار المؤرخين وعلماء الرجال والفقهاء عند اهل السنة في القرن الخامس - حديث <انت مني بمنزلة هارون من موسى>، نقله جماعة من الصحابة وهو من اوثق وأصح الاحاديث وقد نقله سعد بن ابي وقاص، وابن عباس، وابو سعيد الخدري، وأم سلمة، واسماء بنت عميس، وجابر بن عبد الله الانصاري وجماعة غيرهم ممن يطول ذكرهم (الاستيعاب، ج ٣، ص ٣٤).

١ - وعلى الرغم من وجود هذه الدلالة الواضحة فقد شكك قسم من علماء اهل السنة ومنهم الحلبي الشامي، وابن تيمية، انطلاقاً مما يتصفون به من تعصب وما يحملونه من تفكير خاص، في دلالة هذا الحديث. للاطلاع على مزيد من المعلومات بشأن دلالة هذا الحديث، وكذا تفصيل المصادر والطرق إليه - التي تربو على مائة طريق - راجع: كتاب الغدير، ج ٣، ص ١٩٧ - ٢٠١؛ احقاق الحق، ج ٥، ص ١٣٣ - ٢٣٤ وكتاب بيشوائى از نظر اسلام، جعفر سبحاني (انتشارات مكتب اسلام، ١٣٧٤ش)، راجع: الفصل الخامس عشر.

الطريق الى تبوك الكثير من العسر، فالطريق كان طويلاً والمقصد بعيداً، وكان الرجال والثلاثة منهم يركبون على بعير واحد، وكان الحر شديداً مع قلة في الماء فأصابهم عطش شديد وتحملوا الكثير من المشقة والعناء والعسر؛ ولذا عُرفت هذه الغزوة في تاريخ الإسلام باسم <غزوة العُسرة><sup>١</sup>، و<جيش العُسرة><sup>٢</sup>.

وعلى اية حال فقد قطع جيش الإسلام مسافة طويلة حتى وصل الى تبوك ولكنه لم يجد هناك اثراً لجيش الروم؛ فقد كانت الاخبار التي تحدثت عن تحرك جيش الروم غير صحيحة<sup>٣</sup>، وكان الهدف من هذه الاشاعة بث الرعب والقلق في اوساط المسلمين<sup>٤</sup>.

### معاهدات الرسول مع رؤساء القبائل

أقام رسول الله ﷺ في تبوك عشرين ليلة<sup>٥</sup> وفي هذه المدة عقد معاهدات صلح مع حاكم أيلة، ومع أهالي جرباء، وأذرح، التزموا بموجبها بدفع الجزية للمسلمين، وعقد النبي معاهدة صلح أيضاً مع حاكم دومة الجندل في اعقاب عمليات عسكرية قام بها جيش الإسلام ضده واستسلم على أثرها ودفع للمسلمين مبلغاً من المال<sup>٦</sup>.

وقعت غزوة تبوك في شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة<sup>٧</sup>، وانعكس قسم من ابعادها في سورة التوبة خاصة في الجانب المتعلق بما اكتنفها من صعوبات وشدائد وعسر، وما تعلل به بعض المسلمين من اعدار عند استنفار المسلمين للخروج، اضافة الى بيان خيانة المنافقين

١ - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص١٦٧؛ القسطلاني، المواهب اللدنية، ج١، ص٣٤٦؛ الحلبي، مصدر سابق، ج٣، ص١٠٦.

٢ - صحيح البخاري، ج٦، ص٣٠٨؛ المسعودي، التنبيه والاشراف، ص٢٣٥؛ القسطلاني، مصدر سابق، ص٣٤٦. هذا الاسم والعنوان مستقى من الآية ١١٧ من سورة التوبة ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَلِأُوْلَئِكَ جُنُودٌ لِّأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ...﴾.

٣ - الواقدي، المغازي، ج٣، ص١١٩١ - ١٩٩٠.

٤ - الحلبي، مصدر سابق، ص٩٩.

٥ - ابن سعد، مصدر سابق، ج٢، ص١٦٦ - ١٦٨؛ الواقدي، مصدر سابق، ص١٠١٥.

٦ - الطبرسي، أعلام الوري، ص١٢٣؛ القسطلاني، مصدر سابق، ص٣٥٠؛ الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج٣، ص١٤٦.

٧ - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص١٦٥؛ ابن هشام، سيرة النبي، ج٤، ص١٥٩؛ الحلبي، مصدر سابق، ص٩٩؛ القسطلاني، مصدر سابق، ص٣٤٦.

وما افتعلوه من عراقيل وما شابه ذلك. وقد وقعت قضية <مسجد ضرار> المشهورة بالتزامن مع غزوة تبوك، وأشارت اليها الآية ١٠٧ من سورة التوبة.

### نتائج غزوة تبوك

رغم ان هذه الغزوة التي كانت حافلة بالعسر والمشقة لم يقع فيها قتال ولكن تمخّضت عنها تأثيرات ونتائج مهمة، نعرض قسماً منها في ما يلي:

١. عقد رسول الله في سفره هذا معاهدات صلح مع قبائل وامراء المنطقة الحدودية الواقعة بين الحجاز والشام، وضمن بذلك استتباب الأمن في هذه المنطقة، واطمأن الى انهم لن يتعاونوا مع قيصر الروم.

٢. تكوّن لدى قادة الجيش الإسلامي من خلال هذا العمل العسكري تصوّر تام عن طبيعة تلك المنطقة وتضاريسها ومشاكلها، وتعلّموا طريقة اعداد الجيوش في مواجهة القوى الكبرى يومذاك؛ ولعل هذا السبب الذي جعل اول بلد يفتحه المسلمون بعد وفاة الرسول ﷺ هو الشام.

٣. في ضوء هذا النفير العام تميز المؤمنون من المنافقين، وحصل نوع من الفرز والتصفية في صفوف المسلمين<sup>١</sup>.

٤. ومن المعطيات والنتائج الاخرى المهمة لهذه العملية العسكرية تصاعد معنّى الاعتبار العسكري للمسلمين، وميل القبائل العربية الى اعتناق الإسلام، ولقاء وفودها مع رسول الله ﷺ للاعلان عن طاعتها له؛ وهذا ما نسلط الضوء عليه في ما يلي:

### انتشار الإسلام في جزيرة العرب

مثلما شكل فتح مكّة منعطفاً في طريق انتشار الإسلام في جزيرة العرب، كذلك كانت

١ - جعفر سبحاني، فروغ ابدیت، (قم: دار نشر مكتب الاعلام الاسلامي، الطبعة ٥، ١٣٦٨)، ج ٢، ص ٤٠٣ - ٤٠٤.

غزوة تبوك بمثابة خطوة مهمة أخرى في هذا الاتجاه؛ لأن هذا التحجّر . الذي يمثّل في واقع الحال مناورة عسكرية كبرى . زاد من الهيبة العسكري للمسلمين وجعله اعظم مما كان عليه؛ وأدرك الجميع من خلال ذلك بأن النظام الإسلامي أصبح على درجة من القوّة بحيث يستطيع مجابهة اعظم قوّة في العالم في منطقة قصيّة. وكان التأثير السياسي والعسكري لهذه المناورة على درجة عالية بحيث ان وفود القبائل العربية التي لم تدخل في الإسلام حتى ذلك الوقت، أخذت تتوافد على رسول الله ﷺ في المدينة المنورة . من بعد عودته من تلك الغزوة . وتعلن طاعتها له، بعدما ايقنت بأنّ عهد الشرك وعبادة الأصنام قد ولى . وكان عدد الوفود التي قدمت على الرسول لهذا الغرض في ذلك العام كثير بحيث سمّيت السنة التاسعة بـ «سنة الوفود»<sup>١</sup>.

### البراءة من المشركين

توفرت في اعقاب فتح مكّة اجواء مناسبة لنشر التوحيد واجتثاث عبادة الأصنام وغيرها من الخرافات والافكار الباطلة المنبثقة عن عبادة الأصنام؛ وترك اكثر أهالي الحواضر والبادي عبادة الأصنام واعتنقوا الإسلام. ولكن بقيت حتى ذلك الوقت فئة غلب عليها الجهل والتعصّب ظلّت متمسكة بتلك الثقافة الجاهلية المغلوطة ولم تكن مستعدة للتخلّي عنها، وكان يشق عليها قبول الدين الجديد الذي جاء به النبي محمد ﷺ .

ومن جهة أخرى، كان رسول الله ﷺ قد ادى فريضة العمرة على مرّتين ولكن لم تتوفر له حتى ذلك الحين فرصة الحج (بعيدا عن الاضافات والخرافات التي ألصقت به في عهد عبادة الأصنام)؛ وبقي المشركون يحجّون حجا ناقصا تكتنفه الخرافات والخزعبلات؛ ومن جهة

١ - ابن هشام، سيرة النبي، ج ٤، ص ٢٠٥. وقد سجل كتاب السير مسرّداً لهذه الوفود وذكر ان عددها زاد على ستين وفداً. راجع:

الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٩١ - ٣٥٩؛ تاريخ پیامبر اسلام، محمد ابراهيم آيتي، ص ٦٠٩ - ٦٤٢.

ثلاثة أبرم بعد فتح مكة نوعان من المعاهدات بين رسول الله والمشركون:

١. معاهدات عامة تنص على ان الحج مُتاح لكل من يشاء ولا يُمنع أحد من الحج، وان يستتب الأمن في الأشهر الحرم ولا يُتعرض فيها لأحد.
٢. معاهدات ذات أمد مع بعض القبائل العربية<sup>١</sup>.

وبعد غزوة تبوك نزلت آيات سورة البراءة، وأمر النبي ﷺ باعلان البراءة من المشركون، وان يضع أمداً لهذه المعاهدات، وان ينقذ بعض التعليمات التي وردت في تلك الآيات؛ وجاءت الآيات الاولى من سورة البراءة على ما يلي:

{بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ \* فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ \* وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ \* إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ \* فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُواهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} <sup>٢</sup>.

### مبعوث الرسول

بعد نزول هذه الآيات علّم النبي ﷺ قسما من الآيات الاولى لسورة البراءة لأبي بكر وأمره بتلاوتها في يوم عيد الأضحى عند اجتماع الحجاج.

سار ابو بكر الى مكة، وفي هذه الاثناء نزل الوحي على الرسول ﷺ بأن هذه الرسالة لا يؤديها عنك الا انت او رجل منك، وعند وصول هذا الأمر، أمر رسول الله ﷺ عليا

١ - ابن هشام، سيرة النبي، ج ٤، ص ١٩٠.

٢ - سورة البراءة (٩)، الآيات ١ - ٥.

## انتشار الإسلام ..... ٢٩٥

بأن يسير الى مكة ويأخذ الآيات من ابي بكر في الطريق ويبلغها للمشركين في اجتماع الحجاج.

توجه علي عليه السلام الى مكة راكبا جمل الرسول ﷺ وأبلغ أبا بكر أمر الرسول ﷺ. فسلم ابو بكر الآيات الى علي وعاد الى المدينة غاضبا وجاء الى النبي ﷺ وقال له:  
انك أهلتني لأمر طالت الاعناق إلي فيه، فلما توجهت إليه رددتني عنه، ما لي؟ أنزل في قرآن؟ فقال له رسول الله ﷺ: لقد نزل علي الوحي بأن هذا الأمر يجب ان أؤديه أنا أو رجل مني.

### اعلان البراءة وانذار الرسول ﷺ

دخل علي مكة وتلا في يوم العاشر في ذي الحجة الآيات الاولى من سورة البراءة عند اجتماع الناس<sup>١</sup>، وأبلغ انذار الرسول الى اسماع كل الحجاج كما يلي:  
١. ان الله ورسوله بريئان من المشركين.  
٢. لا يحج بعد هذا العام مشرك.  
٣. لا يطوف بالبيت عريان<sup>٢</sup>.  
٤. للمشركين مهلة أمدها اربعة اشهر ابتداء من هذا اليوم لبلوغ مآمنهم وبلادهم، ومن بعدها لا عهد لأي مشرك، وانما يُقتلون حيثما وجدوا، إلا من كان له عهد مع رسول الله فعهده الى امده.

١ - ورد ذكر هذه الواقعة - باختلاف طفيف - في المصادر التالية: تاريخ الامم والملوك، ج ٣، ص ١٥٤؛ سيرة ابن هشام، ج ٤، ص ١٩٠؛ الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٩١؛ تفسير مجمع البيان، ج ٥، ص ٣؛ تذكرة الخواص، ص ٥٧؛ البداية والنهاية، ج ٥، ص ٣٧ و ٣٨ وج ٧، ص ٣٥٨؛ تفسير روح المعاني، ج ١، تفسير سورة التوبة؛ تفسير المنار، ج ١٠، ص ١٥٧.

٢ - كان طواف المشركين عراة أحد مظاهر انحطاطهم الديني. وتعود اسبابه الى نزعة قريش في الاستثناء بكل شيء والاستحواذ على كل شيء. وقد عرضنا توضيحها وافيا حول هذا الموضوع في الفصل الثالث من الباب الاول من هذا الكتاب تحت عنوان <الوضع الديني المضطرب>.

٥. لا يدخل الجنة الا مسلم<sup>١</sup>.

وفي اعقاب هذا الانذار واعلان البراءة وعندما رجع المشركون الى مواطنهم أخذوا يتلاومون ويقولون هاهي قريش قد اسلمت، فماذا تفعلون؟ فأسلموا<sup>٢</sup>، ولم يحج بعد ذلك العام مشرك، ولم يطف بالبيت عريان<sup>٣</sup>.

### المباهلة مع وفد نصارى نجران\*

وفي سياق ما كتبه رسول الله ﷺ الى قادة ورؤساء وملوك اقاليم وبلدان العالم يومذاك، بعث أيضاً كتاباً الى اسقف نجران، حمد فيه إله ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب، ودعاه فيه [والمسيحيين الآخرين] الى الكف عن عبادة العباد، والتوجه الى عبادة الله، ودعاهم الى ولاية الله بدلا من ولاية العباد؛ أو ان يدفعوا الجزية، وإن أبوا ذلك عليهم ان ينتظروا وقوع الحرب<sup>٤</sup>.

١ - ورد مفاد انذار رسول الله - مع اختلاف من حيث الانجاز والتفصيل - في المصادر التالية: سيرة ابن هشام، ج٤، ص١٩١؛ الميزان في تفسير القرآن، ج٩، ص١٦٣ و١٦٥؛ تفسير المنار، ج١٠، ص١٥٧؛ البداية والنهاية، ج٧، ص٣٥٨؛ الغدير، ج٦، ص٣٤٣ و٣٤٨.

٢ - الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج٣، ص١٥٤؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٩١.

٣ - ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤، ص١٩١؛ ابن الاثير، البداية والنهاية، ج٥، ص٣٧.

\* - نجران في مخاليف اليمن من ناحية مكة. «ياقوت الحموي، معجم البلدان، (بيروت: دار احياء التراث العربي)، ج٥، ص٢٦٦>. كتب عماد الدين ابو الفداء (٦٧٢ - ٧٣٢هـ): «نجران مدينة صغيرة يكثر فيها النخيل، بينها وبين مكة مسافة عشرين يوماً. (تقوم البلدان، ص١٢٧). ولكن يبدو ان هذه المدينة قد اتسعت على مدى القرون اللاحقة، إذ كتب عنها زيني دحلان (١٢٣١ - ١٣٠٤هـ) ما يلي: نجران، مدينة عظيمة تقع على مسافة سبعة منازل من مكة في اتجاه اليمن، وفيها ثلاثة وسبعون قرية. (السيرة النبوية والآثار المحمدية، ج٢، ص١٤٤). واليوم تُظهر خارطة المملكة العربية السعودية ان نجران احدى مدن هذا البلد، وتقع قرب حدود اليمن.

٤ - ابن واضح، تاريخ يعقوبي، (النجف: المكتبة الحيدرية، ١٣٨٤هـ)، ج٢، ص٧٠ - ٧١؛ راجع: البداية والنهاية، (بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٧٧م)، ج٥، ص٥٣؛ بحار الانوار، ج٢١، ص٢٨٥؛ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة،



وتذكر بعض المصادر ان رسول الله ﷺ ضمّن كتابه<sup>١</sup> الآية ٦٤ من سورة آل عمران<sup>٢</sup>.

وبعدما تلقى اسقف نجران كتاب رسول الله ﷺ دعا كبار قومه ومن له علم بدينهم لبحث الموضوع؛ وبما ان علماء الدين المسيحيين كانت لديهم معلومات حول علائم نبوة الرسول وقرب مبعثه، فقد استقر الرأي عندهم ان يبعثوا وفداً الى المدينة ليأتوا رسول الله ويسألوه عن دلائل نبوته.

وبعد قدوم وفد نصارى نجران الى المدينة . وكان على رأسهم ثلاثة من كبار علمائهم، ومن الاسقف نفسه . لقيهم رسول الله ﷺ وحاورهم ودعاهم الى الإسلام، وتلا عليهم آيات من القرآن. فقال المسيحيون: كُنا مسلمين قبلك. فقال: كذبتهم، يمنعكم من الإسلام ثلاث: سجودكم للصليب، واكلكم لحم الخنزير، وقولكم اتخذ الله ولداً.

ثم بدأ النقاش حول عبودية أو الوهية عيسى، واحتجّوا هم بما جاء به عيسى من المعجزات كاحياء الموتى والاخبار عن المعيّبات، وشفاء المرضى، وخاصة انه ولد من غير أب، في حين اكد رسول الله لهم ان عيسى كان عبد الله ورسوله. وطال النقاش في هذا ولكنهم لم يذعنوا بأن عيسى كان بشراً. وفي تلك الاثناء نزل على صدر رسول الله ﷺ {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ}،<sup>٣</sup> {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} \* الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ}،<sup>٤</sup> {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ

محمد حميد الله، ص ٣٤؛ علي الأحمدي المياجي، مكاتيب الرسول (ط ٣، ١٣٦٣ هـ. ش)، ج ١، ص ١٧٥.

١ - ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِذَا تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

٢ - السيّد بن طاووس، الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرّة في السنة، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني (قم: دار نشر المكتب الاعلامي في الحوزة العلمية في قم، الطبعة ٢، ١٣٧٧ هـ. ش)، ج ٢، ص ٣١١.

٣ - سورة المائدة (٥)، الآية ١٧.

٤ - سورة آل عمران (٣)، الآيات ٥٩ - ٦٠.

نَبْتَهْلُ فَنَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ<sup>١</sup>.

وبعد نزول هذه الآيات قال لهم رسول الله ﷺ: امرني ربي انكم ان لم تسلموا ان اهلكم<sup>٢</sup>.

فقالوا: انظرنا. ثم انهم عادوا الى مقرهم وتشاوروا في امرهم، وقد انذرهم اسقفهم وكبير وفدهم بان محمدا رسول الله وإن باهلتموه لنزل عليكم العذاب وهلكتم. ولكنهم لم يصغوا لقوله واصرروا على طلب المباهلة.

وكان من المقرر ان تجري المباهلة في اليوم التالي. فقال لهم اسقفهم: انظروا ان جاء محمد غداً بولده وأهل بيته فاحذروا مباهلته، وان باصحابه وأتباعه فباهلوه<sup>٣</sup>.

وفي اليوم التالي خرج الرسول ﷺ الى المباهلة في الموعد المقرر ومعه علي، وفاطمة، والحسن والحسين<sup>٤</sup>.

ولما شاهد الاسقف من جاءوا مع الرسول، سأل: من هؤلاء معه؟ قالوا: هذا ابن عمه، وهذه بنته، وهذان ابناه<sup>٥</sup>. فقال الاسقف: يا معشر النصارى اني ارى وجوها لو سألو الله ان يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلا تبتهلوا فتهلكوا، فلا يبقى على وجه الارض نصراي الى يوم القيامة. فامتنعوا عن المباهلة<sup>٦</sup>، فصالحهم النبي ﷺ على دفع الجزية ضمن معاهدة وردت

١ - سورة آل عمران (٣)، الآية ٦١.

٢ - الحلبي، السيرة الحلبية (بيروت: دار المعرفة)، ج ٣، ص ٢٣٥ - ٢٣٦؛ زيني دحلان، السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٤٤؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ٢١، ص ٣٤٧ (باختلاف ضئيل). أورد العلامة المجلسي الاخبار والروايات المتعلقة بلقاء ومناظرة رسول الله مع وفد نجران في كتاب بحار الانوار، ج ٢١، ص ٣١٩ - ٣٥٥ نقلا عن مصادر مختلفة.

٣ - الطبرسي: اعلام الوری (طهران: دار الكتب الإسلامية، الطبعة ٣)، ص ١٢٩؛ مجمع البيان، ج ٢، ص ٤٥٢؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ٢١، ص ٣٣٧.

٤ - الحلبي، السيرة الحلبية، ج ٣، ص ٢٣٦؛ زيني دحلان، السيرة النبوية والآثار المحمدية، ج ٢، ص ١٤٤.

٥ - ابن واضح، تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ٧٢؛ الطبرسي، اعلام الوری، ص ١٢٩.

٦ - الحلبي، مصدر سابق، زيني دحلان، مصدر سابق؛ الزمخشري، تفسير الكشاف (بيروت: دار المعرفة)، ج ١، ص ١٩٣؛ الفخر

تفاصيلها في كتب التفاسير والتاريخ<sup>١</sup>.

---

الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) (بيروت: دار التراث الإسلامي)، ج ٨، ص ٨٢؛ السيّد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٢٣١ (نقلا عن تفسير الثعلبي)؛ القاضي البيضاوي، انوار التنزيل، ص ٧٤.

١ - راجع: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٧٢؛ الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٣٥٨؛ فتوح البلدان، ص ٧٥ - ٧٦؛ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ١٣٤ - ١٣٥؛ السيرة النبوية والآثار المحمدية، ج ٢، ص ١٤٤؛ السيرة الحلبية، ج ٣، ص ٢٣٦؛ تفسير الكشاف، ج ١، ص ١٩١؛ التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، ج ٨، ص ١٨٢؛ الميزان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٢٣٢.



## الفصل الثالث

### حجة الوداع ورحلة الرسول ﷺ

#### حجة الوداع

الحج أهم ممارسة عبادية وسياسية في الإسلام، سنّها النبي إبراهيم عليه السلام. وقد سبق ان بيّنا في الفصل الثاني من الباب الاول في هذا الكتاب . عند شرحنا للوضع الديني المضطرب، وكذا عند الحديث عن سلطة قريش ونفوذها . بأن قريشا وعموم المشركين كانوا الى حين ظهور الإسلام يؤدّون الحج والعمرة، ولكنهم لم يكونوا في الواقع يؤدّونها بالشكل الصحيح؛ فهم قد مسخّوا الحج الابراهيمي وكانوا يؤدّونه على نحو ناقص وتمازجه الخرافات والاباطيل.

ونضيف هنا بأن قريشا يعتبرون انفسهم سكان حرم الله<sup>١</sup>. وبما ان عرفات تقع خارج الحرم، فان قريشاً . خلافا لعموم المشركين . ما كانوا يخرجون الى عرفات في موسم الحج، وانما كانوا يقفون في المزدلفة (المشعر)<sup>٢</sup>، ويسيرون من هناك الى منى؛ ومن جهة اخرى كان أهالي يثرب يحرمون عند صنم <مناة> الذي كان على الطريق بين مكة ويثرب الى جانب البحر<sup>٣</sup>، والذين كانوا يحرمون هناك لم يكونوا يقطعون المسافة بين الصفا والمروة (التي يجب ان يسعوا

---

١ - الازرقى، أخبار مكة، تحقيق: رشدي (قم: منشورات الشريف الرضي، الطبعة ١، ١٤١١هـ.)، ج ١، ص ١٧٦؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ.)، ج ٣، ص ٣١٣.

٢ - الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ١١٠٢؛ زيني دحلان، السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٤٣.

٣ - هشام الكلبي، الأصنام، ص ١٣؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٨٨؛ محمود شكري الألوسي، بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بمجة الأثري، (القاهرة: دار الكتب الحديثة)، ج ٢، ص ٢٠٢.

## ٣٠٢..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى رحلة

النبي ﷺ

فيها سبع مرّات<sup>٤</sup>. كما ان المشركين كانوا في موسم الحج يعملون على خلاف سنّة ابراهيم فيدفعون من عرفة الى مزدلفة قبل غروب الشمس<sup>٥</sup>. وقد إلحَّ مجموع هذه الممارسات المغلوطة الى تشويه الصورة الناصعة للحج الابراهيمي، وتدّيس هذه العبادة التوحيدية الكبرى بالشرك والخرافة.

وعند نزول آية فريضة الحج<sup>٦</sup>، أعلن النبي ﷺ ذلك للناس ثم سار بجمع كبير من مسلمي المدينة واهل البادية الى الحج<sup>٧</sup>، وعلم المسلمين في هذا السفر الحجّ الابراهيمي عملياً، وأكد . في سياق ادائه لشعائر الحج . على المسلمين ان يتعلّموا مناسك الحج منه بدقّة؛ لأنّه قد لا يحجّ في العام القادم<sup>٨</sup>. وكان يقول لهم: إلزموا مشاعركم؛ فانكم على ارث من ارث ابراهيم<sup>٩</sup>.

وقد ازال النبي ﷺ في سفره هذا البدع التي ابتدعها المشركون (وخاصة قريش) في الحج ومن ذلك رغم انه كان من قريش فأنّه كان يقف في عرفة . خلافا لما كانت تفعله قريش . ورحل منها الى المزدلفة<sup>١٠</sup>، وذلك لأن الله قد أمر أن: ﴿ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾<sup>١١</sup>؛ كما انه كان يفيض من عرفة بعد غروب الشمس<sup>١٢</sup>.

وقد سمّيت هذه الحجّة بسبب ما تنطوي عليه من مضامين بـ«حجة الوداع» و«حجة

٤ - الحلبي، السيرة الحلبية، ج٣، ص٣١٧.

٥ - الواقدي، مصدر سابق، ج٣، ص١١٠٤.

٦ - ﴿وَإِذْ قَالَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي جَاعِلٌ لِكُلِّ شَيْءٍ قِيَاسًا﴾ (سورة الحج ٢٢)، الآية (٢٧).

٧ - الكليني، الفروع من الكافي (طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٨٤هـ)، ج٢١، ص٣٩٠.

٨ - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص١٨١؛ الحلبي، مصدر سابق، ج٣، ص٣٢٧.

٩ - الواقدي، مصدر سابق، ص١١٠٤.

١٠ - الواقدي، مصدر سابق، ص١١٠٢؛ زيني دحلان، مصدر سابق، ج٢، ص١٤٣؛ المجلسي، مصدر سابق، ج٢١، ص٣٩٢.

١١ - سورة البقرة (٢)، الآية ١٩٩.

١٢ - الواقدي، مصدر سابق، ص١١٠٤؛ المجلسي، مصدر سابق، ص٣٧٩.

الإسلام > حجة البلاغ > ١٣.

### خطبة الرسول التاريخية

وضمن أداء مناسك حجة الوداع ألقى رسول الله ﷺ في يوم عرفة وفي صحراء عرفة خطبة تاريخية على اسماع حشود الحجاج تطرّ فيها الى قضايا بالغة الأهمية مؤكداً عليها تأكيدات صارمة؛ ومن ذلك انه بعد ان اخذ الاعتراف من الحاضرين بشأن حرمة وقديسية ذلك الشهر (ذي الحجة)، وذلك اليوم (يوم عرفة)، قال:

ايها الناس! ان الله قد حرّم دمائكم، واموالكم، وأعراضكم، كحرمة شهركم هذا، في بلدكم هذا، في يومكم هذا، الى ان تلقوا ربكم.

ثم قال: وان كل رباً في الجاهلية موضوع، وان كل دم في الجاهلية موضوع.

وبين ان تغيير وتأخير الأشهر الحرم عمل محمّ وأنه زيادة في الكفر<sup>١٣</sup>.

واكد كثيراً على حقوق النساء وأوصى بمن خيراً وقال: «حسنوا إلى النساء واتقوا الله فيهن؛ فانما اخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله»

ثم قال أيضاً: الا فليبلغ الشاهد منكم الغائب انه لا نبي من بعدي، وما بعدكم من أمة.

ثم اشار في سياق كلامه إلى المعتقدات والممارسات الجاهلية مُعلنًا إلغاءها وبطلانها<sup>١٤</sup>

### فضيلة كبرى

قال اعلام التفسير والحديث انه بعد نزول آية المباهلة، جاء ومعه هؤلاء الأربعة [علي وفاطمة والحسن والحسين<sup>١٥</sup>]. واعتبروا ذلك فضيلة كبرى لهم؛ وذلك لأن آية وواقعة

١٣ - زيني دحلان، مصدر سابق، ج٢، ص١٤٣.

١٤ - شرحنا موضوع تغيير الأشهر الحرم واستبدالها في الباب الاول من هذا الكتاب عند بحث الوضع الاجتماعي للعرب قبل الاسلام تحت عنوان >الأشهر الحرم<.

١٥ - ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤، ص٢٥٠ - ٢٥٢؛ الحلبي، السيرة الحلبية، ج٣، ص٣١٢؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص١٨٦؛ الواقدي، المغازي، ج٣، ص١١١؛ المجلسي، بحار الانوار، ج٢١، ص٣٨٠. تجدر الإشارة إلى ان كل من ابن سعد والواقدي قد ذكرا بأن رسول الله ﷺ قد ألقى هذه الخطبة في صحراء منى.

#### ٣٠٤ ..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى رحلة

النبي ﷺ

المباهلة كشفت عن ان الحسن والحسين عليهما السلام ابنا رسول الله ﷺ، وان علياً كنفس النبي ﷺ، وان ابنته فاطمة هي المرأة الوحيدة التي حضرت المباهلة، ولا يمكن ان تكون امرأة غيرها مصداقاً للنساء في هذا المجال.

نُقل عن عائشة انها قالت بأن رسول الله ﷺ خرج وعليه مرط مرجل من شعر اسود، فجاء الحسن فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله، ثم فاطمة ثم علي، ثم قال: { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا }<sup>١٦</sup>.

خبر محيي هؤلاء الاربعة مع الرسول ﷺ إلى المباهلة يتفق على صحته علماء الشيعة وأهل السنة ونقلته الكثير من مصادر التاريخ والتفسير والحديث<sup>١٧</sup>، وأكد المحققون على هذه الفضيلة الكبرى.

---

١٦ - سورة الاحزاب (٣٣)، الآية ٣٣؛ الزمخشري، مصدر سابق. نقل الفخر الرازي هذه الرواية من غير ذكر اسم عائشة وقال: ان هذه الرواية كالتفق على صحتها بين اهل التفسير والحديث. (التفسير الكبير، ج ٨، ص ٨٢). وقال الشبلنجي: نقلت هذه الرواية من طرق صحيحة متعددة. (نور الابصار، ص ١١١).

١٧ - نذكر من المصادر التي نقلت هذا الخبر ما يلي:

تفسير الكشاف، ج ١، ص ١٩٣؛ مفاتيح الغيب، (التفسير الكبير) ج ٨، ص ٨٢؛ الدر المنثور، (دار الفكر)، ج ٢، ص ٢٣١ - ٢٣٣. (نقلاً عن الحاكم، ابن مردويه، ابو نعيم في كتاب الدلائل، مسلم، الترمذي، ابن المنذر، البيهقي في كتاب السنن، وابن جرير)، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٧١؛ ابو سعيد واعظ الخركوشي، شرف النبي، ص ٢٦٢؛ القاضي البيضاوي، انوار التنزيل، (طبعة قديمة من القطع الرحلي)، ص ٧٤؛ نور الأبصار، ص ١١١؛ مناقب علي بن ابي طالب، ابن مردويه، تدوين وترتيب ومقدمة: عبد الرزاق حرز الدين، ص ٢٢٦. الا ان أكثر ما ورد هذا الخبر مفصلاً ومبسوطاً في كتاب المرحوم السيد بن طاووس الاقبال بالاعمال الحسنة فيما يعمل مرة في السنة، ج ٢، ص ٣١٠ - ٣٤٨.

ورغم كل هذه الروايات التي نصت على حضور اهل البيت في المباهلة، عمد بعض المؤرخين - انطلاقاً من ميول متعصبة - إلى التلاعب بروايات المباهلة وتحريفها حسب ما تشتهي أنفسهم، فحذفوا منها اشياء و اضافوا إليها أشياء أخرى. نذكر من هؤلاء: البلاذري، ويان كثير، والشعبي. فهؤلاء حذفوا اسم علي من حديث المباهلة. (راجع: فتوح البلدان، ص ٧٥؛ البداية والنهاية، ج ٥، ص ٥٤؛ الدر المنثور، ج ٢، ص ٢٣٢). ورشح الحلبي وزيني دحلان كلاً من عائشة وحفصة للمباهلة، ونقلوا عن عمر انه قال: قال رسول الله (ص) لو لاعتنتهم لكنت بيد علي والحسن والحسين وفاطمة وعائشة وحفصة... (السيرة الحلبية، ج ٣، ص ٢٣٦؛ السيرة النبوية والآثار الحمديدية، ج ٢، ص ١٤٤ - ١٤٥) ونقل السيوطي عن ابن عساکر ان النبي دعا للمباهلة بأبي بكر وولده،



فقد نقل مسلم . المحقق الكبير من أهل السنة . عن سعد بن أبي وقاص انه قال :  
لما نزلت هذه الآية : { فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ } دعا رسول الله ﷺ عليا وفاطمة  
وحسنا وحسينا فقال اللهم هؤلاء أهلي<sup>١٨</sup> .

وقال الزمخشري بعد نقل واقعة المباهلة ورواية عائشة : بذلك أكد في الدلالة على ثقته بحاله  
واستيقانه بصدقه<sup>١٩</sup> .

وقال القاضي البيضاوي بعد نقل المباهلة : وهو دليل على نبوته وفضل من أتى بهم من  
اهل بيته<sup>٢٠</sup> .

وكتب السيد بن طاووس في كتاب سعد السعود ما يلي : رأيت في كتاب تفسير ما نزل  
من القرآن في النبي (ص) وأهل بيته، تأليف محمد بن العباس بن مروان انه روى خبر المباهلة  
من احد وخمسين طريقاً عمن سمّاه من الصحابة وغيرهم<sup>٢١</sup> .

ولابد من التنبيه في ختام هذا البحث بأن هناك اختلاف في الآراء حول تاريخ السنة  
والشهر واليوم الذي وقعت فيه حادثة المباهلة<sup>٢٢</sup> . ونظراً إلى ان المجال لا يتسع هنا لمناقشة هذه  
القضية، فقد اقتفينا فيها أثر كُتّاب السير الذي جعلوا هذه الحادثة ضمن احداث السنة

وبعمر وولده، ويعثمان وولده ويعلي وولده!! (الدر المنثور، ج ٢، ص ٣٣٣).

ان مؤشرات الوضع والتحريف في هذه الروايات على قدر من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى الكشف عنها، ولكن نشير مجرد إشارة فقط  
إلى ان كلمة <نساءنا> لو كانت تشمل نساء النبي أيضاً، فلماذا وكيف خصصت الأهلية لحضور المباهلة باثنتين منهما فقط (وهما بنتا  
الخليفتين)؟!

١٨ - صحيح مسلم، بشرح النووي، ج ١٥، ص ١٧٦.

١٩ - تفسير الكشاف، ج ١، ص ١٩٣.

٢٠ - انوار التنزيل، طبعة قديمة، الرحلي، ص ٧٤.

٢١ - المجلسي، بحار الانوار، ج ٢١، ص ٣٥٠.

٢٢ - للاطلاع على مزيد من التفاصيل في هذا المجال، راجع: مكاتيب الرسول، ج ١، ص ١٧٩ وفروغ ابديت، الطبعة ٢،  
ص ٤٤١ - ٤٤٥.

### حادثة الغدير تعريف بخليفة الرسول

عند العودة من حجة الوداع، وفي يوم الثامن عشر من ذي الحجة، نزلت على رسول الله ﷺ . عندما كان في <غدير خم>\* التي تبعد ثلاثة أميال عن الجحفة . الآية الشريفة {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ} ١ أمر رسول الله ﷺ بتوقف تلك القافلة التي كان فيها مائة الف من الحجاج، في ارض جرداء قاحلة وفي شدة حرارة الصيف؛ وبعد ان صلى فيهم الظهر، صعد على مرتفع وخطب فيهم؛ وأشار في خطبته أولاً إلى قرب انقضاء أجله، ثم لفت انظار المسلمين إلى دعوته مستفهماً منهم هل انه بلغ رسالته، فأيد المسلمون واكدوا انه قد بلغ وأرشد ودعا إلى ربه. ثم أوصى المسلمين بعد ذلك بالكتاب والعترة (الثقلين) داعياً إياهم إلى التمسك بهما لكي لا يضلوا من بعده. ثم أضاف: ان اللطيف الخبير أنبأني بأنهما لن يفترقا إلى يوم القيامة. وهذا ما يفرض على المسلمين ان لا يسبقوهما ولا يتخلفوا عنهما.

ثم أخذ بيد علي بن ابي طالب عليه السلام مبيناً للمسلمين بأنه سيكون خليفة المسلمين في المستقبل وقال:

ان الله مولاي، وانا مولى كل مؤمن ومؤمنة؛ ألا من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار.

وفي هذه الاثناء نزلت الآية الشريفة: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

\* - غدير خم موضع بين مكة والمدينة وآخر موضع تفترق عنده قوافل مصر والعراق والمدينة.

١ - سورة المائدة (٥)، الآية ٦٧.

وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...<sup>١</sup> معلنة أكمال الدين وإتمام نعمة الهداية بتعيين علي عليه السلام خليفة لرسول الله ﷺ. ثم اخذ اصحاب النبي يهتفون علياً بهذا المنصب<sup>٢</sup>.

كانت هذه لحظة عابرة لواقعة الغدير التي لها من الشهرة ما يغنيها عن شرحها وتفصيلها؛ وذلك لأن كبار العلماء والمحققين المسلمين قد أشبعوها بحثاً في مختلف جوانبها، وخاصة المرحوم العلامة الاميني الذي بحث في كتابه القيم - الغدير - كل جوانب هذه الواقعة المهمة سواء من حيث السند او من حيث الدلالة. ولذا فنحن نكتفي هنا بالاشارة إلى عتق امور ضرورية، ونحيب عن بعض الاسئلة المهمة:

١. تمثل حادثة الغدير أهم وثيقة تثبت ولاية علي بن ابي طالب، وآخرها (من حيث الترتيب الزمني؛ ولكنها ليست الوثيقة الوحيدة الدالة على هذا المعنى؛ إذ كما لاحظنا في هذا الكتاب - وفي ضوء أهمية موضوع القيادة في مصير الأمة - ان رسول الله ﷺ قد طرح ولاية علي بالتزامن مع رسالته منذ السنوات الاولى لبعثته (في قضية انذار عشيرته الأقرين)، ثم كان بعد ذلك يذكر بها في كل مناسبة (مثل غزوة تبوك).

وقرأنا أيضاً في ما يخص إلهية منصب خلافة الرسول، بأن رسول الله ﷺ قد بين في السنوات الاولى لبداية دعوته العلنية - اثناء عرضه الإسلام على القبائل - وفي سياق ردّه على اقتراح تقلم به إليه رئيس قبيلة بني عامر بن صعصعة: «كان الأمر لله يضعه حيث يشاء».

ولو اننا نظرنا بعين الإنصاف إلى مواقف رسول الله ﷺ عبر السنين في ما يخص موضوع الخلافة، وتأكيده على شخصية معينة؛ وكذا لو اخذنا بنظر الاعتبار السوابق المشروقة لأصحاب النبي ﷺ وما كان لكل واحد منهم من وزن علمي، وإيثار، وبذل، وتضحية، ولياقة، وكفاءة؛ واعتبرنا هذه القيم معياراً للخلافة، لتوصلنا إلى نتيجة مفادها ان علي بن ابي طالب عليه السلام كانت له مكانة فذة في هذا المضمار. لأن رسول الله كان يؤكد على تسليط الضوء عليه بكل وضوح، ويشير في كل مناسبة بنحو معين على تقدمه وأفضليته؛ ولم يكن

١ - سورة المائدة (٥)، الآية ٣.

٢ - العلامة الاميني، الغدير في الكتاب والسنة والأدب (بيروت: دار الكتب العربية)، ج ١، ص ١٠ - ١١.

أي من أصحاب رسول الله ﷺ يضاهي علياً رضي الله عنه في تلك القيم والمعايير التي ذكرناها.

٢. كما سبقت الإشارة بأنه ليس هناك ثمة شك أو شبهة في شهرة بل تواتر حديث الغدير، وهناك ثلّة من علماء اهل السنّة يعترفون بهذا الأمر.

وكما اثبت العلامة الأميني في كتابه الغدير بأنّ هذه الواقعة التاريخية المهمة نقلها مائة وعشرة من الصحابة، واربعة وثمانون من التابعين، وأوردها ثلاثمائة وستون من علماء ومحدثو أهل السنّة في كتبهم، واعترف جماعة منهم بصحة سندها، وقلّما تحظى حادثة تاريخية من الحوادث المهمة في تاريخ الإسلام بمثل هذه الشهرة والاعتبار السندي.

أكثر من نقلوا حادثة الغدير هم المحدثون طبعاً؛ ويبدو أنّها قد خضعت للرقابة من ناحية المؤرخين (لأسباب ودوافع لا تخفى على ذوي الفضل والتحقيق). فمن بين المؤرخين ذكرها اليعقوبي بإيجاز من بعد حجة الوداع<sup>٢</sup>، ولم يذكر الطبري هذه الحادثة في تاريخه الذي دأب فيه

١ - الغدير، ج١، ص١٤ - ١٥١.

٢ - وخرج صلى الله عليه وآله ليلاً منصرفاً من المدينة فصار إلى موضع بالقرب من الحنفية يقال له <غدير خم> لثمانية عشر ليلة من ذي الحجة وقام خطيباً وأخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: أأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فمن كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. (ج٢، ص١٠٢).

وأورد المسعودي هذه الواقعة (خلفاً للمشهور) بعد عودة النبي من المدينة، وكتب ما يلي: <... وفي منصرفه عن المدينة قال لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يغدير خم: من كنت مولاه فعليّ مولاه وذلك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة...>

<التنبيه والأشراف (القاهرة: دار الصاوي للطباعة والنشر والتأليف)، ص٢٢١>.

وأشار في كتابه مروج الذهب إلى الفضائل الممتازة لعلي (ع) وأورد حديث الولاية بإيجاز كالآتي: <الاشياء التي استحق بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الفضل هي: السبق إلى الإيمان، والهجرة، والنصرة لرسول الله صلى الله عليه وآله، والقربى منه، والقناعة وبذل النفس له، والعلم بالكتاب والتنزيل، والجهاد في سبيل الله، والورع، والزهد، والقضاء، والحكم، والفقّه، والعلم، وكل ذلك لعلي عليه السلام منه النصيب الأوفر، والحظ الأكبر، إلى ما ينفرد به من قول رسول الله صلى الله عليه وآله حين آخى بين أصحابه: <أنت أخي> وهو صلى الله عليه وآله وسلم لا ضد له ولا نذ. وقوله صلوات الله عليه: <أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي> وقوله عليه الصلاة والسلام: <من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه...> مروج الذهب، (بيروت: دار الأندلس، الطبعة ١، ١٩٦٥)، تحقيق يوسف اسعد داغر، ج٢، ص٤٢٥>.

على شرح الحوادث بالتفصيل، ولكنه ألّف كتاباً مستقلاً في اثبات الغدير اسمه كتاب الولاية<sup>١</sup> وكان هذا الكتاب موجوداً حتى القرن الثامن، وقد ذكره كل من النجاشي<sup>٢</sup> (م ٥٤٥هـ)، والشيخ الطوسي<sup>٣</sup> (٣٨٥ - ٤٦٠هـ) وبينوا طريقهم إليه.

وأورد ابن كثير (م ٧٧٤هـ) أيضاً حادثة الغدير بعد حجة الوداع وقال:

«وقد اعتنى بأمر هذا الحديث أبو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ فجمع فيه مجلدين أورد فيهما طرقه وألفاظه...»<sup>٤</sup> ثم نقل عدداً من روايات الطبري حول الغدير.

وكتب في موضع آخر ما يلي: «وقد رأيت له كتاباً جمع فيه أحاديث غدير خم في مجلدين ضخمين»<sup>٥</sup> وكتب ابن شهر آشوب (م ٥٨٨هـ) ما يلي: له (الطبري) كتاب غدير خم وشرح أمره وسمّاه كتاب الولاية<sup>٦</sup>.

١ - ابن شهر آشوب، معالم العلماء (النجف: المطبعة الحيدرية، ١٣٨٠هـ)، ص ١٠٦؛ ابن طاووس الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف (قم: مطبعة الخيام، ١٤٠٠هـ)، ابن بطريق، عمدة عيون صحاح الأخبار، تحقيق مالك المحمودي وإبراهيم البهادري (قم: ١٤١٢هـ)، ج ١، ص ١٥٧.

ورد اسم هذا الكتاب تحت عناوين ومسميات أخرى أيضاً، مثل: كتاب الفضائل، وحديث الولاية، وكتاب غدير خم. ويبدو أن بعض هذه العناوين اتخذها علماء الكتب انطلاقاً من محتوى الكتاب، ويُحتمل أن يكون البعض الآخر منها اسماً لقسم خاص من الكتاب مما كان قد استُسخ على حدة، كما سيأتي في الهامش التالي حيث ذكره النجاشي تحت عنوان: الرد على الحرقوصية؛ وكان الحرقوص بن زهير أحد قادة الخوارج، ولعل المراد من هذه التسمية وصف المخالفين لولاية علي (ع) بالنواصب والخوارج.

٢ - محمد بن جرير أبو جعفر الطبري عامي، له كتاب الردّ على الحرقوصية ذكر طرق خبر يوم الغدير، أخبرنا القاضي أبو اسحاق إبراهيم بن مخلد قال حدثنا أبي قال حدثنا محمد بن جرير بكتابه >الرد على الحرقوصية<. (النجاشي، فهرست مصنفي الشيعة، قم: مكتبة الداوري، ص ٢٢٥). وذكر السيد بن طاووس في كتاب الاقبال، ج ٢، ص ٢٣٩ بهذا الاسم أيضاً.

٣ - محمد بن جرير الطبري، أبو جعفر صاحب التاريخ، عامي المذهب له كتاب غدير خم وشرح أمره بصفته. أخبرنا به أحمد بن عبدون عن الدوري عن ابن كامل عنه (الطوسي، فهرست، مشهد: جامعة مشهد، ١٣٥١ هـ. ش) ص ٢٨١.

٤ - البداية والنهاية، ج ٥، ص ٢٠٨. تجدر الإشارة إلى أن ابن كثير قد نقل حادثة الغدير ولكنه طعن في دلالتها على ولاية علي (ع). وهذا ما سنبينه لاحقاً.

٥ - المصدر السابق، ج ١١، ص ١٤٧. وقد أورد ذلك ضمن حوادث عام ٣١٠ هـ وهي سنة وفاة الطبري.

٦ - معالم العلماء، ص ١٠٦.

٣١٠..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى رحلة

النبي ﷺ

وقال ابن طاووس في سياق احصاء رواة حادثة الغدير: «وقد روى الحديث في ذلك محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ من خمس وسبعين طريقاً وأفرد له كتاباً سمّاه حديث الولاية»<sup>١</sup>.

وكتب يحيى بن الحسن المعروف بابن البطريق (٥٢٣ . ٦٠٠ هـ) ما يلي: «وقد ذكر محمد بن جرير الطبري، صاحب التاريخ خبر يوم الغدير وطرقه من خمسة وسبعين طريقاً وأفرد له كتاباً سمّاه كتاب الولاية»<sup>٢</sup>.

وقد قلم هؤلاء المحققين والمؤرخين الذين ذكرناهم شرحاً اجمالياً لطبيعة كتاب الولاية للطبري بينما اكتفى البعض منهم . كما فعل ابن كثير . بنقل عدد من رواياته . والقاضي النعمان المغربي المصري (ابو حنيفة النعمان بن محمد التميمي، م ٣٦٣ هـ) هو الوحيد الذي نقل ما يربو على خمس وسبعين رواية من روايات الطبري في فضائل علي عليه السلام في كتاب شرح الاخبار في فضائل الائمة الاطهار. وبذلك نقل ما ذكره الطبري إلى الآتين بعده<sup>٣</sup>. وقال في وصفه: «وهو كتاب لطيف بسط فيه ذكر فضائل علي عليه السلام»<sup>٤</sup>.

وأضاف القاضي النعمان يقول بعد بيان دوافع الطبري لتأليف هذا الكتاب<sup>٥</sup>:

---

١ - الطرائف، ج ١، ص ١٤٢.

٢ - عمدة عيون صحاح الأخبار، ج ١، ص ١٥٧.

٣ - طبع هذا الكتاب في عام ١٤١١ هـ. من قبل مؤسسة النشر الاسلامي في قم في ثلاثة مجلدات، وقد نقل في المجلد الاول منه - ابتداء من ص ١٣٠ فما بعدها - روايات الطبري.

٤ - المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٠.

٥ - المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٠، وكان دافعه إلى تأليف الكتاب انه قد سمع بأن بعض الشيوخ ببغداد كذب غدير خم، وقال: ان علي بن ابي طالب كان باليمن في الوقت الذي كان فيه رسول الله (ص) بغدير خم.

وبلغ الطبري ذلك فابتدأ بالكلام في فضائل علي بن ابي طالب عليه السلام وذكر طريق غدير خم. (شرح الاخبار، ج ١، ص ١٣٠؛ ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ١٨، ص ٨٤ - ٨٥). وبناءً على ما ذكره الحافظ ابن عساكر، وشمس الدين محمد الذهبي بأن الشخص المذكور كان ابو بكر بن ابي داود [سليمان بن الاشعث] السجستاني [مؤلف كتاب السنن]. (تاريخ مدينة دمشق، تحقيق

«ثم جاء أيضاً في هذا الكتاب بباب أفرد فيه الروايات الثابتة التي جاءت من رسول الله ﷺ بأنه قال - قبل حجة الوداع وبعدها -: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله؛ وكذلك قال: عليّ أمير المؤمنين، عليّ أخي، عليّ وزيري، عليّ وصيّ، عليّ خليفتي على أمتي من بعدي، عليّ أولى الناس بالناس من بعدي، وغير ذلك مما يوجب له مقامه من بعده، وتسليم الامة له ذلك، وان لا يتقدم عليه أحد منها، ولا يتأمر عليه»<sup>١</sup>.

٤. الشبهة الوحيدة الجديرة بالذكر التي طرحت في هذا المجال هي التشكيك في مفاد هذا الحديث، وهي شبهة اثارها علماء من أهل السنة مثل الفخر الرازي، والقاضي عضد الايجي. فهؤلاء قد اقروا أصل القضية ولكنهم فسروا كلمة «المولى» التي استخدمها رسول الله ﷺ بشأن عليّ عليه السلام والتي يعني الولاية الالهية، والامامة، فسروها بمعنى المحب والناصر وما شابه ذلك، وادعوا بان هذه الحادثة لا تدل على ولاية علي، وانما اعلن النبي ﷺ في تلك الخطبة لزوم محبة علي عليه السلام؛ وقالوا بأن مفعل (مولى) لا تأتي في اللغة بمعنى أفعّل (أولى)، وعلى هذا فان المولى في كلام الرسول بمعنى المحب والصديق<sup>٢</sup>.

وقد اثبت العلامة الاميني عدم صحّة هذا البحث من خلال بحث علمي دقيق استدلل فيه بشواهد قرآنية وحديثية ولغوية كثيرة، واستدل على ذلك أيضاً بأقوال كبار الادباء وعلماء اللغة، وبأن كلمة المولى شائعة ومستخدمة في كل من الميادين الثلاثة بمعنى الأولى. ومن

علي شيري، بيروت: دار الفكر، الطبعة ١، ١٤١٨هـ، ج٥٢، ص١٩٧ - ١٩٨؛ تاريخ الاسلام، حوادث سنة ٣١٠، ص٢١٣؛ تذكرة الحفاظ، دار احياء التراث العربي، ج٢، ص٧١٣).

ابو بكر بن ابي داود متهم ببغض علي بن ابي طالب (تاريخ مدينة دمشق، ج٢٩، ص٨٧؛ ميزان الاعتدال، ج٢، ص٤٣٤؛ تاريخ بغداد، ج٩، ص٤٦٧ - ٤٦٨).

١ - شرح الأخبار، ص١٣٤ - ١٣٥. وللاطلاع على مزيد من المعلومات حول كتاب الولاية، راجع: باره هاي بر جاي مانده (القصاصات المتبقية من) كتاب فضائل علي بن ابي طالب، رسول جعفریان، مجلة ميقات حج، العدد ٣٤.

٢ - الغدير، ج١، ص٣٥٠، ٣٥٤، ٣٥٦.

٣١٢..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى رحلة

النبي ﷺ

الأمثلة على ذلك ان كلمة المولى في الآيات التالية لا تفيد . بحكم السياق والجوانب الاخرى .

الا معنى الولي، والمتصدي للأمر، والمفوض في الأمر:

{ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا أَوَّكِمَ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ

الْمَصِيرُ }<sup>١</sup>.

{وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ}<sup>٢</sup>.

{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ}<sup>٣</sup>.

{بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ}<sup>٤</sup>.

{قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا}<sup>٥</sup>.

{يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لِبِئْسَ الْمَوْلَى وَلِبِئْسَ الْعَشِيرُ}<sup>٦</sup>.

وقد فسّر المفسرون كلمة المولى في هذه الآيات بهذا المعنى.

وجاء أيضا في الحديث: kيما امرأة نكحت بغير إذن مولاهها فنكاحها باطل><sup>٧</sup>. وفسّر

الفقهاء والمحدثون كلمة المولى في هذا الحديث بمتولي أمر المرأة.

وقد اورد العلامة الاميني سبعة وعشرين معنى محتملا لكلمة المولى، وان احدها في خطبة

١ - سورة الحديد (٥٧)، الآية ١٥.

٢ - سورة الحج (٢٢)، الآية ٧٨.

٣ - سورة محمد (٤٧)، الآية ١١.

٤ - سورة آل عمران (٣)، الآية ١٥٠.

٥ - سورة التوبة (٩)، الآية ٥١.

٦ - سورة الحج (٢٢)، الآية ١٣.

٧ - ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد >طهران: مكتبة جامع تشهل ستون (الاربعون عموداً)،

١٤٠٠هـ، ص٢١٧ نقلاً عن مسند احمد، ج٦، ص٤٤؛ ابن البطريق، عمدة عيون صحاح الأخبار، ج١، ص١٥٩؛ ابن حزم، ابو

محمد علي بن احمد، المحلى، تحقيق احمد محمد شاكر، (بيروت: دار الآفاق الحديثة)، ج٩، ص٤٧٤، المسألة ١٨٣٨.



الرسول يستلزم معنى الكذب، وهناك معنى آخر يستلزم الكفر، والبعض الآخر غير ممكن، والبعض الآخر لغو، ولا فائدة فيه، أو سخي، والمعنى الوحيد الذي يمكن إرادته منها هو معنى «أولى بالشيء»<sup>١</sup>.

ثم أورد العلامة الأميني كلمات واستدلالات لاربعة عشر من أبرز محدثي علماء أهل السنة ممن قالوا بأن معنى المولى في خطبة الغدير هو الأولى بالشيء، ومنهم شمس الدين أبو المظفر سبط بن الجوزي الحنفي (٥١١ - ٦٥٤ هـ) الذي قال:

قد اجمع الناس على أن قصة الغدير كانت في مرتجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع، في الثامن عشر من ذي الحجة بحضور جمع غفير من الصحابة يبلغ عددهم مائة وعشرين ألفاً، وقال رسول الله من كنت مولاه فعلي مولاه.

ثم ذكر المعاني المحتملة لكلمة المولى وناقش تسعة معانٍ منها، مؤكداً صحة المعنى العاشر منها وهو معنى «الأولى بالشيء»<sup>٢</sup>، ويستدل على ذلك بالآية ١٥ من سورة الحديد معتبراً أن كلمة المولى نص صريح في إثبات إمامة علي عليه السلام وقبول طاعته<sup>٣</sup>. ثم نقل اشعاراً من شعراء ذلك العصر منهم حسان بن ثابت الذي كان حاضراً في الغدير، الذين فهموا كلمة المولى بمعنى الإمام وبيّنوا معناها في اشعارهم.

### شواهد وقرائن

هناك مجموعة من الشواهد والقرائن المتصلة والمنفصلة في الخطبة تؤيد المعنى الذي سبق ذكره، وتبيّن أن القضية كانت أبعد من إعلان المحبة لعلي عليه السلام، نذكر منها:

أ. ليس من المعقول أن يصدر أمر بإيقاف قافلة مؤلفة من مائة ألف نفر في ذلك الجو

١ - الغدير، ج ١، ص ٣٦٧ - ٣٧٠.

٢ - ... فتعين الوجه العاشر وهو «الأولى» ومعناه من كنت أولى به من نفسه فعليّ أولى به... فعلم أنّ جميع الناس راجعة إلى الوجه العاشر، ودلّ عليه أيضاً قوله صلى الله عليه وآله: السُّبُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وهذا نص صريح في إثبات إمامته وقبول طاعته... (تذكرة الخواص، (النجف: المكتبة الحيدرية، ١٣٨٣ هـ)، ص ٣٠ - ٣٣).

٣١٤..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى رحلة

النبي ﷺ

الحار، من اجل الاعلان عن أمر محبة علي؛ وذلك لأن الأخوة بين المسلمين ووجوب محبة اهل الايمان لاسيما محبة شخصية بارزة مثل علي عليه السلام، ليست مما يخفى على الناس بحيث تتطلب الاعلان عنها من قبل الرسول ﷺ.

ب . تدل مقدمة الخطبة على نوع من تنبؤ الرسول ﷺ بقرب وفاته، وهي تتناسب وتترابط مع قضية استخلافه وليس مع محبته.

ج . استخدم الرسول أولاً تعبير أولى من النفس في ما يخص ذاته، ثم وصف علياً بالأولى؛ وهذا الاقتران يمثل دلالة واضحة على انه كان بصدد اثبات مقام لعلي (وهو ولاية أمر المسلمين) وهذا المقام يملكه الرسول نفسه\*.

د . تحنئة المسلمين لعلي عليه السلام بعد خطبة الرسول ﷺ بصفته مولى المؤمنين، وهذا يتناسب مع الولاية فقط.

هـ . اعلان اكمال الدين واتمام النعمة من الله تعالى لا يتناسب ابداً مع موضوع المحبة والنصرة.

و. كان حسان بن ثابت شاعر رسول الله والاديب والخبير بكلام العرب آنذاك، قد شهد الغدير في ذلك اليوم؛ وعندما استأذن من رسول الله صاغ خطبته في كلام منظوم من الشعر، واستخدم فيها كلمة «امام» و«هادي» بدلا من كلمة مولى:

فقال له قم يا علي فاني رضيتك من بعدي اماما وهاديا

---

\* - طبقاً لرواية نقلها احمد بن حنبل (في المسند، ج ١، ص ١١٠)، وابن الاثير (في اسد الغابة، ج ٤، ص ٢٨) ان رسول الله (ص) قال: الست اولى بالمؤمنين من انفسهم وزواجي امهاتهم، من الواضح تماماً ان امومة ازواج النبي للمسلمين وفقاً للآية السادسة من سورة الاحزاب من الاحكام الخاصة به بمناسبة نبوته، والاثنيان بما هنا إلى جانب اولوته بالمؤمنين من انفسهم، يدل بوضوح على ان الرسول كان يريد طرح مقام نبوته، ثم الاعلان عن نظيرها؛ أي الولاية لعلي، واثباتها.

تجدر الاشارة إلى ان ابن كثير الذي كانت له ميوله الخاصة، نقل الحديث المذكور ووصفه بأنه ضعيف وغريب من غير الاثنيان بأي توضيح او دليل على ذلك! (البداية والنهاية، ج ٥، ص ٢١١) في حين ان رواية الاول - وهو عبد الرحمن بن ابي ليلى - موثق من قبل علماء اهل السنة. وتُقل هذا الحديث من عدة طرق اخرى أيضاً. (راجع: الغدير، ص ١٧٧ - ١٧٨).

وكتب أمير المؤمنين عليه السلام ضمن اشعار ارسلها إلى معاوية، ما يلي:

واوجب لي ولايته عليكم رسول الله يوم غدیر خم

٤. ربط ابن كثير بين حادثة الغدير ومسير علي عليه السلام إلى اليمن قبل حجة الوداع، مدعيًا بأنه

قد عارض تصرف أصحابه في الغنائم قبل قدومها على رسول الله ﷺ فضايقوا من عدله<sup>٢</sup>.

لذلك بين رسول الله في الغدير فضل علي بن أبي طالب وامانته وعدالته وقربه إليه ما أراح به ما كان في نفوس كثير من الناس منه...<sup>٣</sup>.

ولكن هذا التوجيه لا يقوم على اساس صحيح؛ وذلك لأن النبي قد رد في ما يتعلق بمسير علي إلى اليمن، على شكوى من رافقوه في هذا المسير (قبل الحج) وقال لهم:

يا ايها الناس لا تشكو عليا فوالله انه لأخشن في ذات الله أو في سبيل الله [من أن يُشكى]<sup>٤</sup>. وانزاحت تلك القضية من نفوس من كانت في نفوسهم اشياء عليه بعدما ألقى رسول الله تلك الكلمة القاطعة، ولم يعد ثمة ما يبرر إعادة طرح قضية حصلت لثلاثمائة شخص<sup>٥</sup> وانتهت في حينها، على حشد من مائة ألف نفر!

٥. قال بعضهم: لو كان النبي محمد ﷺ قد نصب علياً عليه السلام للامامة في الغدير، لما

١ - للاطلاع على مزيد من التفصيل حول هذه القرائن والشواهد، راجع: الغدير، ج ١، ص ٣٧٠ - ٣٨٥؛ بيشوائي از نظر اسلام، جعفر سبحاني، ص ٢٣٤ - ٢٣٨.

٢ - للاطلاع على مجريات هذه القضية، راجع: الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ١٠٨١؛ البداية والنهاية، ج ٥، ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

٣ - ... فبين فيها فضل علي بن أبي طالب وبراءة عرضه مما كان تكلم فيه بعض من كان معه بأرض اليمن، بسبب ما كان صدر منه اليهم من المعدلة التي ظنّها بعضهم جوراً وتضييقاً وبخلاً، والصواب كان معه... وذكر من فضل علي وامانته وعدله وقربه اليه ما أراح به ما كان في نفوس كثير من الناس منه... (البداية والنهاية، ج ٥، ص ٢٠٨).

٤ - تاريخ الامم والملوك، ج ٣، ص ١٦٨؛ نهاية الإرب في فنون الأدب، ج ٢، ص ٣٢٩؛ البداية والنهاية، ج ٥، ص ٢٠٩؛ راجع: ترجمة الإمام علي عليه السلام من تاريخ مدينة دمشق، تأليف الحافظ ابن عساكر، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي (بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ١٣٩٥هـ)، ج ١، ص ٣٨٦.

٥ - ذكر المؤرخون وكتاب السير ان عدد افراد الجيش الذي كانت تحت إمرة علي (ع) في مسيره إلى اليمن كان ثلاثمائة شخص. راجع: الواقدي، المغازي، ج ٣، ص ١٠١٩؛ الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١٦٩.

## ٣١٦..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى رحلة

النبي ﷺ

خالفه أصحابه من بعده ولما تجاهلوا كلامه الصريح والمؤكد؛ لأن أصحابه كانوا مؤمنين صالحين وضحووا في سبيل الإسلام بأموالهم وانفسهم. وان كانت مثل هذه الحادثة قد وقعت فمن المستبعد ان يخالفوها، خاصة وان رحلة الرسول قد جاءت بعد مدة قصيرة (حوالي سبعين يوماً) بعد الغدير، وهذا يعني انها لم تكن قد نُسيِت بعد.

وللرد على هذه الشبهة ينبغي الالتفات إلى انه يتبين عند تسليط الضوء على حوادث عهد رسول الله بأنه على الرغم من المراتب المعنوية للأفراد (بشكل عام) الا ان عصيان اوامره لم يكن بالشيء الجديد وانما كانت له سابقة بينهم، اذ كانت هناك مؤشرات على عدم الصفاء عند بعض المسلمين يومذاك مما كان يؤدّي بهم إلى عدم إطاعة امر الله ورسوله في كل زمان ومكان؛ وإذا كانت اوامر الرسول تتعارض مع رغباتهم الشخصية وميولهم القبلية او افكارهم السياسية كانوا يحاولون . بنوع من الرأي الذاتي والاجتهاد غير المبرر . ثنيه عن قراره، او التهاون في تنفيذ الامر، او كانوا يعترضون عليه أحياناً؛ وهناك امثلة واضحة على هذا النوع من المواقف التي حصلت عند ابرام صلح الحديبية، والخروج من الاحرام في حجة الوداع، ومسير جيش اسامة، وقضية الدواة والقلم في الأيام الاخيرة من حياة النبي ﷺ .

وقد جمع العلامة السيد شرف الدين هذه المواقف في كتاب قيم وهو كتاب النص والاجتهاد.

اضافة إلى ذلك هناك عدد من آيات القرآن الكريم تؤكد على لزوم الامتثال لأمر الرسول ﷺ واطاعته وتعتبر ذلك من مستلزمات الايمان، وتحذّر المسلمين من مغبة معصية أمر الرسول ﷺ او التقدّم عليه، وينبغي ان لا يتوقعوا ان يطيعهم الرسول! وتدل هذه الآيات . التي نعرض في ما يلي امثلة منها . على ان مثل هذه المخالفات كانت موجودة:

{... فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}¹.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}¹.  
 {وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ}².  
 {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا}³.  
 {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا}⁴ \* فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}⁵.  
 {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ}⁶.  
 وفضلاً عن كل ذلك، فقد بذل رسول الله ﷺ كثيراً من الجهود وتحمل مشقات لا حصر لها للقضاء على النظام القبلي المقيت وما تصاحبه من ظواهر وافرازات كالتعصب القبلي، والتنافس القبلي، الذي كان سبباً للكثير من المآسي والويلات للناس في العصر الجاهلي، ولكن ما من شك في أن رواسب الثقافة القبلية قد بقيت كامنة في نفوس عدد من المسلمين (كالنار تحت الرماد) وكانت تطفو على السطح أحياناً، مثلما حصل بين الأوس والخزرج في اعقاب وفاة الرسول مباشرة، إذ سارعوا إلى إحياء الميول القبلية وقالوا: نحن الأمراء وانتم الوزراء، وقالوا أيضاً: منا أمير ومنهم أمير⁷، في حين أن تعاليم الإسلام قد أزالَت الحدود القبلية مثل <أنا> و<نحن>، وغدا الكل يتحدث بصيغة <نحن> وأصبح الجميع إخوة في الدين {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}.

١ - سورة الحجرات (٤٩)، الآية ١.

٢ - سورة الحجرات (٤٩)، الآية ٧.

٣ - سورة الاحزاب (٣٣)، الآية ٣٦.

٤ - سورة النساء (٤)، الآيات ٦٤ - ٦٥.

٥ - سورة الانفال (٨)، الآية ٢٠.

٦ - ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة (قم: منشورات الشريف الرضي)، ص ٢٤ - ٢٥.

وعلى هذا الأساس فمن المقبول جدا على احسن الاحوال ان يشعر بعض الناشطين السياسيين القرشيين (كما كان الحال في عهد الدعوة في مكة) بالتنافس مع بني هاشم، ويضعون تلك المعايير بنظر الاعتبار فيمنعهم ذلك من تحمل خلافة رجل من بني هاشم! وردت في كتب التفسير والحديث احتمالات اخرى أيضاً في شأن نزول الآية الثالثة، والآية السابعة والستين من سورة المائدة؛ ولكن هناك وثائق وشواهد كثيرة تثبت ان كلا الآيتين نزلتا في غدير خم<sup>١</sup>.

ويدل محتوى الآيتين أيضاً على انهما نزلتا لأمر مهم مثل قيادة الأمة من بعد الرسول ﷺ، وهما لا تنسجمان ولا تتسقان مع حوادث اخرى مما ذكرها البعض؛ نذكر مثلاً ان الآية الثالثة أكدت على اربعة امور تنسجم مع قضية الإمامة فقط:

أ . يأس الكفار من هزيمة الدين الإسلامي، حيث كانوا يتصورون بأن الإسلام قائم بشخص النبي ﷺ، وسيطوى بساط الدين بعد وفاته.

ولكنهم يؤسوا بعد تعيين رجل مقتدر وعادل ومؤهل مثل علي عليه السلام لخلافة النبي ﷺ حيث بات من المؤكد ان مسيرة الإسلام سوف تستمر.

ب . التكامل النهائي للإسلام؛ لأن هذا الدين لا يبلغ مرحلة التكامل النهائي من غير تعيين خليفة للرسول؛ أي بغير استمرار القيادة.

ج . اتمام نعمة الهداية باستمرار قيادة الأمة.

د . اعلان الإسلام ديناً نهائياً من قبل الله تعالى من خلال اكتمال منهجه<sup>٢</sup>.

### جيش اسامة

قرأنا سابقاً بأنه في السنة الثامنة للهجرة حيث وقعت معركة مؤتة، كان أحد القادة الثلاثة

١ - للاطلاع على مزيد من المعلومات في هذا المجال، راجع: الغدير، ج ١، ص ٢١٤، ٢٤٧.

٢ - للاطلاع على مزيد من التفاصيل في هذا الصدد، وبخصوص وجود فاصلة بين الآيتين موضوع البحث من سورة المائدة، وان صدر وذيل الآية الثالثة يتناول احكام اللحوم المحرمة وهو امر لا صلة له بقضية الولاية، راجع: تفسير نمونه، ج ٤، ص ٢٦٣ - ٢٧١.

الذين عيّنهم الرسول للجيش الإسلامي هو زيد بن حارثة. وقد هزم الجيش الإسلامي في حربه مع الروم واستشهد القادة الثلاثة وعدد آخر من جنود الإسلام.

وفي السنة التاسعة أيضاً جهّز رسول الله جيشاً وسار به إلى تبوك، ولكن لم تقع معركة بين الجانبين. وكانت تلك العملية في حدود فرضية أو مناورة عسكرية ناجحة.

وفي ضوء هذه المعطيات والسوابق، كان الموقف العدائي لامبراطورية الروم وقوّتها العسكرية تثير قلق النبي على الدوام، وبقي يفكر على الدوام بمواجهة الروم؛ ولذلك فقد جهّز - بعد عودته من حجة الوداع ودخوله المدينة - جيشاً بقيادة اسامة بن زيد بن حارثة وأمره بالمسير إلى أبنى\* (موضع شهادة أبيه) ومقاتلة الروم هناك، ودفع رسول الله ﷺ الراية لأسامة<sup>١</sup> واصدر له التعليمات والأوامر العسكرية اللازمة؛ فعسكر اسامة في <الجرف>\* بانتظار ان يجتمع إليه بقية الجيش<sup>٢</sup>، وكان ضمن هذا الجيش رؤساء المهاجرين والانصار ومنهم ابو بكر، وعمر، وابو عبيدة الجراح، وسعد بن ابي وقاص<sup>٣</sup>، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة، والزبير، وأسيّد بن خُصَير، وبشير بن سعد<sup>٤</sup>، و (ابو الاعور) سعيد بن زيد<sup>٥</sup>، وقتادة بن النعمان،

\* - أبنى على وزن دُنْيَا، ناحية في بلاد سوريا بين عسقلان والرملة قرب مؤتة (الخلي، السيرة الحلبية (بيروت: دار المعرفة)، ج٣، ص٢٢٧).

١ - كان سن اسامة يومذاك ١٧ أو ١٨ أو ١٩ سنة. ولم يذكر أي مصدر تاريخي ان عمره كان أكثر من ٢٠ سنة.

\* - الجرف موضع على بعد ثلاثة اميال من المدينة باتجاه الشام.

٢ - ابن سعد، الطبقات الكبرى (بيروت: دارصادر)، ج٢، ص١٩٠؛ الشيخ عبد القادر بدران، تهذيب تاريخ دمشق، تأليف الحافظ ابن عسّاكر (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٤٠٧هـ)، ج١، ص١٢١؛ زيني دحلان، السيرة النبوية والآثار المحمدية، ج٢، ص١٣٨.

٣ - ابن سعد، مصدر سابق، ص١٩٠؛ الخلي، السيرة الحلبية (بيروت: دار المعرفة)، ج٣، ص٢٢٧؛ زيني دحلان، السيرة النبوية والآثار المحمدية، ج٢، ص١٣٨.

٤ - ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الكتب العربية، ج٦، ص٥٢، نقلاً عن سقيفة ابو بكر احمد بن عبد العزيز الجوهري.

٥ - ابن سعد، مصدر سابق، ص١٩٠؛ الشيخ عبد القادر بدران، تهذيب تاريخ دمشق، تأليف الحافظ ابن عسّاكر (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٤٠٧هـ)، ج١، ص١٢١.

وسلمة بن أسلم<sup>١</sup>

كان النبي عندما أمر بخروج الجيش، معافى وليس فيه مرض، ولكنه أُصيب في اليوم التالي بحمى ومرض انتهى بوفاته، وأثناء ما كان النبي طريح فراش المرض تناهت اليه الأخبار بأن البعض يعترض على قيادة اسامة بسبب صغر سنّه، وإن الجيش لم يخرج من المدينة بعد لهذا السبب؛ فخرج رسول الله ﷺ إلى المسجد رغم ما كان به من مرضٍ وأذى، وخطب بالناس وحثهم على السير في جيش أسامة، وقال:

ايها الناس فما مقالة بلغني عن بعضكم في تأميري اسامة؟! ولئن طعنتم في امارته فلقد طعنتم في اماره ابيه من قبله؛ وأتم الله ان كان لخليقا بالامارة وان ابنه من بعده لخليق بالامارة<sup>٢</sup>.

واشتد المرض على رسول الله ﷺ في الأيام الاخيرة من عمره فكان يُغمى عليه مرّة، ويفيق مرّة، وعندما أفاق في احد المرات سأل عن جيش اسامة. فقيل له انه يتأهب للمسير. فقال: جهّزوا جيش اسامة لعن الله من تخلف عنه<sup>٣</sup>.

١ - ابن سعد، مصدر سابق، ص ١٩٠؛ تقي الدين احمد بن علي المقرئ، امتاع الأسماع، تحقيق محمد عبد الحميد النميسي (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة ١، ص ١٤٢٠هـ)، ج ٢، ص ١٢٤؛ تهذيب تاريخ دمشق، ج ١، ص ١٢١.

٢ - ابن سعد، مصدر سابق، المقرئ، ج ٢، ص ١٢٤؛ زيني دحلان، مصدر سابق، الشيخ عبد القادر بدران، مصدر سابق؛ الحلبي، مصدر سابق، ص ٢٢٨. وجاء نص كلام رسول الله (ص) حسب رواية البخاري ومسلم كالآتي: ان تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إماره ابيه من قبل، وأتم الله ان كان لخليقا للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إليّ وإن هذا لمن أحب الناس الي بعده. >صحيح البخاري، تحقيق الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي (بيروت: دار القلم، ١٤٠٧هـ)، ج ٦، ص ٣٢٦؛ المغازي، الباب ٢٠٣، الحديث ٩؛ صحيح مسلم، بشرح الإمام النووي، (قم: دار الفكر، ١٤٠١هـ)، ج ١٥؛ فضائل الصحابة، ص ١٩٥.

٣ - محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (قم: منشورات الشريف الرضي)، ص ٢٩، نقل الشهرستاني لعن رسول الله لهذه الجماعة مراسلاً، ولكن استناداً إلى ما نقله ابن أبي الحديد فان أبا بكر بن عبد العزيز الجوهري نقل في كتاب السقيفة هذا اللعن مسنداً عن عبد الله بن عبد الرحمن بأن رسول الله (ص) قال عدّة مرّات: انفذوا بعث اسامة، لعن الله من تخلف عنه. (شرح نهج البلاغة، ج ٦، ص ٥٢).



## حجة الوداع ورحلة الرسول ﷺ ..... ٣٢١

ورغم كل هذه التأكيدات من النبي ﷺ على بعث جيش اسامة طوال الاربعة عشر يوما التي مرض فيها، الا ان البعض ظل يتعلل ويماطل، فادّى ذلك إلى عدم حركة الجيش إلى ان توفي رسول الله ﷺ.

وكما أوضحنا سابقاً عند شرح حادثة غدير خم، يُعتبر هذا الموقف من الشواهد الواضحة على عصيان بعض المسلمين للأوامر الصريحة لرسول الله ﷺ.

### الغاية السامية للرسول ﷺ

هناك عددٌ ملاحظات جديرة بالاهتمام في ما يخص سعي الرسول ﷺ وحرصه على بعث جيش اسامة، ولا بأس بلفت الانظار إليها في ما يلي:

١. عند تجهيز هذا الجيش الإسلامي جعل قيادته لشاب لم يبلغ العشرين من عمره، في حين ان هذا الجيش قد أعدّ لمحاربة اقوى عدو ويهدف المهجوم على موضع حساس وبعيد عن عاصمة الحكم الإسلامي.

٢. في هذا الجيش جعل تحت قيادة اسامة رجال وشيوخ كان بعضهم من قادوا الحروب وخاضوا المعارك، ومنهم من كانوا رؤساء قبائل أو من كبار اصحاب رسول الله ﷺ ممن كانوا يرون لأنفسهم مكانة رفيعة ومنزلة عليا ويعودّ انفسهم لتسلُّم منصب أرفع من منصب هذا القائد الشاب.

٣. على الرغم من ان رسول الله ﷺ كان يعلم بقرب نهاية عمره (وهو ما أشار إليه في مطلع خطبة الغدير) وكانت غيوم الفتنة تحيّم على ربوع الامة الإسلامية، بيد انه بعث جيش الإسلام إلى ارض قصبة، وارسل كبار المهاجرين والانصار برفقة هذا الجيش؛ وفي ضوء التدبير وبُعد النظر والسياسة الالهية للرسول ﷺ يتّضح بانه ليس هناك من شك في ان الاقدام على مثل هذا الأمر الخطير كان لأجل هدف مهم يهون في ازائه تحمل مثل هذه المصاعب

٣٢٢..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى رحلة

النبي ﷺ

والاخطار.

ويمكن ان نستخلص من خلال تمحيص هذه الملاحظات بأن رسول الله ﷺ كان يهدف إلى تحقيق غايتين أساسيتين، فضلاً عن الهدف العسكري المتمثل بـ مجابهة الروم ودرء خطرهم؛ وهاتين الغايتين الأساسيتين هما:

أ . الغاية التي كان يرمي اليها الرسول ﷺ من وراء تعيين اسامة لقيادة الجيش هي لفت انظار المسلمين عملياً إلى ان الشيء المهم في قضية الرئاسة والقيادة هو الكفاءة؛ وصغر السن لا يقلل من كفاءة أحد، كما ان كبر السن ليس دليلاً على الكفاءة؛ ولهذا السبب قال الرسول في سياق ردّه على مطاعن المعترضين: **كان زيداً كان خليفاً بالامارة، وان ابنه من بعده لخليق بالامارة>.**

لقد اكد قائد الإسلام العظيم بهذا البيان القاطع والصريح أهلية أسامة للقيادة معرباً عن مخالفته للأفكار الباطلة التي اثارها البعض ظناً منهم بان عنصري السن والنسب دخيلين في احراز مثل هذا المنصب. وهل كان يرمي من وراء اصراره على قيادة اسامة سوى تمهيد الأرضية عملياً لاستخلاف علي رضي الله عنه، واجهاض الاعتراضات التي كان من المتوقع ان يثيرها البعض ويتخذون من قضية السن ذريعة للطعن في عدم كفاءة وأهلية علي رضي الله عنه للتصدي لمنصب الخلافة؟

ب . كان هدف الرسول ان يكون المنافسون السياسيون لعلي رضي الله عنه ممن كانوا يطمعون في الخلافة بعيدون عن المدينة أثناء وفاته؛ ولهذا السبب كان قادة المهاجرين والانصار ضمن ذلك الجيش، بحيث يتسنى لعلي رضي الله عنه السيطرة على زمام الامور في غيابهم لكي يجد المعارضون انفسهم أمام أمر واقع، وعندما يعودون من الغزو تكون امور الخلافة قد استتبّت لعلي<sup>١</sup>.

---

١ - يُستدل من النقد غير الوجه الذي اوردته ابن ابي الحديد (م ٦٥٦هـ) في كتابه (شرح نوح البلاغة، ج ١، ص ١٦١) على ان هذا التحليل الشيعي كان معروفاً عند المؤرخين منذ القدم.

ومن هنا يمكن ان يفهم السبب الذي جعل البعض يتعلل ويُسوِّ في الاستجابة لمهمة اسامة . رغم اصرار الرسول وتأكيده على ذلك . وبذلك حالوا دون حركة الجيش إلى ان توفي الرسول!

### الوصية التي لم تكتب

في يوم الخميس (قبل وفاة الرسول بأربعة أيام) بينما كان طريح فراش المرض قال: كُتِّبوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً. فقال بعض من كان عنده ان نبي الله قد غلبه الوجد وانه ليهجر! وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. فاختلف القوم واختصموا، فمنهم من يقول: قَرَّبُوا إليه يكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول: ألا ناتيئك بما طلبت؟ قال: كَأَوْ بَعْدَ مَاذَا؟ دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه. قوموا عني>.

ان ما جاء آنفا عبارة عن ملخص لما نقله المحدثون وكتاب السير ضمن حوادث الأيام الاخيرة من حياة النبي ﷺ<sup>١</sup>.

ورغم أن هذه الحادثة قد وردت في بعض المصادر بشيء من الحذف والتحريف، أو حذف منها اسم قائل ذلك الكلام المهين بحق النبي ﷺ أو نقل كلامه بالمضمون، أو دفع عنه والتمست له الاعذار، لكن مجموع الشواهد يدل على ان هذا العمل الذي أقدم عليه النبي ﷺ يمثل حلقة من سلسلة اجراءات اتخذها تمهيدا لخلافة علي عليه السلام، وللحيلولة دون وقوع حالة الفوضى والاضطراب التي سيعيشها المسلمون بعد وفاته بشأن القيادة؛ واذا كان البعض قد حال دون كتابة الوصية بشكل أو آخر فان سبب ذلك يُعزى الى انهم قد ادركوا ما كان سيقع.

١ - على سبيل المثال، راجع: صحيح البخاري، تحقيق الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي؛ (بيروت: دار القلم، الطبعة ١، ١٤٠٧)، ج ١، كتاب العلم، باب كتابة العلم (الباب ٨٢)، ج ١١٢، ج ٦؛ المغازي، الباب ١٩٩، ص ٣١٧ - ٣١٨؛ صحيح مسلم، بشرح الامام النووي، ج ١١، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصى فيه، ص ٨٩، الطبقات الكبرى، (بيروت: دار الصادر)، ج ٢، ص ٢٤٢، ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، نقلاً عن ابي بكر الجوهري في كتاب السقيفة.

وقد اعرب عبد الله بن عباس عن اسفه لما وقع يومذاك مشيرا الى واقعة ذلك اليوم بالقول: الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه، حين قال رسول الله: «كتوني بالكتف والدواة اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده ابداً، فقالوا: انما يهجر رسول الله ﷺ»<sup>١</sup>.

وبما ان هذه القضية مشهورة، بل من المسلّمات في تاريخ الإسلام . وقد نقلها القدماء والمعاصرون، وبحوثها بما فيه الكفاية . فاننا نكتفي هنا بهذا المقدار، ونحيل القارئ الى مصادر اخرى للاطلاع على ما اورد بشأنها من انتقادات وتحليل، اضافة الى ما اختلق لها من الاعذار غير المبررة، وما جاء من ردود على بعض الملاحظات والتساؤلات التي اثيرت في هذا المضمار<sup>٢</sup>.

### وفاة رسول الله ﷺ

وبعد ثلاثة وعشرين سنة قضاها رسول الله في الدعوة والجهاد وابلاغ رسالة ربه، وبعدما عاش تقلبات ومنعطفات حادة على طريق أداء رسالته الكبرى، انتقل اخيراً الى الدار الباقية

١ - لما اشتد بالنبي صلى الله عليه وآله وجعه قال اتوني بكتاب اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده. قال عمر: إن النبي صلى الله عليه وآله غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله حسينا. فاختلفوا وكثر اللغط؛ قال (ص) قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع. فخرج ابن عباس يقول: ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين كتابه. (ص) حيح البخاري، ج ١، ص ١٢٠؛ راجع: الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٢٤٤).

٢ - الطوائف في معرفة مذاهب الطوائف، علي بن موسى بن طاووس، (قم: مطبعة الخيام)، ج ٢، ص ٤٣١ - ٤٣٥؛ النص والاجتهاد، السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي، (بيروت: دار النعمان، الطبعة ٣، ١٣٨٤هـ)، ص ١٦٢ - ١٧٧؛ جعفر سبحاني، فروغ ابديت، (قم: دار نشر مكتب الاعلام الاسلامي، الطبعة ٥، ١٣٦٨ هـ. ش)، ج ٢، ص ٤٩٣ - ٥٠٠؛ حسن المصطفوي، الحقائق في تاريخ الاسلام والفن والاحداث، ص ١٢٩ - ١٣٥؛ يوسف غلامي، بس از غروب، (قم: مكتب نشر معارف، ج ١، ١٣٨٠ هـ. ش)، ص ٣٨ - ٥٣. محمد حسين هيكل، حياة محمد، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة ٨، ١٩٦٣)، ص ٥٠١؛ شرح الامام النووي على صحيح مسلم (المطبوع مع صحيح مسلم)، ج ١١، ص ٨٩ - ٩٣.

## حجة الوداع ورحلة الرسول ﷺ ..... ٣٢٥

في يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر صفر من سنة احدى عشرة من الهجرة<sup>١</sup>، بعد اربعة عشر يوما من المرض<sup>٢</sup>، ودفن في حجرته التي بناها الى جوار مسجده. وبعد توسيع المسجد لاحقا من قبل بعض الخلفاء صار مرقده الشريف في القسم الشرقي داخل المسجد. وعلى الرغم من تحسين الوضع المالي لعموم المسلمين وللنبي الله ﷺ بعد بضعة سنوات من الهجرة، حيث كانت **الاموال الخالصة** وعائدات اخرى توضع تحت تصرفه، ومع ان نفوذه المعنوي وقدرته الظاهرية ازدادت كثيراً، غير ان حياته الشخصية لم تتبدل عما كانت عليه في السابق، وبقي يعيش حياة بسيطة جداً في تلك الحجرة نفسها الى جانب المسجد. فهو لم يكنز ثروة ولا كانت له دار مثلما كان لسائر الناس، وكان فراشه من آدم حشوه ليف<sup>٣</sup>.

وكان يصلي على حصير وكثيرا ما كان ينام عليه فتظهر خطوطه على جسمه<sup>٤</sup>. وفي الأيام الاخيرة من حياته كان هناك دينار من بيت المال كان قد بقي عند احد نساءه فأمر بتقسيمه على الفقراء<sup>٥</sup>. لقد عاش بمثل هذه البساطة وغادر الدنيا في مثل تلك الحجرة البسيطة، ولكنه خلف وراءه يوم رحل ديناً عظيماً وكتاباً سماوياً وأمة موحدة، ووضع أسس حضارة جديدة في تاريخ العالم.

---

١ - محمد باقر المجلسي، بحار الانوار، (طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٨٥هـ)، ج ٢٢، ص ٥١٤، وهناك اقوال اخرى حول تاريخ وفاة النبي (ص) راجع: المصدر السابق، ص ٥١٤ - ٥٢١؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٢٧٢ - ٢٧٤؛ السيرة الحلبية، ج ٣، ص ٤٧٣.

٢ - ابن واضح، تاريخ يعقوبي (النحف: المكتبة الحيدرية، ١٣٨٤هـ)، ج ٢، ص ١٧٨.

٣ - الحلبي، السيرة الحلبية، ج ٣، ص ٤٥٤.

٤ - الحلبي، مصدر سابق.

٥ - ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٢٣٧ - ٢٣٩.

### نظرة شاملة الى المجتمع الإسلامي عند رحلة الرسول الله ﷺ

في اعقاب هجرة النبي ﷺ الى المدينة واستقراره فيها، استفاد من اجواء الحرية والظروف الايجابية الاخرى وأرسى تدريجياً قواعد المجتمع الإسلامي، وأخذ يبحث المشاكل والعراقيل تدريجياً، وجعل للامة الإسلامية هوية دينية وسياسية مستقلة، وبلغ الرسالة الالهية بتمامها الى الناس. وعندما رحل كان قد لحق رسالته وحقق نجاحات باهرة وعظيمة، ولكن كانت هناك في المجتمع الإسلامي يومذاك مجموعة من القضايا والتيارات الجديرة بالتأمل، نشير الى أهمها في ما يلي:

١. كما سبقت الاشارة فان الرسول قد استطاع ان يوحد في ظل تعاليم الإسلام القبائل العربية المختلفة والمتناثرة التي كانت تعيش على الدوام في حالة صراع وتناحر، وجعلها تعيش رباطاً مشتركاً يقوم على اساس الايمان والعقيدة والاخوة الدينية؛ وخلق من الافراد والاقوام المتفرقين بالأمس امة واحدة، وأقام . من خلال الاستعانة بأولئك الافراد . حكومة إلهية تولى قيادتها بنفسه، وجعل من المدينة المنورة عاصمة لها؛ وفي ظل هذه الحكومة كانت تدار الامور العرفية والقضايا التي لم ينزل فيها نص إلهي خاص، بآراء واستشارة المسلمين، وكانت حرية الرأي والنقد متوفرة للجميع وكانت تلك المبدأ الأولى التي يعيشها فيها العرب في ظل الإسلام مثل هذه الوحدة والقوة والحياة المعنوية؛ ولكن استمرار هذا النجاح كان يتطلب وجود قيادة كفوءة ومقتدرة تقود المجتمع الإسلامي بعد الرسول مثلما كان يقودها هو استناداً الى نظام الامة والامامة على الصعيدين المعنوي والسياسي.

٢. عند وفاة الرسول ﷺ كانت عبادة الأصنام قد اجتثت تقريباً من كل ارجاء جزيرة العرب، وعلى الرغم من عدم حصول أية فتوحات خارج جزيرة العرب، لكن الدعوة العالمية التي كان رسول الله قد بدأها أوصلت رسالة الإسلام الى أسماع قادة العالم يومذاك؛ بيد ان الكثير ممن أسلموا في اواخر عمر الرسول . في جزيرة العرب وخاصة بعد فتح مكة وغزوة تبوك . اقتصر اسلامهم على حد التظاهر بالإسلام واعلان الاستسلام للحكومة الإسلامية، ولم

يكن قد دخل الإسلام في قلوبهم، ولم تتوفر لرسول الله حينذاك فرصة ارسال المبلّغين والدعاة اليهم لغرس الايمان والإسلام في نفوسهم ؛ والكثير منهم لم يروا الرسول مباشرة، وانما التقاه رؤساءهم وقادتهم فقط؛ ولذلك كان ارتدادهم عن الدين شيئاً متوقّعا بمجرّد ان يشعرو بضعف قوّة الإسلام. وهذه المؤشّرات كانت تستلزم أيضا استمرار القيادة الإسلامية لكي تتواصل الدعوة الثقافية التي كان يقوم بها الرسول، ولكي تكتمل هدايتهم وتطوّرهم معنويا من خلال تبين وشرح تعاليم الإسلام وانجاز مهمّة الدعوة والتبليغ.

٣. بموت عبد الله بن أبي، قائد المنافقين، في السنة التاسعة من الهجرة، أخذت هذه الفرقة الخائنة والخطيرة تفقد نظمها وتماسكها؛ ولكن مع ذلك فقد كان افراد هذه الفرقة يعيشون في المدينة وما جاورها، وكانوا يترتّبون ويترقّبون الفرصة المناسبة لكي يوجهوا ضربتهم الى الإسلام وأهله.

وبالاضافة الى المنافقين الذين كانوا يعتبرون بمثابة خطر داخلي، كان هناك خطران خارجيان يهددان الحكومة الإسلامية الفتية، وهما: امبراطورية الفرس وامبراطورية الروم، حيث كانت جميع الشواهد والقرائن تؤكّد عداءهما للإسلام وموقفهما السلبي منه. ولم تكن هذه الاخطار الثلاثة بالشيء الهين الذي لا يثير مشاعر قلق النبي ﷺ، ولا يدفعه الى اتخاذ الاجراءات والتدابير الكفيلة بافشال مخططاتهم. ثم ان هذه القضية تكشف عن مدى خطورة الموقف وتحتم ضرورة اتحاد المسلمين تحت راية زعامة قويّة.

٤. كما سبقت الاشارة، كانت الحياة الاجتماعية لسكان جزيرة العرب قبل ظهور الإسلام تقوم على أساس النظام القبلي، وكان النظام القبلي مبنياً بدوره على روابط النسب والقربى. ومن الطبيعي ان الافرازات الاجتماعية التي تتمخض مثل هذا النظام، كالتعصّب القبلي الأعمى، والتفاخر القبلي، والحروب القبلية، والتأثر القبلي كانت سبباً لخلق الكثير من المشاكل والمعضلات لهم.

وقد تمكّن رسول الله بعد جهد جهيد ومشقّة ومتاعب، وبفضل تعاليم الإسلام الداعية الى الوحدة والتكاتف، واستناداً الى كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، ان يحطّم ذلك النظام وينسج بدلاً من رابطة النسب، أواصر الايمان المشترك، واستطاع القضاء على افرازات النظام

القبلي الى حد بعيد؛ وكان هذا من الانجازات والمعطيات البالغة الأهمية للإسلام والقرآن ورسالة النبي ﷺ؛ الا ان الرواسب الثقافية لهذا النظام بقيت بحكم رسوخها وعمق جذورها في اذهان قسم من الناس . كما يشهد التاريخ بذلك . وكانت الريح التي تبعثها حادثة بسيطة أحياناً، كفيلة بازاحة الرماد عن تلك النار، فيكشّر التفكير القبلي عن انيابه . ولكن رسول الله ﷺ كان يقف بوجه امثال هذه الامور بوعي ويقضة ولا يدعها تتحول الى ازمة . وهذا المعنى يدل على مدى حساسية الظروف آنذاك وهشاشة وحدة المسلمين التي لم تتحقق الا بشق الأنفس؛ ووضح شاهد على ذلك ما برز بعد وفاة الرسول مباشرة من ميول قبلية بين جماعتين كبيرتين من المسلمين .

كانت هذه المواجهات تفرض مسؤولية اعظم على عاتق الشخصيات البارزة والمؤثرة في الساحة السياسية الإسلامية، وتضعهم على محك خطير لتكشف عن لديه استعداد للتضحية في سبيل صيانة تلك الوحدة، وتمييزه عن المتمسكين بالثقافة الجاهلية .

٥. بعد هجرة الرسول ﷺ الى المدينة كان هو المتصليّ لشؤون الزعامة الدينية والزعامة السياسية على حد سواء، فكان يؤدّي هاتين الوظيفتين سوية . فكان المسلمون يستمعون الى خطبه، ويتلقّون كلمات الوحي من بين شفّتيه، ويصلون الجماعة بامامته، وأحبّوه وانجذبوا إليه بقوة حتى انهم كانوا يتبركون بقطرات ماء وضوئه، وهؤلاء الناس أنفسهم كانوا يسارعون الى الحروب والغزوات امتثالاً لأمره فيقتلون ويُقتلون، ويُعيّنون ولاية على المدن بأمره، ويفاوضون المعارضين السياسيين نيابة عنه . ولهذا السبب لم يكن يكفي ان يتصدى خليفة الرسول . بعد وفاته . للقيادة السياسية للمجتمع فحسب، بل كان ينبغي ان يكون الخليفة من بعده قادراً على التصليّ لشؤون الدينية للناس فضلا عن القيادة السياسية، أي ان يكون قادراً من حيث الاطلاع والوعي الواسع بالعلوم والمعارف الإسلامية، على ملء الفراغ الذي نتج عن وفاة رسول الله ﷺ .



## الفهرس

٧	..... كلمة المجمع
٩	..... تمهيد
١١	..... المقدمة
١٥	..... الباب الاول: بحوث تمهيدية
١٧	..... الفصل الاول: جزيرة العرب .. موقعها الجغرافي، والوضع الاجتماعي والحضاري
١٨	..... تقسيمات جزيرة العرب
١٩	..... تقسيمها على أساس التضاريس الطبيعية (الجنوب والشمال)
١٩	..... وضع جنوب جزيرة العرب (اليمن)
٢١	..... حضارة زاهرة في جنوب جزيرة العرب
٢٣	..... انهيار سد مأرب
٢٤	..... تأثير افول حضارات الجنوب على اوضاع شبه جزيرة العرب
٢٥	..... وضع شمال جزيرة العرب (الحجاز)
٢٧	..... البدو
٢٨	..... النظام القبلي
٢٩	..... رابطة الدم
٢٩	..... رئاسة القبيلة
٣٠	..... التعصب القبلي
٣٢	..... الآثار القبلية
٣٢	..... التنافس والمآثر القبلية
٣٤	..... أهمية الانساب
٣٦	..... الحروب القبلية
٣٨	..... النهب والقتل
٤٠	..... الأشهر الحرم
٤٠	..... المرأة في المجتمع العربي
٤٢	..... مأساة المرأة
٤٧	..... الفصل الثاني: صفات وخصائص العرب
٤٧	..... الصفات المتناقضة
٤٧	..... منطلقات الفضائل عند العرب
٤٨	..... الجهل والاساطير
٥٠	..... حظ العرب من العلم والفن

## ٣٣٠..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى رحلة

النبي ﷺ

٥٠.....	مجتمع أمي
٥٠.....	الشعر
٥١.....	العرب والمدنات المجاورة
٥٣.....	ضعف العرب في مقابل الفرس والروم
٥٤.....	مفاخر وهمية
٥٥.....	العصر الجاهلي
٥٩.....	الفصل الثالث: الاديان والمذاهب في شبه الجزيرة العربية واطرافها
٥٩.....	الموحدون
٦١.....	المسيحية
٦١.....	المسيحية في اليمن
٦٣.....	المسيحية في الحيرة
٦٣.....	الديانة اليهودية
٦٥.....	اليهود في اليمن
٦٥.....	الصابئة
٦٦.....	ديانة ماني
٦٨.....	عبادة الكواكب
٦٩.....	عبادة الجن والملائكة
٧٠.....	نشوء مدينة مكة
٧١.....	بقايا ديانة ابراهيم (الحنيفية)
٧٢.....	ظهور عبادة الأصنام بين العرب
٧٤.....	هل كان عبدة الاصنام يؤمنون بالله؟
٧٧.....	الوضع الديني المضطرب
٧٨.....	التحول الاساسي في ظل ظهور الإسلام
٨٠.....	تطور ومكانة مدينة مكة
٨١.....	أ - الموقع التجاري
٨٣.....	ب - وجود الكعبة
٨٣.....	تجارة وسدانة قريش
٨٦.....	سلطة ونفوذ قريش

## ٨٩..... الباب الثاني: محمد ﷺ من ولادته الى مبعثه

٩١.....	الفصل الاول: نسبه ﷺ
٩١.....	اجداده ﷺ
٩٣.....	شخصية عبد المطلب
٩٤.....	سلالة التوحيد
٩٧.....	الفصل الثاني: طفولته وصبا ﷺ
٩٧.....	ولادته ﷺ
٩٨.....	عهد الطفولة والرضاعة
١٠١.....	وفاة والدته وتكفل عبد المطلب له
١٠٢.....	وفاة عبد المطلب ورعاية ابو طالب له
١٠٢.....	سفره الى الشام ونبوءة الراهب

## الفهرس ..... ٣٣١

١٠٤	تحريف التاريخ من قبل المسيحيين
١٠٩	الفصل الثالث محمد ﷺ في شبابه
١٠٩	حلف الفضول
١١١	سفره الثاني الى الشام
١١٢	زواجه بخديجة
١١٣	نصب الحجر الاسود
١١٥	علي ﷺ في مدرسة الرسول ﷺ

## الباب الثالث: من البعثة الى الهجرة ..... ١١٩

١٢١	الفصل الاول: البعثة والدعوة
١٢١	ارهاصات الرسالة
١٢٣	بداية الرسالة
١٢٤	خبر غير صحيح عن ظهور الوحي
١٢٥	نقد ودراسة
١٢٩	الدعوة السرية
١٣٠	أول من أسلم من النساء ومن الرجال
١٣١	الأدلة على اسبقية علي
١٣٤	الجماعات السبقة في دخول الإسلام
١٣٤	أ - الشباب
١٣٦	ب - المحرومون والمظلومون
١٣٨	دعوة عشيرته
١٤١	الفصل الثاني: الدعوة العلنية وبدء المعارضة
١٤١	بداية الدعوة العلنية
١٤٢	محاولات قريش
١٤٣	اعلان حماية ابي طالب
١٤٣	اسباب ودوافع معارضة قريش
١٤٤	١- الخشية من انهيار النظام الاجتماعي
١٤٥	٢- المخاوف الاقتصادية
١٤٧	٣- الخوف من القوى المجاورة
١٤٨	٤- التنافس والحسد القبلي
١٥١	الفصل الثالث: تداعيات معارضة قريش والإجراءات التي اتخذتها
١٥١	ايذاء المسلمين وتعذيبهم
١٥٢	الهجرة الى الحبشة
١٥٥	ولادة فاطمة الزهراء عليها السلام
١٥٥	الاسراء والمعراج
١٥٦	تقويم روايات المعراج
١٥٧	الحصار الاقتصادي والاجتماعي ضد بني هاشم
١٦١	وفاة خديجة وابي طالب
١٦١	دور خديجة
١٦١	دور ابي طالب
١٦٢	ايمان ابي طالب
١٦٤	دفاعه عن الرسول ﷺ
١٦٥	زوجات الرسول

## ٣٣٢..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى رحلة

النبي ﷺ

١٦٧	١- أم حبيبة.....
١٦٨	٢- أم سلمة.....
١٦٩	٣- زينب بنت جحش.....
١٧١	جذابة القرآن.....
١٧٢	اتهامه بالسحر.....
١٧٣	سفره الى الطائف للدعوة.....
١٧٥	هل استجار الرسول بأحد.....
١٧٧	دعوته القبائل العربية الى الإسلام.....
١٧٩	<b>الباب الرابع: من الهجرة الى الدعوة العالمية.....</b>
١٨١	<b>الفصل الاول: الهجرة الى يثرب.....</b>
١٨١	عوامل انتشار الإسلام في يثرب.....
١٨٣	أول جماعة اسلمت في يثرب.....
١٨٣	بيعة العقبة الاولى.....
١٨٤	بيعة العقبة الثانية.....
١٨٥	بداية الهجرة الى يثرب.....
١٨٦	مؤامرة لقتل الرسول ﷺ.....
١٨٧	هجرة الرسول ﷺ.....
١٨٧	التضحية الكبرى.....
١٨٩	وصول الرسول الى قبا.....
١٩٠	وصول الرسول الى يثرب.....
١٩١	بداية التاريخ الهجري.....
١٩٥	<b>الفصل الثاني: الاعمال الاساسية للرسول في المدينة.....</b>
١٩٥	بناء المسجد.....
١٩٦	اصحاب الصفّة.....
١٩٧	وثيقة المدينة.....
١٩٨	المؤاخاة بين المهاجرين والانصار.....
٢٠٠	معاهدة عدم اعتداء مع ثلاث قبائل يهودية.....
٢٠١	المنافقون.....
٢٠٣	<b>الفصل الثالث: مؤامرات اليهود.....</b>
٢٠٣	مخالفات اليهود.....
٢٠٥	دوافع مخالفة اليهود.....
٢٠٧	تبديل القبلة.....
٢١١	<b>الفصل الرابع: تشكيل القوى القتالية الإسلامية.....</b>
٢١١	المعارك.....
٢١٢	المناورات العسكرية.....
٢١٣	اهداف الرسول من المناورات العسكرية.....
٢١٤	تهديد طريق تجارة قريش الى الشام.....
٢١٦	سريّة عبد الله بن جحش.....
٢١٧	معركة بدر.....
٢٢٠	عوامل انتصار المسلمين.....
٢٢٣	معطيات ونتائج انتصار الجيش الإسلامي.....

## الفهرس ..... ٣٣٣

٢٢٥	..... نقض معاهدة بني القينقاع
٢٢٦	..... زواج علي <small>عليه السلام</small> من فاطمة <small>عليها السلام</small>
٢٢٨	..... معركة احد
٢٣١	..... انتصار المسلمين في الجولة الاولى من الحرب
٢٣٢	..... انتصار المشركين
٢٣٥	..... نتائج الهزيمة في معركة احد
٢٣٧	..... الهجوم الفاشل لبني أسد:
٢٣٧	..... حادثة الرجيع:
٢٣٩	..... غزوة بني النضير
٢٤٢	..... معركة الخندق (الاحزاب)
٢٤٥	..... غدر بني قريظة
٢٤٦	..... عوامل فشل جيش الاحزاب
٢٤٦	..... ١- الاختلاف بين بني قريظة وجيش الاحزاب
٢٤٧	..... ٢- قتل عمرو بن عبد ود
٢٤٨	..... خرج الإسلام كله الى الشرك كله
٢٤٩	..... ٣- الامداد الغيبي
٢٥٠	..... غزوة بني قريظة
٢٥١	..... نقد وتحليل
٢٥٤	..... غزوة بني المصطلق
٢٥٥	..... حج العمرة
٢٥٦	..... بيعة الرضوان
٢٥٧	..... صلح الحديبية (الفتح المبين)
٢٥٨	..... نبوءة الرسول
٢٥٩	..... نتائج صلح الحديبية

## الباب الخامس: من الدعوة العالمية الى وفاة الرسول ..... ٢٦١

٢٦٣	..... الفصل الاول: الدعوة العالمية
٢٦٣	..... الرسالة العالمية للرسول
٢٦٤	..... بداية الدعوة العالمية
٢٦٥	..... معركة خيبر
٢٧٠	..... مصير يهود خيبر
٢٧٠	..... فذاك
٢٧٣	..... الفصل الثاني: انتشار الإسلام
٢٧٣	..... معركة مؤتة
٢٧٥	..... فتح مكة
٢٧٦	..... فريش تنقض العهد
٢٧٩	..... العفو العام
٢٨٠	..... نتائج فتح مكة
٢٨١	..... معركة حنين*
٢٨٣	..... هزيمة المسلمين في الجولة الاولى
٢٨٤	..... النصر الظافر في الجولة الاخيرة
٢٨٥	..... غزوة تبوك*
٢٨٨	..... استخلاف علي في المدينة
٢٩٠	..... وعورة الطريق

٣٣٤..... تاريخ الإسلام من الجاهلية الى رحلة

النبي ﷺ

٢٩١	معاهدات الرسول مع رؤساء القبائل.....
٢٩٢	نتائج غزوة تبوك.....
٢٩٢	انتشار الإسلام في جزيرة العرب.....
٢٩٣	البراءة من المشركين.....
٢٩٤	مبعوث الرسول.....
٢٩٥	اعلان البراءة وانذار الرسول ﷺ.....
٢٩٦	المباهلة مع وفد نصارى نجران*.....
٣٠١	الفصل الثالث: حجة الوداع ورحلة الرسول ﷺ.....
٣٠١	حجة الوداع.....
٣٠٣	خطبة الرسول التاريخية.....
٣٠٣	فضيلة كبرى.....
٣٠٦	حادثة الغدير تعريف بخليفة الرسول.....
٣١٣	شواهد وقرائن.....
٣١٨	جيش اسامة.....
٣٢٠	جهّزوا جيش اسامة لعن الله من تخلف عنه.....
٣٢١	الغاية السامية للرسول ﷺ.....
٣٢٣	الوصية التي لم تكتب.....
٣٢٤	وفاة رسول الله ﷺ.....
٣٢٦	نظرة شاملة الى المجتمع الإسلامي عند رحلة الرسول ﷺ.....
٣٢٩	الفهرس.....